

# لجزم الخط العربي

في عصور العرب في الزاهرة

## الجزء الثالث

العصر العباسي الأول

ويليه ذيل الجهة

تأليف

أحمد زكي صفوت

أستاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

حقوق الطبع والنقل محفوظة

شركة مطبعة مطبوعات البان الجبل والادب

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٩٤

# تقدير

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم وفقنتني إلى إتمام ما بدأت ، فلك الشكر والمنة في البدء والنهاية ، وأصلى وأسلم على خاتم رسلك ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وبعد : فهذا ثالث الأجزاء من « جمهرة خطب العرب » في خطب العصر العباسي الأول ، وهو على نسق سابقه ضبطا وتحريرا ، وشرحا وتعليقا ، ويليه ذيل الجمهرة ، في خمسة أبواب من الخطب :

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربية .

» الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها .

» الثالث : في ثر الأعراب .

» الرابع : في خطب النكاح .

» الخامس : في خطب من أرتج عليهم ، ونوادير طريفة لبعض الخطباء .

وبذا تم ما قصدت إلى جمعه في هذا المؤلف ، وإني أبتهل إلى المولى القدير

أن يحقق ما رجوته من استفادة قارئيه به ، وأن يسدد خطانا جميعا إلى سبيل

أحمد زكي صفوت

الرشاد ، إنه الكبير المتعال

ذى القعدة سنة ١٣٥٢ هـ

حرب بالقاهرة في مارس سنة ١٩٣٤ م

## فهرس

### مآخذ الخطب في هذا الجزء

---

- الأمالى : لأبي عليّ القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبي الفرج الأصبهانى : « التاسع
- صبح الأعشى : لأبي العباس القلقشندى : « الأول - التاسع
- نهاية الأرب : اشهاب الدين النويرى : « السادس
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبي العباس المبرد : الجزء الأول
- العقد الفريد : لابن عبد ربه : « الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبي إسحق الحضرى : « الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : « الأول - الثانى - الثالث
- شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد : المجلد الأول - الثانى
- أمالى السيد المرتضى : « الأول - الرابع
- مجمع الأمثال : لأبي الفضل الميدانى : « الأول
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : « التاسع - العاشر
- تاريخ الكامل : لابن الأثير : « السادس
- مروج الذهب : للمسعودى : « الثانى
- وفيات الأعيان : لابن خلكان : « الأول - الثانى

مواسم الأدب: للسيد جعفر البيهقي العلوي : الجزء الثاني

الصناعتين : لأبي هلال العسكري

مقدمة ابن خلدون

المنية والأمل : لأحمد بن يحيى المرتضى



## الباب الرابع

# الخطبة والبوصايا

في

## العصر العباسي الأول

١ - خطبة أبي العباس السفاح وقد بويع بالخلافة  
( توفي سنة ١٣٦ هـ )

صعد أبو العباس<sup>(١)</sup> السفّاح المنبر حين بويع له بالخلافة، فقام في أعلاه،  
وصعد عمه داود بن علي فقام دونه، وتكلم أبو العباس، فقال :  
« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تَكْرِمَةً ، وَشَرَفَهُ وَعَظَمَهُ ، واختاره  
لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وَكَهْفَهُ<sup>(٢)</sup> وَحِصْنَهُ ، والقُوَّامَ به ، والذابِّينَ عنه ،  
والناصرين له ، وألزمنا كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وجعلنا أحمقُ بها وأهلها ، وخصنا

---

[١] هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أول الحفّاء العباسيين ، بويع بالخلافة  
سنة ١٣٢ هـ . [٢] الكهف : الوزر والملحأ .

بِرَحْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَابَتِهِ ، وَأَنْشَأْنَا مِنْ آبَائِهِ ، وَأَنْبَتْنَا مِنْ شَجَرَتِهِ ، وَاشْتَقْنَا مِنْ نَبْعَتِهِ (١) ، جَعَلَهُ مِنْ أَنْفُسِنَا عَزِيزاً عَلَيْهِ مَا عَنِتْنَا (٢) ، حَرِيصاً عَلَيْنَا ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْحاً وَفَأَ رَحِيماً ، وَوَضَعْنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ بِالْمَوْضِعِ الرَّفِيعِ ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ كِتَاباً يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ (٣) أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ، وَقَالَ : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » ، وَقَالَ : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » ، وَقَالَ : « مَا أَفَاءَ (٤) اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَاللَّهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » ، وَقَالَ : « وَأَعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى فَأَعْمَهُمْ جَلْ ثَنَاءَوْهُ فَضَّلْنَا ، وَأَوْجِبَ عَلَيْهِمْ حَقَّقْنَا وَمَوَدَّتْنَا ، وَأَجْزَلَ مِنَ النَّفْسِ (٥) وَالْغَنِيمَةَ نَصِيبَنَا ، تَكْرِمَةً لَنَا ، وَفَضْلاً عَلَيْنَا ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وَزَعَمَتِ السَّبْيِيَّةُ الضَّلَالُ أَنْ غَيْرَنَا (٦) أَحَقُّ بِالرِّيَاسَةِ وَالْخِلَافَةِ مِنَّا ، فَشَاهَتِ (٧)

وُجُوهُهُمْ ! بِمَ وَلِمَ أَيُّهَا النَّاسُ ؟ وَبِنَا هَدَى اللَّهُ النَّاسَ بَعْدَ ضَلَالَتِهِمْ ، وَبَصَّرَهُمْ بَعْدَ جَهَالَتِهِمْ ، وَأَنْقَذَهُمْ بَعْدَ هَلَاكَتِهِمْ ، وَأَظْهَرَ بِنَا الْحَقَّ ، وَأَذْهَبَ بِنَا الْبَاطِلَ ، وَأَصْلَحَ بِنَا مِنْهُمْ مَا كَانَ فَاسِداً ، وَرَفَعَ بِنَا الْخَسِيسَةَ ، وَأَتَمَّ بِنَا التَّقِيصَةَ ، وَجَمَعَ الْفُرْقَةَ ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ أَهْلَ تَعَاظُفٍ وَبِرٍّ ، وَمَوَاسَاةٍ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَإِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ فِي آخِرَتِهِمْ ، فَفَتَحَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنةً وَمِنحةً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَامَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَتْرَمُ شُورَى

[١] النِّبْعُ وَالْأَصْلُ : شَجَرٌ لِلْفَسَى وَالسَّامِ . [٢] الْعَمْتُ بِالْتَحْرِيكِ : دَخُولُ الْمَشَقَّةِ عَلَى الْإِنْسَانِ .

[٣] الْقَدْرُ ، وَكُلُّ مَا اسْتَقْفَرُ مِنَ الْعَمَلِ . [٤] مَا أَطَادَهُ عَلَيْهِ أَيْ صَبَرَهُ لَهُ .

[٥] الْغَنِيمَةُ . [٦] يَرِيدُ الْعُلُوبِينَ . [٧] شَاءَ وَجْهَهُ شَوْهَا بِالْفَتْحِ : قَبِيحٌ .

بينهم ، فحَوَّوا مَوَارِيثَ الأُمِّ ، فَعَدَلُوا فِيهَا ، وَوَضَعُوا مَوَاضِعَهَا ، وَأَعْطَوْهَا أَهْلَهَا ،  
وَخَرَجُوا خِمَاصًا <sup>(١)</sup> مِنْهَا ، ثُمَّ وَثَبَ بَنُو حَرْبٍ وَمَرْوَانٌ فَابْتَزُّوْهَا وَتَدَاوَلُوهَا بَيْنَهُمْ ،  
فَجَارُوا فِيهَا ، وَاسْتَأْثَرُوا بِهَا ، وَظَلَمُوا أَهْلَهَا ، فَأَمَلِي <sup>(٢)</sup> اللهُ لَهُمْ حِينًا حَتَّى آسَفُوهُ <sup>(٣)</sup> ،  
فَلَمَّا آسَفُوهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَيْدِينَا ، وَرَدَّ عَلَيْنَا حَقَّنَا ، وَتَدَارَكَ بِنَا أَمْتَنَا ، وَوَلِيَ نَصْرَنَا  
وَالْقِيَامَ بِأَمْرِنَا ، لِيَمُنَّ بِنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ، وَخَتَمَ بِنَا كَمَا افْتَتَحَ بِنَا ،  
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا يَأْتِيَكُمُ الجَوْرُ مِنْ حَيْثُ أَتَاكُمْ الحَيْرُ ، وَلَا الفَسَادُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمْ  
الصَّلَاحُ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا أَهْلَ البَيْتِ إِلَّا بِاللهِ .

يَأْهَلُ الكَوْفَةَ ، أَنْتُمْ مَحَلٌّ مَحَبَّتِنَا ، وَمَنْزِلٌ مَرَدَّتِنَا . أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَتَنَيَّرُوا عَنْ  
ذَلِكَ ، وَلَمْ يَتَنَبَّهْكُمْ عَنْ ذَلِكَ تَحَامُلُ أَهْلِ الجَوْرِ عَايِكُمْ . حَتَّى أَدْرَكْتُمْ زَمَانَنَا ، وَأَتَاكُمْ  
اللهُ بِدَوْلَتِنَا ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِنَا ، وَأَكْرَهُهُمْ عَلَيْنَا ، وَفَدَّ زِدْتِكُمْ فِي أُعْطَايَاكُمْ  
مِائَةَ دَرْهَمٍ ، فَاسْتَعْدُوا ، فَأَنَا السَّفَّاحُ المُبِيحُ ، وَالنَّائِرُ المُبِيرُ <sup>(٤)</sup> ،  
وَكَانَ مَوْعُوكَا فَاشْتَدَّ بِهِ الوَعَكُ <sup>(٥)</sup> ، فَجَلَسَ عَلَى المَنْبَرِ . وَصَعِدَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ،  
فَقَامَ دُونَهُ عَلَى مَرَاقِي <sup>(٦)</sup> المَنْبَرِ ، فَقَالَ :

( تاريخ الطبرى ٩ : ١٢٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ )

## ٢ - خطبة داود بن عليّ

« الحمد لله ، سُكْرًا سُكْرًا سُكْرًا ، الَّذِي أَهْلَكَ عَدُونَا ، وَأَصَارَ إِلَيْنَا مِرَائِنَا  
مِنْ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : الآنَ أَقْشَعَتْ <sup>(٧)</sup> حَنَادِسُ الدُّنْيَا ،

[١] حيا عا جمع حميس من حمس الطن مثلثة المم أى خلا ، وانحمتمة : الخاعة ، وهو جمعان بالصم ،  
وحميس المشا ضامر البطن . [٢] أمهلهم . [٣] أعصوه . [٤] أناره : أهلكه .  
[٥] الوعك : أدى الحمى ووجعها ، وألم من شدة ألم . [٦] جمع مرفاة فتحة الميم وكسرهما .  
[٧] قشعت الريح السحاب : كشفته كأشعته وأشع واشع وشع ، والحنادس جمع حندس بكسر الحاء  
والدال ، وهو الظلمة .

وانكشف غطاؤها ، وأشرقت أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ،  
 وبزغ القمر من مبرزه ، وأخذ القوسَ باريها ، وعاد السهم إلى النزعة <sup>(١)</sup> . ورجع  
 الحق إلى نصابه <sup>(٢)</sup> ، في أهل بيت نبيكم ، أهل الرأفة والرحمة بكم والمطف عليكم .  
 أيها الناس : إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لِنُكْثِرَ لُجَيْنًا ، ولا  
 عِقِيَانًا <sup>(٣)</sup> ، ولا تحفِرَ نهرًا ، ولا نبني قصرًا ، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم  
 حقنا ، والغضبُ لبني عمنا ، وما كَرَّتنا <sup>(٤)</sup> من أموركم ، وبهظنا من شئونكم ،  
 ولقد كانت أموركم تُرمِضنا <sup>(٥)</sup> ونحن على فرُشنا ، ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية  
 فيكم ، وخرقُهم بكم ، واستذلالُهم لكم ، واستئثارُهم بفيثكم وصدقاتكم ومغانمكم  
 عليكم ، لكم ذمةُ الله تبارك وتعالى وذمةُ رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة العباس  
 رحمةُ الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير في العائمة منكم  
 والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تَبًّا تَبًّا لبني حرب بن أمية وبني  
 مروان ، آثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة ، والدارَ الفانية على الدارِ  
 الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا الأثام ، واتهكوا المحارم ، وغشوا الجرائم ،  
 وجاروا في سيرتهم في العباد ، وسنتهم في البلاد ، التي بها استلذوا تسربل الأوزار ،  
 وتجلَّب الآصار <sup>(٦)</sup> ، ومرحوا في أعنة المعاصي ، ورَكضوا في ميادين النغي ،  
 جهلا باستدراج الله ، وأمنًا لمكر الله ، فاتهم بأسئ الله بيئاتًا وهم نائمون ، فأصبحوا  
 أحاديث ، ومزقوا كلَّ مُمزَّق ، فبُعدًا للقوم الظالمين ، وأدالنا <sup>(٧)</sup> الله من مروان ،

[١] جمع نازع وهو الرامي شد الوتر إليه ليضع فيه السهم ، وصار الأمر إلى النزعة أي قام بإصلاحه  
 أهل الأنفة ، وعاد السهم إلى النزعة : رجع الحق إلى أهله . [٢] أصله . [٣] ذمبا .  
 [٤] كرهه الغم كضرب وصر : اشتد عليه كما كرهه . [٥] أرمسه : أوجسه وأحرقه ،  
 أرومض الحر القوم : اشتد عليهم فأذام . [٦] جمع لاصركمبل وهو الذنب . [٧] نصرنا عليه .



وقد غرّه بالله الغرور ، أرسل لعدو الله في عنانه ، حتى عثر في فضل خطامه ،  
فظن عدو الله أن لن تقدر عليه ، فنادى حزبه ، وجمع مكائده ، ورمى بكتائبه ،  
فوجد أمامه ووراءه ، وعن يمينه وشماله ، من مكر الله وبأسه ونقمة ، ما أمت  
باطله ، ومحق ضلاله ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفنا وعزنا ، ورد إلينا  
حقنا وإزنا .

أيها الناس ، إن أمير المؤمنين - نصره الله نصراً عزيزاً - إنما عاد إلى المنبر  
بعد الصلاة ، أنه كره <sup>(١)</sup> أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام  
الكلام ، بعد أن أسخّفر <sup>(٢)</sup> فيه شدة الوعك ، وادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية ،  
فقد أبدلكم الله بمرؤس عدو الرحمن ، وخليفة الشيطان . المنع للسفلة الذين  
أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، بإبدال الدين ، وانتهاك حريم المسامين ،  
الشاب <sup>(٣)</sup> المتكهل المنمهل ، المقتدى بسلفه الأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا  
الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ، وناهج التقوى « - فمع الناس له بالدعاء -  
ثم قال :

« ي أهل الكوفة : إنا والله ما زلنا مظلومين مهقورين على حقنا ، حتى أتاح  
الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج <sup>(٤)</sup> بهم حجتنا ، وأظهر  
بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تتشوقون ، فأظهر فيكم  
الخليفة من هاشم ويص به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، ونقل إليكم  
السلطان وعز الإسلام ، ومن عليكم بإمام منحة العدالة ، وأعطاه حسن الأيالة <sup>(٥)</sup> ،

[١] أي لأنه كره . [٢] اسخّفر الحطيت : اتسع في كلامه . [٣] كاتب سببه حين ولي  
الخلافة ٢٨ سنة إذ ولد سنة ١٠٤ هـ . [٤] نصر . [٥] آل الملك رعيته إيالا : سامهم ،  
وآل على القوم إيالا وإيالة : ولي .

نخذوا ما آتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا، ولا تُخَدَعُوا عن أنفسكم، فإن الأمر أمركم، فإن لكل أهل بيت مصراً، وإنكم مصرنا، ألا وإنه ماصعِدٌ منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

( تاريخ الطبري ٩ : ١٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٣ )

### ٣ - خطبة داود بن علي وقد ارتج على السفاح

وروى أنه لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر، قام بوجه كورقة المصحف . فاستحيا فلم يتكلم، فنهض داود بن علي حتى صعد المنبر، فقال المنصور: فقلت في نفسي: شيخنا وكبيرنا ويدعو إلى نفسه، فلا يختلف عليه اثنان، فاتضيت سيفي . وغطيته بنوبي<sup>(١)</sup>، وقلت: إن فعل ناجزته، فلما رقي عتبا استقبال الناس بوجهه دون أبي العباس، ثم قال: «أيها الناس، إن أمير المؤمنين يكره أن ينفدم فواه فعله، ولأثر الفِعال أجدي عليكم من تشقيق<sup>(٢)</sup> المقال، وحسبكم بكتاب الله مُمثلاً<sup>(٣)</sup> فيكم، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة عليكم، والله - كما برّ إلا أريد به إلا الله - ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق به من علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين هذا، فليظن ظانكم، وليهمس هامسكم» قال أبو جعفر: ثم نزل، وسمت<sup>(٤)</sup> سيفي .

(عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٣ ، ومواهب الأدب ٢ : ١١٤)

[١] في عيون الأخبار: «وعظيت ثوبي» وهو تحريف . [٢] شق الكلام: أخرجه أحسن مخرج .  
[٣] إمتل طريقتة: تبعها فلم يعدها . [٤] شام سيفه يشبهه: غمده (واستله أيضاً: ضد) .

## ٤ - خطبة أخرى له

وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

أراد أبو العباس السفاح يوماً أن يتكلم بأمر من الأمور بعد ما أفضت الخلافة إليه - وكان فيه حياة مُفْرِط - فأرْتَجَّ عليه ، فقال داود بن عليّ بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ، إن أمير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته ، عُقِلَ من لسانه ، عند ما يُعْهَد من بيانه ، ولكل مرتقٍ بِهِرٌ<sup>(١)</sup> ، حتى تنفسه العادات ، فأبشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ، ورعد عيشتكم » . ( أمالي السيد المرتضى : ١٦ )

## ه - خطبة أخرى للسفاح بالكوفة

وخطب السفاح في الجمعة الثانية بالكوفة ، فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » والله لا أعِدكم شيئاً إلا وفيت بالوعد والوعد ، ولأعمَلنَ اللين حتى لا تنفع إلا الشدة ، ولأُعْمِدَنَّ السيف إلا في إقامة حد ، أو بلوغ حق ، ولأعطيَنَّكم حتى أرى العظيمة ضياعاً ، إن أهل بيت اللعنة والشجرة<sup>(٢)</sup> الملعونة في القرآن ، كانوا أكم أعداء ، لا يرجعون معكم من حالة إلا إلى ما هو أشد منها ، ولا يبلي عليكم منهم والٍ إلا تمنيتم من كان قبله ، وإن كان لا خير في جميعهم ، ممنعوكم الصلاة في أوقاتها ، وطالبوكم بأدائها في غير وقتها ، وأخذوا المُقْبِلَ بالمُدْبِر<sup>(٣)</sup> ، والجار بالجار ، وسلطوا شراركم على خياركم ، فقد محق الله جورهم ، وأزهق باطلهم ، بأهل بيت نبيكم ، فما تؤخّر لكم عطاء ، ولا

[١] البهر : انقطاع النفس من الإعياء . [٢] هي شجرة الرقوم التي تيب في أصله الحميم ، جعلها

الله فسة للمشركين إذ قالوا : إن النار تحرق الشجر فكيف تنفته .

[٣] انظر قول زياد بن أبيه في خطبة البراء الجزء الثاني ص ٢٥٧ .

نضيق لأحد منكم حقا ، ولا تُجمركم في بعث ، ولا نخطر بكم في قتال ، ولا نبذلكم دون أنفسنا ، والله على ما تقول وكيلٌ بالوفاء والاجتهاد ، وعليكم بالسمع والطاعة»

ثم نزل . ( شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٣ )

## ٦ - خطبة السفاح بالشام حين قتل مروان

ولما قتل مروان بن محمد - آخر خلفاء بني أمية - خطب السفاح ، فقال :  
 « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ،  
 جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَدَسَ الْقَرَارُ » نكص بكم يأهل الشام آل حرب وآل مروان ،  
 يتسكعون<sup>(١)</sup> بكم الظلم ، ويتهورون بكم مداحض<sup>(٢)</sup> الزلّاق ، يطئون بكم حرّم  
 الله<sup>(٣)</sup> وحرّم رسوله<sup>(٤)</sup> ، ماذا يقول زعماءكم غداً؟ يقولون : « رَبَّنَا هُوَ لَأَءِضَلُّونَا  
 فَأَتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ » إذن يقول الله عز وجل : « لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ  
 لَا تَعْلَمُونَ » أما أمير المؤمنين فقد اتنف<sup>(٥)</sup> بكم التوبة ، واغفر لكم الزلة ،  
 وبسط لكم الإقالة<sup>(٦)</sup> ، وعاد بفضله على تقصمكم ، وبجلمه على جهلكم ، فليفرخ  
 روعكم<sup>(٧)</sup> ، ولتطمئن به داركم ، وليقطع مصارع أوائلكم ، « قَتَلَكَ يَوْمَهُمْ  
 خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا » ( العقد الفريد ٢ : ١٤٥ )

## ٧ - خطبة عيسى بن علي حين قتل مروان

وخطب عيسى بن علي - عم السفاح - لما قتل مروان ، فقال :

[١] تسكع : مشى مشياً متصفاً . [٢] جمع مدحضة : وهي المرة . [٣] يشير إلى ما كان من  
 مقاتلة الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة ، ورميه الكعبة بالمنحنيق في عهد عبد الملك بن مروان .  
 [٤] يشير إلى وقعة الحرة وما أحدثه جيش مسلم بن عقبة المري بالمدينة على عهد يزيد بن معاوية .  
 [٥] استأنهب وابتدأ . [٦] أمال عثرته : دفعه من سقوطه . [٧] الروع بالصم القلب ، أو  
 موضع الفزع منه ، والروع بالفتح : الفزع ، وأفرخت البيضة : خرج الفرج منها ، أي ليخرج الروع  
 عن روعكم ولتهدوا وتطمئنا .

« الحمد لله الذي لا يفوته من طلب ، ولا يُعجزه من هرب ، خدعت والله الأشقر نفسه ، إذ ظن أن الله مُمهله ، وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ مِثْمٌ ثورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، فحتى متى ، وإلى متى ؟ أما والله لقد كرهتهم العيدان <sup>(١)</sup> التي اقترعوها ، وأمسكت السماء دَرَّها <sup>(٢)</sup> ، والأرض رِيَعَهَا <sup>(٣)</sup> ، وقَحَلَ الضَّرْع <sup>(٤)</sup> ، وجفز الفَنِيق <sup>(٥)</sup> ، وَأَسْمَلَ <sup>(٦)</sup> جِلْبَابُ الدين ، وأبطلت الحدود ، وأهدرت الدماء ، وكان ربك بالمرصاد ، قَدَمَدَمَ <sup>(٧)</sup> عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ، وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ، ومَلَكْنَا اللهُ أَمْرَكُمْ عِبَادَ اللهِ ، لينظر كيف تعملون ، فالشكر الشكر ، فإنه من دواعي الزيد ، أعاذنا الله وإياكم من مُضِلَّاتِ الأهواء ، وبتغات الفتن ، فَأِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ » . (شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٥)

### ٨ خطبة داود بن علي بمكة <sup>(٨)</sup>

وخطب داود بن علي الناس بمكة في أول موسم ملكه بنو العباس ، فقال : « شكراً شكرياً ، إنا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ، ولا لبنى فيكم قصراً ، أظنَّ عدوَّ الله أن لن نقدر عليه ، أن رُوخِي <sup>(٩)</sup> له من خطامه ، حتى عثرفي فضل زمامه ؟ فالآن حيث أخذ القوس باريها ، وعادت التَّيْلُ إلى النَّزْعَةِ ، ورجع الملك في نصابه من أهل بيت النبوة والرحمة - والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن

[١] أي أعواد المنابر ، واقترعوها : أي علوها . [٢] مطرها . [٣] الريح : النماء والريادة . [٤] قحل : يبس جلده على عظمه . [٥] الصيق : العجل المكرم لا يؤذى لكرامته على أمه ولا يركب ، والجهر : كشمس السرعة في المشي ، ولم تدر كتب الآلة صط فعله ، وحاه في اللسان : « الحفر : سرعة المشي يمانية ، حكاه ابن دريد ، قال : ولا أدري ما صحتها » ، وفي رواية مواسم الأدب : « وحمل فنيق الشرك » . [٦] أسمل الثوب وسمل ، كدخل وكرم : أخلق . [٧] دمدم القوم ، ودمدم عليهم : طحنهم وأهلكهم ، فسواها : أي الدممة ، أي عمهم بها ولم يفلت منهم أحد . [٨] ولاء أبو العباس الكوفة وسوادها ، ثم ولاء المدينة ومكة واليمن واليمامة سنة ١٣٢ وولاه إمارة الحاج في هذه السنة ، ومات بالمدينة في ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ (الطبري ج ٩ ص ١٤٧) . [٩] أي لأن روخي له ، ظن أن لن نقدر عليه .

في قُرُشْنَا - أَمِنْ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ<sup>(١)</sup>، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ ، لَكُمْ ذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَكُمْ ذِمَّةُ الْعَبَّاسِ ، لَا وَرَبَّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ - لَا تَهَيِّجُ مِنْكُمْ أَحَدًا . ( تهذيب الكامل ١ : ١٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٦ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٠ ، وابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

### ٩ - خطبته بالمدينة

قال : « أيها الناس : حَتَّامَ يَهْتَفِ بِكُمْ صَرِيحُكُمْ<sup>(٢)</sup> ؟ أَمَا أَنْ لِرِاقِدِكُمْ أَنْ يَهُبَّ مِنْ نَوْمِهِ ؟ كَلَّا بَلْ رَانَ<sup>(٣)</sup> عَنِ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، أَغْرَمَ كَمِ الْإِهْمَالِ حَتَّى حَسِبْتُمُوهُ الْإِهْمَالَ ؟ هِيَاهُ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَالسُّوْطُ كُنْفِي ، وَالسَّيْفُ مُشَهَّرٌ<sup>(٤)</sup> ! حَتَّى يُبِيدَ قَبِيلَةً فَقَبِيلَةً وَيَعْضُ كُلُّ مُتَّقِفٍ بِالْهَامِ<sup>(٥)</sup> وَيُقَمِّنُ رَبَّاتِ الْخُدُورِ حَرَّاسِرًا يَمَسْحُنَ عُرْضَ ذَوَائِبِ الْإَيْتَامِ<sup>(٦)</sup> ( العقد الفريد ٢ : ١٤٦ )

### ١٠ - خطبة أخرى له<sup>(٧)</sup>

وخطب فقال : « أحرز لسان رأسه ، اتمعظ امرؤ بغيره ، اعتبر عاقل قبل أن يُعتبر به ، فأمسك الفضل من قوله ، وقدم الفضل من عمله » ثم أخذ بقائم

[١] الجراء : المعجم لأن المال على ألوانهم البياض والخررة .  
[٢] الصريح : المستعيب ( والمعيب أيضا ) . [٣] حلب . [٤] شهر سيفه كبح ، وشهره بالقشيد : انتصاه فومه على الناس . [٥] تنقف الرماح : تسويتها . [٦] قوله ويقمن : أي الرماح ، والصمير يعود على ( كل متقف ) . [٧] هذه الخطبة أوردتها ابن قتيبة ، وعزاها إلى داود بن علي ، ونسبها صاحب المقدم إلى المصور ، وأنه قالها لما قتل الأيوبيين ( راجع القديج ٢ : ص ١٤٥ ) .

ونصها كما أوردتها : « أحرزَ لسانَ رأسه ، انتبه امرؤ لحطه ، نظر امرؤ في يومه لغده ، فشى القصد ، وقال الفضل ، وجانب الهجر » ، ثم أخذ بقائم سيفه ، فقال :

« أيها الناس : إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، فليعتبر عبد قبل أن يُعتبر به ، فإنما بعد الوعيد الاقطاع ، وإنما يفتري الكذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ » والمهر : الفج من الكلام ..

سيفه ، فقال : « إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفاؤه ، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع » . ( عيون الأحبار م ٢ : ص ٢٥٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

## ١١ - خطبته وقد بلغه أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس

وبلغته أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس ، فافترع المنبر ، وحمد الله وأثنى

عليه ، ثم قال :

«أَعْدَرًا يَا أَهْلَ الْخَيْرِ<sup>(١)</sup> وَالتبديل؟ أَلَمْ يَرَدَّ عَنَّا الْفَتْحُ الْمُبِينُ<sup>(٢)</sup> ، عَنْ الْخَوْضِ فِي ذَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ كَلَّا وَاللَّهِ حَتَّى تَحْمِلُوا أَوْزَارَكُمْ وَأَوْزَارَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَيْفَ قَامَتْ شِفَاهُكُمْ بِالشَّكْوَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ بَعْدَ أَنْ حَانَتْ آجَالُكُمْ فَأَرْجَاهَا ، وَانْبَعَثَتْ دِمَاؤُكُمْ فَحَقَّنَهَا ، مَا لَانَ يَا مَنَابِتَ الدَّمَنِ ، مَشِيْتِمِ الضَّرَاءِ<sup>(٣)</sup> ، وَدَيْتِمِ الْخَمَرِ<sup>(٤)</sup> ، أَمَا وَمُحَمَّدٍ وَالْعَبَّاسِ إِنْ عُدْتُمْ لِمَلِ مَا بَدَأْتُمْ ، لِأَحْضُدِنَّاكُمْ بِظُبَاتِ السِّيُوفِ ، ثُمَّ يُعْنِي رَبُّنَا عَنْكُمْ ، وَنَسْتَبْدِلُ بِكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمَنَّا لَكُمْ .

مهلا ياروايا<sup>(٥)</sup> الإرجاف ، وأبناء النفاق ، عن الخوض فيما كفتيم ، والتخضى إلى ما حُدِّرْتُمْ ، فَبَلِ أَنْ تَتَلَفَ نَهْمُوسٌ ، وَيَقْلُ عَدَدٌ ، وَيَذُلُّ عِزٌّ ، وَمَا أَنْتُمْ وَتَمَلُّكُمْ؟ أَلَمْ تَجِدُوا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا مِنْ إِيْرَاثِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا؟ بَلَى وَالْحِجْرِ وَالْحِجْرِ<sup>(٦)</sup> ، وَلَكِنَّهُ حَسَدٌ مُضْمَرٌ ، وَحَسَاكُ<sup>(٧)</sup> فِي الصَّدُورِ ، فَرَنَّمَا لِلْمَعَاطِسِ<sup>(٨)</sup> ، وَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ<sup>(٩)</sup> » . ( مواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

[١] الختر : العدر ، أر أفصح . [٢] في الأصل « أَلَمْ يَرَدَّ عَنَّا الْفَتْحُ الْمُبِينُ » عن الخوض في ذم أمير المؤمنين « وهو تحريف . [٣] الضراء : الشجر المنتف في الوادي ، يقال : توارى الصيد منه في صراء ، وفلان يمشى الصراء : إذا مشى مستحياً فيما توارى من الشجر . [٤] في الأصل « ودَيْتِمِ الخمر » وهو تحريف ، وصوابه ما ذكرنا ، والخمر بالتحريك : كل ما وارك من شجر أو بناء أو غيره ، وجر كهرج : توارى ، ومن أمثالهم : « يدت له الصراء ، ويمشى له الخمر » وهو مثل يصرب للرجل يجتل صاحبه . [٥] الروايات جمع راوية : وهي المزايدة فيما الماء . [٦] الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال . [٧] الحسك : الحقد والعداوة . [٨] المعاطس جمع معطر ، كجاس ومقعد وهو الأرب ، والرعم : الدل . [٩] وروى صاحب المعتمد

## ١٢ - خطبته وقد أرتج عليه

وخطب داود بن علي ، فحمد الله جل وعز ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : أما بعد ، امتنع عليه الكلام ، ثم قال :

« أما بعد ، فقد يجِدُ المُعْسِرُ ، وَيُعْسِرُ المُوسِرُ ، وَيُقْلُ الحَدِيدُ ، وَيَقْطَعُ الكَلِيلُ ، وَإِنَّمَا الكَلَامُ بَعْدَ الإِخَامِ ، كَالإِشْرَاقِ بَعْدَ الإِظْلَامِ ، وَقَدْ يَعزُبُ البِيَانُ ، وَيُعَقِّمُ الصَّوَابُ ، وَإِنَّمَا اللِّسَانُ ، مُضْغَةٌ مِنَ الإِنْسَانِ ، يَفْتُرُ بِفُتُورِهِ إِذَا نَكَلَ ، وَيُثَوِّبُ بِإِبْسَاطِهِ إِذَا رَتَجَلَ ، أَلَا وَإِنَّا لَا نَنْطِقُ بَطَرًا ، وَلَا نَسْكُتُ حَصْرًا ، بَلْ نَسْكُتُ مُعْتَبِرِينَ ، وَنَنْطِقُ مُرْشِدِينَ ، وَنَحْنُ بَعْدُ أَمْرَاءُ القَوْلِ ، فِينَا وَشَجَّتْ <sup>(١)</sup> أَعْرَاقُهُ ، وَعَلَيْنَا عَطَفَتْ أَغْصَانُهُ ، وَلِنَا تَهْدَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، فَتَخَيَّرَ مِنْهُ مَا أَخْلَوَى وَعَذَّبَ ، وَنَطَّرِحَ مِنْهُ مَا أَلْوَحَ وَخَبَّثَ ، وَمَنْ بَعْدَ مَقَامِنَا هَذَا مَقَامٌ ، وَبَعْدَ أَيَامِنَا أَيَامٌ ، يُعْرَفُ فِيهَا فَضْلُ البِيَانِ ، وَفَصْلُ الخُطَابِ ، وَاللَّهُ أَفْضَلُ مُسْتَعَانَ » ثم نزل <sup>(٢)</sup> .

( كتاب الصواعيق ص ٢١ ، وأمالى السيد المرتضى ٤ : ١٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٥ )

بعض هذه الخطبة وعراها إلى أبي حمزة المصور ، فقال : « حطب المنصور حين خروجه إلى الشام فقال :

سِنَّسِنَةٌ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمٍ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

مهلا مهلا روايا الإرجاف ، وكهوف الفواق . . . إلى آخر الخطبة » ، راجع العقد المرید ٢ : ١٤٥ - والشنفة : الطمعة والعادة ، وهو مثل لأن أخزم الطائي ، وكان له ابن يقال له أخزم ، وكان طاماً ، مات وترك بنين ، فوثبوا يوماً على جدم أبي أخزم فأدموه فقال :

إِنْ بِي صَرْجُونِي بِالدَّمِ سِنَّسِنَةٌ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمٍ

أَيَّ إِنْ هَؤُلَاءِ أَشْبَهُوا أَبَامَ فِي العُقُوقِ : يَصْرَبُ فِي قَرَبِ الشَّيْبَةِ ، وَيَكَلِّمُ : يَمْرَحُ .

[١] وشحت العروق والأعصاب كوعد وشحا ووشحياً : اشتبكت ، والواشجة : الرحم المشتبكة .

[٢] مهروى المصرى فى زهر الآداب بعض هذا القول وعراها إلى عبد الملك بن صالح ، وروى السيد

المرتضى فى أماليه قال :

« صعد أبو العباس السفاح المنبر ، فأرتج عليه فقال : « أيها الناس ، إن اللسان ، بهبضة



### ١٣ - خطبة صالح بن علي

وخطب صالح بن علي<sup>(١)</sup> عم السفاح ، فقال :

يا أعضاء النفاق ، وعُبد الضلالة ، أغرَّكم لين أساسي ، وطولُ إيناسي ؟  
حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلولِ حدِّ ، وفتورِ جدِّ ، وخورِ قنائة<sup>(٢)</sup> ، كذَّبتِ  
الظنونُ ، إنها العترة بَعْضُها من بعض ، فإذا قد استوليتم العافية ، فعندي فِطام  
وفِكَاك ، وسيف يقدُّ الهامَ ، وإني أقول :

أغرَّكم أني بأكرمِ شيمةٍ رفيقٍ ، وأنِّي بالفواحشِ أخرقٍ ؟  
وهيلى إذا لم يُجزَّ أحسنَ سعيه تكلمُّ نوماه بفيها فتنتطقُ  
لعمري لقد فاحشتني فغلبتني هنيئامريثا أنت بالفحشِ أرفقُ

( المقدم المرند ٢ : ١٤٦ )

### ١٤ - خطبة سديف بن ميمون

وروى صاحب العقد قال :

لما قدِمَ العَمْرُ بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السَّفَّاحِ في ثمانين

---

من الإنسان ، يكِلُّ إذا كَلَّ ، وينفسيح بانفساحه إذا فسَّح ، ونحن أمراء الكلام ، منا  
تفرعت فروعه ، وعلينا تهدلت غصونه ، ألا وإنا لا نتكلم هذرا ، ولا نسكت إلا  
معتبرين » ثم نزل ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال : « الله هو ! لو خطب بمثل ما اعتذر ،  
لكان من أخطب الناس » ، وهذا الكلام يروى لداود بن علي<sup>(٣)</sup> اه .

والبصعة بفتح الباء وقد تكسر : القمامة من اللحم ، والهدر بالتحريك : سقط الكلام ، وسكون الدال  
مصدر هذر في منطقه كصرب وصر .

[١] هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وقد ولاء السفاح مصر سنة ١٣٢ ثم فلسطين ،  
ثم ولاء مصر ثانية سنة ١٣٦ ، حتى قدم الخبر بموت السفاح في ذي الحجة سنة ١٣٦ ، فأقره المنصور على  
عمل مصر ثم خرج إلى فلسطين ، ومات وهو حامل حمص بقنسرين . [٢] ضعف .

رجلا من بنى أمية ، ووضعت لهم الكراسي ، ووضعت لهم مآرق<sup>(١)</sup> ، وأجلسوا عليها ، وأجلس العمر مع نفسه في المصلى ، ثم أذن لشيعته فدخلوا ودخل فيهم سديف بن ميمون<sup>(٢)</sup> ، وكان متوشحاً سيفاً ، متنكباً قوساً ، وكان طويلاً آدم<sup>(٣)</sup> ، فقام خطيباً .

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيزعم الضلال بما حبّطت<sup>(٤)</sup> أعمالهم أن غير آل محمد أولى بالخلافة ؟ فلم وبم أيها الناس ؟ لكم الفضل بالصحابة ، دون حقّ ذوى القرابة ، الشركاء في النسب ، الأكفأ في الحسب ، الحاصّة في الحياة ، الوفاة<sup>(٥)</sup> عند الوفاة ، مع ضربهم على الدين جاهلكم ، وإطعامهم في الأولى جائعكم ، فكم قصم الله بهم من جبّار باغ ، وفاسق ظالم ، لم يُسمع بمثل العباس ، لم تخضع له أمة بواجب حق ، أبورسول الله صلى الله عليه وسلم بعدأبيه ، وجِلدة ما بين عينيه<sup>(٦)</sup> ، أمينُهُ ليلة العقبة<sup>(٧)</sup> ، ورسولُهُ إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حنين<sup>(٨)</sup> ، لا يرُدُّ له رأياً ، ولا يخالف له فسمّاً ، إنكم والله معاشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث ما اختاره الله لكم ، تيمّني<sup>(٩)</sup> مرّة ، وعدوى<sup>(١٠)</sup> مرة ، وكنتم بين ظهراني قوم فد آثروا العاجل على الآجل ، والفاني على الباقي ،

[١] نمارق جمع نمركة كقنفذة : وهي الوسادة الصغيرة . [٢] مولى أبي العباس السفاح .  
 [٣] وصف من الأدمة ، وهي كالسمررة ورناء ومعى . [٤] فسدت . [٥] الوفاة جمع واف .  
 [٦] خطب الوايد بن عبد الملك قال : « إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : « إن الحاج جِلدة ما بين عيني » ألا وإنه جِلدة وجهي كله » - البيان والتبيين ١ : ١٦٠ و ٣ : ٢١ - .  
 [٧] يوم مبايعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً معهم امرأتان وليس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمه العباس - وهو على دين قومه - ولكنه رأى أن يحصر أسر ابن أخيه ليتوثق له . [٨] كان العباس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين ، حين انبزم المسلمون أول الموتة ، وكان آحداً بلجام سلكته . [٩] يريد أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى . [١٠] يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو من عدى بن كعب بن لؤى .

وَجَعَلُوا الصَّدَقَاتِ، فِي الشَّهَوَاتِ، وَالنِّعَى، فِي اللذاتِ وَالْغِنَاءِ، وَالْمَغَانِمِ، فِي الْحَارِمِ،  
إِذَا ذُكِرُوا بِاللَّهِ لَمْ يَذْكُرُوا، وَإِذَا قُدِّمُوا بِالْحَقِّ أَذْبَرُوا، فَذَلِكَ زَمَانُهُمْ، وَبِذَلِكَ  
كَانَ يَعْمَلُ شَيْطَانُهُمْ<sup>(١)</sup> . (العقد المرید ٢ : ٣٠١)

## ١٥ خطبة أبي مسلم الخراساني

وروى ابن أبي الحديد قال :

وخطب أبو مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها في خلافة السفاح<sup>(٢)</sup>، فقال :  
« الحمد لله الذي حمد نفسه ، واختار الإسلام ديناً لعباده ، ثم أوحى إلى محمد  
رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ما أوحى . واختاره من خلقه ، نفسه من  
أنفسهم ، وبيته من بيوتهم ، ثم أنزل عليه في كتابه الناطق الذي حفظه بعلمه ،  
وأشهد ملائكته على حقه . قوله : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ  
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ، ثم جعل الحق بعد محمد صلى الله عليه وآله في أهل  
بيته ، فصبر من صبر منهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على اللاأواء<sup>(٣)</sup>  
والشدة ، وأغضى على الاستبداد والآثره ، ثم إن فوه ما من أهل بيت الرسول  
صلى الله عليه وآله ، جاهدوا على ملة نبيه وسنته بعد عصر من الزمان ، من  
عمل بطاعة الشيطان ، وعداوة الرحمن ، بين ظهرائي قوم آثروا العاجل على  
الآجل ، والفاني على الباقي ، إن رتق جور فتقوه ، أوفتق حق رتقوه ، أهل مخور  
ومآخور ، وطناير<sup>(٤)</sup> ومزامير ، إن ذكروا لم يذكروا ، أو قدموا إلى الحق  
أذبوا ، وجعلوا الصدقات ، في الشبهات ، والمغانم ، في الحارم ، والنيء ، في

[١] فقر هذه الخطبة مروية في خطبة أبي مسلم الخراساني الآتية بعدها ، ولكني آثرت إيرادها للإيضاح  
جميعاً كما وردت . [٢] وذلك في سنة ١٣٦ هـ . [٣] الشدة  
[٤] الطناير : جمع طنبور كعصفور ، وهو الذي يلعب به

الفتى ، هكذا كان زمانهم ، وبه كان يعمل سلطانهم ، وزعموا أن غير آل محمد أولى بالأمر منهم ، فلمَ وبِمَ أيها الناس ؟ ألكم الفضل بالصَّحابة ، دون ذوى القرابة ، الشركاء في النسب ، وَالْوَرَثَةُ فِي السَّلْبِ <sup>(١)</sup> ، مع ضربهم على الدين جاهلكم ، وإطعامهم في الجذب جائعكم ، والله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعة فطً ، وما زلتم بعد نبيه تختارون تيمياً مرة ، وَعَدَوِيًّا مرة ، وَأَمَوِيًّا مرة ، وَأَسَدِيًّا <sup>(٢)</sup> مرة ، وسُفْيَانِيًّا مرة ، وَمَرْوَانِيًّا مرة ، حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه ولا بيته <sup>(٣)</sup> ، يضربكم بسيفه ، فأعطيتموها عَنُوةً ، وأنتم صاغِرون ، ألا إن

[١] مايسلب ، والمراد وراثته في الخلافة . [٢] هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن حويلد بن أسد . [٣] مال ابن أبي الحديد : « يسمى نفسه لأنه لم يكن معلوم النسب ، وقد اختلف فيه أهو مولى أم عربي » وقال ابن حلكان في ( وفيات الأعيان ١ : ٢٨٠ ) في ترجمة : « أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وقيل عثمان الحراساني القائم بالدعوة العاسية ، وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سدوس بن حودون من ولد بزرجهر بن البحتكان العارسي ، وقد اختلف الناس في سبه ، فقيل إنه من العرب ، وقيل إنه من الدجم ، وقيل من الأكراد ، وفي ذلك يقول أبو دلامة :

أبا محرم ما غير الله أمة على عده حتى يغيرها العبد  
أبي دولة المنصور حاولت غدرة ألا إن أهل القدر أبأوك الكرد

وقال ابن طباطبا في الفهرى ص ١٢٣ : « أما نسبه فعليه اختلاف كثير ، فقيل : هو حر من ولد بزرجهر ، وأنه ولد بأصفهان ، ونشأ بالكوفة ، فاقبل إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فغير اسمه وكناه بأبي مسلم ، وثقه وفقه ، حتى كان منه ما كان . وقيل هو عد ثقل في الرق ، حتى وصل إلى إبراهيم الإمام ، فلما رآه أعجبه سمته وثقله ، فأباعه من مولاه وثقه وهتمه ، وصار يرسله إلى شيعته وأصحاب دعوته بحراسان ، وما زال على ذلك حتى كان من الأمر ما كان .

وأما هو فإنه لما قويت شوكته ادعى أنه ابن سليط بن عبد الله بن عباس ، وكان لعبد الله بن عباس حارية فوق عليها مرة ، ثم اعتزلها مدة ، فاستنكحها عبدا فوطئها ، فولدت منه علاما سمته سليطا ، ثم ألصقته سعد الله بن عباس ، وأبكره عبد الله ولم يعترف به ، ونشأ سليط ، وهو أكره الخلق إلى عبد الله بن عباس ، فلما مات عبد الله نازع سليط وراثته في ميراثه ، وأجبت ذلك بني أمية ليعضوا من علي بن عبد الله ابن عباس ، فأطابوه وأوصوا قاصي دمشق في اللاطن ، فقال إليه في الحكم وحكم له بالميراث ، فأدعى أبو مسلم حين قويت شوكته أنه من ولد سليط هذا .

وذكر ابن خلكان أن المنصور قال له قبل قتله ، وقد عدّ له مساوي وقعت منه : « تزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن العباس ! لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا ! » .

آل محمد أئمة الهدى ، ومَنَارُ سبيلِ التقي ، القادة الذادة السادة ، بنوعم رسول  
لله صلى الله عليه وسلم ، وَمُنَزَّلِ جبريل بالتنزيل ، كم قصم الله بهم من جبارطايغ ،  
فاسق بايغ ، شَيَّدَ اللهُ بهم الهدى ، وَجَلَّى بهم العَمَى ، لم يُسمع بمثل العباس ،  
كيف لا تخضع له الأمم لِواجبِ حقِّ الحُرمة ؟ أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم  
مد أبيه ، وإحدى يديه ، وَجِلْدَةَ بين عينيه ، أَمِينَهُ يومِ العَقَبَةِ ، وَنَاصِرُهُ بِمَكَّةَ (١) ،  
رسوله إلى أهلها ، وَحَامِيَهُ يومِ حُنَيْنٍ ، عند ملتقى الفَتَيْنِ ، لا يخالف له رسماً ،  
لا يَعْصِي له حكماً ، الشافع يوم نيقِ العُقَابِ (٢) ، إلى رسول الله صلى الله عليه  
آله في الأحزاب ، ها إن في هذا أيها الناس لَعِبْرَةٌ لآولي الأبصار .

( شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٥ )

## ١٦ - خالد بن صفوان وأخوال السفاح .

روى الجاحظ قال :

كَانَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْأَهْتَمِيُّ مِنْ سُمَارِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وَأَهْلُ الْمَنْزِلَةِ  
عِنْدَهُ ، فَفَخَّرَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ بَلْحَارِثِ (٣) ، وَأَكْثَرُوا فِي الْقَوْلِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ :  
لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ يَا خَالِدُ ؟ فَقَالَ : « أَخْوَالِ (٤) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتَهُ » قَالَ : « فَأَنْتُمْ  
أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتَهُ » قَالَ خَالِدٌ : « وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ ، كَانُوا بَيْنَ  
نَاسِجِ بُرْدٍ ، وَدَابِغِ جِلْدٍ ، وَسَائِسِ قِرْدٍ ، وَرَاكِبِ عَرْدٍ (٥) ، دَلٌّ عَلَيْهِمْ

[١] يشير إلى ما كان من جيش العباس في عروة أحد ، وذلك أن جيش المشركين خرج من مكة لمحاربة الرسول  
صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا مقابل المدينة ، وبلغ الخبر الرسول من كتاب بعث به إليه عمه العباس الذي  
لم يخرج معهم في هذه الحرب محتجاً بما أصابه يوم بدر ، وكان بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أخبار المشركين ( وقيل إنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يكتم إسلامه ) .

[٢] موضع بين مكة والمدينة . وذلك أن العباس شمع فيه يوم فتح مكة في أبي سفيان ، وفي أهل مكة  
دعوا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم .

[٣] انظر الجزء الثاني ص ٣١٩ . [٤] كانت أم السفاح من بني الحارث ، وهي ريطة بنت عبيد الله  
ابن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي ، ولذا كان يقال له ابن الحارثية . [٥] العرد : الحمار .

هُدْهُ<sup>(١)</sup> ، وَغَرَّتْهُمُ فَاةٌ<sup>(٢)</sup> ، وَمَلَكَتْهُمُ امْرَأَةٌ<sup>(٣)</sup> ؟ . ( البيان والتبيين ١ : ١٨٤ )

\* \* \*

وروى الحضري في زهر الآداب قال :

« دخل خالد بن صفوان على أبي المباس السفاح ، وعنده أخواله من بني الحارث ابن كعب ، فقال : ما تقول في أخوالي ؟ فقال : « هم هامة<sup>(٤)</sup> الشرف ، وعرينين<sup>(٥)</sup> الكرم ، وغرس الجود ، إن فيهم خصالا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، لأنهم أطولهم لِمَا<sup>(٦)</sup> ، وأكرم شيئا ، وأطيبهم طَعْمًا<sup>(٧)</sup> ، وأوفاهم ذِمًّا ، وأبعدم هِمًّا ، الجَمْرَةَ في الحرب ، والرَّفْدَ<sup>(٨)</sup> في الجَدْبِ ، والرأس في كل خَطْبٍ ، وغيرهم بمنزلة العَجَبِ<sup>(٩)</sup> » .

فقال : وصفت أبا صفوان فأحسنت ، فزاد أخواله في الفخر ، فغضب

---

[١] يشير إلى حديث الهمد مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى : « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ، لِأَعَذَّبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْنَاهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِيطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَاءَ بِنْيَابٍ يَقِينٍ ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . . . الآيات » .

[٢] يشير إلى ما يزعمه المؤرخون من أن سيل العرم الذي خرب اليمن كان سببه قرض الجرذ لسد مأرب - انظر الجزء الأول ص ٣٤٣ . [٣] هي بلقيس ( بالكسر ) ملكة سبأ .

[٤] الهامة : وأس كل شيء . [٥] العرينين : الأنف ، أو ما صلب من عظمه ، ومن كل شيء أوله .

[٦] في الأصل « أمما » وأراء محرفا ، وصوابه « لما » واللهم جمع لمة بالكسر ، وهي الفخر الجاوز

شحمة الأذن . [٧] الطعم : الطعام . [٨] الرد : العطاء والعلة . [٩] العجب : أصل

الذنب ، وهو مؤخر كل شيء . و

أبو العباس لأعمامه ، فقال : افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من أعمامه ، قال :

« كيف أفاخر قوماً بين ناسج بُرْد ، وسائس قِرْد ، ودابغ جِلْد ، وراكب عَرْد ، دلّ عليهم هُدْهد ، وغرّ قههم جُرْد ، وملكتهم امرأة ؟ » ، فأشرق وجه أبي العباس . ( زهر الآداب ٣ : ١٣٠ ، ٣٤٦ )

### ١٧ — خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار

وفاخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة ، فقال له العبدريّ : من أنت ؟ قال : أنا خالد بن صفوان بن الأهتم ، فقال له العبدريّ : أنت خالد « كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ <sup>(١)</sup> » وأنت ابن صفوان ، وقال الله تعالى : « كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ <sup>(٢)</sup> » ، وأنت ابن الأهتم ، والصحيح خير من الأهتم <sup>(٣)</sup> ، فقال له خالد بن صفوان : يا أخا بني عبد الدار ، أتتكلم ؟ وقد هسّمتك هاشم ، وأمتك <sup>(٤)</sup> بنو أمية ، وخزمتك بنو مخزوم ، وجمحتك بنو جمح <sup>(٥)</sup> ؟ فأنت عبء دارهم <sup>(٦)</sup> تفتح إذا دخلوا ، وتغلق إذا خرجوا ، فقام العبدريّ محموراً . ( أمالي السيد المرتضى ١ : ٢١٥ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٢ )

[١] وتعام الآية الكريمة : « وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ » .

[٢] صفوان جمع صفوانة : وهي الحجر الصلد الضخم كالصفواء والصفاء ، والآية الكريمة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءُ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ، فَتَرَكَهُ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » .

[٣] هم كفرح : انكسرت ثناياه من أصولها فهو أهتم . [٤] قادتك . [٥] انظر الجزء الثاني ص ٩٠ . [٦] وكات المجابة في بني عبد الدار ، انظر الجزء الثاني ص ٩٠ أيضا

## ١٨ - خالد بن صفوان يرثي صديقاله

وقال الجاحظ : قيل لرجل - أراه خالد بن صفوان <sup>(١)</sup> - مات صديق لك، فقال :  
« رحمة الله عليه ، لقد كان يملأ العينَ جمالا ، والأذنَ بيانا ، ولقد كان يُرْجَى  
فلا يَخْشَى ، ويُعْشَى فلا يَعْشَى ، ويُعْطَى فلا يُعْطَى ، قليلاً لدى الشرِّ حضوره ،  
سليماً للصديق ضميره » . ( البيان والديين ٣ : ٢٣١ ، والأمالى ٢ : ١٧٤ )

## ١٩ - خالد بن صفوان يمدح رجلا

وذكر خالد رجلا ، فقال :  
« كان والله بديع المنطق ، دَلِقَ <sup>(٢)</sup> الجُرْأَة ، جَزَلَ الألفاظ ، عربى اللسان ،  
ثابت العقدة ، رقيق الحواشى ، خفيف الشفتين ، بليل الريق ، رَحَبَ الشرف ،  
قليل الحركات ، خفيّ الإشارات ، حُلُوَ الشمائل ، حَسَنَ الطلاوة <sup>(٣)</sup> ، حَيِّياً جَرِيئاً ،  
قَثُولا صَمُوتاً ، يَفُلُّ الحَزَّ <sup>(٤)</sup> ويُصِيبُ المفاصِلَ ، لم يكن بالمعذّر <sup>(٥)</sup> في منطِقته ،  
ولا بالزَمِينِ <sup>(٦)</sup> في مُرُوءته ، ولا بالخرِقِ <sup>(٧)</sup> في خليقته ، متبوعاً غير تابع ،  
: كأنه عَلمٌ في رأسه نار : » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٧ )

## ٢٠ - كلمات بليغة لخالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان لبعض الوُلاة : « قَدِمْتَ فَأَعْطَيْتَ كُلاًّ بِقِسْطِهِ

---

[١] ورواية الغالى : عن الأصمى قال خالد بن صفوان لفق بين يديه : رحم الله أباك . . . الخ .  
[٢] مأخوذ من : « سيف دلق » أى سهل الخروج من نحمده ، ويقال : اندلق السيل أى اندفع ،  
واندلق العيب : أى شق جفنه فخرج منه . [٣] الطلاوة مثناة : القبول . [٤] الحز : القطع .  
[٥] عذّر فى الأمر تعذيراً ، إذا قصر ولم يجتهد . [٦] أى العيب ، والزمانة كسحابة : الهامة ،  
ومن كفرح فهو زمن وزمين . [٧] الخرق الذى لا يحسن العمل والتصرف فى الأمور



من وجهك وكرامتك<sup>(١)</sup> ، حتى كأنك من كلِّ أحد ، وحتى كأنك لست من أحد . (الأمالى ١ : ٢١٦ ، ، وزهر الآداب ٣ : ٣٤٧ ، ١٦٧)

وقال شبيب بن شيبَةَ لخالد بن صفوان : « مَنْ أَحَبَّ إِخْوَانَكَ إِلَيْكَ ؟ »  
قال : « مَنْ سَدَّ خَلِّي ، وَغَفَرَ زَلِّي ، وَقَبِلَ عَلِيَّ » . (الأمالى ١ : ١٩٨)  
وذكر شبيب عنده مرة ، فقال : « ليس له صديق في السر ، ولا عدوٌّ في العلانية » . قال الجاحظ : « وهذا كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون في هذه الصناعة » . (البيان والتبيين ١ : ١٨٤ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٠٩)

وقال خالد : « ما الإنسانُ ، لولا اللسانُ ، إلا صورةٌ ممثلةٌ ، أو بهيمةٌ مُهمَّلةٌ » ،  
وفال : « اتَّقُوا مَجَانِيقَ الضُّعْفَاءِ » يريد الدعاء (البيان والتبيين ١ : ١٩٠)  
وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان ، فقال : « يُنْشِقُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْخَرْدَلِ ، وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمِرْجَلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ ! » . (زهر الآداب ٢ : ٨٥)

## ٢١ - عمارة بن حمزة والسفاح

وقال عمارة بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجوائز نفيسة وكسوة وصيلة ، وأذنى مجلسه :

« وَصَلِّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَرَكَ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ أَرَدْنَا شُكْرَكَ عَلَى كُنْهِ<sup>(٣)</sup> صِلَتِكَ ، إِنْ الشُّكْرَ لَيْقُصُرَ عَنْ نِعْمَتِكَ ، كَمَا قُصُرْنَا عَنْ مَنَزَاتِكَ ، ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لَكَ فَضْلاً عَلَيْنَا ، بِالتَّقْصِيرِ مِنَّا ، وَلَمْ تَحْرِمْنَا الزِّيَادَةَ مِنْكَ لِتَنْقُصَ<sup>(٤)</sup> شُكْرَنَا » .  
(زهر الآداب ٣ : ٣٤٦)

[١] وفي رواية زهر الآداب : « من نظرك ومجلسك في صوتك وعدلك » .

[٢] جمع منجنيق بفتح الميم وكسرهما : آلة ترمى بها الحجارة . [٣] كنه الشيء : حقيقته .

[٤] في الأصل : « انقص » .

## خطب أبي جعفر المنصور (توفي سنة ١٥٨ هـ)

### ٢٢ - خطبته بمكة

خطب أبو جعفر المنصور بمكة ، فقال :

« أيها الناس : إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، وتسديده وتأيدده ، وحارسته على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ، فقد جعلني الله عليه قفلاً ، إن شاء أن يفتحني فتحنى لإعطائكم ، وقسم أرزاقكم ، فإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني ، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به إذ يقول : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » أن يوفقني للرشاد والصواب ، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

( العقد الفريد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥١ ، تاريخ الطبري ٩ : ٣١٠ )

### ٢٣ - خطبته بمكة بعد بناء بغداد

وحج بعد بناء بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكان مما حفظ من كلامه (١) :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ (٢) مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، أمرٌ مُبْرَمٌ ، وَقَوْلٌ عَدْلٌ ، وَقَضَاءٌ فَضْلٌ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَفْلَجَ (٣) حُجَّتَهُ ، وَبُعَدَّ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكَعْبَةَ غَرَضًا ، وَالنَّيَّءَ إرْثًا ، وَجَعَلُوا

[١] عز صاحب العقد هذه الخطبة إلى سليمان بن علي (الطرح ٢ ص ١٤٥) ، وكذا صاحب  
موسم الأدب (الطرح ٢ : ص ١١٥) . [٢] قيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة ؛ وبالمعنى  
الروح المحفوظ . [٣] نصر .

الْقُرْآنَ عِضِينَ<sup>(١)</sup> ، لَقَدْ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، فكم ترى من بُرِّ  
مُعْطَلَةٍ<sup>(٢)</sup> ، وَقَصْرِ مَشِيدٍ ، أمهلهم الله حتى بدلوا السنَّةَ ، واضطهدوا العِترة<sup>(٣)</sup> ،  
وَعَنَدُوا<sup>(٤)</sup> وَاَعْتَدُوا وَاسْتَكْبَرُوا ، وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، ثم أخذهم فهل تُحِسُّ  
مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا؟<sup>(٥)</sup> .

(تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢)

## ٢٤ — خطبته بمدينة السلام

وخطب بمدينة السلام « بغداد » ، فقال :

« يا عباد الله ، لا تظالموا ، فإنها مظلمة يوم القيامة ، والله لولا يدُ خاطئة ،  
وظلمُ ظالمٍ ، لمشيتُ بين أظهركم في أسواقكم ، ولوعلمتُ مكانَ من هو أحقُّ  
بهذا الأمر مني لأتيتُهُ حتى أدفعهُ إليه » . (تاريخ الطبري ٩ : ٥١٠)

## ٢٥ — خطبته وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته

ولما أخذ عبد الله بن حسن<sup>(٦)</sup> وإخوته ، والنفر الذين كانوا معه من أهل  
بيته ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ،  
ثم قال :

[١] المضة : الفرقة والقطعة والجمع عضون ، وجعل المشركون القرآن عضيون أي فرقا : فرقوا فيه  
القول ، فجملوه كذبا وسحرا وكهانة وشعرا ، فهم قد (عضّوه) بالشديد أعضاء ، أي جزءوه أجزاء ،  
وهو يريد هنا الأمويين يشير إلى أنهم عطلوا بعض أوامر القرآن بما أتوه من الأعمال ، من رمى الكعبة ،  
واضطهاد أهل البيت الخ . [٢] متروكة لا يستقى منها لهلاك أهلها ، ومشيد : مرفوع ، أو مطلى بالشيد  
(بالكسر) وهو ما طلى به الحائط من جص ونحوه ، أي معطل خال من ساكنيه أيضا .  
[٣] العترة : نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأذنون . [٤] عند (مثلث النون) عن الطريق : مال .  
[٥] الصوت الخفى . [٦] هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد حمله المنصور  
هو وأهل بيته ، من المدينة إلى العراق سنة ١٤٤ هـ ، وأقام في غيايات السجون حتى ماتوا بسجن  
الكوفة ، وكان يتخوف أن يغالبه على الخلافة محمد بن عبد الله هذا (وهو محمد الملقب بالنفس اللوكية) وقد  
خرج عليه بالمدينة فوجه المنصور جيشا لقتاله فقتل سنة ١٤٥ هـ ، وخرج أخوه إبراهيم على المنصور بالبصرة  
فقتل أيضا في هذه السنة .

« يَـأَهِلْ خُرَاسَانَ : أَتَمَّ شِيعَتَنَا وَأَنْصَارَنَا ، وَأَهْلَ دَوْلَتَنَا ، وَلَوْ بَايَعْتُمْ غَيْرَنَا لَمْ تَبَايَعُوا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنَّا ، وَإِنْ أَهْلَ بَيْتِي هُوَ لَاءٌ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، تَرَكَنَا مِثْلَ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْخِلَافَةُ ، فَلَمْ نَعْرِضْ لَهُمْ فِيهَا بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ ، فَقَامَ فِيهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَتَلَطَّخَ ، وَحَكَّمَ عَلَيْهِ الْحَكَمِينَ ، فَافْتَرَقَتْ عَنْهُ الْأُمَّةُ ، وَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الْكَلِمَةُ ، ثُمَّ وَثِبَتْ عَلَيْهِ شِيعَتُهُ وَأَنْصَارُهُ وَأَصْحَابُهُ ، وَبِطَانَتُهُ وَثِقَاتُهُ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ فِيهَا بَرَجُلٌ ، قَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْأَمْوَالُ فَقَبِلَهَا ، فَدَسَّ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ : إِنِّي أَجْعَلُكَ وَلِيًّا وَعَهْدِي مِنْ بَعْدِي ، نَخْدَعُهُ فَنَسْلُخُ لَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ ، وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى النِّسَاءِ يَتَزَوَّجُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَاحِدَةً فَيَطْلُقُهَا غَدًا ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، نَخْدَعُهُ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ ، أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، وَالْإِغْرَاقِ فِي الْفِتَنِ ، أَهْلَ هَذِهِ الْمَدْرَةِ السُّودَاءِ - وَأَشَارَ إِلَى الْكُوفَةِ - فَوَاللَّهِ مَا هِيَ بِمَحْرَبٍ فَأَحَارَبَهَا وَلَا مِثْلَ مَا سَأَلَهَا ، فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، نَخْدَعُوه وَأَسْلَمُوهُ حَتَّى قَتَلُوا ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ ، نَخْدَعُهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَغَرَّوهُ ، فَلَمَّا أَخْرَجُوهُ <sup>(١)</sup> وَأَظْهَرُوهُ أُسْلَمُوهُ ، وَقَدْ كَانَ أَتَى مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ <sup>(٢)</sup> ، فَنَاشَدَهُ فِي الْخُرُوجِ ، وَسَأَلَهُ أَلَّا يَقْبَلَ أَقَاوِيلَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّا نَجِدُ فِي بَعْضِ عِلْمِنَا أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ بَيْتِنَا يُصَلِّبُ بِالْكَوْفَةِ ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَكُونَ ذَلِكَ الْمَصْلُوبَ ، وَنَاشَدَهُ عَمِّي دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَحَذَّرَهُ غَدْرَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ وَتَمَّ <sup>(٣)</sup> عَلَى خُرُوجِهِ ، فَقُتِلَ وَصَلِبَ بِالْكُنَاسَةِ <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ وَثِبَ عَلَيْنَا بَنُو أُمِّيَّةَ ، فَأَمَاتُوا شَرَفَنَا ،

[١] وقد يخرج في خلافة هشام بن عبد الملك ، فقاتله يوسف بن عمر الثقفي والي العراق ، وقتل وصلب

سنة ١٢١ هـ . [٢] يريد أباه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

[٣] تم على الأمر : استمر عليه . [٤] موضع بقرب الكوفة .

وأذهبوا عزنا ، والله ما كانت لهم عندنا تِرةٌ<sup>(١)</sup> يطلبونها ، وما كان ذلك كله إلا فيهم ، وبسبب خروجهم عليهم ، فنفونا من البلاد ، فصرنا مرة بالطائف . ومرة بالشَّام ، ومرة بالشَّراة<sup>(٢)</sup> ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا ، فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ، ودمغ بحقكم أهل الباطل ، وأظهر حقنا ، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه ، فقر الحق مقرّه ، وأظهر مناره ، وأعز أنصاره ، وقُطِع دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فاما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فيها ، وحكمه العادل لنا ، وثبوا علينا ظامًا وحسدًا منهم لنا ، وبنينا لما فضلنا الله به عليهم ، وأكرمنا به من خلافته ، وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم :

جَهْلًا عَلَى وَجْبِنَا عَنْ عَدُوهُمْ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

فإني والله يأهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة ، بلغني عنهم بعض السَّقم والتعرُّم<sup>(٣)</sup> ، وقد دسست لهم رجالا ، فقلت : قم يا فلان ، قم يا فلان ، نخذ معك من المال كذا ، وحدوت لهم مثالا يعملون عليه ، فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة ، فدسوا إليهم تلك الأموال ، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ، ولا صغير ولا كبير ، إلا بايعهم بيعة استحلَّت بها دمائهم وأموالهم ، وحلَّت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي ، وطلبهم الفتنة ، والتماسهم الخروج على ، فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين » ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية

[١] نأر . [٢] موضع بين دمشق والمدينة (الكرك الآن) .

[٣] الأصار فيه : تعرّفه ونزعه عما عليه من اللحم .

« وَحِيلَ يَنَّهُمْ وَيَيْنَ مَايَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ » . ( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٤١ )

٢٦ - خطبته حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن

ولما خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، شنَّ<sup>(١)</sup> المنصور عليه درعه ، وتقلد سيفه ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال :

مَالِي أَكْفَكِفُ عَنْ سَعْدِي وَتَشْتُمُنِي؟ وَلَوْ شَتَمْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكَنُوا  
جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوهُمْ لَبِئْسَتْ أَخْلَتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ  
أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ عَجَزَا عَمَّا قَنَابَهُ ، فَمَا عَضَدُوا الْكَافِي ، وَمَا شَكَرُوا الْمُنْعِمَ ، فَإِذَا  
حَاولُوا أَشْرَبَ رَثَقًا عَلَى غَصَصٍ ، وَأَيِّتُ مِنْهُمْ عَلَى مَضَضٍ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَصِلُ ذَا  
رَحِمٍ حَاولَ قَطِيعَتِهَا ، وَلَئِن لَمْ يَرَضْ بِالْعَفْوِ لِيَطْلُبَنَّ مَا لَمْ يَوْجِدْ عِنْدِي ، فَلْيُبْقِ ذُو  
نَفْسٍ عَلَى نَفْسِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَمُضَى ، فَلَا يُبْكِي عَلَيْهِ » . ( مواسم الأدب ٢ : ١١٩ )

٢٧ - خطبته وقد قتل أبا مسلم الخراساني

وخطب بالمدائن عند قتل أبي مسلم الخراساني<sup>(٢)</sup> ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ . لَا تَخْرُجُوا مِنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُسِرُّوا  
غَشَّ الْأُمَّةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُسِرَّ أَحَدٌ قَطُّ مَنكَرَةً إِلَّا ظَهَرَتْ فِي آثَارِيهِ ، وَفَلَتَات  
لِسَانِهِ ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَأَبْدَاهَا اللَّهُ لِإِمَامِهِ ، بِإِعْزَازِ دِينِهِ ، وَإِعْلَاءِ حَقِّهِ ، إِنْ

---

[١] شنَّ عليه درعه : صببها . [٢] قتل أبو مسلم سنة ١٣٧ ، وذلك أن المنصور كان قد أرسله  
لحرب عمه عبد الله بن عليّ - وكان قد خرج عليه بالشأم كما سيأتي - فلما ظفر أبو مسلم ، وغنم جميع  
ما كان في حوزة عبد الله ، وانهمزم عبد الله إلى البصرة ، أرسل المنصور بعض خدمه للحفاظ على ما في  
المسكر من الأموال ، فنصب أبو مسلم ، وقال : أمين على الدماء ، خائن في الأموال ، وشتم المنصور ، وعزم  
على الخلاف ، وأن يتوجه إلى خراسان ، فجعل المنصور يطلعه به حتى استقدمه إليه وقتله

لَنْ نَبْخَسَكُمْ حَقُوقَكُمْ ، وَلَنْ نَبْخَسَ الدِّينَ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ نَارِ عَنَا عُرُوقَ  
هَذَا الْقَمِيصِ أَجْزَرْنَا خَبِيٌّ هَذَا الْغَمْدُ ، وَإِنْ أَبَامَسَلْمَ بَايَعْنَا وَبَايَعَ النَّاسَ لَنَا ، عَلَى  
أَنَّهُ مِنْ نَكْتِ بِنَا فَقَدْ أَبَاحَ دَمَهُ ، ثُمَّ نَكْتِ بِنَا ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنفُسِنَا حُكْمَهُ  
عَلَى غَيْرِهِ لَنَا ، وَلَمْ تَمْنَعْنَا رِيعَاةَ الْحَقِّ لَهُ ، مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ عَلَيْهِ .

( تاريخ الطبرى ٩ : ٢١٣ ، وجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٨ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَنْفَرُوا أَطْرَافَ النِّعْمَةِ بِقَلَّةِ الشُّكْرِ ، فَتَحُلَّ بِكُمْ النَّقْمَةُ ،  
وَلَا تَسْتُرُوا غِيْشَ الْأُمَّةِ ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَرُ مُنْكَرًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ ،  
وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَطَوَالِعِ نَظَرِهِ ، وَإِنَّا لَا نَجْهَلُ حَقُوقَكُمْ مَا عَرَفْتُمْ حَقًّا ، وَلَا نَنْسَى  
الْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ مَا ذَكَرْتُمْ فَضْلَنَا ، وَمَنْ نَارَ عَنَا هَذَا الْقَمِيصَ أَوْ طَأْنَا أُمَّ رَأْسِهِ  
خَبِيٌّ<sup>(١)</sup> هَذَا الْغَمْدُ ، وَالسَّلَامُ » . ( مواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٩ - قوله وقد قوطع في خطبته

وخطب يوم الجمعة ، فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ ، وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ :  
أَذْكَرُكَ مِنْ ذَكَرْتَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَطَعَ الْخُطْبَةَ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعًا سَمِعًا  
لِمَنْ فَهَمَ عَنِ اللَّهِ ، وَذَكَرَّ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ جَبَّارًا عَنِيدًا ، وَأَنْ تَأْخُذَنِي  
الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذْنًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الْقَائِلُ ، فَوَاللَّهِ

[١] الحبه : ما خبي .

ما أردت بها وجه الله ، ولكنك حاولت أن يقال : قام فقال ، فعُوقِبَ فصَبَرْتُ وأهونَ بها ! ويلك لو همتُ <sup>(١)</sup> ! فاهْتَبَلِهَا <sup>(٢)</sup> إذ غفرتُ ، وإياك وإياكم معشرَ الناسِ أختها ، فإن الحكمة علينا نزلت ، ومن عندنا فصلت ، فرُدوا الأمر إلى أهله ، تُوردوه موارِدَه ، وتُصدِرُوهُ مصادِرَه » ثم عاد في خطبته ، فكأنه يقرؤها من كفه ، فقال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . . .

( تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٦ ،  
والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٦٢ )

### ٣٠ - المنصور يصف خلفاء بني أمية

واجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعة من ولد أبيه ، منهم عيسى بن موسى والعباس بن محمد وغيرهما ، فتذاكروا خلفاء بني أمية ، والسبب الذي به سلبوا عزهم ، فقال المنصور :

« كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ جَبَّارًا لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ لَحْمَانًا مَجْنُونًا ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ هِمَّتُهُ بَطْنُهُ وَقَرْجُهُ ، وَكَانَ عُمَرُ أَعْوَرَ بَيْنَ عُمَيَّانَ ، وَكَانَ هِشَامُ رَجُلَ الْقَوْمِ ، وَلَمْ يَزَلْ بِنَوَامِيَةِ ضَابِطِينَ لِمَا مُهَّدَ لَهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ ، يَحْوِطُونَهُ وَيَصُونُونَهُ وَيَحْفَظُونَهُ ، وَيَحْرُسُونَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ ، مَعَ تَسْتَنُّهُمْ مَعَالِيَ الْأُمُورِ ، وَرَفَضِهِمْ أَدَانِيَّهَا ، حَتَّى أَفْضَى أَمْرَهُمْ إِلَى أَحْدَاثٍ مُتْرَفِينَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، فَنَمِطُوا <sup>(٣)</sup> النِّعْمَةَ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا الْعَافِيَةَ ، وَأَسَاءُوا الرِّعَايَةَ ، فَابْتَدَأَتِ النَّقْمَةُ مِنْهُمْ ، بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ ، آمِنِينَ مَكْرَهُ ، مُطَّرِحِينَ صِيَانَةَ الْخِلَافَةِ ، مُسْتَخْفَيْنَ بِحَقِّ الرِّيَاسَةِ ، ضَعِيفِينَ عَنِ رِسْمِ السِّيَاسَةِ ، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّةَ ، وَأَلْبَسَهُمُ الذُّلَّةَ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ النِّعْمَةَ .

( شرح ابن أبي المديد م ١ : ص ٢١٥ )

[١] أى لو همت بمقابلتك . [٢] اهتنمها . [٣] غطت النعمة : بطرما وحمرها .



### ٣١ - المنصور يصف عبد الرحمن الداخل

وقال المنصور يوماً لأصحابه : أخبروني عن صقر قريش ، مَنْ هو ؟ قالوا :  
أمير المؤمنين ، الذي راضَ<sup>(١)</sup> المَلِكَ ، وسكَنَ الزلازل ، وحَسَمَ الأدواء ، وأباد  
الأعداء ، قال : ما صنعتُم شيئاً ، قالوا : فعاوية ، قال : ولا هذا ، قالوا : فعبد الملك  
ابن مروان ، قال : ولا هذا ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن  
معاوية<sup>(٢)</sup> ، الذي عَبَرَ البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدًا أعجميًا مُفْرَدًا ، فصَرَّ  
الأمصار ، وَجَنَّدَ الأجناد ، ودوَّنَ الدواوين ، وأقام مُلْكًا بعد انقطاعه ، بحسن  
تدييره ، وشدة شكيمته ، إن معاوية نهض بِمَرْكَبٍ حَمَلَهُ عَلَيْهِ عُمَرُ وَعُثْمَانُ ،  
وذَلَّلَا لَهُ صَعْبَهُ ، وعبد الملك بِبَيْعَةٍ تَقَدَّمَ لَهُ عَقْدُهَا ، وأمير المؤمنين بِطَلْبِ غَيْرِهِ  
واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مُؤَيَّدٌ بِرَأْيِهِ ، مستصحب لعزمه .  
( العقد الفريد ٢ : ٣٠٢ )

### وصايا المنصور لابنه المهدي

#### ٣٢ - وصية له

قال المنصور لابنه المهدي : « يَا مُبْنِي لَا تُبْرِمَ أَمْرًا حَتَّى تَفَكَّرَ فِيهِ ، فَإِنَّ  
فِكْرَةَ الْعَاقِلِ مِرَاتَهُ ، تُرِيهِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا  
التقوى ، والسلطان لا يُصْلِحُهَا إِلَّا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وَأَوْلى  
الناس بالعفو أقدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ ، وَأَنْتَقِصُ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مِنْ هُوَ دُونَهُ .  
( نهاية الأرب ٦ : ٤١ ، والعقد الفريد ١ : ١٤ )

[١] ذال . [٢] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل  
مؤسس دولة بني أمية بالأندلس وسياق .

### ٣٣ - وصية أخرى له

ووصاه فقال له : «إني لم أدع شيئاً إلا قد تقدمت إليك فيه ، وسأوصيك  
بخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها - وكان له سقط فيه دفاتر علمه ، وعليه  
قُل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحداً ، يَصُرُّ مفتاحه في كُمِّ قيصه - فقال  
للمهدى : انظر هذا السقط فاحتفظ به ، فإن فيه علم آباتك ما كان وما هو كائن  
إلى يوم القيامة ، فإن أحزنتك أمره فانظر في الدِّقتر الأكبر ، فإن أصبت فيه ما تريد ،  
وإلا فالثاني والثالث حتى بلغ سبعة ، فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة ، فإنك  
واجدٌ فيها ما تريد ، وما أظنك تفعل ، وانظر هذه المدينة فإياك أن تستبدل بها ،  
فإنها بيتك وعزك ، قد جمعتُ لك فيها من الأموال ، ما إن كُسر عليك الخراج  
عشر سنين ، كان عندك كفاية لأرزاق الجنود والنفقات ، وعطاء الذرية ، ومصلحة  
السنور ، فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً ، وما أظنك  
تفعل ، وأوصيك بأهل بيتك ، أن تُظهر كرامتهم وتقدمهم ، وتكثر الإحسان  
إليهم ، وتعظم أمرهم ، وتوطئ الناس أعقابهم ، وتوليهم المنابر ، فإن عزك عزم ،  
وذكرهم لك ، وما أظنك تفعل ، وانظر مواليك فأحسن إليهم ، وقربهم ،  
واستكثر منهم ، فإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك ، وما أظنك تفعل ،  
وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في  
دولتك ، ودماءهم دونك ، ومن لا يخرج محبتك من قلوبهم ، أن تُحسن إليهم ،  
وتجاوز عن مسيئتهم ، وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخلف من مات منهم في  
أهله وولده ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تبني مدينة الشرقية ، فإنك لا تُم  
بناءها ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تستعين برجال من بني سلم ، وأظنك

ستفعل ، وإياك أن تُدْخِلِ النساءِ في مَشُورَتِكَ في أمرِكَ ، وأظنك ستفعل .  
( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٩ )

### ٣٤ - وصية أخرى له

ووصى المهدي أيضاً ، فقال : « اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدى ، يجعل لك فيما كَرَبَكَ وَحَزَنَكَ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقَكَ السَّلَامَةَ وَحَسَنَ الْعَاقِبَةِ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ ، احفظ يا بنى محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته ، يحفظ الله عليك أمورَكَ ، وإياك والدمَ الحرامَ ، فإنه حُوبٌ <sup>(١)</sup> عند الله عظيم ، وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحلالَ ، فإن فيه ثوابك في الآجل ، وصلاحك في العاجل ، وأقم الحدود ، ولا تَعْتَدِ فيها فتبور <sup>(٢)</sup> ، فإن الله لو علم أن شيئاً أصْلَحَ لدينه ، وَأزَجَرَ عَن مَعْاصِيهِ مِنَ الْحُدُودِ ، لأمرَ به في كتابه ، واعلم أنه من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فساداً ، مع ما ذخر له عنده من العذاب العظيم ، فقال : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، فالسلطان يابى حبلُ الله المتين ، وَعُرْوَتُهُ الْوُثْقَى ، ودين الله القيم ، فاحفظه وَحُطَّهُ ، وحصنه وَذُبُّ عَنْهُ ، وَأَوْقِعْ بِالْمُلْحِدِينَ فِيهِ ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم ، وَالْمَثَلَاتِ <sup>(٣)</sup> بهم ، ولا تجاوز ما أمر الله به في مُحْكَمِ الْقُرْآنِ ، واحكم بالعدل ولا تُشْطِطْ ، فإن ذلك أقطع للشغب ، وأحسم للعدو ، وأنجع في

الدواء ، وَعَفَّ عن النَّقْيِ ، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك ، وافتتح عملك  
بصلة الرَّحِيمِ وِبرِّ القَرَابَةِ ، وإياك وَالْأَثَرَةَ ، والتبذير لأموال الرعية ، وَاشْحَنَ (١)  
الشمور ، وَاضْبِطِ الأطراف ، وَأَمِّنِ السُّبُلَ ، وَخُصِّ الواسِطَةَ (٢) ، وَوَسِّعِ المعاش ،  
وَسَكِّنِ العامة ، وَأَدْخِلِ المرافق عليهم ، وَأَصْرِفِ المكاره عنهم ، وَأَعِدِّ الأموال  
وَاخْزُنْهَا ، وإياك والتبذير ، فَإِنَّ النَوَائِبَ غير مأمونة ، والحوادث غير مضمونة ،  
وهي من شيمِ الزمان ، وَأَعِدِّ الرجال والكُرَاعَ (٣) والجند ما استطعت ، وإياك  
وتأخير عمل اليوم إلى غد ، فتتدارك عليك الأمور وتضيع ، جِدِّ في إحكام الأمور  
النازلات لأوقاتها أَوْلا فَأولا ، وَاجتهد وشمِّر فيها ، وَأَعِدِّ رجالا بالليل لمعرفة  
ما يكون بالنهار ، ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل ، وباشر الأمور بنفسك  
وَلَا تَضَجِرْ ، وَلَا تَكْسَلْ ، وَلَا تَفْشَلْ ، وَاسْتَعْمَلِ حَسْنَ الظنِّ بربك ، وَأَسِيءُ  
الظنِّ بعمالك وَكُتَّابِكَ ، وَخُذْ نَفْسَكَ بالتيقظ ، وَتَفَقَّدْ مَنْ يَبِيْتُ عَلَى بابِكَ ،  
وَسَهِّلْ إِذْنَكَ للناس ، وَانظُرْ في أمر النَّزَاعِ إليك ، وَوَكِّلْ بِهِمْ عَيْنًا غير نائمة ،  
وَنَفْسًا غير لاهية ، وَلَا تَنْتَمِّ فَإِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَنْتَمِ مِنْذُ وَلِيَّ الخِلافةِ ، وَلَا دَخَلَ عَيْنُهُ  
غَمْضٌ إِلَّا وَقَلْبُهُ مُسْتَيْقِظٌ ، هذه وَصِيَّتِي إليك ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ .

( تاريخ الطبري ٩ : ٣٢٠ )

### ٣٥ - خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور

لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب  
بالنفس الزكية (٤) على المنصور ، قام على منبر المدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،  
ثم قال :

[١] أى املاًها بالدافعة . [٢] التوسطة . [٣] الكراع : اسم يجمع الخيل .  
[٤] كان بنو هاشم - الطالبون والعباسيون - قد اجتمعوا أخريات العصر الأموي ، وتذاكروا ما لهم

« أيها الناس : إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر من بنائه القبة الخضراء ، التي بناها معاندةً لله في ملكه ، وتصغيره الكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعونَ حين قال : « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » . وإن أحقَّ الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين ، والأَنْصارِ المُواسين ، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك ، وحرّموا حلالك ، وعَمِلوا بغير كتابك ، وغيرُوا عهدَ نبيك صلى الله عليه وسلم ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت ، فأحصهم عدداً ، وأقتلهم بدداً <sup>(١)</sup> ، ولا تُبقِ على الأرض منهم أحداً » . ( ذيل الأمل من ١٢١ )

### ٣٦ - وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه محمد ( أو إبراهيم )

ووصى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ابنه محمداً النفس الزكية ( أو إبراهيم ) ، فقال :

« أَي بُنَيَّ ، إِنِّي مُؤَدِّحٌ حَقَّ اللَّهِ فِي تَأْدِيبِكَ ، فَأَدِّ إِلَيَّ حَقَّ اللَّهِ فِي الْاسْتِمَاعِ مِنِّي ،

---

وما هم عليه من الاصطهاد ، وما قد آل إليه أمر بني أمية من الاضطراب ، واتفقوا على أن يدعوا الناس لهم سرا ، ثم قالوا لا بد لنا من رئيس نايه ، فاتفقوا على مبايعة النفس الزكية ، وكان من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفا وعلما ، وشاء القدر أن يعمر العباسيون بالخلافة ، فوليا السماع ثم المنصور ، ولم يكن للمنصور هم منذ تبوأ عرشها سوى طلب النفس الزكية ليقتله ، وأغرام بذلك أن الناس كانوا شديدي الميل إليه ، وكانوا يمتقدون فيه الفضل والشرف والرياسة ، فطلبه المنصور هو وأخاه إبراهيم من أبيهما عبد الله بن الحسن ، فقال : لا علم لي بهما - وكانا قد تغيبا خوفا منه - فلما أطل عليه ، قال : كم تطول ؟ والله لو كانا تحت قدمي ، لما رفعتهما عنهما ، سبحان الله ! آتيك بولدي لتقتلها ! فقبض عليه ، وعلى أهله من بني الحسن وحبسهم في سجن الكوفة حتى ماتوا فيه كما تقدم ، ولم يزل النفس الزكية متغربا منذ أفضت الدولة إلى بني العباس خوفا منهم على نفسه ، فلما علم بما جرى لوالده واقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره ، وتبته أعيان المدينة ، ثم غلب عليها ، وعزل عنها أميرها ، ورتب عليها طاملا وقاضيا ، فوجه المنصور لقتاله جيشاً بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى ، فكانت الغلبة لعسكر المنصور ، وقتل النفس الزكية ، وحمل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ . [١] متبدين : متفرقين .

أى بنى كُفَّ الأذى ، وارْقُضُ البِذَا (١) ، واستعِزَّ على الكلام بطول الفِكر ،  
فى المواطن التى تدعوك فىها تقسك إلى الكلام ، فإن للقول ساطاتٍ يضر فىها  
الخطأ ، ولا ينفع فىها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما  
تحذر مشورة العاقل إذا كان فاشاً ، لأنه يُرْزِديك بمشورته ، واعلم يا بنى أن رأيك  
إذا احتجت إليه وجدته ناصحاً ، ووجدت هواك يقظاناً ، فإياك أن تستبدَّ برأيك ،  
فإنه حينئذ هواك ، ولا تفعل فِعْلاً إلا وأنت على يقين أن ما قبلته لا تُرْزِديك ، وأن  
تبيجته لا تجنِّي عليك . ( زمر الآداب ١ : ٩٢ ، والبيان والبيان ١ : ١٨٠ ، ٢ : ٨٨ )

### ٣٧ - قول عبد الله بن الحسن وقد قتل ابنه محمد

ولما قتل المنصور ابنه محمداً - وكان عبد الله فى السجن - بعث برأسه إليه  
مع الربيع حاجبه ، فوضع بين يديه ، فقال :  
رَحِمَكَ اللهُ أبا القاسم ، فقد كنت من « الَّذِينَ يُوقُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا  
يَتَّقُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ،  
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ، ثم عتل :

فَى كَانَ يَحْمِيهِ عَنِ النَّارِ سَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ سَوَاءَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

ثم التفت إلى الربيع ، فقال له : « قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ، ومن  
نسيمك مثلها ، والموعِدُ اللهُ تعالى » قال الربيع : فما رأيتُ المنصور قطُّ  
أكثرَ انكساراً منه حين أبلغته الرسالة . ( زمر الآداب ١ : ٩٥ )

### ٣٨ - امرأة محمد بن عبد الله والمنصور

ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله ، اعترضته امرأة معها صبيان ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناهُ ، أَيْتَمَهُمَا سَيْفُكَ ، وَأَضْرَعَهُمَا <sup>(١)</sup> خَوْفُكَ ، فَنَاشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَصْعَرَ لِهَما خَدَّكَ ، فَيُنَايَ عَنْهُمَا رِفْدُكَ ، أَوْ لِيَتَعَطَّفَكَ عَلَيْهِمَا شَوْابِكُ النِّسْبِ ، وَأَوَاصِرُ <sup>(٢)</sup> الرَّحِيمِ » .

فالتفت إلى الربيع ، فقال : أَرَدْتُ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : كَذَا وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ نِسَاءَ بَنِي هَاشِمٍ . ( زهر الآداب ١ : ٩٦ )

### ٣٩ - جعفر الصادق والمنصور

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِ الْمَنْصُورِ وَنَصْرِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا ظَفَرَ الْمَنْصُورُ أَحْضَرَ جَعْفَرَ الصَّادِقَ <sup>(٣)</sup> بْنَ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ رَأَيْتَ إِطْبَاقَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى حَرْبِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يَمْعُورٍ <sup>(٤)</sup> عِيُونَهُمْ ، وَيَجْمُرُ <sup>(٥)</sup> نَخْلَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سَلِمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنْ يُوسُفَ قَدَّرَ فَفَقَّرَ ، فَاقْتَدِ بِأَيِّهِمْ شِئْتَ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ الَّذِينَ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ » ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : « إِنْ أَحَدًا لَا يَعْلَمُنَا الْحِلْمَ ، وَلَا يَعْرِفُنَا الْعِلْمَ ، وَإِنَّمَا قَلَّتْ هَمَمَتُ ، وَلَمْ تَرْنِي فَعَلْتُ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنْ قَدَرْتِي عَلَيْهِمْ تَمْنَعُنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ » . ( زهر الآداب ١ : ٩٦ )

\* \* \*

وروى صاحب العقد قال :

---

[١] أذلها . [٢] أواصر جمع آصرة ، والآصرة : جبل صنير يشد به أسفل الحباء ( وهي أيضاً الرحم والقرابة ) . [٣] هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام وتوفي سنة ١٤٨ . [٤] في الأصل « ينور » وأراه محرفاً ، وقد أصلحته « يعور » يقال : عور البئر أي طمها ، وسد عيونها التي ينبع منها الماء . [٥] جمر الحل : قطع جواره .

لما حج المنصور مرًا بالمدينة ، فقال للربيع الحاجب : عليّ بجعفر بن محمد ، قتلني الله إن لم أقتله ، فطُبل به ، ثم ألح عليه ، فحضر ، فلما كُشِف الستر بينه وبينه ، ومثّل بين يديه ، همّس جعفر بِشَفَتَيْهِ ، ثم تقرب وسلّم ، فقال : « لاسلّم الله عليك يا عدو الله ، تعمل على الغوائل في ملكي ؟ قتلني الله إن لم أقتلك » . قال : « يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله على محمد وعليه أُعطيَ فشكر ، وإن أيوب ابْتُلِيَ فصَبَرَ ، وإن يوسف ظُلم فَعَفَرَ ، وأنت على إرثٍ منهم ، وأحقُّ مَنْ تأسى بهم » ، فنكس أبو جعفر رأسه مَلِيًّا ، وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه ، وقال : « إلى أبا عبد الله فأنت القريب القربة ، وذو الرحم الواشجة <sup>(١)</sup> ، السليم الناحية ، القليل الغائلة » ، ثم صاحفه يمينه ، وعانقه بشماله ، وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله ، ثم قال : يا ربيع ، عَجَلٌ لأبي عبد الله كُتوتُه وجأثرتُه وإذنه . ( العقد الفريد ١ : ١٤٥ )

٤ - صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله <sup>(٢)</sup> ، وصار إلى المنصور ، أمر الربيع بخلع سواده ، والوقوف به على رؤس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة ، ثم قال : قل لهم :

« يقول لكم أمير المؤمنين قد عرّفتم ما كان من إحساني إليه ، وحسن بلائي ، وقديم نعمتي عليه ، والذي حاول من الفتنة ، ورام من البغي ، وأراد من شق العصا ، ومعاونة الأعداء ، وإراقة الدماء ، وإنه قد استحق بهذا من

[١] القرية : المشبكة . [٢] هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أخو النفس الزكية ، وقد خرج على المنصور بالبصرة ، فوجه إليه المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتال النفس الزكية قتاله وقتل إبراهيم في المعركة سنة ١٤٥ هـ .



فعله ، أليم العقاب ، وعظيم العذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجليل لديه ، وَرَبِّ<sup>(١)</sup> نَعْمَانَهُ السَّابِقَةَ عنده ، لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ، وما يومئله من الخير العاجل والآجل ، عند العفو عمن ظلم ، والصفح عمن أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين مُسِيئَتَهُمْ لِخُسْنِهِمْ ، وغادِرَهُمْ لَوَفِيَّتِهِمْ .  
( البيان والتبيين ٣ : ١٨٥ )

### ٤١ — استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور

ولما انهزم عبد الله بن علي<sup>(٢)</sup> من الشام ، قَدِمَ على المنصور وقد منهم ، فقام عِدَّةٌ منهم ، فتكلموا ، ثم قام الحارث بن عبد الرحمن الغفاري ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وقد مباحاة ، وإنما نحن وقد تَوَبْنَا ، وإنا ابتُلينا بفتنة استخفَّتْ كَرِيمَنَا ، واستفزَّتْ حَلِيمَنَا ، ونحن بما قَدَّمْنَا مُعْتَرِفُونَ ، ومما سَلَفَ مِنَّا مُعْتَذِرُونَ ، فَإِنْ تُعَاقِبْنَا فَمَا أَجْرُنَا ، وَإِنْ تَعَفُّ عَنَّا فَبِفَضْلِكَ عَلَيْنَا ، فاصفح عنا إذ ملكت ، وامتن إذ قدَّرت ، وَأَحْسِنْ إذ ظفرت ، فطالما أحسنت إلى من أساء مِنَّا » ، فقال المنصور : قد فعلت ، ثم قال للحريبي : هذا خطيبهم ، وأمر برد ضياعه عليه بالغوطة<sup>(٣)</sup> .

( العقد المرید ١ : ١٤٤ ، وتاريخ الطبری ٩ : ٣٠٧ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨ )

[١] رب الشيء : جمعه وزاده ، ورب الصبي : ربه حتى أدرك .

[٢] هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور ، وكان قد خرج عليه بالشام ، وقال : إن السفاح قال لي إن ظهرت على مروان الجعدي — وكان السفاح أرسله لقتال مروان بالشام — فأنت ولي العهد بعدي ، وشهد له جماعة بذلك . فأرسل المنصور أبا مسلم الحراساني لمحاربه فهزبه ، وهرب عبد الله إلى البصرة ، ونزل على أخيه سليمان بن علي ، فشفع فيه سليمان إلى المنصور فأمنه ، فلما جاء إليه بجسسه ومات في حبسه ، وقيل إنه بنى له بيتا ، وجعل في أساسه ملحاً ، ثم أجرى الماء فيه ، وسقط البيت عليه فمات .

## ٤٢ - استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور أيضا

وقال عثمان بن خُزَيم للمنصور ، حين عفا عن أهل الشام في إجلائهم<sup>(١)</sup> مع عبد الله بن عليّ عمه : « يا أمير المؤمنين ، لقد أعطيت فشكرت ، وابتليت فصبرت ، وقدّرت عفوت » .

وقال آخر : « يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدلٌ ، والتجاوُز فضل ، والمتفضل قد جاوز حدَّ المنصف ، فنحن نُعيد أمير المؤمنين بالله أن يرَضَى لنفسه بأوكس<sup>(٢)</sup> النصيبين ، دون أن يبلغ أرفع الدرَجَتين » .

وقال آخر : « من انتقم فقد شقَّ غيظَ نفسه ، وأخذ أقصى حقه ، وإذا انتقمتَ فقد انتقصتَ<sup>(٣)</sup> ، وإذا عفوت تطوّلت<sup>(٤)</sup> ، ومن أخذ حقه ، وشقَّ غيظَه ، لم يجب شكرُه ، ولم يُذكر في العالمين فضلُه ، وكظَم النغيظ حِلْمٌ ، والحِلْم صَبْرٌ ، والتشقى طَرْف من العَجْز<sup>(٥)</sup> ، ومن رَضِيَ ألا يكون بين حاله وبين حال الظالم إلا ستر رقيق ، وحجابٌ ضعيف ، لم يجزم في تفضيل الحلم ، وفي الاستيثاق من ترك دواعي الظلم ، ولم تر أهل النُهي ، والمنسويين إلى الحِجَابِ والتُّقَى ، مدحوا الحُكَّام بشدة العقاب ، وقد ذكروهم بحسن الصَّفْح ، وبكثرة الاغتفار ، وشدة التغافل ، وبعْدُ فالمعاقب مستعدَّة<sup>(٦)</sup> لعداوة أواباء المذنب ، والعاقي مستدع لشكرهم ، آمِنٌ من مكافأتهم<sup>(٧)</sup> أيام قُدْرَتهم ، ولأنَّ يُثَنِّي عليك باتساع الصدر ، خير من أن يُثَنِّي عليك بضيق الصدر<sup>(٨)</sup> ، على أن إقالتك عشرة عباد الله ،

[١] في الأصل « إجلائهم » وهو تحريف ، والصواب « إجلائهم » أي في فتنتهم وهياجهم من الجلبة بالتحريك وهي الصياح . [٢] من الوكس كورد : وهو النقصان .

[٣] أي انقص حقاك بخروجها عليك ، فحق لك الانتقام منا لأخذ حقاك .

[٤] تطوّل عليه : امتنّ وتفضل . [٥] وفي زهر الآداب : « من الجزع » .

[٦] وفي زهر الآداب : « مستودع » . [٧] مجازاتهم .

[٨] وفي زهر الآداب : « خير من أن توصف بضيقه » .

مُوجِبٌ لِإِقَالَتِكَ عِثْرَتِكَ مِنْ رَبِّ عِبَادِ اللَّهِ ، وَعَفْوِكَ عَنْهُمْ مَوْصُولٌ بِعَفْوِ اللَّهِ  
عَنْكَ ، وَعِقَابِكَ لَهُمْ مَوْصُولٌ بِعِقَابِ اللَّهِ لَكَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « خُذِ الْعَفْوَ  
وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨ )

### ٤٣ - أبو جعفر المنصور والربيع

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع (١) ، فقال : سألني  
ما تريد ، فقد سكت حتى نطقت ، وخففت حتى ثقلت ، وقللت حتى  
أكثرت ، فقال : « وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَرْهَبُ بِخُلُوكِ ، وَلَا أَسْتَقْصِرُ  
مُحْرَمِكَ ، وَلَا أَسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَعْتَمُّ مَالِكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَيَّ أَحْسَنُ  
مِنْ أَمْسِي ، وَغَدُوكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ، وَلَوْ جَازَأَن يَشْكُرُكَ مِثْلِي بِغَيْرِ  
الْخِدْمَةِ وَالْمَنَاصِحَةِ لَمَا سَبَقَنِي لَدَيْكَ أَحَدٌ » قال : صدقت ، علمي بهذا منك  
أحللك هذا المحل ، فسألني ما شئت ، قال : أسألك أن تقرب عبدك «الفضل» (٢)  
وتوثره وتحميه ، قال : ياربيع ، إن الحب ليس بمال يوهب ، ولا رتبة تُبدل ، وإنما  
تؤكدُه الأسبابُ ، قال : فاجعل لي طريقاً إليه ، بالفضل عليه ، قال : صدقت ،  
وقد وصلتُه بألف درهم ، ولم أصل بها أحداً غير عمومي ، لتعلم ماله عندي ،  
فيكون منه ما يستدعي به محبتي ، قال : فكيف سألت له المحبة ياربيع ؟ قال :  
لأنها مفتاح كل خير ، ومغلاق كل شر ، تُسْتَرَّ بها عندك عيوبه ، وتصيرُ حسنات  
ذُنُوبِهِ ، قال : صدقت .

( زهر الآداب ٢ : ١٦٣ )

[١] هو أبو الفضل الربيع بن يونس ، وزير المنصور ، وكان مهيباً فصيحاً كافياً حازماً فظناً ، ولم يزل  
وزيراً للمنصور إلى أن مات المنصور . وقام الربيع بأخذ البيعة المهدي ، ثم سعى به أعداؤه إلى الهادي ،  
فقتله سنة ١٧٠ هـ . [٢] هو ابنه الفضل بن الربيع ، وقد وزير للرشيد بعد البرامكة ، ولابنه الأمين  
كما سيأتي .

## ٤٤ — مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

دخل عمرو<sup>(١)</sup> بن عُبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدى ، فقال له : يا أبا عثمان ، هذا ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، أراك قد وطّدت له الأمور ، وهى تصير إليه ، وأنت عنه مستول ، فاستعبر المنصور ، وقال له : عِظْنِي يا عمرو ، قال : « يا أمير المؤمنين : إن الله أعطاك الدنيا بأمرها ، فاشتر نفسك منها ببعضها ، وإن هذا الذى فى يديك ، لو بقى فى يد غيرك ، لم يصل إليك ، فأحذر ليلةً تَمَخَّضُ عن يوم لا ليلة بعده » ، فوجم أبو جعفر من قوله ، فقال له الربيع : يا عمرو غممت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا صبحك عشرين سنةً ، لم يرَ لك عليه أن ينصحك يوماً واحداً ، وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال أبو جعفر : فما أصنع ؟ قد قلت لك ، خاتمي فى يدك ، فتعال وأصحابك فاكفني ، قال عمرو : « أدعنا بعدلك ، تسخ أنفسنا بعونك ، يبابك ألف مظلمة ، أردد منها شيئاً نعلم أنك صادق » .

(مروج الذهب ٢ : ٢٤٣ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ ، والعقد الفريد ١ : ٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٤٨)

## ٤٥ — مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يَحُولُ بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه ، فصلى الرجل ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البغى والفساد فى الأرض ؟ وما الذى يَحُولُ بين الحق

[١] من كبار أئمة المعتزلة توفى سنة ١٤٤

وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حَشَوْتُ مَسَامِعِي مَا أَرْمَضَنِي <sup>(١)</sup> ، قال : يا أمير المؤمنين إن أَمَّنْتَنِي عَلَى نَفْسِي ، أَنْبَأْتُكَ بِالْأُمُورِ مِنْ أَصُولِهَا ، وَإِلَّا احْتَجَزْتُ مِنْكَ ، وَاقْتَصَرْتُ عَلَى نَفْسِي ، فَفِيهَا لِي شَاغِلٌ ، فقال : أَنْتِ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ فَقُلْ ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع ، حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغى والفساد لَأَنْتِ ، قال : وَيَحْكُ ، وَكَيْفَ يَدْخُلُنِي الطمع ، وَالصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ <sup>(٢)</sup> فِي قَبْضَتِي ، وَالْحُلُوبُ وَالْحَامِضُ عِنْدِي ؟ قال : وَهَلْ دَخَلَ أَحَدًا مِنَ الطمع مَا دَخَلَكَ ؟ إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسامين وأموالهم ، فَأَغْفَلْتَ أُمُورَهُمْ ، وَاهْتَمَمْتَ بِجَمْعِ أُمُورِهِمْ ، وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مِنَ الْجِصِّ وَالْآجُرِّ ، وَأَبْوَابًا مِنَ الْحَدِيدِ ، وَحَجَبَةً مَعَهُمُ السِّلَاحُ ، ثُمَّ سَجَّنتَ نَفْسَكَ فِيهَا عَنْهُمْ ، وَبَعَثْتَ عُمَّالَكَ فِي جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ وَجَمَعَهَا ، وَقَوَّيْتَهُمْ بِالرِّجَالِ وَالسِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ ، وَأَمَرْتَ بِالْأَنْدِخْلِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، نَفَرٌ سَمَّيْتَهُمْ ، وَلَمْ تَأْمُرْ بِإِيصَالِ الْمَظْلُومِ وَلَا الْمَلْهُوفِ ، وَلَا الْجَائِعِ الْعَارِي ، وَلَا الضَّعِيفِ الْفَقِيرِ ، وَلَا أَحَدًا إِلَّا وَهْلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ ، فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ ، وَأَثَرْتَهُمْ عَلَى رِعْيَتِكَ ، وَأَمَرْتَ أَلَّا يُحْجَبُوا عَنْكَ ، تَجَنَّبِي الْأَمْوَالِ وَتَجَمَّعَهَا وَلَا تَقْسِمَهَا ، قَالُوا : هَذَا قَدْ خَانَ اللَّهُ ، فَمَا بَالُنَا لَا نَخُونُهُ وَقَدْ سَجَّجْنَا لَنَا نَفْسَهُ ؟ فَأَتَمَّرُوا بِالْأَنْدِخْلِ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ أَخْبَارِ النَّاسِ شَيْءٌ ، إِلَّا مَا أَرَادُوا ، وَلَا يَخْرُجُ لَكَ عَامِلٌ ، فَيُخَالِفُ أَمْرَهُمْ إِلَّا قَصَبُوهُ <sup>(٣)</sup> عِنْدَكَ وَنَفَوْهُ ، حَتَّى تَسْقُطَ مَنْزِلَتُهُ ، وَيَصْغُرُ قَدْرُهُ ، فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ ، أَعْظَمَهُمُ النَّاسُ وَهَابُوهُمْ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَانَعَهُمْ عُمَّالَكَ بِالْهُدَايَا وَالْأَمْوَالِ ، لِيَقْوُوا بِهَا عَلَى ظَلْمِ رِعْيَتِكَ ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ذُووَالْقُدْرَةِ وَالثَّرْوَةِ مِنْ

[١] أَوْجَعْنِي وَآلَمْنِي . [٢] الصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ : الدنانير والدرام .

[٣] طَابَهُ وَشَتَمَهُ ، وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « خَوَّنُوهُ » .

رعيتك ، لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلات بلادُ الله بالطمع بغيًا وفسادًا ، وضار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيلَ بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجالا ينظر في مظالمهم ، فإن جاءك ذلك الرجل ، فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك ، فإن المتظلم منه له بهم حرمة ، فأجابهم خوفًا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ، ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ويمتل عليه ، فإذا أجهد وأخرج وظهرت ، صرّخ بين يديك ، فضرب ضربًا مبرحًا ليكون نكالًا لغيره ، وأنت تنظر فلا تشكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتها مرة ، وقد أصيب ملكها بسمنه ، فبكي يومًا بكاء شديدًا ، فحته جلساؤه على الصبر ، فقال : أما إنى لست أبكى للبلية النازلة بي ، ولكنى أبكى لمظلوم بالباب يصرّخ ، ولا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ ذهب سمى ، فإن بصرى لم يذهب ، نادوا في الناس ألا يلبس ثوبًا أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر هل يرى مظلومًا ؟ فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله ، غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه ، وأنت مؤمن بالله ، ثم من أهل بيت نبيه ، لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ؟ فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عبرًا في الطفل ، يسقط من بطن أمه ، وماله على الأرض مال ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال لله يلطف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبة الناس إليه ، واست بالذي تعطى ، بل الله يعطى من يشاء ما شاء ، وإن قلت إنما أجمع المال لتعديد

السلطان ، فقد أراك الله عبراً في بني أمية ، ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع ، حتى أراد الله بهم ما أراد ، وإن قلتَ إنما أجمع لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلةٌ ، لا تُدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ قال المنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذي خوَّلكَ مُلكَ الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ؟ ولكن بالخلود في العذاب الأليم ، قد رأى ما قد عُقدَ عليه قلبك ، وعمَلته جوارحك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحتَه <sup>(١)</sup> يداك ، ومشَتَ إليه رجلاك ، هل يُغنى عنك ما شححتَ عليه من مُلك الدنيا إذا انتزعه من يدك ، ودعاك إلى الحساب ؟ فبكى المنصور وقال : يا ليتني لم أُخلَق ، ويحك ! فكيف أحتال لنفسي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يَفزَعون إليهم في دينهم ، ويرضون بهم ، فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في أمرك يسدّوك ، قال : قد بعثت إليهم فهربوا مني ، قال : خافوا أن تحملهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك ، وسهل حجائبك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ النية والصدقات مما حل وطاب ، واقسمه بالحق والعدل على أهله ، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويُسعدوك على صلاح الأمة ، وجاء المؤذنون ، فسلموا عليه ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وطلب الرجل فلم يوجد .

( عمون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٣ ، والعقد الفريد ١ : ٣٠٤ )

## ٤٦ — مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعي <sup>(٢)</sup> : دخلت على المنصور ، فقال لي : ما الذي بطأ بك عنى ؟

[١] اكتسبته . [٢] هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، إمام أهل الشام ، ولم يكن بها أعلم منه ولد ببلدك سنة ٨٨ هـ ، وتوفى سنة ١٥٧ ببيروت ، والأوزاعي : نسبة إلى أوزاع ، وهي بطن من ذى

قلت : يا أمير المؤمنين ، وما الذى تريد منى ؟ فقال : الاقتباس منك ، قلت : أنظر ما تقول ، فإن « مكحولاً <sup>(١)</sup> » حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بَلَغَهُ عن الله نصيحة في دينه ، فهي رحمة من الله سِيَقَتْ إليه ، فإن قَبِلَهَا من الله بِشُكْرٍ ، وإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً من الله عليه ، ليزداد إثمًا ، ويزداد الله عليه غَضَبًا ، وإن بَلَغَهُ شَيْءٌ من الحق فرضى ، فله الرضا ، وإن سَخِطَ فله السَخَطُ ، ومن كرهه فقد كَرِهَ اللهُ ، لأن الله هو الحق المبين » فلا تَجْهَلَنَّ ، قال : وكيف أجهل ؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمع ، قال الأوزاعي : فسل على الربيع السيف ، وقال : تقول لأمر المؤمنين هذا ؟ فأنهه المنصوو وقال : أمسيك ، ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال :

« إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحت به ، والله ساء ذلك عن صغيرها وكبيرها ، وفتيلها وتقيرها <sup>(٢)</sup> ، ولقد حدثني عروة بن رُوَيْم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مامن راجع يبيت فامشا لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة » فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرًا ، ولما استطاع من عوراتهم ساترًا ، وبالقسط فيما بينهم قائمًا ، لا يتخوف مُحْسِنُهُمْ منه رَهَقًا <sup>(٣)</sup> ، ولا مُسِيئُهُمْ عُدْوَانًا ، فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ، ويردع عنه المنافقين ، فأتاه جبريل فقال : « يا محمد ، ماهذه الجريدة بيدك !

---

الكلاع من اليمن ، وقيل : بطن من همدان ، وقيل الأوزاع : قرية بدمشق ، ولم يكن عبد الرحمن منهم ، وإنما نزل فيهم ، فنسب إليهم ، وهو من سبي اليمن .

[١] هو مكحول بن عبد الله الشامي ، معلم الأوزاعي ، وكان من سبي كابل ، وقع إلى سعيد بن العاص ، فوجهه لامرأة من هذيل فأعتقه ، قال الزهرى : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعي بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام ، ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا ، وسمع أنس ابن مالك وغيره ، وكان مقامه بدمشق ، وتوفى سنة ١١٨ هـ .

[٢] الفتيل : السحاة التى فى شق النواة ، والتقىر : القرعة التى فى ظهر النواة . [٣] ظلماً .



أَقْدِفْهَا لَا تَمَلَأْ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا ، فكيف من سفك دماءهم ، وشقق أبشارهم ،  
وأَنْهَبُ (١) أموالهم؟ يا أمير المؤمنين : إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، دعا  
إلى القصاص من نفسه بِمُخَدَّشٍ مُخَدَّشَةٍ أَعْرَابِيَا لَمْ يَتَعَمَّدَهُ ، فَهَبَطَ جَبْرِيْلُ ، فَقَالَ :  
« يَا مُحَمَّد ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونِ أُمَّتِكَ » واعلم أن كل ما في يدك  
لَا يَعْدِلُ شَرْبَةَ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ ، وَلَا تَمْرَةَ مِنْ ثَمَارِهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِقَابُ (٢) قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَوْ قُدَّةٌ (٣) خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا  
بِأَسْرَافِهَا » إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقَطِعُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا ، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ عُلِقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَذَاهُمْ ،  
فَكَيْفَ مِنْ يَتَقَمَّصُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ ذَنْبًا (٤) مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ صُبَّ عَلَى مَاءِ الْأَرْضِ  
لَأَجَنَّهُ (٥) ، فَكَيْفَ بَعْنُ يَتَجَرَّعُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنْ سِلَاسِلِ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى  
جَبَلٍ لَذَابَ ، فَكَيْفَ مِنْ سُلَيْكٍ (٦) فِيهَا ، وَيُرَدُّ فَضْلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ ؟ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ  
ابْنُ الْخَطَّابِ : « لَا يَقْوَمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفٌ (٧) الْعُقْدَةُ ، بَعِيدُ الْغِرَّةِ (٨)  
لَا يَطَّلِعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يُحْنِقُ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّةٍ (٩) ، وَلَا تَأْخُذُهُ  
فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأُمَّم » .

واعلم أن السلطان أربعة : أمير يظلف (١٠) نفسه وعماله ، فذلك له أجر  
المجاهد في سبيل الله ، وصلاته سبعون ألف صلاة ، ويده الله بالرحمة على رأسه  
تُرفرف ، وأمير رتَع ورَتَعُ عَمَّالُهُ ، فذاك يحمل أثقاله وأثقالا مع أثقاله ، وأمير

[١] جعلها نهباً يعار عليه . [٢] القاب : ما بين المقبض والسية ( وسية القوس كعدة : ما عطف  
من طرفيها ) . [٣] ريش السهم . [٤] الذنوب : الدلو . [٥] جله آجنا أى متغير  
الطعم واللون . [٦] قيد . [٧] حصف الرجل ككرم : استحكم عقله فهو حصيف ، وأحصف  
الجبيل : أحكم فتله . [٨] الغفلة . [٩] أحنق : حقد حقدا لا ينحل ، وأحنق الصلب : لرق  
بالبطاخ ، والجرة ما يفيض به البعير فيأكله ثانية ، والمراد أنه لا يضر المقدم والحنق . [١٠] يكف .

يَظْلِفُ نَفْسَهُ، وَيَرْتَعُ عَمَالَهُ، فَذَاكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَأَمِيرَ يَرْتَعُ وَيَظْلِفُ  
عُمَالَهُ ، فَذَاكَ شَرَّ الْأَكْيَاسِ .

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم ، عُرض على السموات  
والأرض والجبال ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهُ ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ ، وقد جاء عن جدك في  
تفسير قول الله عز وجل : « لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » أن  
الصغيرة التبسم ، والكبيرة الضحك ، وقال : فما ظنكم بالكلام وما عمَلتُهُ الأيدي ؟  
فأعيدك بالله أن يُخَيَّلَ إليك أن قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع  
المخالفة لأمره ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ مُحَمَّدٍ ،  
وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، اسْتَوْهَبَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ ، إِنْ لَمْ تُغْنِيَا عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ،  
وَكَانَ جَدُّكَ الْأَكْبَرُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَارَةً ، فَقَالَ : « أَيْ  
عَمٍّ ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا » نَظَرًا لِعَمِّهِ ، وَشَفَقَةً  
عَلَيْهِ أَنْ يَلِيَّ فِيَجُورُ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ نَفْعًا ، وَلَا عَنْهُ  
دَفْعًا ، هَذِهِ نَفْسِي حَتَّى إِنْ قَبِلْتَهَا فَلِنَفْسِكَ تَمَلَّتْ ، وَإِنْ رَدَدْتَهَا فَنَفْسِكَ  
بِخَسْتِ ، وَاللَّهُ الْمُوفِقُ لِلْخَيْرِ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ ، قَالَ : بَلَى ، تَقَبَّلَهَا وَنَشَكَرَ عَلَيْهَا ،  
وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ . ( القدر الفريد ١ : ٣٠٥ ، وعبود الأخبار م ٢ : ص ٣٣٨ )

#### ٤٧ - نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة للمنصور

ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة<sup>(١)</sup> على أمير المؤمنين المنصور ، فقال : يا أمير  
المؤمنين : توسّع توسعاً قُرَشِيًّا ، وَلَا تَضِيقْ ضَيْقًا حِجَازِيًّا .

[١] ولي قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وجمع له مروان بن محمد ولاية البصرة والكوفة ، وكان  
آخر من جمع له العراق من الولاة ، ولما استظهرت عليه جيوش خراسان ، وهزمت عسكره لحق بمدينة

ويروى أنه دخل يوماً ، فقال له المنصور حدثنا ، فقال : «يا أمير المؤمنين : إن سلطانكم حديث ، وإمارتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنبوهم مرارة جورها ، فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد محضت<sup>(١)</sup> لك النصيحة » ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس ، فأثاره<sup>(٢)</sup> المنصور بصره ، ثم قال : لا يعز مملكته يكون فيه مثل هذا ! . ( تهذيب الكامل ١ : ٢٨ )

### ٤٨ — معن بن زائدة والمنصور

ودخل معن<sup>(٣)</sup> بن زائدة الشيباني على أبي جعفر المنصور وقد أسن ، فقارب في خطوه ، فقال له المنصور : لقد كبرت سنك يامعن ، قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك تلجلد ، قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأئ الدولتين أحب إليك ، هذه أم دولة بني أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلى .

( البيان والبيان ٣ : ٢٢٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٠٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦١ )

واسط ، فتحصن بها ، ولما بويع السفاح بالخلافة وجه أحماء أبا جعفر المنصور لقتله ، فحصره بواسط شهوراً ، ثم أمنه وادنتح البلد صلحا ، ثم قتله .

[١] أخلصت . [٢] أثاره البصر : أتبعه إياه ، وحدد إليه النظر .

[٣] كان جوادا شجاعا جزيل العطاء كثير المعروف ، وكان في أيام بني أمية متنقلا في الولايات ، منقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفراري أمير العراقيين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وحاصر المنصور يزيد بمدينة واسط كما قدمنا ، أبلى يومئذ من مع يزيد بلاء حسنا ، فلما قتل يزيد خاف معن من أبي جعفر المنصور ، فاستتر عنه مدة ، ولم يزل مستترا حتى كان يوم الهاشمية ، وذلك أن جماعة من أهل خراسان ثاروا على المنصور ، وجرت مقنلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية — وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة — وكان معن متواريا بالقرب منهم ، فخرج متنكرا ممثلا ، وتقدم إلى القوم ، وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم ، فلما أخرج عن المنصور ، قال له : من أنت ويحك ؟ فقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، فأمنه المنصور وأكرمه ، وصار من حواصده ، وولى سجستان في أواخر أمره ، فلما كانت سنة ١٥١ اندس قوم من الخوارج بين صناع كانوا يعملون في داره بمدينة بست ، فقتلوه وهو يحتجم ، وتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة ، فقتلهم بأسرم .

٤٩ - معن بن زائدة وأحد زواره

ودخل رجل على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه الغيبة ؟ فقال : « أيها الأمير ، ما غابَ عن العين مَنْ يذكُرُه القلبُ ، وما زال شوقى إلى الأمير شديداً ، وهو دونَ ما يجبُ لهُ ، وذكُرى لهُ كثيراً وهو دون قدره ، ولكن جفوة الحُجَّاب ، وَقَلَّةُ بِشْرِ الْعِلْمَانِ ، منعانى من الإكثار » ، فأمر بتسهيل حجابهِ ، وأجزل صلته . ( زهر الآداب ٣ : ١٦١ )

٥٠ - المنصور وأحد الأعراب

ودخل أعرابى على المنصور فتكلم ، فأعجب بكلامه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : يُبقيك الله ، ويَزِيدُ فى سلطانك ، فقال : سل حاجتك ، فليس فى كل وقت تُوَمَّرُ بِذاك ، قال : « وليمَّ يا أمير المؤمنين ، فوالله ما أستقصِرُ عمرك ، ولا أخافُ بُخْلَكَ ، ولا أغتمُ مالك ، وإن سوءالك لشرف ، وإن عطاءك لزَيْنُ ، وما بامرئٍ بَدَلٌ وجهه إليك تقصُّ ولا شَيْنٌ » . فأحسن جائزته وأكرمه . ( الصاعتين ص ٤٠ ، العقد الفريد ١ : ١٣٩ )

٥١ - أعرابية تعزى المنصور وتهنته

وروى القلقشندى قال : تعرَّضت أعرابية للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العباس السَّفَّاح ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، احتسب الصبر ، وقَدِّم الشكر ، فقد أجزل الله لك الثواب ، فى الحالين ، وأعظم عليك المنَّة فى الحادِثين ، سلَّبتك خليفة الله ، وأفادك بخِلافة الله ، فسلمَّ فيما سلَّبتك ، واشكر فيما منَّحك ، وتجاوزَ اللهُ عن أمير المؤمنين ، وخارَ لك فيما ملَّكك من أمر الدنيا والدين »

وروى الجاحظ قال : عَزَّتْ امرأةُ المنصور عن أبي العباس مَقْدَمَهُ من مكة ، قالت : « أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجلك من مصيبتك ، ولا عوض أعظم من خلافتك » . ( صبح الأعشى ٩ : ٢٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٥ )

## ٥٢ — خطبة محمد بن سليمان <sup>(١)</sup> يوم الجمعة

( وكان لا يغيرها )

الحمد لله ، أحمدُه وأستعينه وأستغفره ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، من يعتصم بالله ورسوله ، فقد اعتصم بانعزوة الوثقى ، وسعد في الأولى والآخرة ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضللاً بعيداً ، وخسر خسراناً مبيهاً ، أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يُطِيعه وَيُطِيع رسوله ، ويتبع رضوانه ، ويتجنب سُخطه ، فإنما نحن له وبه ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحتمكم على طاعة الله ، وأرضى لكم ما عند الله ، فإن تقوى الله أفضل ما تحدث الناس عليه ، وتداعوا إليه ، وتواصوا به ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . ( البيان والتبيين ٢ : ٦٥ )

## ٥٣ — وصية مسلم بن قتيبة

وقال مسلم بن قتيبة <sup>(٢)</sup> : « لا تطلبن حاجتك إلى واحد من ثلاثة : لا تطلبها

---

[١] هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان عامل البصرة في خلافة أبي جعفر المنصور وتوفي سنة ١٧٣ في خلافة الرشيد .

[٢] استشاره المنصور في قتل أبي مسلم ، فقال : ما ترى في أمره ؟ قال : « لو كان فيهما آلهة

إلا الله لفسدتا » فقال : حسبك يا بن قتيبة ، لقد أودعتها أدنا واعية ( وفيات الأعيان ١ : ٢٨٢ ) .

إلى الكذاب ، فإنه يُقَرَّبُها وهي بعيدة ، ويبعدُها وهي قريبة ؛ ولا تطلبها إلى الأحمق ، فإنه يريد أن ينفعك ، وهو يضرُّك ؛ ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم مأْكَلَةٌ ، فإنه يجعل حاجتك وِقَاءً لحاجته . ( الأماك ٢ : ١٩٠ )

## ٥٤ - خطبة المهدي ( توفي سنة ١٦٩ هـ )

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحمدَه على آلائه <sup>(١)</sup> ، وأمجده لبلائه <sup>(٢)</sup> ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه توكل راضٍ بقضائه ، وصابر لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ، ونبيه المُجْتَبَى <sup>(٣)</sup> ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء ، وطُمُوس <sup>(٤)</sup> العِلْمِ ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، غتلفة أُمِّيَّة ، أهل عداوة وتضاغن ، وفرقة وتباين ، قد استهوئتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قُرَناؤهم <sup>(٥)</sup> ، فاستشعروا الردى ، وسلكوا العمى ، يبشر من أطاعة بالجنة وكريم ثوابها ، وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ، « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن يَدِنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن يَدِنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ، وأحسكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتهاى إلى ما يقرب من رحمته ، وينجى من سخطه ، ويُنال به مالهديه ، من كريم الثواب ، وجزيل المآب ، فاجتنبوا ما خوَّفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ، يوم توقفون بين يدي الجبار ، وتعرضون فيه على النار « يَوْمَ لَا تَكَلِّمُ

[١] نفسه ، والفرد إلى كحل وشمس ، وألو كشمس ، وألى كعصا وإلى كرنا .

[٢] البلاء : يكون منحة ، ويكون محنة . [٣] المختار . [٤] الدروس والاعاء .

[٥] القرين : المصاحب ، والشيطان : القرون بالإنسان لا يفارقه .

نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ؛ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ  
 وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ؛ يَوْمَ لَا يُجْزَى نَفْسٌ  
 عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ؛  
 يَوْمَ لَا يُجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
 حَقٌّ ، فَلَا تَغْرُبَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغْرَبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، فَإِنَّ الدُّنْيَا  
 دَارُ غُرُورٍ ، وِبَلَاءٍ وَشُرُورٍ ، وَاَضْمَحْلَالٍ وَزَوَالٍ ، وَتَقَلُّبٍ وَانْتِقَالٍ ، قَدْ أَفْنَتَ  
 مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَهِيَ عَائِدَةٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ بَعْدَكُمْ ، مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا صَرَاعَتَهُ ،  
 وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خَانَتَهُ ، وَمَنْ أَمَلَهَا <sup>(١)</sup> كَذَبَتْهُ ، وَمَنْ رَجَاها خَدَلَتْهُ ، عَزَّهَا ذَلُّ ،  
 وَغَنَاها فَقْرٌ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ تَرَكَها ، وَالشَّقِيُّ فِيها مِنْ آثَرها ، وَالْمَغْبُوتُ فِيها مِنْ بَاعِ  
 حِظِّهِ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِ بِها ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ ، وَالرَّحْمَةُ مَبْسُوطَةٌ ،  
 وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ <sup>(٢)</sup> ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ بِالْكَظْمِ <sup>(٣)</sup> ،  
 وَتَنْدَمُوا فَلَا تَنْالُونَ النَّدَمَ ، فِي يَوْمِ حَسْرَةٍ وَتَأْسُفٍ ، وَكَأَبَةٍ وَتَلَهْفٍ ، يَوْمَ لَيْسَ  
 كَالْأَيَّامِ ، وَمَوْقِفُ صَنْتِكَ الْمَقَامَ ، إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةَ كِتَابَ اللَّهِ ،  
 يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ  
 تُرْحَمُونَ » أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلْهَاكُمْ  
 التَّسْكَاتُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ - أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أَوْصَاكُمْ اللَّهُ  
 بِهِ ، وَأَنَّهَا كَمِ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَرْضَى لَكُمْ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ »

( المقدم الفريد ٢ : ١٤٦ )

[١] أملة أملا وأمله بالتخفيف والنشيد . [٢] زكاي زكو : نما وصلح .

[٣] الكظم : الحلق أو القم ، أو مخرج للنفس ، أى قبل الموت .

# مشاورة المهدي لأهل بيته

في حرب خراسان

روى ابن عبد ربه قال :

« هذا ما تراجع فيه المهدي ووزراؤه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان ، أيام تحاملت عليهم العمال وأغنفت ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكائنة ، على أن نكثوا ببيعتهم ، وتقضوا موثقتهم ، وطرردوا العمال ، والتوا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدي ما يجب من مصلحتهم ، ويكره من عنتهم ، على أن أقال عثرتهم ، واغتفر زلتهم ، واحتمل دألتهم ، تطوؤا بالفضل ، واتساعاً بالعفو ، وأخذاً بالحجة ، ورفقاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل مذكراً لله أعباء الخلافة ، وقلده أمور الرعية ، رفيقاً بدار سلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمعدلة في رعيته ، تسكناً إلى كنفه ، وتأنساً بعفوه ، وثقاً بحلمه ، فإذا وقعت الأفضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ، فليس عنده هواده ، ولا إغضاء ، ولا مداهنة ، أثره للحق ، وقياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم ، فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه ، والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج ، وطرردوا العمال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار ، وخصومة بإقرار ، وتنصلاً باعتلال ، فلما انتهى ذلك إلى المهدي ، خرج إلى مجلس خلأته ، وبعث إلى نفر من لحمته<sup>(١)</sup> ووزرائه ، فأعلمهم الحال ، واستنصحهم للرعية ، ثم أمر الموالى<sup>(٢)</sup> بالابتداء ، وقال للعباس<sup>(٣)</sup> بن محمد : أي عم تعقب قولنا ، وكن حكماً بيننا ، وأرسل إلى

[١] اللحة : القرابة . [٢] جمع مولى ، وهو هنا القريب كابن العم ونحوه .

[٣] هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو المنصور .



ولديه موسى وهرون ، فأحضرهما الأمر ، وشاركهما في الرأي ، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم ، وإثبات مقالاتهم في كتاب .

## ٥٥ - مقال سلام صاحب المظالم

فقال سلام صاحب المظالم :

« أيها المهدي : إن في كل أمر غايةً ، ولكل قوم صناعةً ، استفرغت رأيهم ، واستفرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها ، وذهبت بهم ، وعرفوا بها ، وعرفت بهم ، ولهذا الأمور التي جعلتنا فيها غايةً ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وقرسان الهزاهز<sup>(١)</sup> ، وإخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سجالها<sup>(٢)</sup> ، وفيأتهم ظلالها ، وعصتتهم شدائدُها ، وقرمتهم<sup>(٣)</sup> نواجذُها ، فلو عجمت ما قبلهم ، وكشفت ما عندهم ، لو جدت نظائرَ تؤيدُ أمرك ، وتجارِبَ توافقُ نظرك ، وأحاديثَ تقوى قلبك ، فأما نحن معاشرَ عمالك ، وأصحابِ دواوينك ، فحسن بنا ، وكثير منا أن نقوم بشقل ما حملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشغلتنا به من إمضاء عدلك ، وإنفاذ حُكمك ، وإظهار حُقك » .

فأجابه المهدي : « إن في كل قوم حكمةً ، ولكل زمان سياسةً ، وفي كل حال تدبير ، يُبطل الآخر الأول ، ونحن أعلم بزماننا ، وتدبير سلطاننا » .

قال نعم : أيها المهدي : أنت متسع الرأي ، وثيق العقدة ، قوي المنة<sup>(٤)</sup> ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محذور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ،

---

[١] الهززة والهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس . [٢] جمع سجل كشمس ، وهو الدلو العظيمة مملوءة . [٣] قرم الطعام : أكله ، والنواجذ : أقمى الأرضين . [٤] القوة .

مَعَانِ بِالظَّفَرِ ، مَهْدِيٌّ إِلَى الْخَيْرِ ، إِنْ هَمَّتَ فِي عِزْمِكَ مَوَاقِعُ الظَّنِّ ، وَإِنْ  
اجْتَمَعَتْ صَدَعٌ فَعَلَّكَ مَلْتَبِيسُ الشُّكِّ ، فَاعْزِمِ يَهْدِي اللهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ ، وَقُلْ  
يُنْطِقُ اللهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ ، فَإِنْ جُنُودُكَ جَمَّةٌ ، وَخِزَانَتُكَ عَامِرَةٌ ، وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ ،  
وَأَمْرُكَ نَافِذٌ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : « الْمَشَاوِرَةُ وَالْمَنَاظِرَةُ بِأَبَا رَحْمَةٍ ، وَمِفْتَاحَا بَرَكَاتٍ ، لَا يَهْنِكُ  
عَلَيْهِمَا رَأْيٌ ، وَلَا يَتَفَيَّلُ <sup>(١)</sup> مَعَهُمَا حَزْمٌ ، فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ ، وَقُولُوا بِمَا يَخْضُرُكُمْ ،  
فَإِنِّي مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَتَوْفِيقُ اللهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ » .

### ٥٦ - مقال الربيع بن يونس <sup>(٢)</sup>

وقال الربيع :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : إِنْ تَصَارَيْفَ وَجْهِ الرَّأْيِ كَثِيرَةٌ ، وَإِنْ الْإِشَارَةُ بِيَعِضِ  
مَعَارِيضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ ، وَلَكِنْ خِرَاسَانُ أَرْضٍ بَعِيدَةٌ الْمَسَافَةِ ، مُتَرَاخِيَةٌ الشُّقَّةُ <sup>(٣)</sup> ،  
مُتَفَارِقَةٌ السُّبُلِ ، فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْيِيرِ ، وَمُبْتَرَمِ التَّقْدِيرِ ، وَأَبَابِ الصَّوَابِ ،  
رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ ، وَقَلْبَهُ تَدْيِيرُكَ ، فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٌ ، وَلَا دُونَهُ  
مَعْلَقٌ لِحُصُومَةِ عَائِبٍ ، ثُمَّ خَبَّتِ الْبُرْدُ <sup>(٤)</sup> بِهِ ، وَانْطَوَتْ الرَّسُلُ عَلَيْهِ ، كَأَنَّ  
بِالْحَرَى أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ ، إِلَّا وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ ، فَمَا أَيْسَرُ أَنْ  
تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرِّسْلَ ، وَتَرِدَ عَلَيْكَ الْكُتُبَ ، بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ ،  
وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ ، فَتُحَدِّثُ رَأْيًا غَيْرَهُ ، وَتَبْتَدِعُ تَدْيِيرًا سِوَاهُ ، وَقَدْ انْفَرَجَتْ  
الْحَلَقُ ، وَتَحَلَّلَتِ الْعُقَدُ ، وَاسْتَرَخَى الْحِقَابُ <sup>(٥)</sup> ، وَامْتَدَّ الزَّمَانُ ، ثُمَّ لَعَلِمَ مَوْقِعَ الْآخِرَةِ

[١] قَالَ تَرَأَيْهِ وَتَمِيلُ : أَخْطَأَ وَضَعَفَ . [٢] وَزَرَ لِأَبِي حَمْفَرِ النَّصُورِ وَقَتْلَهُ الْهَادِي سَنَةَ ١٧٠ هـ .

[٣] الْبَعْدُ وَالسَّفَرُ الْبَعِيدُ . [٤] جَمْعُ بَرِيدٍ : وَهُوَ الرَّسُولُ ، وَخَبَّتْ : أَسْرَعَتْ .

[٥] الْحِقَابُ : مَا تَمُدُّهُ الْمَرْءُ فِي وَسْطِهَا .

كمصدر الأولى ، ولكن الرأى أيها المهدي وفقك الله ، أن تصرف إجابة النظر ،  
وتقليب الفكر فيما جمعنا له ، واستشرتنا فيه من التدبير ل حربهم ، والحيل في  
أمرهم ، إلى الطلب لرجل ذى دين فاضل ، وعقل كامل ، وورع واسع ، ليس  
موصوفاً بهوى في سواك ، ولا متهماً في أثره عليك ، ولا ظنيناً<sup>(١)</sup> على دخلة<sup>(٢)</sup>  
مكروهة ، ولا منسوباً إلى بدعة محذورة ، فيقدح في ملكك ، ويريض<sup>(٣)</sup>  
الأمور لغيرك ، ثم تُسند إليه أمورهم ، وتفوض إليه حربهم ، وتأمره في عهدك  
ووصيتك إياهم ، بلزوم أمرك ما تزمه الحزم ، وخلاف نهيك إذا خالفه الرأى ،  
عند استحالة الأمور ، واشتداد الأحوال التى يُنقض أمر الغائب عنها ، ويثبت  
رأى الشاهد لها ، فإنه إذا فعل ذلك ، فوائب أمرهم من قريب ، وسقط عنه  
ما يأتى من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل ، وأحد النظر  
إن شاء الله .

## ٥٧ - مقال الفضل بن العباس

قال الفضل بن العباس :

« أيها المهدي ، إن ولى الأمور ، وسائس الحروب ، ربما نحى جنوده ،  
وفرق أمواله في غير ماضيق أمر حزبه<sup>(٤)</sup> ، ولا ضغطة حال اضطرته ، فيقعد  
عند الحاجة إليها ، وبعد التفرقة لها ، عديماً منها ، فاقداً لها ، لا يثق بقوة ، ولا  
يصول بمدة ، ولا يفزع إلى ثقة ، فالرأى لك أيها المهدي وفقك الله ، أن تُعني  
خرائنك من الإيفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الأسفار ، ومقارعة

[١] متهما . [٢] دخلة الرجل مثله ، ودخيلته : نيته ومذهبه .

[٣] فى كتب اللغة : راضه وروضه : خاله ، وأراض الأرض جعلها ، يراضا . [٤] اشتد عليه .

الأخطار، وتغريير القتال ، ولا تُسرِعْ للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون ، والمطاء  
لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجري من رعتك غيرهم ، ولكن اغزم  
بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلمهم <sup>(١)</sup> بالرفق ، وأبرق <sup>(٢)</sup>  
لهم بالقول ، وأرعد نحوم بالفعل ، وابتعت البعوث ، وجند الجنود ، وكتب  
الكتائب ، واعقد الألوية ، وانصب الرايات ، وأظهر أنك موجه إليهم الجيوش  
مع أحنق قوادك عليهم ، وأسوئهم أثراً فيهم ، ثم ادسُس الرسل ، وابثث  
الكتب ، وضع بعضهم على طبع من وعدك ، وبعضاً على خوف من وعيدك ،  
وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ،  
حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوي الصدور على البغضة ، ويدخل كلا  
من كل الحذر والهيبة ، فإن مرّام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناسبة <sup>(٣)</sup>  
بالكتب ، والمكيدة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المذخل في القلوب ،  
القوى الموقع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبني على اللين  
الذي يستميل القلوب ، ويسترق العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ،  
ويستدعي المواتاة <sup>(٤)</sup> ، أنقذ من القتال بظبات السيوف ، وأسنة الرماح . كما  
أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكيدة ،  
أحكم عملاً ، وألطف منظرًا ، وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك إلا  
بالقتال ، والإتلاف للأموال ، والتغريير والخطار <sup>(٥)</sup> ، وليعلم المهدي أنه إن وجه  
لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم إلا بجنود كثيفة ، تخرج عن حال شديدة ، وتقدم

[١] خادعهم . [٢] رعد وبرق ، وأرعد وأبرق : تهدد وتوعد .

[٣] ناصبه الحرب والعداوة : ألقها . [٤] المواقعة . [٥] المخاطرة .

على أسفارٍ ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غَشَشَة ، إن ائتمنهم استنفدوا ماله ،  
وإن استنصحهم كانوا عليه لاله .

قال المهدي : « هذا رأى قد أسفر نُوره ، وأبرق ضوءه ، وتمثل صوابه  
للعيون ، وتجسّد حقه في القلوب ، ولكن فوق كلّ ذى علم عليم » . ثم نظر إلى  
ابنه عليّ ، فقال : ما تقول ؟

### ٥٨ — مقال عليّ بن المهدي

قال عليّ بن المهدي :

« أيها المهدي : إن أهل خراسان لم يَخْلَعُوا عن طاعتك ، ولم يَنْصِبُوا من  
دونك أحداً ، يَقْدَحُ في تغيير ملكك ، وَيُريضُ الأمور لفساد دولتك ،  
ولو فعلوا لكان الخطبَ أيسرَ ، والشأن أصغرَ ، والحال أدلّ ، لأن الله مع حقه  
الذي لا يخذله ، وعند موّعه الذي لا يُخْلِفُه ، ولكنهم قوم من رعيتك ، وطائفة  
من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ،  
طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبتَ إلى دعوتهم ، ونفّست عنهم قبل أن  
يتلاحم منهم حال ، ويحدث من عندهم فتق ، أطعت أمر الرب ، وأطفأت  
ثائرة الحرب ، ووفّرت خزائن المال ، وطرحتَ تغريرَ القتال ، وحمل الناسُ  
محمّل ذلك على طبيعة جودك ، وسجيّة حلامك ، وإسجاح<sup>(١)</sup> خليقتك ، ومعدّلة  
نظرك ، فأمنت أن تُنسبَ إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي دُرْبَة ، وإن  
منعتهم ما طلبوا ، ولم تُجِبْهم إلى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ،  
وساويتهم في ميّدان الخطّاب ، فما أربُّ المهدي أن يعمد إلى طائفه من رعيته ،

مقرّين بمملكته ، مُذعنين بطاعته ، لا يُخْرِجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يُبرثونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء في حدّ المقارعة ، ومِضمار المخاطرة ، أريد المهدي - وفقه الله - الأموال ؟ فلمعري لا ينالها ولا يظفر بها إلا بإتفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدعى قبيلهم ، ولو نالها ، فَحُمِلت إليه ، وَوُضِعَت بِخَرَائِطِهَا <sup>(١)</sup> بين يديه ، ثم تجافي لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما إليه يُنسَب ، وبه يُعرَف ، من الجود الذي طَبَعَهُ اللهُ عليه ، وجعل قُرَّةَ عينه ، ونَهْمَةً <sup>(٢)</sup> نفسه فيه ، فإن قال المهدي : هذا رأئى مستقيم سديد ، في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا ، وتحامل وُلّاتنا ؛ فأما الجنود الذين نَقَضُوا مَوَائِقَ الْعُهُودِ ، وَأَنْطَقُوا لِسَانَ الْإِرْجَافِ ، وَفَتَحُوا بَابَ الْمَعْصِيَةِ ، وَكَسَرُوا قَيْدَ الْفِتْنَةِ ، فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ أَجْعَلَهُمْ نَكَالًا لَنِيرِهِمْ ، وَعِظَةً لِسَوَامِهِمْ ، فيعلم المهدي أنه لو أتى بهم مغلولين في الحديد ، مُقَرَّنين <sup>(٣)</sup> في الأصفاد <sup>(٤)</sup> ، ثم اتسع لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ عَفْوُهُ ، وَإِلِقَالَةَ عَثْرَتِهِمْ صَفْحُهُ ، واستبقاهم لما هم فيه من حربته ، أو لمن يلزأهم من عدوه ، لَمَا كَانَ بِدَعَا مِنْ رَأْيِهِ ، وَلَا مُسْتَنْكَرًا مِنْ نَظَرِهِ ، لقد علمت العربُ أنه أعظم الخلفاء والملوك عفوًا ، وأشدّها وَقَمًا ، وأصدقها صولة ، وأنه لا يتعاضمه <sup>(٥)</sup> عفوًا ، ولا يتكأء دُهُ <sup>(٦)</sup> صفحًا ، وإن عَظُمَ الذَّنْبُ ، وَجَلَّ الْخَطْبُ ، فالرأى للمهدي وفقه الله تعالى أن يَحُلَّ عُقْدَةَ الْغَيْظِ ، بِالرَّجَاءِ لِحَسَنِ ثَوَابِ اللَّهِ فِي الْعَفْوِ عَنْهُمْ ، وَأَنْ يَذْكَرَ أَوْلَى حَالَتِهِمْ ، وَضَيْعَةَ عِيَالَتِهِمْ ، بِرَأْيِهِمْ ، وَتَوْسُّمًا لَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُ دَوْلَتِهِ ،

[١] جمع خريظة وهي وطاء من آدم وغيره يشرح على ما فيه . [٢] التهمة : الحاجة وبلوغ العهدة في الشيء . [٣] مقيدين . [٤] الأصفاد : القيود : جمع صفة كسب . [٥] تعاضمه الأمر : عظم عليه . [٦] تكأءه الأمر : شق عليه .

وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبُحُجَّتْهُمْ يقول ، وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مَسَاخِطِهِ ، وتعرّضوا له من معاصيه ، وانطوا فيه عن إجابته ، ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم ، أو نُقِلَ من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم ، كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازيين ، أصاب أحدهما خبيلٌ عارض ، ولهُوَ حادث ، فنهض إلى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزد أخوه إلا رِقَّةً له ، ولطفاً به ، واحتيالاً لمداواة مرضه ، ومراجعة حاله ، عطفاً عليه ، وبراً به ، ومَرَحَمَةً له .

فقال المهدي : أما عليّ فقد نوى سَمَتَ اللَّيَانِ<sup>(١)</sup> ، وَفَضَّ الْقُلُوبِ فِي أَهْلِ خِرَاسَانَ ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرًّا ، فقال : ماترى يا أبا محمد يعنى موسى ابنه (الهادي).

### ٥٩ - مقال موسى بن المهدي

فقال موسى :

« أيها المهدي : لَا تَسْكُنْ إِلَى حَلَاوَةِ مَا يَجْرِي مِنَ الْقَوْلِ عَلَى أَسْنَتِهِمْ ، وَأَنْتَ تَرَى الدَّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ خَلَلِ فَعْلِهِمْ ، الْحَاؤُ مِنَ الْقَوْمِ يَنَادِي بِمَضْمَرَةٍ شَرِّ ، وَخَفِيَّةٍ حِقْدٍ ، قَدْ جَعَلُوا الْمَعَاذِيرَ عَلَيْهَا سِتْرًا ، وَاتَّخَذُوا الْعِلَلِ مِنْ دُونِهَا حِجَابًا ، رَجَاءً أَنْ يَدَافِعُوا الْأَيَّامَ بِالتَّأخِيرِ ، وَالْأُمُورَ بِالتَّطْوِيلِ ، فَيَكْسِرُوا حَيْلَ الْمَهْدِيِّ فِيهِمْ ، وَيُفْنُوا جُنُودَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى يَتَلَحَّمُ أَمْرُهُمْ ، وَتَتَلَحَّقَ مَادَّتُهُمْ ، وَتَسْتَفْجَلُ حُرْبُهُمْ ، وَتَسْتَمِرُّ الْأُمُورُ بِهِمْ ، وَالْمَهْدِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي حَالِ غِرَّةٍ ، وَلِبَاسِ أَمْنَةٍ ، قَدْ قَتَرَ لَهَا ، وَأَنْسَ بِهَا ، وَسَكَنَ إِلَيْهَا ، وَلَوْلَا مَا اجْتَمَعَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ ، وَبَرَدَتْ عَلَيْهِ جُلُودُهُمْ مِنَ الْمُنَاصِبَةِ بِالقِتَالِ ، وَالْإِضْمَارِ لِلْقِرَاعِ ، عَنْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ ، أَوْ شَيْطَانٍ

[١] الليان : اللابنة . مصدر لاین ، والسنت : الطريق .

فساد ، لَرَهَبُوا عواقب أخبار الوُلاة ، وَغِيبَ سكون الأمور ، فليشدُّ المهدي وفقه الله أزره<sup>(١)</sup> لهم ، ويكتب كتابه نحوهم ، وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يعطيهم خُطة يريد بها صلاحهم ، إلا كانت دُرْبَة إلى فسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية إلى عودتهم ، وسبباً لفساد مَنْ بِحَضْرَتِهِ من الجنود ، ومن بيابه من الوفود الذين إن أقرَّمهم ، وتلك العادة ، وأجرهم على ذلك الأرب ، لم يبرح في فتقٍ حادث ، وخلافٍ حاضر ، لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدُرْبَة ، لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المُفرطة ، والمثونة الشديدة ، والرأي للمهدي وفقه الله أن لا يُقبل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحجرو<sup>(٢)</sup> . ثم القتل ، ويُحدق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، وَيُطبِق عليهم الذل ، فإن فعل المهدي بهم ذلك ، كان مَقْطَعَة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرةٍ شرٍّ منهم ، واحتمالُ المهدي في مَثُونَة غزوتهم هذه ، تضع عنه غزواتٍ كثيرة ، ونفقاتٍ عظيمة .

فقال المهدي : « قد قال القوم ، فاحكم يا أبا الفضل » .

٦٠ - مقال العباس بن محمد

فقال العباس بن محمد :

« أيها المهدي : أما الموالى فأخذوا بفروع الرأي ، وسلكوا جنّبات الصواب ، وتعدّوا أموراً قصّر بنظرهم عنها ، أنه لم تأت تجارِبُهُم عليها ، وأما الفضل فأشار بالاموال أن لا تُنْفَق ، والجنود ألا تُفَرَّق ، وبأن لا يُعطى القوم ما طلبوا ، ولا



يُبَدَّلَ لَهُمْ مَسْأَلُوا ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ يَبَيِّنُ ذَلِكَ اسْتِصْفَارًا لَأَمْرِهِمْ ، وَاسْتِهَانَةً بِحَرْبِهِمْ ،  
وَإِنَّمَا يَهَيِّجُ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ صَغَارُهَا .

وَأَمَّا عَلِيٌّ ، فَأَشَارَ بِاللَّيْنِ وَإِفْرَاطِ الرَّفْقِ ، وَإِذَا جَرَّدَ الْوَالِي لِمَنْ غَمَطَ أَمْرَهُ ،  
وَسَفَهُ حَقَّهُ ، اللَّيْنُ بَحْتًا ، وَالْخَيْرُ مُحْضًا ، لَمْ يَخْلِطْهُمَا بِشِدَّةٍ تَعَطَّفِ الْقُلُوبَ عَنْ لَيْنِهِ ،  
وَلَا بِشَرٍّ يَحْبِسُهُمْ إِلَى خَيْرِهِ ، فَقَدْ مَلَّكَهُمُ الْخَلْعَ لِعِزِّهِمْ ، وَوَسَّعَ لَهُمُ الْفُرْجَةَ  
لِقَتْنِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَإِنْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَقَبِلُوا لَيْنَهُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ اضْطَرَّهُمْ وَلَا شِدَّةٍ ،  
فَنَزْوَةٌ<sup>(١)</sup> فِي رءِ وَسْهُمْ ، يَسْتَدْعُونَ بِهَا الْبَلَاءَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَيَسْتَصْرَخُونَ بِهَا  
رَأْيَ الْمَهْدَى فِيهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ ، وَيَسْرِعُوا لِإِجَابَتِهِ بِاللَّيْنِ الْمَحْضِ ،  
وَالْخَيْرِ الصَّرَاحِ ، فَذَلِكَ مَا عَلَيْهِ الظَّنُّ بِهِمْ ، وَالرَّأْيُ فِيهِمْ ، وَمَا قَدْ يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ  
مِنْ مِثْلِهِمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ ، وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ ، وَالْمَلِكِ  
الْكَبِيرِ ، مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْفِكْرُ ، وَلَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ ، ثُمَّ دَعَا  
النَّاسَ إِلَيْهَا ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهَا ، فَلَوْلَا أَنَّهُ خَلَقَ نَارًا جَعَلَهَا لَهُمْ رَحْمَةً يَسُوقُهُمْ بِهَا إِلَى  
الْجَنَّةِ ، لَمَا أَجَابُوا وَلَا قَبِلُوا .

وَأَمَّا مُوسَى ، فَأَشَارَ بِأَنْ يُعْصَبُوا بِشِدَّةٍ لَالَيْنٍ فِيهَا ، وَأَنْ يُرْمَوْا بِشَرٍّ لِاخْتِيَارِ  
مَعَهُ ، وَإِذَا اضْمَرَ الْوَالِي لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ ، وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ ، الْخَوْفَ مُفْرَدًا ، وَالشَّرَّ  
مَجْرَدًا ، لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ ، وَلَا لَيْنٌ يُثْنِيهِمْ ، اشْتَدَّتْ الْأُمُورُ بِهِمْ ، وَانْتَقَطَتْ  
الْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ ، إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمُ الْحَمِيَّةُ مِنَ الشَّدَّةِ ، وَالْأَنْفَةُ مِنَ الذَّلَّةِ ،  
وَالْامْتِعَاضُ مِنَ الْقَهْرِ ، فَيَدْعُوهُمْ ذَلِكَ إِلَى التَّمَادِي فِي الْخِلَافِ ، وَالِاسْتِبْسَالِ فِي  
الْقِتَالِ ، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْمَوْتِ ، وَإِمَّا أَنْ يَنْقَادُوا بِالْكَرْهِ ، وَيُذْعَنُوا بِالْقَهْرِ عَلَى

بِغِيْضَةٍ لَازِمَةٍ ، وَعِدَاوَةٍ بَاقِيَةٍ ، ثُوْرَثِ النِّفَاقِ ، وَتُعْقِبِ الشَّقَاقِ ، فِإِذَا أَمَكَّتْهُمْ فِرْصَةٌ ، أَوْ ثَابَتَ <sup>(١)</sup> لَهُمْ قَدْرَةٌ ، أَوْ قَوِيَتْ لَهُمْ حَالٌ ، عَادَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَصْعَبِ وَأَغْلَظَ وَأَشَدِّ مِمَّا كَانَ .

وَقَالَ فِي قَوْلِ أَبِي الْفَضْلِ : أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ ، أَكْفَى دَلِيلٍ ، وَأَوْضَحَ بَرَهَانَ ، وَأَيِّنَ خَبْرٍ بَأَنَّ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيَهُ ، وَحَزَمَ نَظْرَهُ عَلَى الْإِرْشَادِ بِبِعْتَةِ الْجِيُوشِ إِلَيْهِمْ ، وَتَوَجِيهِ الْبِعُوْثِ نَحْوَهُمْ ، مَعَ إِعْطَائِهِمْ مَا سَأَلُوا مِنَ الْحَقِّ ، وَإِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْعَدْلِ .  
قَالَ الْمَهْدِيُّ : ذَلِكَ رَأَى .

## ٦١ - مَقَالُ هَرُونَ بْنِ الْمَهْدِيِّ

قَالَ هَرُونَ :

« خَلَطْتَ الْشِدَّةَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ بِاللَّيْنِ ، فَصَارَتْ الشِدَّةُ أَمْرًا فِطَامًا لِمَا تَكْرَهُ ، وَعَادَ اللَّيْنُ أَهْمَدِيَّ قَائِدًا إِلَى مَا تَحِبُّ ، وَلكِنْ أَرَى غَيْرَ ذَلِكَ » .  
قَالَ الْمَهْدِيُّ : « لَقَدْ قَلَّتْ قَوْلًا بَدِيحًا ، وَخَالَفْتَ فِيهِ أَهْلَ بَيْتِكَ جَمِيْعًا ، وَالْمَرْءُ مُؤْتَمِنٌ بِمَا قَالَ ، وَظَنِيْنٌ بِمَا أَدَّعَى ، حَتَّى يَأْتِيَ بَيِّنَةٌ عَادِلَةٌ ، وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ ، فَاخْرُجْ عَمَّا قَلَّتْ » قَالَ هَرُونَ : « أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ ، إِنْ الْحَرْبُ خَدَعَتْ <sup>(٢)</sup> ، وَالْأَعَاجِمُ قَوْمٌ مَكْرَةٌ ، وَرَبْمَا اعْتَدَلْتَ الْحَالَ بِهِمْ ، وَاتَّفَقْتَ الْأَهْوَاءَ مِنْهُمْ ، فَكَانَ بَاطِنُ مَا يُسْرُونَ عَلَى ظَاهِرِ مَا يُعْلِنُونَ ، وَرَبْمَا اقْتَرَقْتَ الْحَالَانِ ، وَخَالَفَ الْقَلْبَ اللَّسَانَ ، فَانطَوَى الْقَلْبُ عَلَى مَحْجُوْبَةٍ تُبْطِنُ ، وَاسْتَسْرَّ بِمَدْخَوْلَةٍ لَا تَعْلَنُ ، وَالطَّيِّبُ الرَّفِيْقُ بِطَبِّهِ ، الْبَصِيْرُ بِأَمْرِهِ ، الْعَالِمُ بِمُقَدَّمِ يَدِهِ ، وَمَوْضِعِ مَيْسَمِهِ <sup>(٣)</sup> لَا يَتَعَجَّلُ الدَّوَاءَ ، حَتَّى يَقَعَ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّاءِ ، فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ « وَفَقَهُ اللَّهُ » أَنْ يَقِرَّ <sup>(٤)</sup> بِبَاطِنِ أَمْرِهِمْ قَرَّ

[١] رجعت . [٢] خدعة بسكون الدال وتثنية الحاء ، وبضم الحاء وفتح الدال ، أى تنقضى بخدعة .

[٣] الميسم : المكواة . [٤] فر الدابة : كشف عن أسنانها ليعرف سنها .

المُسِنَّة ، وَيَعْخُضُ ظَاهِرَ حَالِهِمْ مَخْضَ السَّقَاءِ ، بِمُتَابَعَةِ الْكُتُبِ ، وَمُظَاهَرَةِ الرُّسُلِ ،  
وَمُوَالَاةِ الْعِيُونَ ، حَتَّى تُهْتَكَ حُجُبُ عِيُونِهِمْ ، وَتُكْشَفَ أَغْطِيَةُ أُمُورِهِمْ ، فَإِنْ  
انْفَرَجَتِ الْحَالُ وَأَفْضَتِ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَغْيِيرِ حَالِ ، أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالِ اشْتَمَلَتْ  
الْأَهْوَاءَ عَلَيْهِ ، وَانْقَادَ الرِّجَالَ إِلَيْهِ ، وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوَهُ بِدِينِ يَعْتَقِدُونَهُ ، وَإِثْمِ  
يَسْتَحْلُونَهُ ، عَصَبَهُمْ بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا ، وَرِمَاهُمْ بِعَقُوبَةٍ لَا عَفْوََ مَعَهَا ، وَإِنْ  
انْفَرَجَتِ الْعِيُونَ ، وَاهْتَصَّرَتِ السُّتُورُ ، وَرُفِعَتِ الْحُجُبُ ، وَالْحَالُ فِيهِمْ مَرِيعةٌ <sup>(١)</sup> ،  
وَالْأُمُورُ بِهِمْ مَعْتَدَلَةٌ ، فِي أَرْزَاقِ يَطْلُبُونَ ، وَأَعْمَالِ يُنْكَرُونَهَا ، وَظَلَامَاتِ  
يَدْعُونَهَا ، وَحَقُوقِ يَسْأَلُونَهَا ، بِمَاتَةٍ سَابِقَتِهِمْ ، وَدَالَّةٍ مَنَاصِحَتِهِمْ ، فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ  
- وَفَقَهُ اللَّهِ - أَنْ يَتَسَعَ لَهُمْ بِمَا طَلَبُوا ، وَيَتَجَانَفِي لَهُمْ عَمَّا كَرِهُوا ، وَيَشْعَبُ <sup>(٢)</sup> مِنْ  
أَمْرِهِمْ مَا صَدَعُوا ، وَيَرْتُقُّ مِنْ فَتَقِهِمْ مَا قَطَعُوا ، وَيُوَلِّي عَلَيْهِمْ مَنْ أَحْبَبُوا ،  
وَيَدَاوِي بِذَلِكَ مَرَضَ قُلُوبِهِمْ ، وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ ، فَإِنَّمَا الْمَهْدِيُّ وَأُمَّتُهُ ، وَسَوَادُ  
أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، بِمَنْزِلَةِ الطَّيِّبِ الرَّفِيقِ ، وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ ، وَالرَّاعِيِ الْمَجْرَّبِ الَّذِي  
يَحْتَالُ لِمَرَابِضِ غَنَمِهِ ، وَضَوَالِ رَعِيَّتِهِ ، حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا ، وَيُرَدِّ  
الصَّحِيحَةَ إِلَى أُنْسِ جَمَاعَتِهَا ، ثُمَّ إِنْ خَرَّاسَانَ بِخَاصَّةِ الَّذِينَ لَهُمْ دَالَّةٌ مَحْمُولَةٌ ، وَمَاتَةٌ  
مَقْبُولَةٌ ، وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَحَقُوقٌ وَاجِبَةٌ ، لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ ، وَسَيُوفُ دَعْوَتِهِ ،  
وَأَنْصَارُ حَقِّهِ ، وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَهْدِيِّ الْإِضْطِفَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَا  
الْمُؤَاخَذَةِ لَهُمْ ، وَلَا التَّوَعُّرِ <sup>(٣)</sup> بِهِمْ ، وَلَا الْمَكَافَأَةِ بِإِسَاءَتِهِمْ ، لِأَنَّ مَبَادِرَةَ حَسْمِ  
الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْوَى ، وَمَحَاوَلَةُ قَطْعِ الْأَصُولِ ضَائِلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ ،

[١] مَرِيعٌ الْوَادِي كَكْرَمِ مِرَاعَةٍ : أَخْضَبُ بِكَثْرَةِ السَّكَلَاءِ فَهُوَ مَرِيْعٌ .

[٢] يُشْعَبُ . [٣] تَوَعَّرَ الرَّجُلُ : تَشَعَّدَ .

أحزمُ في الرأي ، وأصح في التدبير ، من التأخير لها ، والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلاً بكثيرها ، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها .

قال المهدي : « ما زال هرون يقع وَقَع الحيا<sup>(١)</sup> ، حتى خرج خروج القَدَح من الماء ، وانسَلَّ انسلال السيف فيما ادعى ، فدعُوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأي ، وثنى بعده هرون ، ولكن مَن لأعنة الخيل وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ، إن أمعن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدالة ؟ » .

### ٦٢ — مقال صالح بن علي<sup>(٢)</sup>

قال صالح :

« لسنا نبلغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِراسة رأيك ، وبعضَ لَحَظَاتِ نظرك ، وليس ينفضُ عنك من بيوتات العرب ، ورجالاتِ العجم ، ذودين فاضل ، ورأى كامل ، وتدبير قوي ، تقلده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، وَيَضْطَلِع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النَّقِيبَة<sup>(٣)</sup> ، مبارك العزيمة ، تخبور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحد تُوليه أمرك ، وتُسند إليه شُرك ، إلا أراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد . »

قال المهدي : « إني لأرجو ذلك لتقديم عادة الله فيه ، وحسن معوته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والاعتبار للمشاورة في الأمر المهم . »

### ٦٣ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أهل خراسان أيها المهدي قومٌ ذوو عِزَّةٍ ومنَّعة ، وشياطينٌ خَدَعَة ،

[١] للطر . [٢] هو صالح بن علي بن عبدالله بن عباس . [٣] الفس والطبيعة .

زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة ،  
والعجلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عدلهم ، لأنهم بين  
سيفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون إلا بشدة ،  
ولا يقطمون إلا بالمر ، وإن ولي المهدي عليهم وضعياً لم تنقذ له العظماء ، وإن  
ولي أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء ، وإن آخر المهدي أمرهم ، ودافع حربهم ،  
حتى يُصيب نفسه من حشمه ومواليه أو بنى عمه أو بنى أبيه ناصحاً ، يتفق عليه  
أمرهم ، وثقةً تجتمع له أملاؤهم<sup>(١)</sup> ، بلا أنفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا  
مصيبة تنفرهم ، تنفست الأيام بهم ، وتراخت الحال بأمرهم ، فدخل بذلك من  
الفساد الكبير ، والضياع العظيم ، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جد ،  
ولا يستصلحه وإن جهد ، إلا بعد دهر طويل ، وشر كبير ، وليس المهدي وفقه  
الله فاطماً عاداتهم ، ولا قارِعاً صفاتهم<sup>(٢)</sup> ، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ، ولا  
عدل<sup>(٣)</sup> في ذلك بهما ، أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ، ويد ممتلئة لعينك ،  
وصخرة لا تزغزع ، وبهمة<sup>(٤)</sup> لا تُثنى ، وبازل<sup>(٥)</sup> لا يُفزع صوت الجمل ،  
نقى العرض ، تزيه النفس ، جليل الخطر<sup>(٦)</sup> ، اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما  
نحو الآخرة بهمته ، وجعل العرض الأقصى لعينه نصباً ، والعرض الأدنى لقدمه  
موطئاً ، فليس يقبل عملاً ، ولا يتعدى أملاً ، وهو رأس مواليك ، وأنصح  
بنى أبيك ، رجل قد غدّى بلطيف كرامتك ، ونبتت في ظل دولتك ، ونشأ على

[١] جمع ملاء كسبب وهو الجماعة . [٢] الصفاة : الحجر الصلد الضخم . [٣] العدل : الظير .

[٤] البهمة : الصخرة ، والشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى . [٥] البازل : الجمل فى السنة

الناسعة ، والرجل الكامل فى تجربته . [٦] انقدر .

قوائم أدبك ، فإن قلّدتَه أمرهم ، وحمّلتَه ثِقَلهم ، وأسندتَ إليه ثغرهم ، كان قفلاً فتحه أمرك ، وباباً أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً ، والإنصاف بينه وبينهم حاكماً ، وإذا أحكم المنصفه ، ومملك المعدّلة ، فأعطاهم ما لهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك في الذي بين صدورهم ، وأسكن لك في السؤيّداء ، داخل قلوبهم ، طاعة راسخة المروق ، باسقة الفروع ، متماثلة في حواشي عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريبٌ إلا نفوه ، ولا يلزمهم حقٌ إلا أدوه ، وهذا أحدهما ، والآخر عودٌ من غيضتك <sup>(١)</sup> ، ونبعة من أرومتك ، فتى السن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصرامة ، مأمون الخلاف ، يجرّد فيهم سيفه ، وييسّط عليهم خيره ، بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان ، أيها المهدي ، فسّطه أعزك الله عليهم ، ووجهه بالجوش إليهم ، ولا تمنّك ضراعة <sup>(٢)</sup> سنّه ، وحادثة مؤلّده ، فإن الحلم والثقة مع الحداثة ، خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصم به ، من مكارم الأخلاق ، ومحامد الفعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأنفس ، كفراخ عتاق الطير ، المُحكّمة لأخذ الصيد بلا تدرّيب ، والعارفة لوجوه النّفع بلا تأديب ، فالحلم والعلم ، والعزم والحزم ، والجود والتؤدّة ، والرّفق ، ثابت في صدوركم ، مزروع في قلوبكم ، مُستحكّم لكم ، متكاملٌ عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة .

٦٤ - مقال معاوية بن عبد الله

قال معاوية بن عبد الله :

[١] البيضة : الأجمة ومجتمع الشجر في مفيض ماء . [٢] المراد حداثة .

« أفتاء<sup>(١)</sup> أهل بيتك أيها المهدي في الجلم على ما ذكر، وأهل خراسان في حال عز على ما وُصِف، ولكن إن ولى المهدي عليهم رجلا ليس بقديم الذكر في الجنود، ولا بنبية الصوت في الحروب، ولا بطويل التجربة للأمور، ولا بمعروف السياسة للجيوش، والهيبية في الأعداء، دخل ذلك أمران عظيمان، وخطر ان مهولان، أحدهما أن الأعداء يفتمزونها منه، ويحتقرونها فيه، ويحتثرون بها عليه، في النهوض به، والمقارعة له، والخلاف عليه، قبل ما حين الاختبار لأمره، والتكشف لحاله، والعلم بطباعه؛ والأمر الآخر أن الجنود التي يقود، والجيوش التي يسوس، إذا لم يختبروا منه البأس والنجدة، ولم يعرفوه بالصوت<sup>(٢)</sup> والهيبية، انكسرت شجاعتهم، وماتت نجدتهم، واستأخرت طاعتهم، إلى حين اختبارهم، ووقوع معرفتهم، وربما وقع البوار قبل الاختبار، وبياب المهدي - وفقه الله - رجل مهيب، نبية، حنيك،<sup>(٣)</sup> صيئت، له نسب زك، وصوت عال، قد قاد الجيوش وساس الحروب، وتآلف أهل خراسان، واجتمعوا عليه عليه باليقة، ووثقوا به كل الثقة، فلو ولاء المهدي أمرهم، لكفاه الله شرهم. قال المهدي: « جانبت قصد الرمية، وأينت إلا عصبية، إذ رأى الحدت من أهل بيتنا، كراى عشرة حلماء من غيرنا، ولكن أين تركتم ولى العهد؟ ». قالوا: « لم يمنعنا من ذكره إلا كونه شبيه جده، ونسيج وحده<sup>(٤)</sup>، ومن الدين وأهله، بحيث يقصر القول عن أدنى فضله، ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه، وسر دون عبادته، علم ما تختلف به الأيام، ومعرفة ما تجرى

[١] جمع فتى كيتيم وأيتام . [٢] الصوت والصلوات والصيت : الذكر الحسن . [٣] محتك . [٤] هو نسيج وحده : لا نظير له منفرد بخصال محمودة لا يشركه فيها غيره ، كما أن الثوب النفيس لا يتسج على منواله غيره ، أى لا يشركه فيه وبين غيره في السدى .

عليه المقاديرُ من حوادث الأمور ، ورَيْبُ المنون <sup>(١)</sup> الْمُخْتَرِمَةُ لِحَوَالِي القرون ، وَمَوَاضِي الملوك ، فِكْرِهِنا شُسُوعَه <sup>(٢)</sup> عَن مَحَلَّةِ الملك ، ودار السلطان ، ومقرَّ الإمامة والولاية ، وموضع المدائن والحزائن ، ومستقرَّ الجنود ، وَمَعْدِنِ الجُود ، وَتَجْمَعِ الأموال ، التي جعلها الله قُطْبًا لِمَدَارِ الملك ، ومِصِيدَةً لِقُلُوبِ الناس ، وَمَثَابَةً لِإِخْوَانِ الطمع ، وثُؤَارِ الفتن ، ودواعي البِدْع ، وفُرْسَانِ الضلال ، وأبناء الموت ، وقلنا إن وَجَّهَ المهدي وليَّ عَهْدِهِ ، فحدث في جيوشه وجنوده ، ما قد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهدي أن يُمَقِّبَهُم بغيره ، إلا أن ينهَضَ إليهم بنفسه ، وهذا خَطَرٌ عَظِيمٌ ، وهول شديد ، إن تنفَّست الأيام بمقامه ، واستدارت الحال بِإِمَامِهِ ، حتى يقع عِوَضٌ لا يُسْتَعْنَى عنه ، أو يَحْدُثُ أمرٌ لا بُدَّ منه ، صار ما بعده مما هو أعظم هَوْلًا ، وأجل خَطَرًا ، له تَبَعًا ، وبه متصلاً .

## ٦٥ - مقال المهدي

قال المهدي :

« الْخَطْبُ أَيْسَرُ مما تذهبون إليه ، وعلى غير ما تصفون الأمرَ عليه ، نحن أهل البيت نجرى من أسباب القضايا ، ومواقع الأمور ، على سابقٍ من العلم ، ومحتومٍ من الأمر ، قد أنبأت به الكتبُ ، وَتَنَبَّأت عليه الرسلُ ، وقد تناهى ذلك بأجمعه إلينا ، وَتَكَامَل بِحَدَافِيرِهِ <sup>(٣)</sup> عندنا ، فيه ندبٌ ، وعلى الله تتوكل ، إنه لا بُدَّ لوليِّ عَهْدِي ، ووليِّ عَهْدِ عَقْبِي بعدي ، أن يقود إلى خراسان البعوثَ ، ويتوجه نحوها بالجنود ؛ أما الأول فإنه يُقَدِّم إليهم رسله ، وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حِيَلَهُ ،

[١] النوى المنية ( مؤنث ) والمخرمة : المهلكة ، والحوالي جمع خالية وهي الماضية .

[٢] شمع كنع شسما وشسوا : يمد فهو شاسع وشسوع .

[٣] جمع حذفور كصفورٍ أو حنقار كقرطاس وهو الجاذب .



ثم يخرج نَشِيطًا إِلَيْهِمْ ، حَنِقًا عَلَيْهِمْ ، يريد أن لا يدعَ أحَدًا من إخوان الفتن ، ودواعي البدع ، وفُرسان الضلال ، إلا توطأه بحرَّ القتل ، وألبسه قِنَاعَ القَهْر ، وقلَّده طوقَ الذل ، ولا أحدًا من الذين عملوا في قصِّ جَنَاحِ الفتنَةِ ، وإخمادِ نارِ البدعة ، ونُصرةِ وِلاَةِ الحقِّ ، إلا أجرى عليهم دِيَمَ فضلِهِ ، وجداولَ نَهْلِهِ ، فإذا خرج مُزْمِعًا بِهِ ، مُجْمِعًا عَلَيْهِ ، لم يَسِرْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَنْ قَدِ عَمَلَتْ حِيلُهُ ، وَكَدَحَتْ كِتَبُهُ ، وَنَفَذَتْ مَكَائِدَهُ ، فَهَدَّاتُ نَافِرَةُ القُلُوبِ ، وَوَقَعَتْ طَائِرَةُ الأَهْوَاءِ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ المِخْتَلِفُونَ بِالرِّضَا ، فِيمِيلُ نَظْرًا لَهُمْ ، وَبِرًّا بِهِمْ ، وَتَعَطَّفًا عَلَيْهِمْ ، إِلَى عَدُوِّ قَدِ أَخَافُ سَبِيلَهُمْ ، وَفَطَعَ طَرِيقَهُمْ ، وَمَنَعَ حِجَابَهُمْ بِيَدِ اللَّهِ الحَرَامِ ، وَسَلَبَ تِجَارَتَهُمْ رِزْقَ اللَّهِ الحَلَالِ ؛ وَأَمَّا الآخِرُ فَإِنَّهُ يُوَجِّهُ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ تَعْتَقِدُ لَهُ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِإِعْطَاءِ مَا يُطْلَبُونَ ، وَبَدَلِ مَا يُسْأَلُونَ ، فَإِذَا سَمَّحَتْ الفِرَاقُ بِقِرَابَاتِهَا لَهُ ، وَجَنَحَ أَهْلُ النِّوَاحِي بِأَعْنَاقِهِمْ نَحْوَهُ ، فَأَصْنَعَتْ إِلَيْهِ الأَفْتَدَةَ ، وَاجْتَمَعَتْ لَهُ الكَلِمَةُ ، وَقَدِمَتْ عَلَيْهِ الوَفُودُ ، قَصَدَ لِأَوَّلِ نَاحِيَةٍ بَحَعَتْ<sup>(١)</sup> بِطَاعَتِهَا ، وَأَلْقَتْ بِأَزِمَّتِهَا ، فَأَلْبَسَهَا جَنَاحَ نِعْمَتِهِ ، وَأَنْزَلَهَا ظِلَّ كَرَامَتِهِ ، وَخَصَّهَا بِعَظِيمِ حِبَابِهِ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ عَمَّ الجَمَاعَةَ بِالمُعْدَلَةِ ، وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ ، فَلَا تَبْقَى فِيهِمْ نَاحِيَةٌ دَانِيَةٌ ، وَلَا فِرْقَةٌ قَاصِيَةٌ ، إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهَا بِرِكَتِهِ ، وَوَصَلَتْ إِلَيْهَا بِمَنْفَعَتِهِ ، فَأَغْنَى فَقِيرَهَا ، وَجَبَّرَ كَسِيرَهَا ، وَرَفَعَ وَضِعَهَا ، وَزَادَ رَفِيعَهَا ، مَا خَلَا نَاحِيَتَيْنِ ، نَاحِيَةٌ يَغْلِبُ عَلَيْهَا الشَّقَاءُ ، وَتَسْتَمِيلُهُمُ الأَهْوَاءُ ، فَتَسْتَخْفُ بِدَعْوَتِهِ ، وَتُثْبِطُ عَنْ إِبَابَتِهِ ، وَتَتَنَاقَلُ عَنْ حَقِّهِ ، فَتَكُونُ آخِرَ مَنْ يَبْعَثُ ، وَأَبْطَأَ مَنْ يُوَجِّهُ ، فَيُصْطَلِي عَلَيْهَا مَوْجِدَةٌ ، وَيَبْتَغِي لَهَا عِلَّةً ، لَا يَلْبَثُ يُجِدُ<sup>(٣)</sup> بِحَقِّ يَلْزَمُهُمْ ، وَأَمْرٌ يَجِبُ عَلَيْهِمْ ؟ فَتَسْتَلْحِمُهُمْ

[١] ينجم بالحق مجوعا : أقربه وخضع له . [٢] عطائه . [٣] يعضب .

الجيش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحرق بهم القتل ، ويحيط بهم الأشر ، ويفنيهم  
التبغ ، حتى يُخرب البلاد ، ويؤتم الأولاد ، وناحية لا يبسط لهم أماناً ، ولا يقبل  
لهم عهداً ، ولا يجعل لهم ذمة ، لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلاب  
الفتنة ، وربض في شق العصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ، ويطلب  
هزأهم ، في أجج البحار ، وقُلل الجبال ، وجميل<sup>(١)</sup> الأودية ، وبتون الأرض ،  
تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ، حتى يدع الديار خراباً ، والنساء أيتام ، وهذا أمر  
لا نعرف له في كتبنا وقتاً ، ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيراً ؛ وأما موسى ولى  
عهدي ، فهذا أوان توجّهه إلى خراسان ، وحلوله بجزجان ، وما قضى الله له من  
الشخص إليها ، والمقام فيها ، خير للمسلمين مغبة ، وله بإذن الله عاقبة من المقام  
بحيث يُغمر في لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاغر عظيم  
فضله ، ويتذاب<sup>(٢)</sup> مشرق نوره ، ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فمن يصحبه  
من الوزراء ، ويختار له من الناس ؟ .

### ٦٦ - مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أيها المهدي : إن ولى عهدك أصبح لأمتك ، وأهل ملتك ، علماً قد تثنت  
نحوه أعناقها ، ومدت سمته أبصارها . وقد كان اقرب داره منك ، ومحل  
جواره لك ، عطل<sup>(٣)</sup> الحال ، غفل الأمر ، واسع العذر . فأما إذا انفرد بنفسه .  
وخلا بنظره . وصار إلى تدييره . فإن من شأن العامة أن تتفقّد مخارج رأيه .

[١] الجميل : بطن السيل . [٢] يضطرب .

[٣] عطل ( كفرح ) من المال والأدب خلا فهو عطل كقفل بوعتق .

وَتَسْتَنْصِتْ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ ، وَتَسْأَلُ عَنِ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ ، فِي بَرِّهِ وَرَحْمَتِهِ  
وَإِقْسَاطِهِ <sup>(١)</sup> وَمَعَدَلَتِهِ ، وَتَدِيرُهُ وَسِيَاسَتَهُ ، وَوِزْرَانَهُ وَأَصْحَابَهُ . ثُمَّ يَكُونُ مَا سَبَقَ  
إِلَيْهِمْ أَغْلَبَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَأَمْلَكَ الْأُمُورَ بِهِمْ ، وَأَلْزَمَهَا لِقُلُوبِهِمْ ، وَأَشَدَّهَا  
اسْتِمَالَةً لِرَأْيِهِمْ ، وَعَظْفًا لِأَهْوَاءِهِمْ . فَلَا يَفْتَأُ الْمَهْدِيُّ - وَفَقَهُ اللَّهِ - نَازِرًا لَهُ فِيمَا يَقْوَى  
عَمْدَ مَمْلَكَتِهِ ، وَيَسُدُّ أَرْكَانَ وَلايَتِهِ ، وَيَسْتَجْمَعُ رِضَا أُمَّتِهِ بِأَمْرٍ هُوَ أَزِينُ لِحَالِهِ .  
وَأَظْهَرُ لِحَمَالِهِ ، وَأَفْضَلُ مَغْبِيَّةَ لِأَمْرِهِ ، وَأَجَلُ مَوْقِعًا فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ ، وَأَحْمَدُ حَالًا  
فِي نَفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ . وَلَا أَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ . وَأَبْلَغُ فِي  
اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، مِنْ مَرَّحِمَةٍ تَظْهَرُ مِنْ فِعْلِهِ . وَمَعْدَلَةٌ تَنْتَشِرُ عَنْ أَثَرِهِ .  
وَمَحَبَةٌ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ ، وَأَنْ يَخْتَارَ الْمَهْدِيُّ - وَفَقَهُ اللَّهُ - مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلَدَةٍ .  
وَفَقَهَاءِ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا ، وَتَأْنَسُ الرِّعِيَّةُ بِهِمْ  
إِذَا وُصِفُوا . ثُمَّ تَسَهَّلَ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ ، وَفَتَحَ بَابَ الْمَعْرُوفِ . كَمَا قَدْ  
كَانَ فُتِحَ لَهُ ، وَسُهِّلَ عَلَيْهِ .

قال المهدي : صدقتَ ونصحتَ . ثم بعث في ابنه موسى ، فقال :

### ٦٧ - مقال المهدي

« أَيُّ مُبْنِيٍّ . إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لَسَمْتِ وَجْهِهِ الْعَامَّةِ نُصْبًا ، وَلِثَنِيٍّ أَعْطَافِ  
الرِّعِيَّةِ غَايَةً ، فَحَسَنُتُكَ شَامِلَةٌ . وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةٌ ، وَأَمْرُكَ ظَاهِرٌ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ  
وَطَاعَتِهِ . فَاحْتَمِلْ سُخْطَ النَّاسِ فِيهِمَا ، وَلَا تَطْلُبْ رِضَاهُمَا بِخِلَافِهِمَا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
وَجَلَّ . كَأَفْيُكَ مَنْ أَسْخَطَهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاهُ . وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسْخِطُهُ  
عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَا مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ قَتْرَةٌ مِنْ رِيسَلِهِ .

وبقايا من صفوة خلقه ، وخبايا لنصرة حقه ، يمدد حبل الإسلام بدعواهم ،  
ويشيّد أركان الدين بنصرتهم ، ويتخذ لأولياء دينه أنصاراً ، وعلى إقامة عدله  
أعواناً . يسدّون الخلل ، ويقيمون الميل ، ويدفعون عن الأرض الفساد ، وأن  
أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا ، وسيوف دعوتنا ، الذين نستدفع المكاره  
بطاعتهم ، ونستصرف نزول العظام بمناصحتهم . ونُدافع ريب الزمان بعزائمهم ،  
ونُرأحم ركن الدهر ببصائرهم ، وهم عماد الأرض إذا أرجف كنفها ، وخوف  
الأعداء إذا برزت صفحتها ، وحُصون الرعية إذا تضايقت الحال بها ، قدمضت  
لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات ، أخذت نيران الفتن ، وقسمت دواعي  
البدع . وأذلت رقاب الجبارين ، ولم ينفكوا كذلك ماجروا مع ريح دولتنا ،  
وأقاموا في ظل دعوتنا ، واعتصموا بحبل طاعتنا ، التي أعز الله بها ذلتهم ، ورفع  
بها ضعتهم ، وجعلهم بها أرباباً في أقطار الأرض ، وملوكاً على رقاب العالمين ،  
بعد لباس الذل ، وقناع الخوف ، وإطباق البلاء ، ومخالفة الأسي ، وجهد البأس  
والضر . فظاهر عليهم لباس كرامتك ، وأنزلهم في حدائق نعمتك ، ثم اعرف  
لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم ، ومائة سابقتهم ، وحرمة مناصحتهم ،  
بالإحسان إليهم ، والتوسعة عليهم ، والإثابة لمحسنهم ، والإقالة لمسيئهم .

أى بنى ، ثم عليك العامة . فاستدع رضاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها  
بالإنصاف لها ، وتحسن بذلك لربك ، وتوثق به في عين رعيتك ، وأجعل أعمال  
العذر وولاية الحجج مُقدّمة بين يدي عمك ، ونصفة منك لرعيتك ، وذلك أن  
تأمر قاضي كل بلد ، وخيار أهل كل مصر ، أن يختاروا لأنفسهم رجلاً توليه  
أمرهم ، وتجعل العدل حاكماً بينه وبينهم ، فإن أحسن حمدت ، وإن أساء عذرت .

هؤلاء عمال العذر، وولاية الحجج، فلا يسقطن عليك ما في ذلك إذا انتشر في الآفاق، وسبق إلى الأسماع من انعقاد السنة المرجفين، وكبت قلوب الحاسدين، وإطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلا، وبعرا حبلك متعلقا، رجلان: أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل، وحلم راجح، ودين صحيح، والآخر له دين غير مغموز، وموضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، وأنحاء العرب، ووضع الكتب، عالم بمجالات الحروب، وتصاريف الخطوب، يضع آدابا نافعة، وآثارا باقية، من محاسنك وتحسين أمرك، وتحلية ذكرك، فتستشيره في حربك، وتدخله في أمرك، فرجل أصبته كذلك، فهو يأوي إلى محلتى، ويرعى في خضرة جنانى، ولاتدع أن تختار لك من فقهاء البلدان، وخيار الأمصار، أقواما يكونون جيرانك وسمارك، وأهل مشاورتك فيما تُورد، وأصحاب مناظرتك فيما تُصدر، فسر على بركة الله، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدي إلى الصواب قلبك، وهاديا ينطق بالخير لسانك .

وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد (١)

(العقد الفريد ١ : ٥٧)

[١] ملاحظة: أقول: وهذا يتنافى ما ورد في التاريخ: إذ المعروف أن المهدي توفى في المحرم سنة ١٦٩ وأعقبه الهادي، الذي توفى في ربيع الأول سنة ١٧٠، فكيف يكون تاريخ كتابة هذه المشاورة هو ربيع الآخر سنة ١٧٠ أى بعد وفاة المهدي والهادي، مع أنه ذكرى سياق خبرها أن المهدي أمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم، وإنبات مقالاتهم في كتاب، أى أنها كتبت في المجلس الذى حدثت فيه المشاورة. والوارد في التاريخ أيضا أن الهادي خرج إلى جرجان سنة ١٦٦ و ١٦٧ (راجع تاريخ الطبرى ج ١٠ ص ٧ - ٨) اللهم إلا أن يقال إنها كتبت في مجلس المشاورة، وبقيت محفوظة لدى كاتبها، حتى نشرت للناس في ربيع الآخر سنة ١٧٠ أى أن ذلك التاريخ هو تاريخ كتابتها لإعلانها للجمهور، على أسا تشكك فيها من وجهة أخرى، وذلك لما نراه عليها من مسحة الكتابة الفنية المنسقة .

## ٦٨ - ابن عتبة يعزى المهدي ويهنئه

لما توفى المنصور دخل ابن عتبة<sup>(١)</sup> مع الخطباء على المهديّ ، فسلم فقال :  
« آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك الله لأmir المؤمنين فيما  
خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عظمي  
أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين ، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ،  
وأحتسب عند الله أفضل الرزية » . ( البيان والنبين ٢ : ١٠٣ ، والقدر الفريد ٢ : ٣٥ )

## ٦٩ - يعقوب بن داود يستعطف المهدي

لما سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود<sup>(٢)</sup> أحضره ، فقال : يا يعقوب ، قال :  
لبيك يا أمير المؤمنين ، تلبية مكروب لوجدتك ، شريقي بغصتكم ، قال : « ألم أرفع  
قدرك وأنت خامل ، وأسير ذكرك وأنت هامل ، وألبسك من نعم الله تعالى  
ونعمي ما لم أجذ عندك طاقة لحمله ، ولا قياما بشكره ؟ فكيف رأيت الله تعالى  
أظهر<sup>(٣)</sup> عليك ، وردّ كيدك إليك ! » .

قال : « يا أمير المؤمنين ، إن كنت قلت هذا بتيقن وعلم فإني معترف ، وإن  
كان بسعاية الباعين ، ونمائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ، وأنا حائذ  
بكرمك ، وعميم شرفك » .

[١] وفي القدر الفريد « أبو العيناء المحدث » .

[٢] وكان المهدي قد فوض إليه الأمور كلها ، وسلم إليه الدواوين ، وقدمه على جميع الناس ، ثم سخط  
عليه . وسبب ذلك أنه دفع إليه رجلا من العلويين ، وقال له : أحب أن تكفيني أمره ، فلما صار العلوي في  
يده ، قال له : يا يعقوب تلقى الله بدمي ، وأنا ابن علي بن أبي طالب ، وابن فاطمة رضى الله عنها ، وليس  
لي إليك ذنب ؟ فرق له ، وخلى سبيله ، ونمى الخبر إلى المهدي ، فأرسل في طلب العلوي حتى ظهر به ،  
واستدعى يعقوب ، فقال : ما فعلت بالعلوي ؟ قال : قد أراح الله منه أمير المؤمنين ، قال : مات ؟ قال :  
نعم ، فاستحلقت ، خلف له ، فأخرج إليه العلوي ، فلم يجر جوابا ، فأمر بحبسها في بئر مظلمة ، وما زال  
محبوسا حتى عفا عنه الرشيد وتوفى سنة ١٨٦ هـ . [٣] أي أطان عليك .

فقال : لولا الحنث<sup>(١)</sup> في دمك لألبستك قميصاً لا تشد عليه أزراراً ، ثم أمر به إلى السجن ، فتولى وهو يقول : «الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والمودة رحيم ، وما على العفو ندم ، وأنت بالعفو جدير ، وبالمحاسن خَلِيق » ، فأقام في السجن إلى أن أخرجه الرشيد . ( زهر الآداب ٣ : ٢٠٧ )

## ٧٠ - رجل من أهل خراسان يخطب بحضرة المهدي

وقدّم على المهدي رجل من أهل خراسان ، فقال : « أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، إناقوم نأيناً عن العرب ، وشغلتنا الحروبُ عن الخطب ، وأمير المؤمنين يعلم طاعتنا ، وما فيه مصلحتنا ، فيكتفي منا باليسير عن الكثير ، ويقتصر على ما في الضمير ، دون التفسير » ، فقال المهدي : أنت أخطب من سمعته .  
( الصناعتين ص ٤٠ )

## ٧١ - مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

دخل صالح بن عبد الجليل على المهدي ، فسأله أن يأذن له في الكلام ، فقال : تكلم ، فقال :

« إنه لما سهّل علينا ما توعدّ على غيرنا من الوصول إليك ، قننا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي ، عند انقطاع عُذر الكِثْمان ، ولاسيما حين اتّسمت بميسم التواضع ، ووعدت الله وحملة كتابه إيثار الحق على ما سواه ، فجمّعنا وإياك مشهد من مشاهد التحيص ، ليتم مؤدّينا على موعود الأداء عنهم ، وقابلنا على موعود القبول ، أو يزيدنا تحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ، ويحلّينا حلية

[١] في الأصل « الحسب » وأرى أنها معرفة من « الحنث » وهو الذنب العظيم والإثم .

الكذابين ، فقد كَانَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « من حَجَّبَ اللهُ عنه العِلْمَ ، عَذَّبَهُ على الجهل ، وَأشدُّ منه عذاباً مَنْ أَقبل إليه العلم وأدْبَرَ عنه ، ومن أَهدى اللهُ إليه علماً فلم يَعْمَلْ به ، فقد رَغِبَ عن هدية الله وقصَّرَ بها ، فأقبلَ ما أَهدَى اللهُ إليك من ألسنتنا ، قبولَ تحقيقِ وعملِ ، لا قبولَ سُمعةٍ ورياءٍ ، فإنه لا يَعْدَمُك منا إعلامٌ لِمَا تَجْهَلُ ، أو مُواطأة على ما تَعْلَمُ ، أو تذكير لك من غفلةٍ ، فقد وَطَّنَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيه عليه الصلاة والسلام على نزولها ، تعزيةً عما فات ، وَتحصيناً من التمادى ، ودلالة على المخرج ، فقال : « وَإِذَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » فَأُطِيعَ اللهُ على قلبك ، بما ينورُ اللهُ به القلوبَ ، من إيثار الحق ، ومنابطة الأهواء فإنك إن لم تفعل ذلك ، يُرْ أترك وَأمرُ اللهُ عليك فيه ، وَلَا حول ولا قوة إلا بالله .

( العقد الفريد ١ : ٣٠٣ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٨١ )

### ٧٢ — عظة شيبب بن شيبب للمهدى

وَقَالَ شَيْبِبُ بْنُ شَيْبَةَ <sup>(١)</sup> للمهدى : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ اللهُ إِذْ قَسَمَ الأقسامَ فى الدنيا ، جعل لك أسنانها وأعلاها ، فلا ترضَ لنفسك من الآخرة ، إلا مِثْلَ ما رضى لك به من الدنيا ، فأوصيك بتقوى الله ، فعليكم نزلت ، ومنكم أُخِذت ، وَإِلَيْكُمْ تُرِدُّ » . ( العقد الفريد ١ : ٣٠٧ )

### ٧٣ — خطبته فى تعزية المهدي بابنته

لما ماتت الباتوقة بنت المهدي ، جَزِعَ عليها جزعاً لم يُسمع بمثله ، فجلس للناس يعزونه ، وأمر الأئمة يُحجَّب عنه أحد ، فأكثر الناس فى التعازى ،

[١] هو شيبب بن شيبب بن عبد الله بن عمرو بن الأتم الميمى وهو ابن عم خالد بن صفوان .



وَاجْتَهَدُوا فِي الْبَلَاغَةِ ، وَفِي النَّاسِ مَنْ يَنْتَقِدُ هَذَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا تَعْزِيَةً أَوْجَزَ ، وَلَا أَبْلَغَ ، مِنْ تَعْزِيَةِ شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ ، فَإِنَّهُ قَالَ :

« أَعْطَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا رُزِئْتَ أَجْرًا ، وَأَعَقَبَكَ صَبْرًا ، وَلَا أَجْهَدَ اللَّهُ بِلَاءَكَ بِنِقْمَةٍ ، وَلَا تَنْزِعَ مِنْكَ نِعْمَةً ، ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهَا ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَهَا مِنْكَ ، وَأَحَقُّ مَا صُبِرَ عَلَيْهِ مَا لَسَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ <sup>(١)</sup> » .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢١ )

#### ٧٤ — خطبة أخرى له في مدح الخليفة

قِيلَ لِبَعْضِ الْخُلَفَاءِ إِنْ شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ يَسْتَعْمَلُ الْكَلَامَ وَيَسْتَعِدُّ لَهُ ، فَلَوْ أَمَرْتَهُ أَنْ يَصْعَدَ الْمُنْبَرِ فَمَا لَرَجُوتَ أَنْ يَفْتَضِحَ ، فَأَمَرَ رَسُولًا فَاخْذُ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَمْ يَفَارِقْهُ حَتَّى صَعِدَ الْمُنْبَرِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقَّ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَلَا إِنْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَشْبَاهًا أَرْبَعَةً : الْأَسَدَ الْخَادِرَ <sup>(٢)</sup> ، وَالْبَحْرَ الزَّاخِرَ ، وَالْقَمَرَ الْبَاهِرَ ، وَالرِّيْعَ النَّاضِرَ ؛ فَأَمَّا الْأَسَدُ الْخَادِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ صَوْلَتَهُ وَمَضَاءَهُ ؛ وَأَمَّا الْبَحْرُ الزَّاخِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ جُودَهُ وَعِطَاءَهُ ؛ وَأَمَّا الْقَمَرُ الْبَاهِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ نُورَهُ وَضِيَاءَهُ ؛ وَأَمَّا الرِّيْعُ النَّاضِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ مَحْسَنَهُ وَبِهَاءَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَمَوْقِفٍ مِثْلَ حَدِّ السِّيفِ قَتُّهُ بِهِ      أَحْمِي الذَّمَّارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ <sup>(٣)</sup>  
فَبَا زَلِقْتُ ، وَمَا أَلْقَيْتُ كَاذِبَةً      إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلِقُوا

( العقد الفريد ٢ : ١٥٨ ، ١ : ١٣٨ ، زهر الآداب ٣ : ٢٠٩ )

[١] روى صاحب العقد أن شيبيا عزي بهذا المقال المنصور على أخيه أبي العباس (العقد الفريد ٢: ٣٥).  
[٢] الحدير : أجة الأسد ومنه يقال أسد خادر ، وأخدر الأسد لزم الأجة . وأحدر العرين الأسد : ستره فهو مخدر بكسر الهمزة وفتحها . [٣] الذمار : ما تجب حمايته .

## ٧٥ - كلمات لشيب بن شيبه

وقال شيب : « اطلب الأدب ، فإنه دليل على المروءة ، وزيادة في العقل ، وصاحب في العزبة ، وصلة في المجلس » .

وقال للمهدى يوماً : « أراك الله في بنيك ، ما أرى أباك فيك ، وأرى الله

بنيك فيك ، ما أراك في أيك » . ( البيان والتبيين ١ : ١٩٠ )

وخرج من دار الخلافة يوماً ، فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال :

« رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً » .

( البيان والتبيين ١ : ١٩٠ ، وزهر الآداب ٣ : ١٢٩ )

## ٧٦ - خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب

يوم ولي الرشيد الخلافة

روى الطبرى قال : لما كانت الليلة التي توفي فيها موسى الهادى ، أخرج

هرثة بن أعين هرون الرشيد ليلاً ، فأقعدته للخلافة ، فدعا هرون يحيى بن خالد

ابن برمك - وكان محبوباً - وقد كان عزم موسى على قتله ، وقتل هرون الرشيد

في تلك الليلة<sup>(١)</sup> ، فحضر يحيى ، وتقلد الوزارة ، ووجه إلى يوسف بن القاسم بن

صبيح الكاتب ، فأحضره وأمره بإنشاء الكتب ، فلما كان غداة تلك الليلة

وحضر القواد ، قام يوسف بن القاسم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد

صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إن الله بمنته ولطفه ، منّ عليكم معاشر أهل بيت نبيه ، بيت الخلافة ،

[١] وكان الهادى يريد أن يجعل الخلافة في ابنه جعفر ، ويخلع أخاه هرون . وسمى إلى الهادى يحيى

ابن خالد ، وقيل له إنه ليس عليك من هرون خلاف ، وإنما يفسده يحيى بن خالد ، فأغضب ذلك موسى

الهادى على يحيى وأمر بحبسه .

وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَإِيَّاكُمْ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْ أَنْصَارِ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانَ الدَّعْوَةِ ، مِنْ نِعْمِهِ  
الَّتِي لَا تَحْصَى بِالْعَدَدِ ، وَلَا تَنْقُضِي مَدَى الْأَبَدِ ، وَأَيَادِيهِ التَّامَةَ ، أَنْ جَمَعَ الْفِتْمَ ،  
وَأَعْلَى أَمْرِكُمْ ، وَشَدَّ عَضُدَكُمْ ، وَأَوْهَنَ عَدُوَكُمْ ، وَأَظْهَرَ كَلِمَةَ الْحَقِّ ، وَكُنْتُمْ أَوْلَى  
بِهَا وَأَهْلَهَا ، فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، فَكُنْتُمْ أَنْصَارَ دِينِ اللَّهِ الْمَرْضَى ،  
وَالذَّابِّينَ بِسَيْفِهِ الْمُنْتَضَى ، عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِكُمْ اسْتَنْقَذَهُمْ  
مِنْ أَيْدِي الظُّلْمَةِ أُمَّةَ الْجَوْرِ ، وَالنَّاقِضِينَ عَهْدَ اللَّهِ ، وَالسَّافِكِينَ الدَّمَ الْحَرَامَ ،  
وَالْآكِلِينَ النَّفْيَ وَالْمُسْتَأْثِرِينَ بِهِ ، فَاذْكُرُوا مَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ ،  
وَاحذَرُوا أَنْ تَغَيَّرُوا فِيغَيَّرَ بِكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ جَلٌّ وَعَزٌّ اسْتَأْثَرَ بِخَلِيفَتِهِ مُوسَى الْهَادِيَ  
الْإِمَامَ ، فَقَبِضَهُ إِلَيْهِ ، وَوَلَّى بَعْدَهُ رَشِيدًا مَرْضِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُمْ رَجَاءً وَفَاءً رَحِيمًا ،  
مِنْ مُحْسِنِكُمْ قَبُولًا ، وَعَلَى مَسِيئِكُمْ بِالْعَفْوِ عَطُوفًا ، وَهُوَ أَمْتَعَهُ اللَّهُ بِالنِّعْمَةِ ، وَحَفِظَ  
لَهُ مَا اسْتَرْعَاهُ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا تَوَلَّى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ ،  
يَعِدُّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ الرَّأْفَةَ بِكُمْ ، وَالرَّحْمَةَ لَكُمْ ، وَقَسَمَ أَعْطِيَاتِكُمْ فِيكُمْ عِنْدَ اسْتِحْقَاقِكُمْ ،  
وَيَبْذُلُ لَكُمْ مِنَ الْجَائِزَةِ ، مِمَّا آفَأَ اللَّهُ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، مِمَّا فِي بَيْوتِ الْمَالِ مَا يَنْوِبُ عَنْ  
رِزْقِ كَذَا وَكَذَا شَهْرًا ، غَيْرَ مُقَاضٍ لَكُمْ بِذَلِكَ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَعْطِيَاتِكُمْ ،  
وَحَامِلًا بَاقِيَ ذَلِكَ لِلدَّفْعِ عَنْ حَرِيمِكُمْ ، وَمَا لَعَلَّ أَنْ يَحْدُثَ فِي النُّوَاحِي وَالْأَقْطَارِ  
مِنَ الْعُصَاةِ الْمَارِقِينَ ، إِلَى بَيْوتِ الْأَمْوَالِ ، حَتَّى تَعُودَ الْأَمْوَالُ إِلَى جِهَاتِهَا <sup>(١)</sup>  
وَكَثُرَتْهَا ، وَالْحَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَجَدُّوا شُكْرًا يُوجِبُ لَكُمْ  
الْمَزِيدَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكُمْ ، بِمَا جَدَّدَ لَكُمْ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَفَضَّلَ بِهِ  
عَلَيْكُمْ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ ، وَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ لَهُ فِي الْبَقَاءِ ، وَلَكُمْ بِهِ فِي إِدَامَةِ النِّعْمَاءِ ،

لعلكم ترحمون ، وأعطوا صَفْقَةَ أَيْمَانِكُمْ ، وقوموا إلى بيعتكم ، حاطكم الله وحاء  
عليكم ، وأصلح بكم وعلى أيديكم ، وتولاكم وِلَايَةَ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ .

( تاريخ الطبرى ١٠ : ٤٨ )

## ٧٧ - خطبة هرون الرشيد ( توفى سنة ١٩٣ هـ )

« الحمد لله نعمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ،  
ونؤمن به حقا ، وتوكل عليه ، مَفْوَضِينَ إِلَيْهِ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وَحْدَهُ  
لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه على قَفَرَةٍ من الرسل ،  
وَدُرُوسٍ <sup>(١)</sup> من العلم ، وإدبارٍ من الدنيا ، وإقبالٍ من الآخرة ، بشيراً بالنعيم  
المقيم ، ونذيراً بين يدي عذاب أليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله ،  
فَأَدَّى عن الله وعده ووعيده ، حتى أتاه اليقين ، فعلى النبي من الله صلاة  
ورحمة وسلام .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف  
الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاةً من النار ، وَأَحْذَرُكُمْ يَوْمًا تَشْخَصُ <sup>(٢)</sup> فِيهِ  
الْأَبْصَارُ ، وَتُعْلَمُن فِيهِ الْأَسْرَارُ ، يوم البعث ، ويوم التناوب <sup>(٣)</sup> ، ويوم التلاق ،  
ويوم التناد ، يوم لا يُسْتَعْتَبُ من سيئة ، ولا يُزْدَادُ من حسنة ، يوم الْآزِفَةِ <sup>(٤)</sup> .  
إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ .  
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ <sup>(٥)</sup> وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ  
ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

[١] «دروس : اعاء . [١] شخص بصره كنع : فتح عينيه ، وجعل لا يطرف .

[٢] يوم القيامة ، وسمى بذلك لأن أهل الجنة تنبئ فيه أهل النار بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا .

[٣] القيامة ، من أذف كفرح : دنا وقرب . [٤] بمسارقتها النظر إلى الحرم .

عباد الله : إنكم لم تُخلَقُوا عبثاً ، ولن تُتركوا سُدَى ، حصَّنوا إيمانكم بالأمانة ،  
ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا  
زكاة له » . إنكم سَفَرٌ<sup>(١)</sup> مجتازون ، وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار  
بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة ،  
فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للتائبين ، وهذا للمُتَّيِّبِينَ .  
قال الله عز وجل وقوله الحق : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ  
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ، وقال : « وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
ثُمَّ اهْتَدَى » وإياكم والأمانى ، فقد غرَّت وأرذت<sup>(٢)</sup> ، وأوبقت كثيراً ، حتى  
أكذبتهم مناياهم ، فتناوشوا<sup>(٣)</sup> التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما  
يشتَهُونَ ، فأخبركم ربكم عن المثلات فيهم ، وصرَّف الآيات ، وضرب الأمثال ،  
فرغَّب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعهم بالقرون الخوالي جيلاً جديلاً ،  
وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر ، باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن  
بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزال عنهم الدنيا ،  
وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب والعقاب ،  
« لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ، إن أحسن  
الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ؛ يقول الله عز وجل « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ  
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه

[١] جاعة المسافرين . [٢] أهلكت وكنا أوبقت . [٣] تناولوا

هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . آمُرُكُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . (العقد الفريد ٢ : ١٤٧)

### ٧٨ — وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

ووصى الرشيد مؤدب ولده الأمين ، فقال :

« يَا أَحْمَرُ<sup>(٢)</sup> ، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مَهْجَةً نفسه ، وَثَمَرَةَ قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطةً ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيثُ وضعتُ أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وَعَرِّفْهُ الأخبار ، وَرَوِّهِ الأشعار ، وَعَلِّمَهُ السنن ، وَبَصِّرْهُ بمواقع الكلام وَبَدِّئْهُ ، وامنعهُ من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، وَرَفَعْ مَجَالِسِ القواد إذا حَضَرُوا مجلسه ، وَلَا تَمَرَّنْ بِكَ ساعةً إلا وَأَنْتَ مَغْتَمٌّ فائدةً تُفيدُهُ إياها ، من غير أن تُحْزِنَهُ ، فَتُمِيتَ ذَهَنَهُ ، وَلَا تُتَمَعِّنَ فِي مساحته ، فيستحلي الفراغَ وَيَأْلَفَهُ ، وَقَوْمَهُ ما استطعتَ بالقرب والملاينة ، فَإِنَّ أَبَاهَا فعليك بالشدة والغلظة » . (مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٢)

### ٧٩ — خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي (قتل سنة ١٨٧ هـ)

وهاجت العصبية بالشأم بين أهلها في عهد الرشيد (سنة ١٨٠ هـ) وتفاقم أمرها ، فاغتم لذلك الرشيد ، وَعَقَدَ لجعفر بن يحيى على الشأم ، وقال له : إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا ، فقال له جعفر : بل أفيك بنفسى ، فشخص في جِلَّةِ القواد بالكراع والسلاح ، فَأَتَاهُمْ فَأَصْلَحَ بينهم ، وَقَتَلَ زَوَاقِلَهُمْ<sup>(٢)</sup> وَالتلصصة منهم ، لَمْ يَدْعُ بِهَا رِمْحًا وَلَا فَرَسًا ، فعادوا إلى الأمن وَالطمأنينة ، وَأَطْفَأَ تلك النَّارَةَ .

[١] هو علي بن المبارك الأحر صاحب الكسائي ، وكان يؤدب الأمين ، وكان مشهوراً بالنحو واتساع لفظه ، ومات سنة ٢٠٦ ، أو سنة ٢٠٧ . انظر ترجمته في «نزهة الألبا في طبقات الأدبا» ص ١٢٥ .

[٢] الزواقيل : الصمصم .

فلما قَدِمَ على الرشيد دخل عليه، فقبَّل يديه وَرِجْلِيه، ثم مَثَلَ بين يديه، فقال :  
« الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي آانسَ وَحَشْتِي ، وَأَجابَ دَعْوَتِي ، وَرَحِمَ  
تَضَرُّعِي ، وَأَنسَأَ <sup>(١)</sup> في أَجْلِي ، حتى أَرَانِي وَجْهَ سَيِّدِي ، وَأَكْرَمَنِي بِقُرْبِهِ ، وَامْتَنَّ  
عَلَيَّ بِتَقْبِيلِ يَدِهِ ، وَرَدَّنِي إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَذْكَرُ غَيْبَتِي عَنْهُ ،  
وَمَخْرَجِي وَالْمَقَادِيرَ الَّتِي أَزَعَجْتَنِي ، فَأَعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ بِمَعَاصِي لِحَقَّتِي ، وَخَطَايَا أَحَاطَتْ  
بِي ، وَلَوْ طَالَ مُقَامِي عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - لِحَفْتُ أَنْ يَذْهَبَ  
عَقْلِي ، إِشْفَاقًا عَلَى قُرْبِكَ ، وَأَسَفًا عَلَى فِرَاقِكَ ، وَأَنْ يَعَجَّلَ بِي عَنْ إِذْنِكَ  
الاشْتِيَاقُ إِلَى رُؤْيَيْكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنِي فِي حَالِ الْغَيْبَةِ ، وَأَمْتَعَنِي بِالْعَافِيَةِ ،  
وَعَرَّفَنِي الْإِجَابَةَ ، وَمَسَّكَنِي بِالطَّاعَةِ ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْمَعْصِيَةِ ، فَلَمْ  
أَشْخَصْ إِلَّا عَنْ رَأْيِكَ ، وَلَمْ أَقْدَمْ إِلَّا عَنِ إِذْنِكَ وَأَمْرِكَ ، وَلَمْ يَخْتَرِمْنِي أَجَلٌ  
دُونِكَ ، وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَلَا أَعْظَمَ مِنَ الْيَمِينِ بِاللَّهِ - لَقَدْ عَايَنْتُ مَا لَوْ  
تُعْرَضُ لِي الدُّنْيَا كُلُّهَا ، لَخْتَرْتُ عَلَيْهَا قُرْبَكَ ، وَلَمَّا رَأَيْتَهَا عِوَضًا مِنْ  
الْمَقَامِ مَعَكَ »

ثم قال له بعقب هذا الكلام في هذا المقام :

« إِنْ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَزَلْ يُبَلِّغُكَ <sup>(٢)</sup> فِي خِلَافَتِكَ ، بِتَدْرِ مَا يَعْلَمُ مِنْ  
نِيَّتِكَ ، وَيُرِيكَ فِي رِعْيَتِكَ ، غَايَةَ أَمْنِيَّتِكَ ، فَيُصْلِحُ لَكَ جَمَاعَتَهُمْ ، وَيُجْمَعُ  
أَلْفَتَهُمْ ، وَيَلْمُ شَعَثَهُمْ ، حِفْظًا لَكَ فِيهِمْ ، وَرَحْمَةً لَهُمْ ، وَإِنَّمَا هَذَا لِلتَّمَسُّكِ  
بِطَاعَتِكَ ، وَالِاعْتِصَامِ بِحَبْلِ مَرَضَاتِكَ ، وَاللَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ مُسْتَحِقُّهُ ،  
وَفَارَقْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ كَوْرِ الشَّامِ وَهُمْ مَنْقَادُونَ لِأَمْرِكَ ، نَادِمُونَ عَلَى

ما فرط من معصيتهم لك ، متمسكون بجنبك ، نازلون على حُكْمِكَ ، طالبون لعفوك ، واثقون بحلمك ، مؤملون فضلك ، آمنون بادرتك ، حالهم في اتلافهم كحالهم كانت في اختلافهم ، وحالهم في ألفتهم كحالهم كانت في امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم ، وتعمده <sup>(١)</sup> لهم ، سابق لمعذرتهم ، وصلة أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم ، متقدم عنده لسألتهم ، وإيم الله يا أمير المؤمنين لئن كنت قد شخّصت عنهم ، وقد أخذ الله شرارهم ، وأطفأ نارهم ، ونقى مُراقهم <sup>(٢)</sup> ، وأصلح دهماءهم <sup>(٣)</sup> ، وأولاني الجليل فيهم ، ورزقني الانتصار منهم ، فإذ ذلك كله : إلا يبركتك ويمنك ويريحك <sup>(٤)</sup> ، ودوام دوتك السعيدة الميمونة الدائمة ، وتخوفهم منك ، ورجائهم لك ، والله يا أمير المؤمنين ما تقدمت إليهم إلا بوصيتك ، وما عاملتهم إلا بأمرك ، ولا سيرت فيهم إلا على حد ما مثلته لي ورسمته ، ووقفني عليه ، ووالله ما انقادوا إلا لِدَعْوَتِكَ ، وتوحد <sup>(٥)</sup> الله بالصنع لك ، وتخوفهم من سطوتك ، وما كان الذي كان مني ، وإن كنت قد بذلت جهدي ، وبلغت مجهودي ، قاضيا بعض حَقِّكَ عليّ ، بل ما ازدادت نعمتك عليّ عظما ، إلا ازددت عن شكرك عجزاً وضعفا ، وما خلق الله أحداً من رعيته ، أبعد من أن يُطْمِع نفسه في قضاء حَقِّكَ مني ، وما ذلك إلا أن أكون باذلاً مُهْجَتِي في طاعتك ، وكل ما يقرب إليّ موافقتك ، ولكنني أعرف من أيديك عندي ما لا أعرف مثلها عند غيري ، فكيف بشكري ! وقد أصبحت واحداً أهل دهرى ، فيما صنعته فيّ وبني ؟ أم كيف بشكري ! وإنما أقوى على شكرك يا كرامك

[١] تمدد الله برحمته : عمره بها . [٢] جمع مارق : وهو الخارج الحائد .

[٣] الدهماء : جماعة الناس . [٤] قوتك .

[٥] توحدته الله تعالى بصمته : عصمه ولم يكله إلى غيره .



إيأى ؟ ، وكيف بشكري ! ولو جعل الله شكري في إحصاء ما أوليتنى ، لم يأتِ على ذلك عدى ؟ وكيف بشكري ! وأنت كهفى دون كل كهف لى ؟ وكيف بشكري ! وأنت لا ترضى لى ما أرضاه لى ؟ وكيف بشكري ! وأنت تجدد من نعمتك عندى ما يستغرق كل ما سلف عندك لى ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تُدسِنى ما تقدم من إحسانك إلى ، بما تُجدده لى ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تقدمنى بطوك على جميع أكفائى ؟ أم كيف بشكري ! وأنت وائى ؟ أم كيف بشكري ! وأنت المكرم لى ؟ وأنا أسأل الله الذى رزقنى ذلك منك من غير استحقاقٍ له - إذ كان الشكر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه ، بل دون شقوص<sup>(١)</sup> من عشر عشيره - أن يهولى مكافأتك عنى ، بما هو أوسع له وأقدر عليه ، وأن يقضى عنى حقك ، وجيل مننتك ، فإن ذلك بيده ، وهو القادر عليه .

( تاريخ الطبرى ١٠ : ٦٦ )

## ٨٠ - استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشيد

روى صاحب العقد قال :

« كانت أم جعفر بن يحيى<sup>(٢)</sup> - وهى فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة - أرضعت الرشيد مع جعفر ، لأنه كان رُبى فى حجرها ، وغذى برسئها<sup>(٣)</sup> ، لأن أمه ماتت عن مهده ، فكان الرشيد يشاورها مظهرًا لإكرامها ، والتبرك برأيها ، وكان آلى وهو فى كفالتها أن لا يحجبها ، ولا استشفعتة لأحد إلا

[١] الشقص : السهم والنصيب ، والعشير : جزء من عشرة كالمشار والعشر .

[٢] كان البرامكة قد استأثروا بشئون الدولة وأموالها ، وغلبوا الرشيد على سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف فى ملكه ، ولم يبق له من الخلافة إلا رسمها وصورتها - وحديثهم فى ذلك طويل ، ليس هاهنا موضعه - فمزم على نكبتهم ، حتى انتهب فرصة رجوعه معهم من الحج سنة ١٨٧ ، فقتل جعفرًا ليلا فى طريقه ، وقبض على يحيى وابنه الفضل وبقية البرامكة ، وحبسهم فى سجن الرنادقة إلى أن ماتوا فيه ، واستصنى أموالهم وضياعهم . [٣] الرسل : اللب .

شفعها ، وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مأذونا لها ، ولا شفعت لأحدٍ مقترف ذنباً ، فكم أسير فككت ، ومُبهَم عنده فتحت ، ومستغلق منه فرجت ، واحتجب الرشيد بعد قدومه <sup>(١)</sup> ، فطلبت الإذن عليه من دار الباقونة ، ومثت <sup>(٢)</sup> بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفةً وجهها ، واضعةً لثامها ، محتفية <sup>(٣)</sup> في مشيها ، حتى صارت بباب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظُر <sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين بالباب ، في حالة تقلب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك ! أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال : أدخلها يا عبد الملك ، فرب كبد غذتها ، وكربة فرجتها ، وعوزة سترتها ، فدخلت فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية ، قام محتفياً حتى تلقاها بين عمدة المجلس ، وأكب على تقبيل رأسها ، ومواضع ثديها ، ثم أجلسها معه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أيعذو علينا الزمان ، ويحفونا خوفاً لك الأعوان ، ويحردك <sup>(٥)</sup> بنا البهتان ، وقد ريبتك في حجرى ، وأخذت برضاعك الأمان من عدوى ودهرى ؟ فقال لها : وما ذلك يا أم الرشيد ، قالت : ظنرك يحيى ، وأبوك بعد أيبك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ، من نصيحته ، وإشفاقه عليه ، وتعرضه للحنف في شأن موسى أخيه <sup>(٦)</sup> ، قال لها : يا أم الرشيد ، أمره

[١] أى من الحج . [٢] توسلت . [٣] احتق : مشى حافياً .

[٤] الطثر : العاطفة على ولد غيرها ، المرصعة له ، فى الناس وغيرهم ، للذكر وللأنثى .

[٥] يفضبك . [٦] قدمنا أن الهادى كان قد اعترم خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد ، واستخلاف ابنه جعفر ، وقد سمي إلى الهادى يحيى بن خالد ، وأنه يفسد عليه أخاه الرشيد ، حبسه وتم بقتله ، ويروى أنه قال للهادى فى خلع الرشيد لما كلفه فيه : « يا أمير المؤمنين ، إنك إن حملت الناس على نكت الأيمان ، هانت عليهم أمانتهم ، وإن تركتهم على بيعة أخيك ، ثم باءت لجعفر من بعده كان

سَبَقَ ، وقضاء حُمٍّ<sup>(١)</sup> ، وغضب من الله تَفَدَّ ، قالت : يا أمير المؤمنين « يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ<sup>(٢)</sup> » قال : صدقتِ فهذا مما لم يَمْحُوهُ اللهُ ، فقالت : الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟ فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

« وَإِذَا الْمَنِيَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ<sup>(٣)</sup> »

فقالت بغير روية : ما أنا ليحيي بتيمية يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول<sup>(٤)</sup> وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قول الله عز وجل : « وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . فأطرق هرون ملياً ، ثم قال : يا أم الرشيد أقول :

إِذَا انصرفتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْذُ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبَلُ فقالت يا أمير المؤمنين وأقول :

سَتَقَطُّعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي عِيْنِكَ فَانظُرْ أَيُّ كَفٍّ تَبَدَّلُ<sup>(٥)</sup>

ذلك أوكد لبيعته « فقال : صدقت ونصحت ، ولى في هذا تدبير ، ولما أمر بحبسه رفع إليه بحبي رقعة . إن عندي نصيحة ، فدا به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخلى ، وأخلاه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن كان الأمر — أسأل الله ألا نبلغه ، وأن يقدمنا قبله — أتظن أن الناس يسلمون الخليفة لجعفر ، وهو لم يبلغ الحلم ، ويرضون به لصلاتهم وحجهم وعزوم ؟ قال : والله ما أظن ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ، أفأنتم أن يسموا إليها أهلك ، وجلتهم مثل فلان وفلان ، ويطمع فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أبيك ؟ فقال له : نهيتني يا يحيى « وقال له : لو أن هذا الأمر لم يعقد لأخيك ؟ أما كان ينبغي أن تمقده له ؟ فكيف بأن تحله عنه ، وقد عقده المهدي له ؟ ولكن أرى أن تقر هذا الأمر يا أمير المؤمنين على حاله ، فإذا بلغ جعفر وبلغ الله به ، أتيت به بالرشيد تفلح نفسه ، وكان أول من يبایعه ويعطيه صفقة يده ، قيل فقبل الهادي قوله ورأيه وأسر باطلاقه . [١] حمّ : قدر . [٢] أم الكتاب : أصله ، أو اللوح المحفوظ .

[٣] التمام جمع تيمية : وهي العوذة التي تعلق على الصبي دفعا للعين ، أو الارض والبيت لأب ، ذؤيب الهذلي .

[٤] هو الأخطل . [٥] هذا البيت والذي قبله من قصيدة لمن بن أوس المزني مطلعها :

لمرك ما أدري ، ولاني لأوجل على أينما تعدو المنية أول ؟ .

قال هرون : رضيت ، قالت : فتهبُ لى يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك شيئاً لله ، لم يُوجدْهُ <sup>(١)</sup> الله لِفَقْدِهِ » فأكبَّ هرون ملياً ، ثم رفع رأسه يقول : « لِيهِ الْأُمُورُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ » قالت يا أمير المؤمنين : « وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » ، واذكر يا أمير المؤمنين أَلَيْتَكَ <sup>(٢)</sup> ما استشفعتُ إلا شفَّعتنى . قال : واذكرى يا أم الرشيد أَلَيْتَكَ أَنْ لَا شَفَعْتَ لِمُقْتَرِفٍ ذَنْبًا ، فلما رآته صرَّحَ بمنعها ، ولاذ <sup>(٣)</sup> عن مطلبها ، أخرجت حُقًّا من زُمُرُودَ <sup>(٤)</sup> خضراء ، فوضعتَه بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قُفْلًا من ذهب ، فأخرجت منه خَفَضَتَهُ <sup>(٥)</sup> وذوائبه وثناياه ، قد غمست جميع ذلك فى المسك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صارمى من كريم جسدك ، وطيب جوارحك ، ليحىي عبدك ، فأخذ هرون ذلك فليثمه ، ثم استعبر وبكى بكاءً شديداً ، وبكى أهل المجلس ، ومرَّ البشير إلى يحيى ، وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ، ورجوع عنه ، فلما أفاق رى جميع ذلك فى الحق ، وقال لها : لِحَسَنٍ مَا حَفِظْتَ الْوَدِيمَةَ ، قالت : وأهلٌ للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين ، فسكت وأقبل الحق ، ودفعه إليها ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » قالت : والله يقول : « وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » ، ويقول : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ » ، ثم قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت لى به ألا تحجبنى ولا تتمتهنى <sup>(٦)</sup> ؟ قال : أحب يا أم الرشيد

[١] أى يحزنه . [٢] الآية : القسم . [٣] أى لم يجبه . [٤] الرمرد والزمرد بالبدال والذال . [٥] خفض الجارية كضرب خفضاً ، وهو كالحنان للسلام ، وقيل : خفض الصبي خفته ، فاستعمل فى الرجل ، والأعراف أن الحفض للرأى والحنان للصبي ، يقال للجارية خفضت ، والغلام ختن . [٦] امتننه : ابتذله .

أن نشتريه محكمة فيه . قالت : أنصفت يا أمير المؤمنين ، وقد فعلت غير مستقيمة لك ، ولا راجعة عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضاك عمن لم يُسَخِّطْكَ ، قال : يا أم الرشيد أما لي عليك من الحق مثل الذي لهم ؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين ، أنت أعزُّ عليّ ، وهم أحبُّ إليّ . قال : فتحكمتي في تمنية بغيرهم ، قالت : بلى قد وهبتك ، وجعلتك في حلٍ منه ، وقامت عنه ، وبقى مبهوتاً ما يجير<sup>(١)</sup> لفظة .

( العقد الفرید ٣ : ٢٣ )

### ٨١ - خطبة يزيد بن مزيد الشيباني

لما رضى الرشيد عن يزيد بن يزيد<sup>(٢)</sup> أذن له بالدخول عليه ، فلما مثل بين يديه قال : « يا أمير المؤمنين ، الحمد لله الذي سهّل لي سبيل الكرامة بلقائك ، وردّ عليّ النعمة بوجه الرضا منك ، وكشف عني ضبابة الكرب بإفضالك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين في حال سُخْطِكَ جزاء المحسنين المراقبين ، وفي حال رضاك جزاء المنعمين الممتنين المتطولين ، فقد جعلك الله - وله الحمد - تثبت<sup>(٣)</sup> تحرجاً عند الغضب ، وتمنّ تطوُّلاً بالنعم ، وتسبق المعروف عند الصنائع<sup>(٤)</sup> تفضلاً بالعفو . »

( العقد الفرید ١ : ١٤١ ، وتاريخ الطبرى ١٠ : ١١٧ وزهر الآداب ٢ : ٢٨٧ )

[١] يجير : يرد . [٢] وذلك أن الوايد بن طريف الشارى خرج في عهد الرشيد بالجزيرة ، واشتدت شوكته ، وكثر تبعه سنة ١٧٩ ، فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني ، فجعل يحاطله ويتأكراه ، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد ، فأغروا به الرشيد ، وقالوا : إنما يتجاق عنه للرحم (لأنه شيباني مثله) وإلافشوكه الوليد يسيرة وهو يواعد ، وينتظر ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب منضبط ، يقول فيه : « لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرجت مناخرة الوليد ، ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين » ثم حمل يزيد على الوايد وقتله وبعث برأسه إلى الرشيد ، فلما انصرف يزيد بالطرف ، حجج برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه ، فقال : وحق أمير المؤمنين لأصيفن وأشتون على فرسى أو أدخل ، فارتفع الخبر بذلك فأذن له فدخل ، فلما رآه الرشيد ضحك وسر ، وأقبل يصيح مرحباً بالأعرابي ، حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه وبقائه صمدره ( راجع أخباره في الأغاني ١١ : ٨ ، وابن خلكان ٢ : ٢٨٣ ، والطبرى ١٠ : ٦٥ ) .

[٣] وفي رواية الطبرى « تنيب » . [٤] وفي الطبرى : « وتمفو عن السىء » .

٨٢ - خطبة عبد الملك بن صالح<sup>(١)</sup> (توفي سنة ١٩٦ هـ)

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم : « أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ » يَٰ أَهْلَ الشَّامِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَشْبَاهِكُمْ فِي الْأَجْسَامِ ، فَخَذَرْتُمْ نَبِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ، يَمْحَسُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْعَدُوُّ فَأَخَذَرْتُمْ ، قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنْتُمْ يَوْمًا كُونَ ؟ » فقاتلكم الله أني تُصْرَفُونَ ؟ جُثَّتْ مَائِلَةٌ ، وَقُلُوبٌ طَائِرَةٌ ، تَشْبُونَ<sup>(٢)</sup> الْفِتْنَ ، وَتَوْلُونَ الدُّبْرَ ، إِلَّا عَنْ حَرَمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ دَرِيئَتِكُمْ<sup>(٣)</sup> ، وَحَرَمَ رَسُولِهِ ، فَإِنَّهُ مَغْزَاكُمْ ، أَمَا وَحُرْمَةُ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ لَتَنْفِرُنَّ خِيفًا وَثِقَالًا ، أَوْ لَا تُوسِعَنَّكُمْ إِرْغَامًا وَنَكَالًا .

(العقد الفريد ٢ : ١٤٦)

٨٣ - عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنئه

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فقال له الحاجب : إن أمير المؤمنين قد أصيب الليلة بآبن له ، ووُلد له آخر ، فلما دخل عليه قال : « سَرَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا سَاءَكَ ، وَلَا سَاءَكَ فِيمَا سَرَّكَ ، وَجَعَلَ هَذِهِ بِهَذِهِ ، مَثُوبَةً عَلَى الصَّبْرِ ، وَجَزَاءً عَلَى الشُّكْرِ » .

(العقد الفريد ٢ : ٣٥)

٨٤ - غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح

وَنَصَبَ<sup>(٤)</sup> لَهُ ابْنَهُ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » وَكَاتِبَهُ « قَمَامَةَ » فَسَعِيَ بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ . وَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَيَطْمَعُ فِيهَا ، فَأَخَذَهُ وَحَبَسَهُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَدْخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ حِينَ سَخِطَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَكُفْرُ

[١] هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولى للرشيد بلاد الجزيرة والشام وغيرها

[٢] تشبون . [٣] الدبر . الحلقة يتلمظ الطعن والرمى عليها . [٤] طاداه .

بالنعمه ، وَجُحوداً لَجَلِيلِ الْمِنَّةِ وَالتَّكْرِمَةِ ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين ، لقد بُؤِثْتُ<sup>(١)</sup> إذن بالندم ، وتعرَّضْتُ لاستحلال النِّقَمِ ، وما ذاك إلا بغيُّ حاسدٍ ، نافَسَنِي فيك مودة القرباة ، وتقديم الولاية ، إنك يا أمير المؤمنين خليفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته ، وأمينه على عِثْرَتِهِ ، لك عليها فرضُ الطاعة وأداء النصيحة ، ولها عليك العدلُ في حُكْمِهَا ، والتثبتُ في حَادِثِهَا ، والغفران لذنوبها » ، فقال له الرشيد : « أتَضَعُ لِي من لسانك ، وترفع لِي من جنانك ؟ هذا كَأَتْبُكُ قِامةً ، يُخْبِرُ بِغَلَّتْكَ ، وفسادِ نيتك ، فاشمَعْ كلامه » ، فقال عبد الملك : « أعطاك ما ليس في عَقْدِهِ<sup>(٢)</sup> ، ولعله لا يقدر أن يَعْضَنِي<sup>(٣)</sup> ولا يَبْهَتَنِي بما لم يَعْرِفَهُ مِنِّي » ، وَأُخْضِرَ قِامةً ، فقال له الرشيد : تكلم غير هائبٍ ولا خائفٍ ، قال : « أقول إنه عازم على الغدر بك والخلاف عليك » ، فقال عبد الملك : أهو كذلك يا قِامة ؟ قال قِامة : نعم ، لقد أردتَ خَتْلَ<sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : « كيف لا يكذب عليَّ من خلفي ، وهو يَبْهَتَنِي في وجهي » ؟ فقال له الرشيد : « وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بعُتُوكَ ، وفساد نيتك ، ولو أردتُ أن أحتجَّ عليك بِحُجَّةٍ لم أجد أعدلَ من هذين لك ، فِيمَ تَدْفَعُهُمَا عنك ؟ » ، فقال عبد الملك : « هو مأمور ، أو عاقٌّ مجبور ، فإن كان مأموراً : فمعدور ، وإن كان عاقاً : ففاجر كفور ، أخبر الله عزَّ وجلَّ بعداوته ، وحذر منه بقوله : « إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » ، فنهض الرشيد وهو يقول : « أمَّا أمْرُكُ فقد وَضَحَ ، ولكني لا أَعْجَلُ حتى أعلم الذي يُرْضِي الله فيك ، فإنه الحكم بيني

[١] رجعت . [٢] أى ما يعتقده . [٣] عضه كنع : كذب ونم ، وعضه فلانا : بهته وقال فيه ما لم يكن . [٤] ختله : خدعه .

وبينك» ، فقال عبد الملك : « رضيت بالله حَكَمًا ، وبأمر المؤمنين حَاكِمًا  
فإني أعلم أنه يُؤثِّرُ كتابَ الله على هواه ، وأمرَ الله على رضاه . »

\* \* \*

فلما كَانَ بعد ذلك جلس مجلسًا آخر ، فسَلَّمَ لما دخل ، فلم يردَّ عليه ، فقال  
عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتجُّ فيه ، ولا أجاذب منازعًا وَخَصْمًا . قال : ولم ؟  
قال : لأنَّ أوَّلَه جَرَى على غير السنَّة ، فأنا أخاف آخِرَه ، قال : وما ذاك ؟ قال :  
لم تُردِّ على السلام ، أنصِف نَصْفَ العوامِّ ، قال : السلام عليكم اقتداءً بالسنة ،  
وإيثارًا للعدل ، واستعمالًا للتحية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر فقال :  
وهو يخاطب بكلامه عبد الملك :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مُراد

ثم قال : « أما والله لكأني أنظرُ إلى شؤوبِها <sup>(١)</sup> قد تَمَّع ، وعارضِها <sup>(٢)</sup> قد لَمَّع ،  
وكأني بالوعيد قد أوزى نارًا تَسْطَع ، فأقلع عن بَرَاجمِ <sup>(٣)</sup> بلا معاصم ، وورء وسِ  
بلا غَلَاصِمِ <sup>(٤)</sup> فَمَهْلًا مَهْلًا ، فبِي والله سَهْلٌ لكم الوَعْرُ ، وصفًا لكم الكَدِرُ ،  
وألقت إليكم الأمورُ أُنْدَاءً <sup>(٥)</sup> أزمَّتْها ، فنذارٍ لكم نذارٍ قبل حلول داهيةٍ خَبُوطِ  
باليد ، لَبُوطِ <sup>(٦)</sup> بالرجل . » فقال عبد الملك : « اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولأك ،  
وفي رعيته التي استرعاك ، ولا تجعل الكفرَ مكان الشكر ، ولا العقابَ موضع

[١] الشؤوب : الدفمة من المطر ، وهمج : سال واصب .

[٢] العارض : السحاب المتعرض في الأفق ، والضير للفتنة المفهومة من سياق الحديث .

[٣] جمع برجة كقنفذة : وهي مفاصل الأصابع ، أو ظهر القصب من الأصابع ، والمعاصم جمع معصم  
كقنبر وهو موضع السوار أو اليد . [٤] جمع عاصمة بالفتح وهي رأس الخلقوم وهو الموضع الناقى في

الخلق . [٥] أثناء الشيء ومثانيه طاقاته ، واحدها ثى كحمل ومثناة بفتح الميم وكسرهما .

[٦] لبط به الأرض ضرب ، ولبط البير كضرب : لبط بيده وهو يبدو .



الثواب ، فقد نَخَلْتُ لكَ النصيحةَ ، وَتَحَضَّتْ<sup>(١)</sup> لكَ الطاعة ، وَشَدَدْتُ أَوَاحِي<sup>(٢)</sup> مملكك بأثقل من رُكْنِي يَأْمَلَم<sup>(٣)</sup> ، وتركت عدوك مشتغلا<sup>(٤)</sup> ، فالله الله في ذى رَحِمِكَ أَنْ تَقْطَعَهُ - بعد أن بَلَّغْتَهُ<sup>(٥)</sup> - بِظَنِّ أَفْصَحِ الْكِتَابِ لِي بِعَضِّهِ<sup>(٦)</sup> ، أَوْ يَبْغِي بَاغٍ يَنْهَسُ<sup>(٧)</sup> اللَّحْمَ ، وَيَأْلَعُ<sup>(٨)</sup> الدَّمَّ ، فقد والله سهَّلت لك الوعورَ ، وَذَلَّلْتُ لَكَ الْأُمُورَ ، وَجَمَعْتُ عَلَى طَاعَتِكَ الْقُلُوبَ فِي الصَّدُورِ ، فكم من لَيْلٍ تَمَامٍ<sup>(٩)</sup> فِيكَ كَأَبْدَتِهِ ، ومقام ضيق لك قُمْتُهُ ، كنت فيه كما قال أخو بني جعفر ابن كلاب :

ومقام ضيق فرجته بيناني ولساني وجدل  
لو يقوم الفيل أو فياله زل عن مثل مقامي وزحل<sup>(١٠)</sup>

فقال له الرشيد : « أما والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك » .  
ولم يزل عبد الملك محبوباً حتى تُوفِّي الرشيد ، فأطلقه محمد الأمين وعقد له على الشام<sup>(١١)</sup> .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٨٩ ، والعقد الفريد ١ : ١٤٣ ،  
والكمال لابن الأثير ٦ : ٧٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٣ )

[١] أخلصت . [٢] جمع آخية وتشدد : عروة تربط إلى وتد مدقوق وتشد فيها الدابة ، وأخيت للدابة تأخية : صنعت لها آخية وربطتها بها . [٣] يلملم أو ألملم أو يرمرم : ميقات اليمن : جبل على مرحلتين من مكة . [٤] وفي رواية العقد : « وتركت عدوك سبيلا تتعاوره الأقدام » . [٥] بلك فلانا : لزمته . [٦] العضة بسكون الضاد وفتحها : الكذب والغيبة . [٧] نهس اللحم كنع وسمع : أخذه بمقدم أسنانه وفتغه . [٨] ولع الكلب في الإثاء ومنه وبه يبلغ كيب وبالغ : شرب ما فيه بأطراف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه فخره . [٩] ليل التمام أطول ليالي الشتاء . [١٠] زحل عن مقامه : زال كتحول . [١١] وقد جعل للأمين عهد الله وميثاقه : لئن قتل وهو حي ، لا يعطى المأمون طاعة أبداً ، فبات قبل قتل الأمين ، فدفن في دار من دور الإمارة ، فلما خرج المأمون يربد الروم أرسل إلى ابن له : حول أباك فهن داري ، فنبشت عظامه وحولت .

٨٥ - قوله بعد خروجه من السجن

ولما خرج من السجن وذكر الرشيد وفعله به قال :  
« والله إن الملك لشيء ما نويته ، ولا تمنيتُهُ ، ولا نصبتُ له ولا أردتُهُ ،  
ولو أردتُهُ لكانَ إلىَّ أسرع من الماء إلى الحدور<sup>(١)</sup> ، ومن النار إلى ييس العرفج<sup>(٢)</sup> ،  
وإني لما خوذ بما لم أجنِّ ، ومستول عما لا أعرف ، ولكنه حين رآني للملك قيناً<sup>(٣)</sup> ،  
وللخلافة خطيراً<sup>(٤)</sup> ، ورأى لي يداً تناولها إذا مدت ، وتبلغها إذا بسطت ، ونفساً  
تكمل خصاصها ، وتستحقها بفعالها ، وإن كنتُ لم أختَر تلك الخصال ، ولم  
أصطنع تلك الفِعال ، ولم أترشح لها في السر ، ولا أشرتُ إليها في الجهر ، وراها  
تحنُّ إلىَّ حين الوالدة الواهية ، وتميلُ إلىَّ ميلاً الهلوك<sup>(٥)</sup> ، وخاف أن ترغَب إلىَّ  
خير مرغَب ، وتزِع إلى أخصب منزع ، عاقبني عقاب من سهر في طلبها ،  
وجهد في التماسها ، فإن كان إنما حبسني على أني أصلح لها وتصلح لي ، وأليقُ  
بها وتليق بي ، فليس ذلك بذنبٍ جنيته فأتوب منه ، ولا تطاولتُ له فأخطأ  
نفسى عنه ، وإن زعم أنه لا صرَف لعقابه ، ولا نجاة من عذابه ، إلا بأن أخرج  
له من جدِّ العلم والحلم والحزم ، فكما لا يستطيع المضياع أن يكون مصلحاً ، كذلك  
لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلاً ، وسواء عليه أعاقبي على علمي وحلمي ، أم  
عاقبي نسبي وسيني ، وسواء عليه عاقبي على جمالي ، أم عاقبي على محبة الناس لي ،  
ولو أردتها لأعجَلته عن التفكير ، وشغَلته عن التدبير ، ولما كان فيها من الخطب  
إلا اليسير » .

( العقد الفريد ١ : ١٤٣ )

[١] المكان المنحدر . [٢] شجر . [٣] جديراً . [٤] عظيم الضرر .  
[٥] العاجرة المتساقطة على الرجال .

## ١٦ - وصية عبد الملك بن صالح لابنه

أوصى عبد الملك بن صالح ابنًا له فقال :

« أَيْ بَنِي أَحْلَمَ ، فَإِنْ مِنْ حَلْمٍ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمْ أزدَادَ ، وَأَلْقَ أَهْلَ الْخَيْرِ فَإِنْ لِقَاءَهُمْ عِمَارَةٌ لِلْقُلُوبِ ، وَلَا تَجْمَعُ بِكَ مَطِيَّةَ اللَّجَاجِ ، وَفِيكَ مَنْ أَعْتَبَكَ <sup>(١)</sup> ، وَالصَّاحِبُ الْمُنَاسِبُ لَكَ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَعْصِمُ الْقَلْبَ ، الْمِزَاحُ يورث الضَّغْنَانَ ، وَحَسَنُ التَّدْيِيرِ مَعَ الْكِفَافِ ، خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الْإِسْرَافِ ، وَالْاِقْتِصَادُ يُثَمَّرُ <sup>(٢)</sup> الْقَلِيلُ ، وَالْإِسْرَافُ يُبِيرُ <sup>(٣)</sup> الْكَثِيرَ ، وَنِعْمَ الْحَظُّ الْقِنَاعَةُ ، وَشَرُّ مَا صَحِبَ الْمَرْءَ الْحَسَدُ ، وَمَا كُلُّ عَوْرَةٍ تُصَابُ ، وَرَبْمَا أَبْصَرَ الْعَمِيءُ رُشْدَهُ ، وَأَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ ، وَالْيَاسُ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْعِفَّةُ مَعَ الْحِرْفَةِ <sup>(٤)</sup> خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفَجُورِ ، أَرْفُقْ فِي الطَّلَبِ ، وَأَجْمَلْ فِي الْمَكْسَبِ ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ ، قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ <sup>(٥)</sup> ، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمُنْجِحٍ <sup>(٦)</sup> ، وَلَا كُلُّ مُلِحٍّ بِمُحْتَاجٍ ، وَالْمَغْبُوبُونَ مِنْ عُنَيْنٍ نَصِيْبُهُ مِنَ اللَّهِ ، عَاتِبٌ مِنْ رَجَوْتِ عُنْبَاهِ ، وَفَاكِهَةٌ مِنْ أُمْنِيَّتِ بِلَوَاهِ ، لَا تَكُنْ مِضْحَاكًا مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَلَا مَشَاءً إِلَى غَيْرِ أَرْبٍ ، وَمَنْ نَأَى عَنِ الْحَقِّ أَضَاقَ مَذْهَبَهُ ، وَمَنْ اِقْتَصَرَ عَلَى حَالِهِ ، كَانَ أَنْعَمَ لِبَالِهِ ، لَا يَكْبُرُنَ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظَالِمِكَ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَعَى فِي مَضْرَتِهِ وَنَفْعِكَ ، وَعَوْدُ نَفْسِكَ السَّمَاحِ ، وَتَخْيِيرُهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنَهُ ، فَإِنْ الْخَيْرُ عَادَةٌ ، وَالشَّرُّ لِحَاجَةٌ ، وَالصُّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ ، وَالتَّعَلُّلُ آيَةُ الْبَخْلِ ، وَمَنِ الْفِقْهُ كِتْمَانُ السَّرِّ ، وَلِقَاحُ الْمَعْرِفَةِ دِرَاسَةُ الْعِلْمِ ، وَطَوْلُ التَّجَارِبِ زِيَادَةُ فِي الْعَقْلِ ، وَالْقِنَاعَةُ رَاحَةُ الْأَبْدَانِ ، وَالشَّرْفُ التَّقْوَى ، وَالْبَلَغَةُ مَعْرِفَةُ رَثَقِ الْكَلَامِ وَفَتْقِهِ ، بِالْعَقْلِ تُسْتَخْرَجُ الْحِكْمَةُ ، وَبِالْحِلْمِ

[١] أعتبه : أعطاه العني أي الرضا . [٢] ينسى ويكثر . [٣] يهلك .

[٤] الحرمان . [٥] حربه حربا كطلبه : سلب ماله . [٦] أنجح : صار ذا نصح .

يستخرج غَوْرَ العقل ، ومن شَمَّرَ في الأمور ، ركب البحور ، شر القول ما تَقَضَّ بعضُه بعضا ، وَمَنْ سَعَى بالنميمة حَذِرَه البعيد ، وَمَقَّتَه القريب . من أطال النظر بإرادةٍ تامَّةٍ أدرك الغاية ، ومن تواني في نفسه ضاع ، من أسرف في الأمور انتشرت عليه ، ومن اقتصد اجتمعت له ، واللَّجَاجَةُ تورث الضياع للأموال ، غِبُّ الأَدبِ أحمد من ابتدائه ، مُبَادِرَةُ الفهم تورث النسيان ، سوء الاستماع يُعْقِبُ العيَّ ، لَا تُحَدِّثُ من لَا يُقْبَلُ بوجهه عليك ، وَلَا تُنصِتُ لمن لَا يَنْمِي <sup>(١)</sup> بحديثه إليك ، البلادة للرجل هُجْنَةٌ ، قَلَّ مَالِكٌ إِلَّا اسْتَأْثَرَ ، وَقَلَّ عَاجِزٌ إِلَّا تَأَخَّرَ ، الإحجام عن الأمور يُورث العجزَ ، والإقدام عليها يورث اجتلاب الحظ ، سوء الطُعْمَةِ <sup>(٢)</sup> يُفْسِدُ العِرْضَ ، وَيُخْلِقُ الوجه ، وَيَمَحِّقُ الدين ، الهيبة قرين الحرمان ، والجسارة قرين الظفر ، وَفِيكَ من أنصفك ، وأخوك مَن طابَكَ ، وشريكك مَن وَفَى لك ، وَصَفِيكَ من آثَرَكَ ، أعدى الأعداء العقوقُ ، اتباع الشهوة يُورث الندامة ، وَفَوَتْ الفُرْصَةَ يورث الحسرة ، جميع أركان الأدب التأنى للرفق ، أَكْرِمَ نَفْسِكَ عن كل دنيَّةٍ ، وإن ساقتك إلى الرغائب ، فإنك لا تجدي تبذُلَ من دينك ونفسك عِوَضًا ، لا تساعد <sup>(٣)</sup> النساءَ فَيَمْلَأَنَّكَ ، واستبقِ من نفسك بقيَّةً ، فإنهن أن يرين أنك ذو اقتدار ، خيرٌ من أن يطلعن منك على انكسار ، لا تملك المرأة الشفاعةَ لغيرها ، فتميلَ من شفعت لها عليك معها ، أي بنى ، إني قد اخترت لك الوصية ، ومَحَضَّتكَ النصيحة ، وأدبت الحق إلى الله في تأديبك ، فلا تُغْفَلَنَّ الأخذَ بأحسنها ، والعملَ بيها ، والله موفِّقك .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢ )

[١] نعى الحديث ونهاه بالتشديد : رفعه . [٢] "طعمة : وجه المكسب . [٣] لعلها « لا تقام

## ٨٧ - وصية أخرى له

عن يزيد بن عقّال قال :

وَصَّى عبد الملك بن صالح ابنه وهو أمير سَرِيَّة ، ونحن ببلاد الروم فقال له :  
« أنت تاجرُ الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس ، الذي إن وجد ربحاً  
تَجَرَ ، وإلا احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن  
من احتيالك على عدوك ، أشدَّ خوفاً من احتيال عدوك عليك <sup>(١)</sup> .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٤ )

## ٨٨ - كلمات حكيمة لابن السماك

وقال محمد بن صبح - المعروف بابن السَّمَاك <sup>(٢)</sup> - :

« خيرُ الإخوان أقلهم مصانعةً في النصيحة ، وخير الأعمال أحلاها عاقبةً ،  
وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، وأشرفُ السلطان ما لم يخالطه البَطْرُ ،  
وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وخير الإخوان من لم يخاصم ، وخير  
الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يُخْتَبَرُ ذلَّ الرجال عند الفاقة والحاجة » .

( رهر الآداب ٢ : ٢٠٥ )

## ٨٩ - ابن السماك والرشيد

وذكر محمد بن هرون عن أبيه قال : حضرت الرشيد ، وقال له الفضل  
ابن الربيع : يا أمير المؤمنين قد أحضرتُ ابن السَّمَاك كما أمرتني ، قال : أدخله ،

---

[١] أوردت هذه الوصية في الجزء الثاني ص ١٨٥ معزوة إلى عبد الملك بن مروان كما أوردتها صاحب  
العقد ، ويؤيد ذلك ما رواه الطبري - ج ٨ : ٣٧ - إذ يقول : « وفي سنة ٨٤ كانت عروة عبد الله بن  
عبد الملك بن مروان الروم ، دتمت فيها المصيبة - كسفية - » وعراها الجاحظ إلى عبد الملك بن صالح كما نرى  
في هذه الرواية . [٢] كان راهداً عابداً حسن الكلام صاحب مواظب ، وهو كوفي قدم بفسيداد زمن  
الرشيد ، فسكت بها مدة ، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ هـ .

فدخل ، فقال له : عِظْنِي ، قال : يا أمير المؤمنين : اتَّقِ اللَّهَ وَحَدَّه لِأَشْرِيكَ لَهُ ،  
واعلم أنك واقِفٌ غدًا بين يدي الله ربِّك ، ثم مصروفٌ إلى إحدى منزلتين ،  
لا تالفةَ لهما : جنة أو نار ، فبكى هرون حتى اخضَلَّتْ (١) لحيته ، فأقبل الفضل  
على ابن السماك ، فقال : سبحان الله ! وهل يتخالجُ أحدًا شكٌّ في أن أمير المؤمنين  
مصروفٌ إلى الجنة إن شاء الله ؟ لقيامه بحق الله ، وعدِّله في عباده ، وفضله ،  
فلم يَحْفَلِ بذلك ابن السماك من قوله ، ولم يلتفت إليه ، وأقبل على أمير المؤمنين ،  
فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا - يعني الفضل بن الربيع - ليس والله معك ولا  
عندك في ذلك اليوم ، فاتق الله وانظر لنفسك ، فبكى هرون حتى أشفقنا عليه ،  
وأفحم الفضل بن الربيع ، فلم ينطق بحرف حتى خرجنا .

قال : ودخل ابن السماك على الرشيد يوماً ، فبينما هو عنده إذا استسقى ماء ،  
فأتى بِقُلَّةٍ من ماء ، فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها ، قال له ابن السماك : على  
رِسْلِكَ (٢) يا أمير المؤمنين ، بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو  
مُنِمْتَ هذه الشَّرْبَةَ ، بكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكي ، قال : اشرب  
هناك الله ، فلما شربها ، قال له : أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
لو مُنِمْتَ خروجها من بدنك ، بماذا كنت تشتريها ، قال : بجميع ملكي ،  
قال ابن السماك : إن مُلْكاً قيمته شربةُ ماءٍ لَجِدِيرٌ أَلَّا يُنَاقَسَ فيه ، فبكى هرون ،  
فأشار الفضل بن الربيع إلى ابن السماك بالانصراف ، فانصرف .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٤٩ )

# الفتنة بين الأمين والمأمون

## وفد الأمين إلى المأمون

لما عزم محمد الأمين على خلع أخيه عبد الله المأمون من ولاية العهد<sup>(١)</sup> ، كتب إليه كتاباً يستقدمه ، ويحبّب أن يكون بقربه - وكان المأمون على خراسان - ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى ، وإلى عيسى بن جعفر ، وإلى محمد بن عيسى بن نهيك ، وإلى صالح صاحب المصلى ، وأمرهم أن يتوجهوا به إلى المأمون ، وألاً يدعوا وجهاً من اللين والرفق إلا بلغوه ، وسهّلوا الأمر عليه ، (وذلك سنة ١٩٤ هـ) فتوجهوا بكتابه ، فاما وصلوا إلى المأمون أذن لهم ، فدفعوا إليه الكتاب ، ثم تكلم العباس بن موسى :

### ٩٠ - خطبة العباس بن موسى

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الأمير : إن أخاك قد تحمّل من الخلافة ثِقلاً عظيماً ، ومن النظر في أمور الناس عبئاً جليلاً ، وقد صدقت نيته في الخير ، فأعوزّه الوزراء والأعوان والكفأة على المدل ، وقليل ما يأنس بأهل بيته ، وأنت أخوه وشقيقه ، وقد فزع إليك في أموره ، وأملك للموازرة والمكاثفة<sup>(٢)</sup> ،

---

[١] ذكروا أن الفضل بن الربيع وزير الأمين ، كان قد خاف المأمون ، لما فعله عند موت الرشيد بطوس من إحضار جميع ما كان في عسكره إلى الأمين ، بعد أن كان الرشيد قد أشهد به للمأمون ، وعلم أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوماً وهو حي لم يبق عليه ، حسن للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى - ولم يكن ذلك من رأى الأمين ولا عزمه - واتفق مع الفصل جماعة على ذلك ، قال الأمين إلى أقوالهم ، ثم إنه استشار عقلاء أصحابه ، فنهوه عن ذلك وحذروه طاقبة البني ونكت اليهود ، وقالوا له : لا تخزى الفواد على الكت للأيمان وعلى الخلع فيخلعوك ، فلم يلتفت إليهم ، ومال إلى رأى الفضل بن الربيع ، وشرع في خلع المأمون باستدعائه إلى بغداد ، فلم ينخبيج وكتب يمتدر . [٢] المعاونة .

ولسنا نستبطنك في برِّه ، اتهاماً لنضرك له ، ولا نحضنك على طاعة ، تخوفاً لخلافك عليه ، وفي قدومك عليه أنس عظيم ، وصلاح لدولته وسلطانته ، فأجِبْ أيها الأمير دعوة أخيك ، وآثر طاعته ، وأَعِنِّه على ما استعانك عليه في أمره ، فإن في ذلك قضاء الحق ، وصِلَةَ الرحم ، وصلاح الدولة ، وَعَزَّ الخِلافة ، عزم الله للأمير على الرشيد في أموره ، وجعل له الخِيرة والصلاح في عواقب رأيه .

### ٩١ - خطبة عيسى بن جعفر

وتكلم عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، فقال :

« إن الإكثار على الأمير - الله ، الله - في القول خُرْقٌ ، والافتصار في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير ، وقد غاب الأمير - أكرمه الله - عن أمير المؤمنين ، ولم يستغن عن قربه من شهيد غيره من أهل بيته ، ولا يجد عنده غنى ، ولا يجد منه خلفاً ، ولا عَوْضاً ، والأمير أولى مَنْ بَرَّ أخاه ، وأطاع إمامه ، فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أمير المؤمنين بما هو أَرْضَى وأقربُ من موافقة أمير المؤمنين ومحبته ، فإن القدوم عليه فضلٌ وحظ عظيم ، والإبطاء عنه وَكَفٌ<sup>(١)</sup> في الدين ، وضرر ومكروه على المسلمين . »

### ٩٢ - خطبة محمد بن عيسى بن نهيك

وتكلم محمد بن عيسى بن نهيك ، فقال :

« أيها الأمير إنا لا نريدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين ، ولا نشحد نيتك بالأساطير والخُطَب فيما يلزمك من النظر والعناية بأمور المسلمين ، وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بِحَضْرته ،

[١] الوكف : الليل والجور والعيب والإثم .



وَتَنَاوَلَك فَرِعًا إِلَيْكَ فِي الْمَعُونَةِ وَالتَّقْوِيَةِ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَإِنْ تُجِبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
فِي مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ ، فَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ يَتَلَفَّى بِهَا رَعِيَّتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، وَإِنْ تَقَعُدُ يُعْزِئُ اللَّهُ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَلَنْ يَضْعَهُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ بِكَ ، وَالاعْتِمَادِ عَلَى  
طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ .

### ٩٣ - خطبة صالح صاحب المصلي

وتكلم صالح صاحب المصلي ، فقال :

« أَيُّهَا الْأَمِيرُ : إِنَّ الْخِلَافَةَ ثَقِيلَةٌ ، وَالْأَعْوَانُ قَلِيلٌ ، وَمَنْ يَكِيدُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ ،  
وَيَنْطَوِي عَلَى غَشَمِهَا ، وَالْمَعَانِدَةُ لِأَوْلِيَائِهَا ، مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ كَثِيرٌ ،  
وَأَنْتَ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَشَقِيقَهُ ، وَصَلَاخُ الْأُمُورِ وَفَسَادُهَا رَاجِعٌ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِ ،  
إِذْ أَنْتَ وَلِيُّ عَهْدِهِ ، وَالْمُشَارِكُ فِي سُلْطَانِهِ وَوِلَايَتِهِ ، وَقَدْ تَنَاوَلَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
بِكِتَابِهِ ، وَوَثِقَ بِمَعَاوَنَتِكَ عَلَى مَا اسْتَعَانَكَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِ ، وَفِي إِجَابَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى  
الْقُدُومِ عَلَيْهِ صَلاَحٌ عَظِيمٌ فِي الْخِلَافَةِ ، وَأَنْسُ وَسُكُونُ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَالذَّمَّةِ ، وَفَقَّ  
اللَّهُ الْأَمِيرَ فِي أُمُورِهِ ، وَقَضَى لَهُ بِالذِّي هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَنْفَعُ لَهُ » .

### ٩٤ - خطبة المأمون

فحمد الله المأمونُ ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« قَدْ عَرَّفْتُمُونِي مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - مَا لَا أَنْكِرُهُ ،  
وَدَعَوْتُمُونِي مِنَ الْمَوَازِرَةِ وَالْمَعُونَةِ إِلَى مَا أَوْثَرَهُ وَلَا أَدْفَعُهُ ، وَأَنَا لَطَاعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
مُقَدَّمٌ ، وَالْمَسَارَعَةُ إِلَى مَاسَرِّهِ وَوَافَقَةُ حَرِيصٌ ، وَفِي الرِّوَايَةِ تَبْيَانُ الرَّأْيِ ، وَفِي  
إِعْمَالِ الرَّأْيِ نُصْحُ الْإِعْتِمَادِ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ لَا أَتَأَخَّرُ

عنه تَبْطُطًا ومدافعةً ، ولا أتقدّم عليه اعتسافًا وَهَجَلَةً ، وأنا في ثَمَرٍ (١) من ثَمُورِ المسلمين ، كَلِبٌ عدوّه ، شديدٌ شوكتُه ، وإن أهملتُ أمره لم آمن دخول الضرر والمكروه على الجنود والرعية ، وإن أقمت عليه لم آمن قَوْتَ ما أَحِبُّ من معونة أمير المؤمنين وموازرتِه وإيثار طاعته ، فانصرِفُوا حتى أنظُرَ في أمرى ، ويصحّ الرأى فيما أعتزِمُ عليه من مَسِيرى إن شاء الله .

ثم بعث معهم بكتاب إلى الأمين ، يسأله أن يُعْفِيَه من الشخوص إليه ، وأن يُقِرَّه على عمله ، إذ يرى أن ذلك أعظم غناؤه على المسلمين .

(تاريخ الطبرى ١٠ : ١٤٦)

#### ٩٥ - وصية السيدة زبيدة لعلى بن عيسى بن ماهان

وَنَعَى الشريين الأخوين ، واستطار شرره ، وبعث الأمين جيشًا كثيفًا بقيادة على بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون ، وأعد المأمون للقائه جيشًا بقيادة طاهر بن الحسين ، فلما أراد على الشخوص إلى خراسان ، ركب إلى باب السيدة زُبَادة (٢) والدة الأمين فودَّعها ، فقالت له :

« يا على ، إن أمير المؤمنين ، وإن كَانَ ولدى ، إليه تناهت شفقتى ، وعليه تكامل حِذْرى ، فإنى على عبد الله مُنْعَطِفَةٌ مُشْفِقَةٌ لما يَحْدُثُ عليه من مكروه وأذى ، وإنما ابنى مَلِكٌ نَافِسٌ أخاه فى سلطانه ، وَغَارَاهُ (٣) على ما فى يده ، والكريم يؤكل لحمه ، وَوَيْمِيته غيره ، فاعْرِفْ لعبد الله حقَّ والده وأخوته ، ولا تَجْبِهْهُ (٤) بالكلام ، فإنك لست نظيره ، ولا تَقْتَسِرُهُ (٥) اقتسارَ العبيد ، ولا تُرْهِنَهُ (٦)

[١] الثمر : موضع الحافة من فروج البلدان . [٢] هي السيدة زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن المنصور .

[٣] فى الأصل : « ظاره » وأراء محرفا عن « ظراه » ، فارينه مغارة وغراء : لاجبته .

[٤] جبهه كنهه : لقيه بما يكره . [٥] قسره واقترسه : قهره .

[٦] أرهنه : أضغفه ، وفى الفخرى : « ولا تؤمنه » وأرهنه : أضغفه أيضا ، والغل : ألفيد .

بقيد ولا غلّ ، ولا تمنع منه جارية ولا خادماً ، ولا تعنف عليه في السير ، ولا تساور في المسير ، ولا تركب قبله ، ولا تستقلّ على دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شتمك فاحتمل منه ، وإن سَفِه عليك فلا تراذه .

ثم دفعت إليه قيلاً من فضّة ، وقالت : إن صار في يدك فقيده بهذا القيد ، فقال لها : سأقبل أمرك ، وأعمل في ذلك بطاعتك .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٩ ، والفخرى ص ١٩٥ )

### ٩٦ - وصية الأمين لابن ماهان

وخرج علي بن عيسى بن ماهان من بغداد ( في ٧ من شعبان سنة ١٩٥ هـ ) وخرج معه الأمين يشيعه ، وأقبل يوصيه ، فقال :

« أَمْنَعُ جُنْدَكَ مِنَ الْعَبَثِ بِالرَّعِيَّةِ ، وَالغَارَةِ عَلَى أَهْلِ الْقُرَى ، وَقَطْعِ الشَّجَرِ ، وَانْتِهَاكِ النِّسَاءِ ، وَوَلِّ الرِّئَاسَةَ يَحْيَى بْنَ عَلِيٍّ <sup>(١)</sup> ، وَاضْمُمْ إِلَيْهِ جُنْدًا كَثِيفًا ، وَوَمُرَّهُ لِيُدْفَعْ إِلَى جَنْدِهِ أَرْزَاقَهُمْ مِمَّا يَحْيَى ، مِنْ خَرَاجِهَا ، وَوَلِّ كُلَّ كُورَةٍ تَرَحَّلَ عَنْهَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَيْكَ مِنْ جُنْدِ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَوَجُوهَهَا فَأَظْهَرِ إِكْرَامَهُ ، وَأَحْسِنِ جَائِزَتَهُ ، وَلَا تَعَاقِبْ أَخًا بِأَخِيهِ ، وَضَعْ عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ رِبْعَ الْخِرَاجِ ، وَلَا تَأْمَنْ أَحَدًا رِمَاكَ بِسَهْمٍ ، أَوْ طَعْنَ فِي أَصْحَابِكَ بِرِمْحٍ ، وَلَا تَأْذَنْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْمَقَامِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، مِنْ الْيَوْمِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَشْخَصْتَهُ ، فَلْيَكُنْ مَعَ أَوْثَقِ أَصْحَابِكَ عِنْدَكَ ، فَإِنْ غَرَّهُ الشَّيْطَانُ فَنَاصَبِكَ ، فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ تَأْسِرَهُ أَسْرًا ، وَإِنْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى بَعْضِ كُورِ خُرَاسَانَ ، فَتَوَلَّ إِلَيْهِ الْمَسِيرَ بِنَفْسِكَ ، أَفْهَمْتَ كُلَّ أَوْصِيكَ بِهِ ؟ »

[١] هو يحيى بن علي بن عيسى بن ماهان .

قال : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ، قال : سر على بركة الله وعونه .  
( تاريخ الطبرى ١٠ : ١٥٠ )

### ٩٧ - استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين

وخرج ابن ماهان ، فلما جاز حُلوانَ ، لَقِيَتْهُ القوافل من خُرَاسان ، فكان يسألها عن الأخبار ، فيقال له : إن طاهراً مقيم بالرِّىِّ ، يَعْرِضُ أصحابه ، وَيَرْمِي<sup>(١)</sup> آله ، فيضحك ثم يقول :

« وما طاهر؟ فوالله ما هو إلا شوكة من أغصاني ، أو شرارة من نارى ، وما مثلُ طاهر يتولى على الجيوش ، ويلقى الحروب » ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : « والله ما بينكم وبين أن ينقص انقصاف الشجر من الريح العاصف ، إلا أن يبلغه عُبُورُنا عَقَبَةَ<sup>(٢)</sup> هَمْدَانَ ، فَإِنَّ السَّخَالَ<sup>(٣)</sup> لا تقوى على نِطَاح الكِبَاشِ ، والثعالب لا صبرَ لها على لقاء الأسد ، فَإِنَّ يُقِمُّ طاهر بموضعه يكن أول معرِضٍ لِظَبَاتٍ<sup>(٤)</sup> السيوف وأسنّة الرماح » .

وسار حتى صار فى أول بلاد الرِّىِّ ، وأتاه صاحب مقدّمته وقال : « لو كنتَ - أبقى الله الأمير - أذكيتَ العيون ، وبعثت الطلائع ، وارتدّت موضعاً تُعَسِّكِرُ فيه ، وتتخذ خندقاً لأصحابك يأمنون به ، كان ذلك أبلغَ فى الرأى ، وَأَنَسَ للجند » .

قال : « لا ، ليس مثلُ طاهر يُسْتَعَدُّ له بالمكاید والتحفّظ ، إن حال طاهر تُؤوِلُ إلى أحد أمرين ، إما أن يتحصن بالرِّىِّ ، فَيَبْهَتُهُ<sup>(٥)</sup> أهلها ، فيكفونامثوثته ،

[١] يصلح . [٢] العبة : مرق صعب من الجبال . [٣] السخال جمع سحلة بالفتح : وهو ولد الغم ذكراً أو أُنثى . [٤] الظبات جمع ظبة وهي حد السيف . [٥] بهته كنهه : أخذه بغتة ، قال تعالى : « بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ » ، وفى مروج الذهب : « فيثب به » .

أَوْ يُخَلِّبُهَا وَيُدْبِرُ رَاجِعًا لَوْ قَرُبَتْ خِيولُنَا وَعَسَا كَرْنَا مِنْهُ «  
وأناه يحيى بن عليّ ، فقال : « اجمع متفرّق العسكر ، واحذر على جنّدك  
البيات ، ولا تسرح الخيل إلا ومعها كَشْفٌ <sup>(١)</sup> من القوم ، فإن العساكر  
لا تُسَاسُ بالتواني ، والحروب لا تدبّر بالاغترار ، والثقة أن تحتريز ، ولا تقل :  
المحارب لي طاهر ، فالشرارة الخفية ربما صارت ضراماً <sup>(٢)</sup> ، والثامة من السيل  
ربما اغترّب بها وثهون ، فصارت بجرّاً عظيماً ، وقد قرّبت عساكرنا من طاهر ،  
فلو كان رأيه الهرب لم يتأخر إلى يومه هذا » .

قال : اسكت ، فإن طاهراً ليس في هذا الموضع الذي ترى ، وإنما يتحفظ  
الرجال إذا لقيت أقرانها ، وتستعدّ إذا كان المناوي <sup>(٣)</sup> لها أكفاءها ونظراءها .  
( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٩٩ )

### ٩٨ - حزم طاهر وقوة عزمه

وعسكر طاهر على خمسة فراسخ من الرّيّ ، وأناه محمد بن العلاء ، فقال :  
« أيها الأمير ، إن جنّدك قد هابوا هذا الجيش ، وامتلت قلوبهم خوفاً ورعباً  
منه <sup>(٤)</sup> ، فلو أقمت بمكانك ، ودافعت القتال إلى أن يشامهم <sup>(٥)</sup> أصحابك ،  
ويأنسوا بهم ، ويعرفوا وجه المأخذ في قتالهم » ، فقال :

« لا ، إني لا أوتى من قلة تجربة وحزم ، إن أصحابي قليل ، والقوم عظيم  
سوادهم ، كثير عددهم ، فإن دافعت القتال ، وأخرت المناجزة ، لم آمن أن  
يطلّعوا على قلتنا وعورتنا ، وأن يستميلوا من معي برغبة أو رهبة ، فينفر عني

[١] الكشف : الجماعة . [٢] الضرام : اشتعال النار في الحلقاء وغيرها ، ودقاق الخطب الذي  
يسرع اشتعال النار فيه . [٣] المعادي .

[٤] وكانت عدة عسكر ابن ماهان حسين ألفاً ، وذكر بعض أهل بغداد أنهم لم يروا عسكراً كان أكثر  
رجالاً ، وأفره كراعا ، وأظهر سلاحاً ، وأم عدة ، وأكل هيئة من عسكره ، وروى أن طاهراً كان في  
أقل من أربعة آلاف . [٥] شاماً وتشاماً : شم أحدهما الآخر ، والمعنى اقترباً .

أكثر أصحابي ، ويخذلني أهل الحِفاظ والصبر ، ولكن ألفت الرجال بالرجال ،  
والجَم<sup>(١)</sup> الخيل بالخيال ، وأعتد على الطاعة والوفاء ، وأصبر صَبْرَ مُحْتَسِبٍ للخير ،  
حريصٍ على الفوز بفضل الشهادة ، فإن يَرْزُقَ اللهُ الظفر والفانج<sup>(٢)</sup> ، فذلك  
الذي نريد ونرجو ، وإن تكن الأخرى فليست أول من قاتل فقتل ، وماعند الله  
أجزل وأفضل . ( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥١ )

### ٩٩ - طاهر يشد عزيمة جنده

وكتب طاهر بن الحسين كتابته ، وَكَرَدَسَ كَرَادِيْسَهُ<sup>(٣)</sup> ، وسوى صفوفه ،  
وجعل يمرّ بقائد قائد ، وجماعة جماعة ، فيقول :

« يا أولياء الله ، وأهل الوفاء والشكر ، إنكم لستم كهؤلاء الذين ترون من  
أهل التُّكْتِ والغدر ، إن هؤلاء ضيَعُوا مَا حَفِظْتُمْ ، وصَغَرُوا مَا عَظَّمْتُمْ ، ونكثوا  
الأيمان التي رَعَيْتُمْ ، وإنما يطلبون الباطل ، ويقاتلون على الغدر والجهل ، أصحاب  
سَلْبٍ وَنَهَبٍ ، فلو قد غَضَضْتُمْ الأَبْصَارَ ، وَأَثْبَتْتُمُ الأَقْدَامَ ، قد أنجز الله وعده ،  
وفتح عليكم أبواب عزه ونصره ، فَجَالِدُوا طَوَاغِيْتِ<sup>(٤)</sup> الفتنه ، وَيَمَاسِيْبِ النار  
عن دينكم ، ودافعوا بحقكم باطلهم ، فإنما هي ساعة واحدة ، حتى يحكم الله بينكم  
وهو خير الحاكمين . »

ونشب القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش ابن ماهان وَقُتِلَ<sup>(٥)</sup> .

[١] أى أقرن الخيل بالخيال ، من قولهم : ألحمت الحرب فالتحمت ، والملحم نغم الميم وبفتح الحاء : الملصق  
بالقوم ، ولاحم الفىء بالشىء : ألصقه به . [٢] العوز والظفر . [٣] الكراديس جمع كردوسة  
بالضم ، وهى القطعة المغليمة من الخيل ، وكردس الخيل جعلها كتيبة كتيبة .

[٤] الطواغيت جمع طاغوت : وهو الشيطان وكل رأس ضلال ، واليماسيب جمع يسوب : وهو الرئيس  
الكبير . [٥] روى أن نبي على بن عيسى ورد إلى الأمين وهو على الشط يصيد السمك ، فقال للذى  
أخبره : ويحك دعنى ، فإن كوثرا قد اصطاد سمكتين ، وأنا ما اصطدت شيئا بسد - وكان كوثرا خادما  
خصياله وكان يحبه -

ووجه الأمين بعد ذلك لحرب طاهر جيشاً بقيادة عبد الرحمن بن جبلة ،  
فهزم وقتل أيضاً . ( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٢ )

## ١٠٠ - وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين

ونذب أسد بن يزيد بن يزيد لقتال طاهر

وبعث الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة إلى أسد بن يزيد  
ابن يزيد ، قال : فأتيته ، فاما دخلت عليه وجدته قاعداً في صحن داره ، وفي يده  
رُقعة قد قرأها ، واحمرت عيناه ، واشتد غضبه ، وهو يقول :  
« ينام نوم الظربان <sup>(١)</sup> ، وينتبه انتباه الذئب ، همته بطنه ، ولذته فرجه ،  
لا يفكر في زوال نعمته ، ولا يروى في إمضاء رأى ولا مكيدة ، قد ألهاه كأسه ،  
وشغله قدحُه ، فهو يجري في لهوه ، والأيام تُسرع <sup>(٢)</sup> في هلاكه ، قد شمر  
عبدُ الله له عن ساقه ، وفوق له أصيب <sup>(٣)</sup> أسهمه ، يرميه على بعد الدار بالحتف  
الذافذ ، والموت القاصد <sup>(٤)</sup> ، قد عبي له المنايا على مُتون الخيل ، وناط <sup>(٥)</sup> له البلاء  
في أسنة الرماح ، وشفار السيوف » .

ثم استرجع وتمثل بأبيات للبعيث <sup>(٦)</sup> ، ثم التفت إلى فقال :

« يا أبا الحارث ، إنا وإياك لنجری إلى غاية ، إن قصرنا عنها ذمنا ، وإن  
اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ، وإنما نحن شعب من أصل ، إن قوى قوينا ، وإن

---

[١] الظربان : دوية فوق حرو الكلب منننة الريح كثيرة الفسوة ، يضرب بها المثل فيقال : « أوسى من  
ظربان » . [٢] في الأصل « تسرع » وأراه محرفاً . [٣] أصيب : أفل من صاب السهم يصيب  
صيباً : أى أصاب ، وسهم صيوب كصبور . [٤] انقاصد أى الكاسر ، من القصد بالفتح : وهو  
الكسر بأى وجه كان ، أو بالنصف ، كالتقسيد ، يقال قصد الخبة وقصدها : كسرهما وفضاها فتقصدت .  
[٥] خلق . [٦] هو خداس بن بشر الجاشعي ، أحد شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى جريراً .

ضَعُفَ ضَعْفُنَا ، إن هذا قد ألقى بيده إلقاءَ الأُمَّةِ الوَكْفَاءِ<sup>(١)</sup> ، يشاور النساء ، ويعتمد على الرؤيا ، وقد أمكن أهلَ اللّهُو والخسارة مِن سمعه ، فهم يَعِدُونَهُ الظَّفَرَ ، ويعتونه عُقْب<sup>(٢)</sup> الأيام ، والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قِيَمَان<sup>(٣)</sup> الرمل ، وقد خَشِيتُ وألله أن تهلكَ بهلاكه ، ونعطبَ بعَطْبِهِ .

وأنت فارس العرب وابن فارسها ، وقد قَزَعَ إليك في لقاء هذا الرجل ( طاهر ) ، وأطمعته فيما قبلك أمران ؛ أمّا أحدهما فَصِدْقُ طاعتك ، وفضلُ نصيحتك ؛ والثاني يُمِنُ تَقِيْمَتِكَ<sup>(٤)</sup> ، وشدة بأسك ، وقد أمرني بإزاحة عِلَّتِكَ ، وبسَطِ يدك فيما أحييت ، غير أن الاقتصاد رأس النصيحة ، ومفتاح اليُمْنِ وَالْبَرَكَه ، فَأَنْجِزِ حَوَائِجِكَ ، وَمَجِّلِ المبادرة إلى عدوك ، فإنني أرجو أن يُولِيكَ الله شرف الفتح ، وَيَلْمُ بك شَعَثَ هذه الخِلافة والدولة .

فأجاب بالسمع والطاعة ، غير أنه طلب مطالب لم تَرْمُقْ في عين الأمين فنضِبَ عليه ، وأمر بِسَجْنِهِ . ( تاريخ الطبرى ١٠ : ١٥٨ ، وزهر الآداب ٢ : ١٥٨ )

### ١٠١ - وصية الأمين لأحمد بن مزيد

ثم ندب عمه أحمد بن مزيد ، فلما أراد الشخصوص دخل على الأمين ، فقال :  
أوصني أكرم الله أمير المؤمنين ، فقال :

« أوصيك بِخِصَالِ عِدَّةٍ ، إياك والبغى فإنه عِقَالُ<sup>(٥)</sup> النصر ، ولا تقدم رجلا إلا باستخارة ، ولا تشهر سيفاً إلا بعد إعدار ، ومهما قَدَرْتَ عليه باللين ،

---

[١] وصف من الوكف بالتحريك : وهو الإثم والعيب والنقص ، وكف كفرح إذا أثم ، روى رواية الطبرى « الوكفاء » بالعين ، وهى الجماء . [٢] العقب كقفل وعقب : الماقبة .  
[٣] القِيَمَان جمع قاع : وهو أرض مطشنة سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .  
[٤] النقية : النفس والطبيعة . [٥] العقال فى الأول : الحمل الذى تفيد به الدابة .



فلا تتعدّه إلى الخرق والشَّرَه، وأحسِن صحَابَةَ مَنْ معك من الجند ، وطالِعْنِي بأخبارك في كل يوم ، ولا تخاطرِ بنفسك طلبَ الزُّلْفَةِ (١) عندي ، ولا تستقها فيما تخوف رجوعه على ، وكن لعبد الله أخاً مصافياً ، وقريناً برّاً ، وأحسِن مجامعته ، وصحبته ومعاشرته ، ولا تخذله إن استنصرك ، ولا تبطن عنده إذا استنصرتك ، ولتكن أيديكما (٢) واحدةً ، وكلمتكما متفقةً .

وتوجه أحمد بن مزيد في عشرين ألفاً من الأعراب ، وعبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفاً من الأبناء ، حتى نزلا خانقين - قريباً من خلوان - ولم يزل طاهر بحتال في وقوع الاختلاف والشغب بينهم ، حتى اختلفوا ، وانتقض أمرهم ، وقاتل بعضهم بعضاً ، فأخلوا خانقين ورجعوا عنها ، دون أن يلقوا طاهراً .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٩)

## ١٠٢ - مقال عبد الملك بن صالح للأمين

وكان عبد الملك بن صالح يشكر الأمين تخليّة سبيله ، ويوجب بذلك على نفسه طاعته ونصيحته ، فاما قوى طاهر ، واستعلى أمره ، وهزم من هزم من قواد الأمين وجيوشه ، دخل عبد الملك على الأمين ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إني أرى الناس قد طمعوا فيك ، وأهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك ، وقد بذلت سماحتك ، فإن تممت على أمرك أفسدتهم وأبطرتهم ، وإن كففت أمرك عن العطاء والبذل أسخطتهم وأغضببتهم ، وليس تملك الجنود بالإمساك ، ولا يبقى ثبوت الأموال على الإنفاق والسرف ، ومع هذا فإن جندك قد رعبتهم الهزائم ونهكتهم ، وأضعفتهم الحرب والوقائع ، وامتلات

[١] الزلفة والزلز : القرية . [٢] أي أنت وعبد الله بن حميد بن قحطية .

قلوبهم هيبَةً لعدوم ، وَنُكُولاً<sup>(١)</sup> عن لقاءهم ومناهضتهم ، فإن سيرتهم إلى طاهر ، غَلَبَ بقليل مَنْ معه كثيرهم ، وهزم بقوة نيته ضعف نصابهم ونياتهم ، وأهل الشام قوم قد ضَرَّستهم<sup>(٢)</sup> الحروب ، وأدَّبتهم الشدائد ، وَجَلَّتهم منقاداً إلى ، مسابحٍ إلى طاعتي ، فإن وَجَّهني أميرُ المؤمنين اتخذتُ له منهم جنداً يعظم نِكايتهم في عدوه ، ويؤيد الله بهم أولياءه وأهل طاعته .

فقال الأمين : « فَإني مؤليك أمرم ، ومقويك بما سألت من مال وَعُدَّة ، فمَجَّلْ الشخوصَ إلى ما هنالك ، فاعمل عملاً يظهر أثره ، وَيُحْمَدَ بركته ، برأيك ونظرك فيه إن شاء الله » ، فولاه الشام والجزيرة .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٦١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٠٣ )

### ١٠٣ - الشغب في جيش عبد الملك بن صالح

وسار عبد الملك بن صالح ، فلما قَدِمَ الرِّقَّةَ<sup>(٣)</sup> ، كتب إلى رؤساء أجناد الشام ووجوه الجزيرة ، فلم يبق أحد ممن يُرْجَى ، ويذكَرُ بأسه وَغَنَاؤُه إلا وَعَدَه ، وبسط له في أمله وأمنيته ، فقدموا عليه رئيساً بعد رئيس ، وجماعة بعد جماعة ، فكان لا يدخل عليه أحد إلا أجازه ، وخلع عليه وحمله ، فأتاه أهل الشام ، الزَّوْاقِيلُ والأعراب من كل فج ، وَاجْتَمَعُوا عنده حتى كَثُرُوا ، بَيَّنَدَ أنه شبت نار الفتنة بين جند أهل خراسان وبين الزَّوْاقِيلِ<sup>(٤)</sup> ، وَأَفْضَى الأمر إلى تلاحمهم واقتتالهم ، ثم قام رجل من أهل حِمص ، فقال :

[١] جينا وخوفا . [٢] جربتهم وأحكمتهم .

[٣] بلد على العرات . [٤] وسببها أن بعض جند أهل خراسان نظر إلى دابة كانت قد أخذت منه في إحدى الوقعات تحت بعض الزواقيل ، فتعلق بها ، فجرى الأمر بينهما إلى أن اختلفا ، واجتمعت جماعة من الزواقيل والجند فتلاحموا ، وأطان كل فريق منهم صاحبو ، ثم اتسع نطاق الفتنة فاندثقت وحدة الجيش .

« يأهل حمص ، الهَرَبُ أهونُ من العَطَبِ ، والموت أهون من الذل ،  
إنكم بعدتم عن بلادكم ، وخرجتم من أقاليمكم ، ترجون الكثرة بعد التلة ، والعزة  
بعد الذلة ، ألا وفي الشر وقعتم ، وإلى حومة الموت أنختم ، إن المنايا في شوارب  
المسوذة<sup>(١)</sup> وقلانسهم ، النفير النفير<sup>(٢)</sup> قبل أن ينقطع السبيل ، وينزل الأمر  
الجليل ، ويفوت المطلب ، ويعسر المذهب ، ويبعد العمل ، ويقرب الأجل .  
وقام رجل من كلب ، فقال :

« يا معشر كلب ، إنها الراية السوداء ، والله ما ولت ولا عدلت ، ولا ذل  
نصرها ، ولا ضعف وليها ، وإنكم لتعرفون مواقع سيوف أهل خراسان في  
رقابكم ، وآثار أسنتهم في صدوركم ، اعتزلوا الشرق قبل أن يعظم ، وتخطوه قبل  
أن يضطرم ، شأمكم ، داركم داركم ، الموت الفلستيني خير من العيش الجزري ،  
ألا وإني راجع فمن أراد الانصراف فليصرف معي » .  
ثم سار وسار معه عامة أهل الشام ، وأقبلت الزواويل حتى أضرمو ما كان  
مُجمع من الأعلاف بالنار ، ( وكان ذلك سنة ١٩٦ هـ ) .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٢ )

## ١٠٤ - خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان

يدعو إلى خلع الأمين

ومات عبد الملك بن صالح بالرقّة ، وكان معه الحسين بن علي بن عيسى  
ابن ماهان ، فأقل الجند من الجزيرة إلى بغداد ، فتلقاه أهلها بالتكرمة والتعظيم ،  
وضربوا له القباب ، واستقبله القواد والرؤساء والأشراف ، ثم اجتمع إليه الناس  
فقام فيهم فقال :

[١] كانت الجود الحراسية التي تقايل الأمويين في سبيل نصر الدعوة العباسية يحملون الرايات السود  
فسدوا من أجل ذلك المسوذة . [٢] نفر إلى الأمر كضرب نفيرا : أسرع إليه .

« يا معشر الأبناء ، إن خلافة الله لا تُجَاوَزُ بِالْبَطْرِ ، وَنِعْمَهُ لَا تَسْتَصْحَبُ  
بِالتَّجْبُرِ وَالتَّكْبُرِ ، وَإِنْ مُحَمَّدًا يُرِيدُ أَنْ يُوْتَعَ (١) أَدْيَانِكُمْ ، وَيُنَكِّثَ بَيْنَكُمْ ، وَيَفْرُقَ  
جَمْعَكُمْ ، وَيَنْقُلَ عِزَّكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ ، وَهُوَ صَاحِبُ الزَّوَاقِيلِ بِالْأَمْسِ ، وَبِاللَّهِ إِنْ  
طَالَتْ بِهِ مَدَّةٌ ، وَرَاجَعَهُ مِنْ أَمْرِهِ قُوَّةٌ ، لِيَرْجِعَنَّ وَبِالْذَلِكَ عَلَيْكُمْ ، وَلِيُعْرِفَنَّ  
ضُرْرَهُ وَمَكْرُوهَهُ فِي دَوَائِكُمْ وَدَعْوَتِكُمْ ، فَاقْطَعُوا أَثْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَ آثَرَكُمْ ، وَضَعُوا  
عِزَّهُ قَبْلَ أَنْ يَضَعَ عِزَّكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَا يَنْصُرُهُ مِنْكُمْ نَاصِرٌ إِلَّا خُذِلَ ، وَلَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ  
إِلَّا قُتِلَ ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ لِأَحَدٍ هَوَادَةٌ ، وَلَا يَرِاقِبُ عَلَى الاسْتِخْفَافِ بِمُجُودِهِ ،  
وَالْحِنْتُ بِأَيْمَانِهِ . »

وخلع الحسين بن علي محمد الأمين وحبسه (٢) ، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٣)

### ١٠٥ - خطبة محمد بن أبي خالد

في فض الناس عن اتباع الحسين بن علي بن عيسى

فلما أصبح الناس من الغد ، طلبوا من الحسين بن علي الأرزاق ، وماج

الناس بعضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد ، فقال :

« أيها الناس ، والله ما أدري ، بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا ،

ويتولى هذا الأمر دوننا ؟ ما هو بأكبرنا سينا ، ولا أكرمنا حسبا ، ولا أعظمتنا

منزلة ، وإن فينا من لا يرضى بالدنية ، ولا يُقاد بالخادعة ، وإني أولكم ،

تقض عهدته ، وأظهر التغيير عليه ، والإنكار لفعله ، فمن كان رأيه رأبي ،

فليمتزب معي . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٤)

[١] أوتع ديته بالإثم : أسده ، وأرتفه الله : أملكه .

[٢] وكان حبس الحسين محمد الأمين في قصر أبي جعفر يومين .

## ١٠٦ - إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة

وقام أسد الحرّبيّ ، فقال : « يا معشر الحرّبية ، هذا يومٌ له ما بعده ، إنكم قد نمتُم وطلّ نومكم ، وتأخرتم فقدم عليكم غيركم ، وقد ذهب أقوامٌ بذِكْر خلعِ محمد وأسرِهِ ، فاذهبوا بذِكْر فكِّهِ وإطلاقِهِ » .

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكفاية على فرس ، فصاح بالناس : اسكتوا ، فسكتوا ، فقال :

« أيها الناس ، هل تعتدّون على محمد بقطع منه لأرزاكم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل قصّر بأحد منكم ، أو من رؤسائكم وكبرائكم ؟ قالوا : ما علمنا ، قال : فهل عزّل أحداً من قوادكم ؟ قالوا : معاذ الله أن يكون فعل ذلك ، قال : فما بالكم خذلتُموه ، وأعتتم عدوّه على اضطهادهِ وأسرِهِ ؟ أمّا والله ما قتل قومٌ خليفَتهم قَطُّ ، إلا سلّط الله عليهم السيفَ القاتل ، والحَتَفَ الجارِف ، انهمضوا إلى خليفَتكم وادفعوا عنه ، وقاتلوا من أراد خلعهُ والفتك به » .

فنهضوا معه وقاتلوا الحسين بن عليّ وأصحابه قتالاً شديداً ، وأكثروا في أصحابهِ الجراح ، وأسروا الحسين ، ودخل أسد الحرّبيّ على محمد فكسّر قيوده ، وأقعده في مجلس الخلافة .

وأتى الأمين بالحسين بن عليّ ، فلامه على خِلافهِ وقال له : ألم أقدم أبك على الناس ، وأولّه أعنة الخيل ، وأملاً يده من الأموال ، وأشرف أقداركم في أهل خراسان ، وأرفع منازلكم على غيركم من القواد ؟ قال : بلى ، قال : فما الذي استحققتُ به منك أن تخلع طاعتي ، وتؤلّب الناس عليّ ، وتندبهم إلى رقتالي ؟

قال : الثقة بعفو أمير المؤمنين ، وحسن الظن بصفحة وتفضله ، قال : فإن أمير المؤمنين ، قد فعل ذلك بك ، وولأك الطلب بئارك ، ومن قُتِل من أهل بيتك ، ثم دعا له بخِلمة ، فخلعها عليه ، وحمله على مراكب ، وأمره بالمسير إلى خُلوآن ، وخرج الحسين ، فهرب في نفر من خدمه ومواليه ، فنادى محمد في الناس ، فركبوا في طلبه فأدركوه وقتلوه . ( تاريخ الطبري : ١٠ : ١٦٤ )

### ١٠٧ - خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين

وقام داود بن عيسى<sup>(١)</sup> والى مكة والمدينة - وكان خطيباً فصيحاً جهير الصوت - يدعو إلى خلع الأمين ومبايعة المأمون ، فقال :

« الحمد لله مالك الملك ، يؤثني الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويؤذل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمة للعالمين ، صلى الله عليه في الأولين والآخرين .

[١] هو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان الأمين حين أفضت الخلافة إليه بعث به والياً على مكة والمدينة ، فأقام والياً عليهما حتى دخلت سنة ١٩٦ ، فكتب الأمين إلى داود بن عيسى يأمره بمحلب عبد الله المأمون ، والبيعة لابنه موسى ، وبعث إلى الكتائب الذين كان الرشيد كتبهما وعلقهما في الكعبة ، وأخذهما ، فلما فعل ذلك جمع داود حجة الكعبة والقرشيين والفقهاء ، ومن كان شهد على ما في الكتائب من اليهود - وكان داود أحدم - فقال داود : قد علمت ما أخذ علينا وعليكم الرشيد من العهد واليثاق ، عند بيت الله الحرام ، حين بايعنا لابنيه لتكوين مع المظلوم منهما على الظلم ، ومع المبني عليه على الباغي ، ومع المغدور به على الغادر ، فقد رأينا ورأيتم أن محمداً ( الأمين ) قد بدأ بالظلم والبنى والعدر على أخويه عبد الله المأمون ، والقاسم المؤتمن ، وخلعهما ، وبايع لابنه الطفل رضيع صغير لم يعظم ، واستخرج العرطين من الكعبة عاصياً ، فخرقهما بالنار ، وقد رأيت خلعه ، وأن أبايع لعبد الله المأمون بالخلافة ، إذ كان مظلوماً مبياً عليه ، فقال له أهل مكة : رأينا تبع لرأيك ، ونحن خالموه معك ، فجمع الناس ، وخطبهم هذه الخطبة .

أما بعد ، يأهل مكة ، فأنتم الأصل والفرع ، والعشيرة والأُسرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم يَفِدُ وَفَدَ اللهُ <sup>(١)</sup> ، وإلى قبيلتكم يَأْتُمُّ المسامون ، وقد عَلِمْتُمْ ما أخذ عليكم الرشيد هرون ، رحمة الله عليه وصلاته ، حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق ، لتَنْصُرُنَّ المظلومَ منهُما على الظالم ، والمبغى عليه على الباغي ، والمغدورَ به على الغادر ، ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد ابن هرون قد بدأ بالظلم والبنى والغدر ، وخالف الشروط التي أعطها من نفسه في بطن البيت الحرام ، وقد حَلَّ لنا ولكم خَلْعُهُ من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم المبغى عليه ، المغدور به ، ألا وإني أشهدكم أنني قد خلعت محمد بن هرون من الخلافة ، كما خلعت قَلَنْسُوتِي هذه من رأسي - وخلعت قَلَنْسُوتَهُ عن رأسه ، فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من بُرُودِ حَبْرَةَ <sup>(٢)</sup> مسلسلة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها - ثم قال : قد بايعت لعبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفكم ، فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر رجل فرجل ، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة وخلع محمداً .

( تاريخ الطبرى ١٠ : ١٧٠ )

## ١٠٨ - خطبة الأمين وقد تولى الأمر عنه

ولما رأى الأمين الأمر قد تولى عنه ، وأنصاره يتسللون فيخرجون إلى طاهر ، أمر بإحضار كل من كان معه في المدينة من القواد والجنود ، فأشرف عليهم وقال :

---

[١] أى لتأدية فريضة الحج . [٢] برود حبرة : صرب من البرود اليمانية ، يقال : برود حبرة مثل عنبة على الوصف والإضافة ، وبرود حبرة ، وليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً ، إنما هو وصى كقولك : ثوب قرمز ، والقرمز : صبغه

« الحمد لله الذى يرفع ويضع ، وَيُعْطِي وَيَمْنَع ، وَيَقْبِضُ وَيَسْطُط ، وإليه المصير ، أحمده على نوائب الزمان ، وَخِذْلَانِ الْأَعْوَانِ ، وتشتت الرجال ، وذهاب الأموال ، وَخُلُولِ النَّوَائِبِ ، وتوفد المصائب ، حمداً يَدْخُرُ لِي بِهِ أَجْزَلُ الْجِزَاءِ ، وَيَرْفِدُنِي <sup>(١)</sup> أَحْسَنَ الْعَزَاءِ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شَهِدَ لِنَفْسِهِ ، وشهدت له ملائكتُهُ ، وأن محمداً عبده الأمين ، ورسوله إلى المسامنين صلى الله عليه وسلم ، آمينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

أما بعد : يا معشر الأبناء ، وأهل السَّبْقِ إِلَى الْهُدَى ، فقد علمتم غفلي كانت أيامَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَزَيْرِ عَالِيٍّ وَمَشِيرِ ، فَادَّتْ <sup>(٢)</sup> بِهِ الْأَيَّامُ بِمَا لَزِمَنِي بِهِ مِنَ النَّدَامَةِ فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، إِلَى أَنْ نَبْهَتُونِي فَانْتَبَهْتُ ، وَاسْتَعْتَمُونِي فِي جَمِيعِ مَا كَرِهْتُمْ مِنْ نَفْسِي وَفِيكُمْ ، فَبَذَلْتُ لَكُمْ مَا حَوَاهِ مُلْكِي ، وَنَالَتهُ مَقْدَرْتِي ، مِمَّا جَمَعْتُهُ وَوَرِثْتُهُ عَنْ أَبِي ، فَقَوَّدْتُ <sup>(٣)</sup> مِنْ لَمْ يَجُزْ ، وَاسْتَكْفَيْتُ مَنْ لَمْ يَكْفِ ، وَاجْتَهَدْتُ - عِلْمَ اللَّهِ - فِي طَلْبِ رِضَاكُمْ بِكُلِّ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ ، وَاجْتَهَدْتُمْ - عِلْمَ اللَّهِ - فِي مَسَاءَتِي فِي كُلِّ مَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ ، مِنْ ذَلِكَ تَوْجِيهِي إِلَيْكُمْ عَلَى ابْنِ عِيسَى شَيْخِكُمْ وَكَبِيرِكُمْ ، وَأَهْلِ الرَّأْفَةِ بِكُمْ ، وَالتَّحَنُّنِ عَلَيْكُمْ ، فَكَانَ مِنْكُمْ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ ، فَغَفَرْتُ الذَّنْبَ ، وَأَحْسَنْتُ وَاحْتَمَلْتُ ، وَعَزَيْتُ نَفْسِي عِنْدَ مَعْرِفَتِي بِشُدُوزِ الظَّفَرِ ، وَحِرْصِي عَلَى مُقَامِكُمْ مَسْلُحَةً <sup>(٤)</sup> بِخُلُوفَانِ مَعَ ابْنِ كَبِيرٍ صَاحِبِ دَعْوَتِكُمْ ، وَمَنْ عَلَى يَدَيْ أَبِيهِ <sup>(٥)</sup> كَانَ نَفْرَكُمْ ، وَبِهِ تَمَّتْ طَاعَتُكُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمِيدِ بْنِ قَحْطَبَةَ ، فَصَرْتُمْ مِنَ التَّائِبِ عَلَيْهِ إِلَى مَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ ، وَلَا صَبْرَ عَلَيْهِ ، يَقُودُكُمْ

[١] رَفَدَهُ وَأَرْفَدَهُ : أَعْطَاه . [٢] طَاوَنَتْهُ وَأَمَلَتْهُ . [٣] أَيْ اتَّخَذَتْهُ قَائِدًا .

[٤] الْمَسْلُحَةُ : الْقَوْمُ ذُووِ السَّلَاحِ . [٥] أَيْ جَدَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدِ بْنِ قَحْطَبَةَ ، وَهُوَ قَحْطَبَةُ ابْنِ شَيْبَةَ الطَّائِي ، أَحَدُ الدُّعَاةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْقَوَادِ الَّذِينَ قَاتَلُوا الْجَيْشَ الْأُمَوِيَّ - انظر الجزء الثاني



رجل منكم وأنتم عشرون ألفاً إلى عامين ، وعلى سيدكم متوثبين ، مع سعيد الفرد ، سامعين له مطيعين ، ثم وثبتم مع الحسين عليّ ، فخلعتموني وشتمتموني ، وانتهبتموني وحبستموني وقيدتموني ، وأشياء منعتموني من ذكرها ، حقد قلوبكم ، وتلكي<sup>(١)</sup> طاعتكم أكبر وأكبر ، فالحمد لله حمد من أسلم لأمره ، ورضي بقدره ، والسلام .

وكانت عاقبة أمره أن قتل سنة ١٩٨ هـ وحمل رأسه إلى المأمون بخراسان .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٥ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٠٥)

### ١٠٩ — إستعطاف الفضل بن الربيع للمأمون

وقال المأمون للفضل بن الربيع<sup>(٢)</sup> لما ظفر به : « يا فضل ، أكان من حقي عليك وحقّ أبائي ونعمهم عند أيك وعندك أن تثلبني<sup>(٣)</sup> وتسبني وتحرّض علي دمي ؟ أتحبّ أن أ فعل بك ما فعلته بي ؟ »

فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن عُذري يُحَقِّدك إذا كان واضحاً جميلاً ، فكيف إذا حَفَّتُهُ<sup>(٤)</sup> العيوبُ ، وقَبَّحَتْهُ الذنوبُ ، فلا يضيقُ عني من عفوك ما وسعَ غيري منك ، فأنت كما قال الشاعر<sup>(٥)</sup> فيك :

صَفُوحٌ عن الأجرام حتى كأنه من العفولم يَعْرِف من الناس مُجْرَما  
وليس يُبالي أن يكون به الأذى إذا ما الأذى لم يَغْشَ بالكُرْه مُسْأِما

( زهر الآداب ٢ : ١٦٣ )

[١] مسهل عن تلكو . [٢] توفى سنة ٢٠٨ . [٣] ثلبه كضربه : لأمه وعابه .

[٤] هكذا في الأصل ، وربما كان « أخفته » لقوله قبل : « إذا كان واضحاً » .

[٥] هو الحسن بن رجا بن أبي الضحاك .

## ١١٠ - خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين

ودخل طاهر بن الحسين بغداد يوم الجمعة بعد قتل الأمين ، فصلى بالناس وخطبهم خطبة بليغة ، وقد حضره من بني هاشم والقواد وغيرهم جماعة كثيرة قال :

« الحمد لله مالك الملك ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُسْذِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ، إِنْ ظَهَرَ غَلْبَتُنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْدِينَا وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْخَلِيفَةِ ، إِذْ جَعَلَهَا عِمَادًا لِدِينِهِ ، وَقَوَامًا لِعِبَادِهِ ، وَضَبَطَ الْأَطْرَافَ ، وَسَدَّ الثُّغُورَ ، وَإِعْدَادِ الْعُدَّةَ ، وَجَمَعَ الْفَيْءَ ، وَإِنْفَازِ الْحُكْمِ ، وَنَشَرَ الْعَدْلَ ، وَإِحْيَاءِ السُّنَّةِ ، بَعْدَ إِذْ بَالَ الْبَطَالَاتِ ، وَالتَّلَذُّ بِمُوبِقِ الشَّهَوَاتِ ، وَالْمُخْلِدُ إِلَى الدُّنْيَا مُسْتَحْسِنٌ لِدَاعِي غُرُورِهَا ، مُحْتَلِبٌ دِرَّةً <sup>(١)</sup> نِعْمَتِهَا ، أَلِفٌ لَزَهْرَةٍ رَوْضَتِهَا ، كَلِيفٌ بَرُونِقٍ بَهْجَتِهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ وِفَاءِ مَوْعُودِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا لِمَنْ بَغَى عَلَيْهِ ، وَمَا أَحَلَّ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ وَتَقَمَّتِهِ ، لَمَّا نَكَبَ <sup>(٢)</sup> عَنْ عَهْدِهِ ، وَارْتَكَبَ مَعْصِيَتَهُ ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَغَيَّرَهُ نَاهِيَةً ، وَعَظَمْتَ مُؤَدَّبَةً ، فَتَمَسَّكُوا بِدَقَائِقِ عِصْمِ <sup>(٣)</sup> الطَّاعَةِ ، وَاسْتَلْكَوْا مَنَاجِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ ، وَاحذَرُوا مِصَارِعَ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ ، الَّذِينَ قَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ ، وَصَدَّعُوا شَعْبَ الْأَلْفَةِ ، فَأَغْقَبَهُمُ اللَّهُ خَسَارَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . ( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٦ ، والمقد الفريد ٢ : ١٥٥ )

[١] الدرّة : اللبّ . [٢] عدل .

[٣] جم عصام ككتاب ، وعصام القرية : رباطها وسيرها الذي تحمل به .

## خطب المأمون (توفي سنة ٢١٨ هـ)

١١١ - خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد

خطب الناس بمرّوحين ورد عليه نعي الرشيد ، فقال :  
« إن ثمرة الصبر الأجر ، وثمره الجزع الوزر ، والتسليم لأمر الله عز وجل فائدة جليلة ، وتجارة مربية ، فالموت حوض مورود ، وكأس مشروب ، وقد أتى على خليفتم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، فما كان إلا عبداً دعي فأجاب ، وأمر فأطاع ، وقد سدد أمير المؤمنين نلمه ، وقام مقامه ، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرفتم ، فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضي ، واغتنبوا بالنعماء والوفاء في خليفتم الباقي ، يأهل الدنيا : الموت نازل ، والأجل طالب ، وأمس واعظ ، واليوم مغتتم ، وغد منتظر » .

١١٢ - خطبته وقد سلم الناس عليه بالخلافة

ولما بلغه بخراسان قتل أخيه ، وأقبل الناس للتسليم عليه بالخلافة ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :  
« أيها الناس : إني جعلتُ لله على نفسي ، إن أسترعاني أموركم أن أطيعه فيكم ، ولا أسفك دماً عمداً لا شحله حدوده ، وتسفك فرائضه ، ولا آخذ لأحد مالا ، ولا أثاناً ، ولا نخلة<sup>(١)</sup> تحرم على ، ولا أحكمم بهواي ، في غضبي ولا رضاي ، إلا ما كان في الله وله ، جعلتُ كله لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مشدداً ،

[١] نخلة : أعطاء والامم النخلة .

إني أفي رغبة في زيادته إياي في نعمتي ، ورهبة من مسألته إياي عن حقه وخلقه ، فإن غيرت أو بدلت كنت للغير مستأهلاً ، وللنكال معرضاً ، وأعوذ بالله من سخطه ، وأرغب إليه في المعونة على طاعته ، وأن يحول بيني وبين معصيته .

### ١١٣ - خطبته يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجبه على خلقه ، أحمده وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ، والتنجز لوعده ، والخوف لوعيده ، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له وأرضاه ، فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا أعمالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم ، وترحلوا فقد جدُّ بكم ، واستعدُّوا للموت فقد أظلمكم ، وكونوا قوماً صيخ بهم فانتبهوا ، وعلِّموا أن الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا ، فإن الله لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سدى ، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غاية تنقُصها اللحظة ، وتهدمها الساعة الواحدة ، لجديرة بقصر المدة ، وإن غائباً يحدوه <sup>(١)</sup> الجديدان : الليل والنهار حرياً بسرعة الأوبة ، وإن قادماً يحل بالفوز أو بالشقوة مستحق لأفضل المدة ، فاتق عبد ربّه ، ونصح نفسه ، وقدم توبته ، وغلب شهوته ، فإن أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكل به ، يزين له المعصية ليركبها ، ويمنيه التوبة ليسوفها ، حتى تهجم عليه

منيته أغفل ما يكونُ عنها ، فيالها حسرةً على ذى غفلة ، أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة ، ولا تقصّره عن طاعته غفلة ، ولا تحلّ به بعد الموت فزعة . إنه سميع الدعاء ، ويده الخير ، وإنه فعّال لما يريد . »

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٣ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٨ )

## ١١٤ - خطبته يوم الأضحى

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرمةً ، ووفق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليله ، وفدى فيه من الذبح نبيه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدم الأيام المعدودات من التفر<sup>(١)</sup> ، يوم حرام ، من أيام عظام ، في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن بتعظيمه ، قال الله جل وعز : « وَادِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكِ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا ، وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ، ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ<sup>(٢)</sup> » فتقربوا إلى الله في

[١] يوم التفر : اليوم الذي ينفر فيه الناس من مي ، وهو بعد يوم القر ( ويوم القر بالفتح : اليوم الذي بعد يوم الحر ، لأن الناس يقرّون في منازلهم ) .

[٢] رحالا : أى مشاة ، جمع راجل كقيام وقيام ، وعلى كل ضامر : أى وركبانا على كل ضامر ، أى بعير مهزول ، يأتين : أى الضواير ، صفة لضامر حملا على المعنى ، من كل فج عميق : أى طريق بعيد ، ليشهدوا منافع لهم : دينية ودنيوية ، في أيام معلومات : هي عشر ذى الحجة ، وقيل : أيام النجر ، من

هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله ، واجعلوها من طيب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : « لَنْ يَنَالَ اللهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ »<sup>(١)</sup> ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنة والنار : عظّم قدر الدارين ، وارتفع جزاء العمّلين<sup>(٢)</sup> ، وطالت مدة الفريقين ، الله الله ، فوالله إنه الجِدُّ لا اللَّعِبُ ، وإنه الحقُّ لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث ، والميزان والحساب والقصاص والصراط ، ثم العقاب والثواب ، فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب ، الخير كلّه في الجنة ، والشر كله في النار .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٨ )

### ١١٥ — خطبته يوم الفطر

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم عيد وسنة ، وابتهاال ورغبة ، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حج بيته الحرام ، فجعله خاتمة الشهر ، وأوّل أيام شهور الحج ، وجعله مُعَقَّبًا لفروض صومكم ، ومُتَنَفَّلَ قِيَامِكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ، فَاطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ ، وَاسْتَغْفِرُوهُ لِتَفْرِيطِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : « لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ » ، ثم التكبير والتحميد ، وذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، والوصية بالتقوى ، ثم قال : فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي أعتدل فيه يقينكم ، ولم يَحْتَضِرْ<sup>(٣)</sup> الشك فيه أحدكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لا تُسْتَقَالُ بعده عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْظَرُ قبله تَوْبَةٌ ، واعلموا أنه لا شيء قبله إلا دونه ، ولا شيء بعده

بهيئة الأدام : الأبل والبقر والغنم التي تنحر للضحايا ، ثم ليقتضوا قنهم : أي يزيلوا أوساخهم وشعرهم من نحو قسّ الأظفار ، وحلق العانة ، وغير ذلك . [١] أي يرفع إليه منكم العمل الصالح .  
[٢] أي عمل الخير وعمل الخير . [٣] يحضر .

إِلا فَوْقَهُ ، وَلا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَغَلْزِهِ <sup>(١)</sup> وَكَرْبِهِ ، وَلا يُعِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ ، وَضِيْقِهِ وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إِلا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَمن زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَدَلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لا يُقْبَلُ مِنْهُ ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا ، إِذْ مِنْهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى الْمَقْدَمُونَ قَبْلَكُمْ إِلا هَذَا الْمَهَلَّ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ ، وَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكم اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لَوْضِعِ مَوَازِينِكُمْ ، وَنَشْرِ صُحُفِكُمْ الْحَافِظَةَ لِأَعْمَالِكُمْ ، فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُعْلَى <sup>(٢)</sup> فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةَ لِمَا عَلَيْهِ وَهُوَ ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمَفْرَطُونَ عِنْدَهَا ، إِذْ طَالَ إِعْرَاضَهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : « وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » ، وَقَالَ : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِطَ <sup>(٣)</sup> لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ » ، وَلَسْتَ أَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مِمَّا نَهَيْتُمْكَ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِهَا يَنْهَى عَنْهَا ، وَكُلَّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ مِمَّا رَأَتْهُ أَعْيُنُكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا ذَمُّ كِتَابِ اللَّهِ لَهَا ، وَنَهَى اللَّهِ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : « فَلَا تَغْرُبْكُمْ أَلْحِياءُ الدُّنْيَا ، وَلا يَغْرُبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، وَقَالَ : « إِنَّمَا الْحَياءُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ . . . الْآيَةُ » ، فَاتَّقِعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهَا ، وَبِإِخْبَارِ اللَّهِ عَنْهَا ،

[١] العِلْزُ : مَا يَصِيبُ الْمَرِيضَ عِنْدَ حَشْرَةِ الْمَوْتِ مِنْ رَعْدَةٍ وَاضْطِرَابٍ . [٢] يَعْلَى

[٣] الْقَسِطُ : الْعَدْلُ ، مَصْدَرٌ وَصَفٌ بِه الْمُبَالِغَةُ أَوْ ذَوَاتُ الْقَسْطِ .

واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها ، وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدرَكوا الجنة بما تركوا منها .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٥ ، والمقد الفريد ٢ : ١٤٨ )

### ١١٦ - خطبة ابن طباطبا العلوى

وخطب محمد <sup>(١)</sup> بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبًا بن الحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، حين انتهب قائدُ جيوشه أبو السرايا السرىّ ابن منصور قصرَ العباس بن موسى بن عيسى ، فقال :

« أما بعدُ : فإنه لا يزال يَبْلَغُنِي أن القائل منكم يقول : إن بنى العباس فينا لنا ، نخوضُ في دمائهم ، وَتَرْتَعُ في أموالهم ، وَيُقْبَلُ قولنا فيهم ، وَتُصَدَّقُ دعوانا عليهم ، حُكْمٌ بلا عِلْمٍ ، وَعَزْمٌ بلا رَوِيَّةٍ ! عَجَبًا لمن يُطَلِّقُ بذلك لسانه ، ويحدّث به نفسه ! أ بكتاب الله تعالى حَكَمَ ، أم لِسِنَّةِ نبيه صلى الله عليه وسلم أَتَبِعَ ؟ أ في مَيْلِي <sup>(٢)</sup> معه طَمِعَ ، أم بَسَطَ يدي له بالجود أَمَلَ ؟ هيهات ! فازدو الحق بما نَوَى ، وأخطأ ذو الباطل بما تَمَنَّى ، حَقُّ كل ذى حقٍّ في يده ، وكل

---

[١] خرج بالكوفة امشر خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وكان القيم بأمره في تدبير الحرب ، وقيادة جيوشه أبا السرايا السرى بن منصور وكان سبب خروجه صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان التي افتتحتها ، وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل ، ولما فعل ذلك تحدث الناس بالعراق أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون ، وأنه قد أنزله قصرًا حجبته فيه عن أهل بيته ، ووجوه قواده من الحاصّة والعامّة ، وأنه يبرم الأمور على هواه ، ويستبدّ بالرأى دونه ، فعصب لذلك بالعراق من كان بها من بنى هاشم ، ووجوه الناس ، وأنفوا من غلبة الفضل على المأمون ، واجتروا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتن في الأمصار ، فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا المذكور ، فوجه إليه الحسن بن سهل زهير بن المسيب في عشرة آلاف فواقمهم فهزموه واستباحوا عسكره ، فلما كان من غد اليوم الذي كانت فيه الوقعة (وذلك يوم الخميس ليلة خلت من رجب سنة ١٩٩) مات ابن طباطبا فجأة ، فذكر أن أبا السرايا سمع ، وذلك أن ابن طباطبا لما أحرز ما في عسكر زهير منه أبا السرايا ، وحظره عليه ، وكان الناس له مطيعين ، فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه فسه « . و [٢] في الأصل : « أى مثلج » وهو تحريف ، والصواب ما ذكرته .



مُدَّعٍ عَلَى حِجَّتِهِ ، وَيَلُ لِمَنْ اغْتَصَبَ حَقًّا ، وَاَدْعَى بَاطِلًا ، أَفْلَحَ مَنْ رَضِيَ بِحُكْمِ اللَّهِ ، وَخَافَ مِنْ أَرْغَمِ الْحَقُّ أَنْفَهُ ، الْعَدْلُ أَوْلَى بِالْأَثَرَةِ وَإِنْ رَغِمَ الْجَاهِلُونَ ، حُقُّ لِمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَجْتَنِبَ الْمُنْكَرَ ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ الْعَدْلِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَرَارَةِ الْحَقِّ ، كُلُّ نَفْسٍ تَسْمُو إِلَى هِمَّتِهَا ، وَنِعْمَ الصَّاحِبُ الْقِنَاعَةُ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ أَكْرَمَ الْعِبَادَةَ الْوَرَعَ ، وَأَفْضَلَ الزَّادَ التَّقْوَى ، وَاعْمَلُوا فِي دُنْيَاكُمْ ، وَتَرَوُّدُوا لِآخِرَتِكُمْ ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَتَوْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَعْصِيَةَ وَحِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُمَا يَمَحَقَانِ الدِّينَ ، وَيُورِثَانِ النِّفَاقَ ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، يَصْلُحْ لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَتَحْسُنِ الْمَقَالَةَ فِيكُمْ . الْحَقُّ أَوْلَجٌ ، وَالسَّبِيلُ مَنْهَجٌ ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجٌ <sup>(١)</sup> ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ ، وَلِكُلِّ فِي الْحَقِّ سَعَةٌ ، مِنْ حَارَبْنَا حَارَبْنَا ، وَمَنْ سَأَلْنَا سَأَلْنَا ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا آمِنُونَ إِلَّا رَجُلًا نَصَبَ لِنَا نَفْسَهُ ، وَأَعَانَ عَلَيْنَا بِمَالِهِ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَفُولَ : وَرَجُلٌ قَالَ فِينَا يَتَنَاوَلُ مِنْ أَعْرَاضِنَا : لَقُلْتُ ، وَكُنْفِي ، حَسْبُ كُلِّ امْرَأٍ مَا يَصْنَعُهُ ، وَسَيُكْفِي الظَّالِمُونَ »  
(مواسم الأدب ٢ : ١١٣)

## ١١٧ — استعطاف إبراهيم بن المهدي المأمون

لَمَّا ظَفِرَ الْمَأْمُونُ بِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ <sup>(٢)</sup> أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ عَلَيْهِ ، فَجِيءَ بِإِبْرَاهِيمَ يَحْجُلٍ <sup>(٣)</sup> فِي قِيُودِهِ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : لَا سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَلَا حَفِظَكَ ، وَلَا رَعَاكَ ، وَلَا كَلَّكَ <sup>(٤)</sup>

[١] أبلج : أي واضح بين ، والمنهج : الطريق الواضح ، والباطل الجلج : أي يتردد فيه صاحبه ، فلا يصيب مخرجا . [٢] كان المأمون قد عهد بالخلافة لعلی الرضا بن موسى الكاظم ، فلما سمع العباسيون ببغداد ( وكان المأمون بمرور حاضرة خراسان ) ما فعله المأمون من نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي ، أنكروا منه ذلك ، وحلوه من الخلافة ، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي سنة ٢٥١ هـ ، ولما علم المأمون بذلك جد في المسير إلى بغداد ، وهرب عمه إبراهيم وتواري .  
[٣] حجل اللقيد كضرب ونصر : رفع رجلا ، وتريت في مشيه على رجله . [٤] كلاه : حرسه .

يا إبراهيم ، فقال له إبراهيم : على رسلك <sup>(١)</sup> يا أمير المؤمنين ، ولى <sup>(٢)</sup> النار محكم في القصاص ، والمعفو أقرب للتقوى ، ومن مد له الاعتذار في الأمل ، هجمت به الأناة على التلّف <sup>(٣)</sup> وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق كل <sup>(٤)</sup> عفو ، فإن تماقبت فبحقك ، وإن تعفت فبفضلك » ، ثم قال :

ذنبى إليك عظيمٌ وأنت أعظمٌ منه  
فخذ بحقك أو لا فاصفح بفضلك عنه  
إن لم أكن فى فعالى من الكرام فكنته

فأطرق المأمون ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : إني سأورت أبا إسحق <sup>(٥)</sup> والعباس في قتلك فأشارا على به ، قال : فما قلت لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت لهما : بدأنا له بإحسان ، ونحن نستأمره فيه ، فإن غير الله يغير ما به ، قال : أما أن يكونا قد نصحاك في عظم قدر الملك ، وما جرت عليه عادة السياسة فقد فعلا ، ولكن أبيت أن تستجاب النصر إلا من حيث عودك الله ، ثم استعبر باكيًا ، فقال له المأمون : ما يُيكيك ؟ قال : جَدَلًا ، إذ كان ذنبي إلى من هذه صِفته في الإنعام ، ثم قال : يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جرّمي يبلغ سفك دمي ، فلم أمير المؤمنين وتفضله يُبلغاني عفوّه ، ولى بعدها شفاعة الإقرار بالذنب ، وحرمة الأب بعد الأب ، قال المأمون : « القدرة تذهب الحفيظة <sup>(٦)</sup> ، والندم توبةٌ ، وعفو الله بينهما ، وهو أكبر ما يحاول ، يا إبراهيم : لقد حببت إلى العفو ، حتى خفت

[١] المهل والتؤدة . [٢] صاحبه . [٣] وفي رواية : « ومن تناوله الاعتذار بما مد له من أسباب الرضاء ، أمن طادية الدهر » . [٤] وفي رواية : « وقد أصبحت فوق كل ذى ذنب ، كما أصبح كل ذى عفو دونك » ، وفي أخرى : « وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك » . [٥] أبو إسحق هو للمصنف أخو المأمون ، والعباس هو ابن المأمون . [٦] الحفيظة : العصب ، وفي رواية الأغانى أن هذه الجملة من قول إبراهيم بن المهدي .

أن لا أوجرَ عليه ، أما لو عَلمَ الناس مالنا في العفو من اللذة ، لتقربوا إلينا  
بالجنايات ، لا تثيريب<sup>(١)</sup> عليك ، يَغفر الله لك ، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ  
الصفح عن زلتك ، لبلغك ما أملت حسن توصلك ، ولطيف تنصلك » ، ثم  
أمر بردَ ماله وضياعه ، فقال :

رَدَدْتَ مَالِي ، وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ      وَقَبَّلَ رَدَّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي  
فَأُتُّ مِنْكَ - وَمَا كَأَفْأَثُهَا - بِيَدِي      هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَفْرٍ وَمِنْ عَدَمٍ<sup>(٢)</sup>  
وَقَامَ أَمُّكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي      مَقَامَ شَاهِدِ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ  
فَلَوْ بَدَلْتُ دَمِي أَبْنِي رِضَاكَ بِهِ      وَالْمَالِ ، حَتَّى أَسْأَلَ النِّعْلَ مِنْ قَدَمِي  
مَا كَانَ ذَاكَ سِرْوِي عَاوِيَةً رَجَعْتُ      إِلَيْكَ ، لَوْ لَمْ تَهَبَّهَا كُنْتُ لَمْ تُتْلَمْ  
(الأغاني ٩ : ٥٧ ، والعقد المربد ١ : ١٤٢ ، والأمالى ١ : ٢٠٢ ، وزهر الآداب ٣ : ١٩١)

### ١١٨ - إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب

تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد  
القاضي ، في مجلس الحكم ، في عقار بناحية السواد<sup>(٣)</sup> ، فزرى عليه<sup>(٤)</sup> ابن المهدي ،  
وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي دؤاد ، فأحفظه<sup>(٥)</sup> ذلك ، فقال : « يا إبراهيم  
إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم ، فلا أعلمن أنك رفعت عليه صوتاً ، ولا  
أشرت إليه بيد ، وليكن قصدك أمماً<sup>(٦)</sup> ، وطريقك نهجاً<sup>(٧)</sup> ، وريحك ساكنة ،  
وكلامك معتدلاً ، ووف مجالس الحكومة حقوقها ، من التوقير والتعظيم  
والاستكانة والتوجه إلى الواجب ، فإن ذلك أشبه بك ، وأشكل لمذهبك في

[١] لا لوم . [٢] اليد : النعمة .

[٣] سواد العراق ، والعقار : كل ملك ثابت له أصل كالدار والبخل ، وجمع عقارات .

[٤] عابه . [٥] أغضبه . [٦] الأمم : القصد الوسط . [٧] واضحاً .

مُخْتَدِكِ<sup>(١)</sup> ، وَعَظِيمِ خَطَرِكَ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا تَعْجَلْ ، قَرُبَ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا<sup>(٣)</sup> ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ الزَّلَلِ ، وَخَطَلَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ ، وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ<sup>(٤)</sup> .

قال إبراهيم : « أصلحك الله أمرت بسداد ، وحضضت على رشاد ، ولست بمائدٍ إلى ما يئثم<sup>(٥)</sup> مُرُوءتي عندك ، ويُسقطني من عينك ، ويُخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار ، فهأنأ معتذراً إليك من هذه البادرة ، اعتذاراً مُقَرَّباً بذنبه ، باخِيعٍ بجرمه<sup>(٥)</sup> ، فإن الغضب لا يزال يستفزني بموادّه ، فيردني مثلك بحلمه ، وتلك عادة الله عندنا منك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد وهبت حتى من هذا العقار لبختيشوع ، فليت ذلك اليوم يعول<sup>(٦)</sup> بأرزش<sup>(٧)</sup> الجناية ، ولم يتلف مالٌ أفاد موعظة ، وبالله التوفيق . »

( المقدم الفردي ١ : ٢٧ ، وزمر الآداب ١ : ٣٣٢ )

## ١١٩ - استعطاف إسحاق بن العباس المأمون

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : « لا تحسبني أغفلتُ إجلابك مع ابن المهدي ، وتأيدك لرأيه ، وإيقادك لناره ، قال : « يا أمير المؤمنين ، ولرحمى أمس من أرحامهم ، وقد قال لهم كما قال يوسف لآخوته : « لَا تَثْرِبَ<sup>(٨)</sup> عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » ، وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارثٍ لهذه المنة ، ومُتمثل<sup>(٩)</sup> لخلال العفو والفضل . »

قال : هيهات ! تلك أجرام جاهلية ، عفا عنها الإسلام ، وجرمك جرم في إسلامك ، وفي دار خلافتك . قال : « يا أمير المؤمنين فوالله للمسلم أحق بإقالة

[١] أضلك . [٢] قدرك . [٣] إطاء . [٤] يميب ويغيب . [٥] تمر .

[٦] يزيد ويرجع . [٧] الأرض : الدية .

[٨] لا لوم . [٩] امتثل طريقته : تبعها فلم يبدعها .

الغفرة، وغفران الزلة من الكافر، هذا كتاب الله بيني وبينك، يقول الله تعالى :  
 « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ  
 لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ  
 النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » فهي للناس يا أمير المؤمنين سُنَّةٌ دخل فيها  
 المسلم والكافر، والشريف والمشروف « قال : صدقت ، اجلس ، وَرِيَتْ بِكَ  
 زِنَادِي ، وَلَا بَرِحْتُ أَرَى مِنْ أَهْلِكَ أَمْثَالَكَ .

( العقد الفريد ١ : ١٤٢ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٣ )

### ١٢٠ - أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها

لما دخل المأمون بغداد ، تلقاه وجوه أهلها ، فقال له رجل منهم : « يا أمير  
 المؤمنين ، بارك الله لك في مَقْدَمِكَ ، وزاد في نعمتك ، وشكرك عن رعيتك ،  
 تقدمت مَنْ قَبْلَكَ ، وَأَتَعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ <sup>(١)</sup> ، وَأَيَسَّتْ أَنْ يُعَايَنَ مِثْلَكَ ، أما فيما  
 مضى فلا نعرفه ، وأما فيما بقي فلا نرجوه ، فنحن جميعاً ندعوك ، ونثنى  
 عليك ، خَصِبَ لَنَا جَنَابُكَ ، وَعَذِبَ ثَوَابُكَ ، وَحَسُنْتَ نَظْرَتُكَ ، وَكَرُمْتَ  
 مَقْدَرَتُكَ ، جَبَرْتَ الْفَقِيرَ ، وَفَكَكْتَ الْأَسِيرَ ، فَإِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا  
 قَالَ الْأَوَّلُ :

ما زلتَ في البَدَلِ والنَّوَالِ وإِطْلَاقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِقِ <sup>(٢)</sup>

حتى تَمُنِّي الْبِرَاءَ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَسْرَى فِي الْقَيْدِ وَالْحَلَقِ <sup>(٣)</sup>

( العقد الفريد ١ : ١٣٧ )

[١] إذ أنه يجهد أن يلحق بك فلا يستطيع . [٢] العاني : الأسير ، والعلق : أهله مع غلق  
 الرهن إذا استعقه المرتين ، وذلك إذا لم يتمكنك في الوقت المشروط . [٣] البراء ككرام جمع برى .

## ١٢١ - أحد أهل الكوفة يمدح المأمون

وقدم وفد من الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون فأعرض عنهم ، فقال شيخ منهم : « يا أمير المؤمنين ، يدك أحقُّ يدٍ بتقبيل ، لعلوها في المكارم ، وبعدها من المآثم ، وأنت يوسفي العفو في قلة التثريب ، من أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك ، وذليل دولتك » ، فقال يا عمرو : نعم الخطيب خطيبهم ، افض حوائجهم . ( مروج الذهب ٢ : ٣١٩ )

## ١٢٢ - محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون

ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك بين يديك ، ربيب دولتك ، وسليل نعمتك ، وغصن من أغصان دوحتك <sup>(١)</sup> ، أتأذن في الكلام ؟ قال : نعم ، قال : « أستمنح الله حياة ديننا ودينانا ، ورعاية أديانا وأقسانا ببقائك ، ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا ، وفي أثرك من آثارنا ، ويقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا ، هذا مقام المائد بفضلك ، الهارب إلى كنفك وظلك ، الفقير إلى رحمتك وعدلك » ، ثم تكلم في حاجته ، فقضاها . ( العقد الفريد ١ : ١٤٦ )

## ١٢٣ - الحسن بن سهل يمدح المأمون

وقال الحسن بن سهل <sup>(٢)</sup> يوماً للمأمون :

« الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ، ومسني ما أعطاك ، إذ قسم لك الخلافة ، وهب لك معها الحجة ، ومكنك بالسلطان ، وحلأه لك بالعدل ،

[١] الدوحة : الشجرة المطيعة .

[٢] وذر للمأمون بمد أخيه الفضل بن سهل ، وتزوج تامون ابنته بوران ، وتوفى سنة ٢٣٦ هـ .

وأيدك بالظفر ، وَشَفَعَهُ لَكَ بِالْعَفْوِ ، وَأَوْجِبَ لَكَ السَّعَادَةَ ، وَقَرَنَهَا بِالسِّيَادَةِ ، فَمَنْ  
فُسِحَ (١) لَهُ فِي مِثْلِ عَطِيَّةِ اللَّهِ لَكَ ؟ أَمْ مَنْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ زِينَةِ الْمَوَاهِبِ  
مَا أَلْبَسَكَ ؟ أَمْ مَنْ تَرَادَفَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ تَرَادُفَهَا عَلَيْكَ ؟ أَمْ هَلْ حَاوَلَهَا  
أَحَدٌ وَارْتَبَطَهَا بِمِثْلِ مَحَاوَلَتِكَ ؟ أَمْ أَى حَاجَةٍ بَقِيَتْ لِرَعِيَّتِكَ لَمْ يَجِدُوهَا عِنْدَكَ ؟  
أَمْ أَى قِيَمٍ لِلإِسْلَامِ انْتَهَى إِلَى عِنَايَتِكَ وَدَرَجَتِكَ ؟ تَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى ، مَا أَعْظَمَ  
مَا خَصَّ الْقَرْنَ الَّذِي أَنْتَ نَاصِرُهُ ، وَسَبَّحَانَ اللَّهُ ! أَى نِعْمَةٍ طَبَّقْتَ (٢) الأَرْضَ  
بِكَ إِنْ أَدَّى شُكْرَهَا إِلَى بَارئِهَا وَالْمَنْعِمِ عَلَى الْعِبَادِ بِهَا ؟ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَاءَ  
فِي فَلَكِهَا ضِيَاءً يَسْتَنِيرُ بِهَا جَمِيعَ الْخَلَائِقِ ، فَكُلُّ جَوْهَرٍ زَاهٍ حَسَنُهُ وَنُورُهُ ، فَهَلْ  
لَبَسَتْهُ زِينَتُهُ إِلَّا بِمَا اتَّصَلُ بِهِ مِنْ نُورِكَ ؟ وَكَذَلِكَ كُلُّ وَليٍّ مِنْ أَوْلِيَائِكَ ، سَعِدَ  
بِأَفْعَالِهِ فِي دَوْلَتِكَ ، وَحَسُنَتْ صَنَائِعُهُ عِنْدَ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّمَا نَالَهَا بِمَا أَيْدَتْهُ مِنْ  
رَأْيِكَ وَتَدْيِيرِكَ ، وَأَسْعَدَتْهُ مِنْ حَسَنِكَ وَتَقْوِيمِكَ . ( زهر الآداب ٣ : ٢٠٠ )

## ١٢٤ - يحيى بن أكرم يمدح المأمون

وقال المأمون ليحيى بن أكرم (٣) : صف لى حالى عند الناس ، فقال :  
« يا أمير المؤمنين ، قد انتقادت لك الأمور بأزممتها ، وملكتك الأمة فُضُولَ  
أَعْنَتِهَا ، بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ ، وَالْمَحَبَةِ لَكَ ، وَالرَّفْقِ مِنْكَ ، وَالْعِيَاذِ بِكَ ، بِعَدْلِكَ فِيهِمْ ،  
وَمِنْكَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى لَقَدْ أَنْسَيْتَهُمْ سَلْفَكَ ، وَأَيَسْتَهُمْ مِنْ خَلْفِكَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي جَمَعَنَا بِكَ بَعْدَ التَّقَاطُعِ ، وَرَفَعَنَا فِي دَوْلَتِكَ بَعْدَ التَّوَاضُعِ » .

[١] أى وسع . [٢] ملأت وعت ، والاستفهام للتعظيم .

[٣] من ولد أكرم بن صبيو التميمي ، وكان فقيها عالما بالفقه بصيراً بالأحكام ، وقد غلب على المأمون ،  
حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً ، وقلده قضاء القضاة ، وتدير أهل مملكته ، فكانت الوزراء  
لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطاوعة يحيى بن أكرم ، وتوفى سنة ٢٤٦ هـ ، وعمره ٨٣ سنة .

فقال : يا يحيى ، أتحببياً أم ارتجالاً ؟ قال : قلت : وهل يمتنع فيك وصف ، أو  
يتعذر على مادحك قول ، أو يُفحَم فيك شاعر ، أو يتلجلج فيك خطيب ؟

( الصناعتين ص ٤٠ )

### ١٢٥ - أحد بنى هاشم والمأمون

أذنب رجل من بنى هاشم ذنباً ، فعنّفه المأمون ، فقال :

« يا أمير المؤمنين من كانت له مثلُ ذَاتِي ، وَلَبِسَ ثوبَ حُرْمَتِي ، وَمَتَّ

بِمِثْلِ قِرَابَتِي ، غَفِرَ له فوق زَلَّتِي » فأعجب المأمونَ كَلَامُهُ وصفح عنه .

( الأمل ٢ : ١٣٦ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٩ )

### ١٢٦ - رجل يتظلم إلى المأمون

وتظلمَ رجل إلى المأمون من عامل له فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما تَرَكَ لِي فِضَّةً إِلَّا فُضَّهَا ، ولا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ به ،

ولا غَلَّةً إِلَّا غَلَّمَهَا <sup>(١)</sup> ، ولا ضَيْعَةً إِلَّا أضاعها ، ولا عِلْقًا <sup>(٢)</sup> إِلَّا عَلِقَهُ ، ولا عَرَضًا

إلا عَرَضَ له ، ولا ماشيةً إِلَّا أمتشها <sup>(٣)</sup> ، ولا جليلاً إِلَّا أجلاه ، ولا دقيقاً

إلا دَقَّه » ، فعجب من فصاحته وقضى حاجته . ( زهر الآداب ٢ : ١٣٧ )

### ١٢٧ - عمرو بن سعيد والمأمون

وقال عمرو بن سعيد بن سلم : كانت على نوبة نُوبها في حرس المأمون ،

فكنت في نوبتي ليلةً ، نخرج متفقداً من حضر ، فعرفته ولم يعرفني ، فقال :

من أنت ؟ قلت : عمرو ، عمرك الله ، ابن سعيد ، أسعدك الله ، ابن سلم ، سلمك

[١] المراد احتازها ، والأصل فيه غله : أى وضع في عنقه أو يده الغلّ ( بالضم ) وهو الفيد .

[٢] العلق : النيس من كل شيء ، وعلقه ، وعلق به كفرح أحبه ، أو هو « علقه » مشدداً مبنياً

للمجهول ، علق امرأة : أى أحبا . [٣] امتش ما فر الضرع : أخذ جيمه .



الله ، فقال : أنت تَكَلَّوْنَا منذ الليلة ؟ قلت : الله يكلؤك قبلي ، وَهُوَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فقال المأمون :

إن أخاك الصَّدَقَ مَنْ يَسْمَعُ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ الزَّمَانَ صَدَّعَكَ بَدَّدَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ

( زهر الآداب ٢ : ١٣٧ )

### ١٢٨ — الحسن بن رجاء والمأمون

ودخل المأمون بعض الدواوين ، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم ، فقال :  
مَنْ أَنْتَ يَا غَلَامَ ؟ فقال :

« أنا يا أمير المؤمنين ، الناشئُ في دولتك ، المتقلبُ في نعمتك ، المؤملُ  
لخدمتك ، خادمك وابن خادمك : الحسنُ بن رجاء » ، فقال : أحسنت يا غلام ،  
وبالإحسانِ في البديهة تفاضلت العقولُ ، وأمر برفع مرتبته .

( زهر الآداب ٢ : ١٧٣ )

### ١٢٩ — سعيد بن مسلم والمأمون

وقال سعيد بن مسلم بن قُتَيْبَةَ للمأمون :

« لو لم أشكر الله تعالى إلا على حُسن ما أبلاني من أمير المؤمنين ، مِنْ  
قَصْدِهِ إِلَى بَحْدَيْهِ ، وَإِشَارَتِهِ إِلَى بَطْرَفِهِ ، لَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ الرَّفْعَةِ ،  
وَأَرْفَعُ مَا تُوجِبُهُ الْحُرْمَةُ » .

فقال : « يفعل أمير المؤمنين ذلك ، لأن أمير المؤمنين يجد عندك من  
حُسن الإِفْهَامِ إِذَا حَدَّثْتَ ، وَحُسْنِ الْفَهْمِ إِذَا حُدِّثْتَ ، مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ

مضى ، ولا يظنُّ أنه يجدُّ عند أحدٍ من بقي ، فإنك لتستقصي حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتُخبر بما كنتُ أغفلته منه . ( زمر الآداب ١ : ١٧٣ )

### ١٣٠ - أبو زهمان يعظ سعيد بن مسلم

وقال سعيد بن مسلم : « كنت والياً بأزمينية ، فغبر<sup>(١)</sup> أبو زهمان العلاني على بابي أياماً ، فلما وصل إلى مثل بين يدي قائماً بين السماطين<sup>(٢)</sup> وقال :  
« والله إنني لأعرف أقواماً لو علموا أن سفَّ التراب يُقيم من أود<sup>(٣)</sup> أصلابهم ، ل جعلوه مسكاً<sup>(٤)</sup> لازماً فيهم ، إشاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله إنني لبعيد الوثبة ، بطي ، العطفة ، إنه والله ما يثني عليك إلا مثل ما يصرفني عنك ، ولأن أكون مقلداً مقرباً ، أحبُّ إلى من أن أكون مكثراً مبعداً ، والله ما نسأل عملاً لا نضبطه ، ولا مالاً إلا نحن أكثر منه ، وهذا الأمر الذي صار إليك في يدك ، كان في يد غيرك ، فأمسوا والله حديثاً ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فتجبَّ إلى عباد الله بحسن البشر ، ولين الجانب ، فإن حُبَّ عباد الله موصول بحُبِّ الله ، وبنضهم موصول ببنض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورؤباؤه على من اعوجَّ عن سبيله . ( البيان والتبيين ٢ : ١٠٥ )

### ١٣١ - وصية طاهر بن الحسين

لابنه عبد الله لما ولَّاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما<sup>(٥)</sup> سنة ٢٠٦ هـ  
« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايله سُخطه وحفظ رعيته ، والزَم ما ألبسك الله من

[١] مكث . [٢] السماطان من الناس : الجانبان ، يقال : معنى بين السماطين .

[٣] اعوجج . [٤] المسكة : ما عسك الأبدان من الغذاء والشراب ، أو ما يتبلغ به منهما .

[٥] أثبتنا هذا الكتاب هنا لأنه في عداد الوصايا .

العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه ، وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وأزملك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب<sup>(١)</sup> عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيئتهم<sup>(٢)</sup> ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم<sup>(٣)</sup> ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ، ولا يذْهَبْكَ<sup>(٤)</sup> عنه ذاهل ، ولا يَشْغَلْكَ<sup>(٥)</sup> عنه شاغل ، فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوقفك الله به لرشدك ، وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها ، في إسباغ<sup>(٦)</sup> الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتّل<sup>(٧)</sup> في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وأدأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة<sup>(٨)</sup> الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه

[١] الدفع . [٢] البيضة : حوزة كل شيء .  
 [٣] وفي مقدمة ابن خلدون : لسربهم ، والسرب : النفس . [٤] ذهبت عن الشيء (كفتح) غفلت وقد يتعدى بنفسه . فيقال ذهاتنه ، والأكثر أن يتعدى بالهزمة ، فيقال : أذهلني فلان عن الشيء .  
 [٥] شغله من باب فتح وأشمله لمة جيدة أو قليلة أو رديئة . [٦] أسبغ الوضوء : وفي كل عضو حقه .  
 [٧] تمهل ولا تمجل . [٨] استخار الله : طلب منه الحيرة .

من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، واثتمام ما جاءت به الآثارُ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تَمَلْ عن العدل فيما أحببت أو كرهت ، لقريب من الناس أو بعيد ، وآثرِ الفقهَ وأهله ، والدينَ وَحَمَلته ، وكتاب الله والعاملين به ، فإن أفضل ما تزيّن به المرء الفقه في دين الله ، والطلب له ، والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله ، فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفةً بالله عزّ وجلّ ، وإجلالا له ، ودَرَكَاً للدرجات العُلا في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبَة لسلطانك ، والأنسَة بك ، والثقة بعدك ، وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها ، فليس شيء أَيْنَ نفعاً ، ولا أحضَرَ أمناً ، ولا أجمعَ فضلاً من القصد ، والقصد داعية إلى الرشَد ، والرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق قائد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ، فأثره في دنياك كلها ، ولا تقصّر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ، ومعالم الرشَد ، فلا غايةً للاستكثار من البرّ والسعى له ، إذا كان يُطلب به وجه الله ومرّضاته ، ومرافقة أوليائه في دار كرامته ، واعلم أن القصد في شأن الدنيا يُورث العزّ ويحصّن من الذنوب ، وإنك لن تحوُط<sup>(١)</sup> نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فأتهِ واهتدِ به تتمّ أمورك ، وتردّ مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عزّ وجلّ تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها ، تستدِم به النعمة عليك ، ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره ،

فإن إيقاع النهم بالبرآء، والظنون السيئة بهم مأثم، واجعل من شأنك حُسنَ  
الظن بأصحابك، واطرد عنك سوء الظن بهم، وارفضه فيهم، يُعينك ذلك على  
اصطناعهم<sup>(١)</sup> ورياضتهم، ولا يجدنَّ عدو الله الشيطانُ في أمرِك مَفْخَرًا، فإنه  
إنما يكتفى بالقليل من وَهْنِكَ<sup>(٢)</sup>، فَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّمِّ فِي سُوءِ الظَّنِّ  
مَا يَنْغَصُّكَ لَدَاذَةِ عَيْشِكَ، وَاَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ بِحُسْنِ الظَّنِّ قُوَّةً وَرَاحَةً، وَتُكْفَى  
بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كَفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ، وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِكَ، وَالِاسْتِقَامَةِ  
فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا لَكَ، وَلَا يَمْنَعُكَ حُسْنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَالرَّأْفَةُ بِرِعَيْتِكَ، أَنْ  
تَسْتَعْمَلَ الْمَسْأَلَةَ وَالْبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ، وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ، وَالْحَيَاطَةَ  
لِلرَّعِيَّةِ، وَالنَّظَرَ فِيهَا يُقِيمُهَا وَيُصْلِحُهَا، بَلْ لَتَكُنِ الْمُبَاشَرَةُ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ،  
وَالْحَيَاطَةُ لِلرَّعِيَّةِ، وَالنَّظَرُ فِي حَوَائِجِهِمْ وَحَمَلُ مَثُونَاتِهِمْ، آثَرَ عِنْدَكَ مِمَّا سِوَى  
ذَلِكَ، فَإِنَّهُ أَفْؤَمٌ لِلدِّينِ، وَأَحْيَا لِلسَّنةِ، وَأَخْلِصْ نِيَّتَكَ فِي جَمِيعِ هَذَا، وَتَفَرَّدْ  
بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَفَرَّدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْتَوِلٌ عَمَّا صَنَعَ، وَمَجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ،  
وَمَا خُوذَ بِمَا أَسَاءَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا، وَرَفَعَ مَنْ اتَّبَعَهُ وَعَزَّزَهُ،  
فَاسْلُكْ بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَرْعَاهُ نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى، وَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ فِي أَصْحَابِ  
الْجَرَائِمِ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوه، وَلَا تَعَطَّلْ ذَلِكَ وَلَا تَهَيَّأَنَّ بِهِ، وَلَا  
تَوَخَّرْ عِقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي ذَلِكَ لَمَّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ  
ظَنِّكَ، وَاعْزِمِ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ، وَجَانِبِ الشُّبُهَةِ وَالْبِدْعَاتِ،  
يَسَلِّمْ لَكَ دِينِكَ، وَتَقِمْ لَكَ مَرءَ وَتَكَ، وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِّ بِهِ، وَإِذَا وَعَدْتَ

[١] اصطنعتك لنفسى : اخترتك لخاصة أمر استكملك إياه .

[٢] الوهن بسكون الهاء وفتحها : الضعف .

الخير فَأَنْجِزْهُ ، واقبل الحسنة وادفع بها ، وَأَغْمِضْ عن عيب كل ذى عيب من رعبتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وَأَبْغِضْ أهله ، وَأَقْصِ أهلَ النِّمِية ، فإن أول فساد أمرك فى عاجل الأمور وآجلها تقرب الكذب والجُرأة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمها ، لأن النميمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لطبيعتها أمر ، وأحبّ أهل الصدق والصلاح ، وأعزّ الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك لرعبتك ، وأنعم بالعدل فى سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التى تنتهى بك إلى سبيل الهدى ، واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلم ، وإياك والحدة والطيش والنورور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إني مُسَلِّطُ أفعل ما أشاء ، فإن ذلك سريع بك إلى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له ، وأخلص لله النية فيه واليقين به ، واعلم أن الملك لله ، يُعْطِيهِ من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة إلى أحد ، أسرع منه إلى حملة النعمة من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم فى الدولة ، إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، وتكن ذخارك وكنوزك التى تدخر وتكدر البر والتقوى والمعدلة ، واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموالهم والحفظ لدمهم<sup>(١)</sup> والإفائة للمهوفهم ، واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت فى الخزائن لا تثمر ، وإذا

[١] الدعاء : جماعة الناس « وى المقدمة : والحفظ لدمائهم » .

كَانَتْ فِي إِصْلَاحِ الرَّعِيَّةِ وَإِعْطَاءِ حَقُوقِهِمْ ، وَكَفِّ الْمَثُونَةَ عَنْهُمْ ، نَمَّتْ وَرَبَّتْ  
وَصَلَحَتْ بِهِ الْعَامَّةُ ، وَتَزِينَتْ بِهِ الْوَلَاةُ ، وَطَابَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَاعْتَقَدَ فِيهِ الْعِزُّ  
وَالْمَنْعَةُ ، فَلَئِنْ كُنَّ كَنْزُ خَزَائِنِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَوَفَّرَ  
مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حَقُوقَهُمْ ، وَأَوْفَى رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ ،  
وَتَعَهَّدَ مَا يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَايِشَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّرْتَ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ ،  
وَاسْتَوْجِبْتَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ ، وَكَانَتْ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خِرَاجِكَ ، وَجَمْعِ أَمْوَالِ  
رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرُ ، وَكَانَ الْجَمْعُ لِمَا شَمِلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ  
لِطَاعَتِهِمْ ، وَأَطِيبَ نَفْسًا لِكُلِّ مَا أَرَدْتَ ، فَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِي مَا حَدَدْتَ لَكَ فِي  
هَذَا الْبَابِ ، وَلْتَعْظُمَ حِسْبَتُكَ فِيهِ ، فَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أُنْفَقَ فِي سَبِيلِ حَقِّهِ ،  
وَاعْرِفْ لِلشَّاكِرِينَ شُكْرَهُمْ وَأَثْبِهِمْ عَلَيْهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا  
هُوْلَ الْآخِرَةِ ، فَتَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ التَّهَافُونَ يُوجِبُ التَّفْرِيطَ ، وَالتَّفْرِيطُ  
يُورِثُ الْبَوَارَ ، وَلَيْكُنْ عَمَلُكَ لِلَّهِ وَفِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَارْجُ الثَّوَابَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ  
أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَظْهَرَ لَدَيْكَ فَضْلَهُ ، فَاعْتَصِمِ بِالشُّكْرِ ، وَعَلَيْهِ  
فَاعْتَمِدْ ، يَزِدُّكَ اللَّهُ خَيْرًا وَإِحْسَانًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُشِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ ، وَسِيرَةَ  
الْمُحْسِنِينَ ، وَقَضَى الْحَقَّ فِيمَا حَمَلَ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَلْبَسَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالْكَرَامَةِ ، وَلَا  
تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا ، وَلَا تَمَالُنَّ حَاسِدًا ، وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا ، وَلَا تَصِلَنَّ كُفُورًا ، وَلَا  
تَدَاهِنَنَّ عَدُوًّا ، وَلَا تَصَدَّقَنَّ نَمَامًا ، وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا ، وَلَا تَوَالِنَنَّ فَاسِقًا ، وَلَا  
تَتَّبِعَنَّ غَاوِيًّا ، وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًّا ، وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا ، وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا ، وَلَا  
تَجْبِينَ <sup>(١)</sup> بَاطِلًا ، وَلَا تَلَا حِظْنَ مَضْحَكًا ، وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا ، وَلَا تَرْهُوَنَّ نَفْرًا ،

ولا تُظهِرَنَّ غضباً ، ولا تأتين بَدَخًا <sup>(١)</sup> ، ولا تمشين مَرَحًا ، ولا تركبن سَفَهًا <sup>(٢)</sup> ، ولا تقرّطن في طلب الآخرة ، ولا ترفع للنمام عيناً ، ولا تُغمِضن عن الظالم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا ، وأكثرِ مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب ، وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تُدْخِلن في مشورتك أهل الدقة <sup>(٣)</sup> والبخل ، ولا تسمعن لهم قولاً ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم ، وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلاً ، فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك ، بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه ، وأن العاصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل : « وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، فسهل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعدده لنفسك خُلُقًا ، وارض به عملاً ومذهباً ، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم ، وأذّر عليهم أرزاقهم ، ووسّع عليهم في معاشهم ، ليذهب بذلك الله فاقهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانسراحاً ، وحسبُ ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمةً في عدله ، وحِيطته <sup>(٤)</sup> وإنصافه ، وعنايته وشفقته ، وبره

[١] البذخ : الكبر . [٢] وفي المقدمة : « ولا تركبن سفياً » .

[٣] وفي المقدمة : « أهل الرّفة » . [٤] في المهمة : « وعطيته » .



وتوسعته ، فزایل مكرورة أحد البابين باستشعار تكلمة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلقَ إن شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً ، واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذي يعتدل عليه الأحوال في الأرض ، وإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتأمين السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدّي حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها يتنجز الحق والعدل في القضاء ، واشتد في أمر الله ، وتورع عن النطف (١) ، وامض لإقامة الحدود ، وأفل العجلة ، وابتعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقرب جدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه في صمتك ، وأسدد (٢) في منطقتك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحد من رعيته محاباةً ولا محاماة (٣) ولا لوم لأثم ، وثبت وتأن وراقب ، وانظر وتدبر ، وتفكر واعتبر ، وتواضع لربك ، وارف (٤) بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم ( فإن الدماء من الله بمكان عظيم ) انتهها كما لها بغير حقها ، وانظر هذا الخراج الذي قد استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كبتاً (٥) وغيظاً ، ولأهل الكفر من معاديتهم ذلاً وصغاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، ولا عن غني لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال

[١] النطف : اليب والشر والفساد . [٢] سدّ يسدّ كضرب : صار سديداً .

[٣] في المقدمة : « ولا محاباة » . [٤] من باب كرم وقطع وطرب .

[٥] كبتته : صرعه وأخزاه ، وردّ العدو بغيظه وأذله .

له ، ولا تَكَلَّفْنِ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ ، واحمل الناس كلهم عَلَى مَرٍّ الْحَقِّ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَجْمَعٌ لِأَلْفَتِهِمْ ، وَأَلْزِمِ لِرِضَا الْعَامَةِ ، وَاَعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بَوْلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَتِكَ ، لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقِيمَهُمْ ، تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أُعْطَوْكَ مِنْ عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ ، وَتَنْفِقُهُ فِي قِيَامِ أَمْرِهِمْ وَصِلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدَعِهِمْ ، فَاسْتَعْمَلْ عَلَيْهِمْ فِي كَوْرِ عَمَلِكَ ذَوِي الرَّأْيِ وَالتَّجْدِيرِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالتَّجْبُرَةِ بِالْعَمَلِ ، وَالعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ وَالعِفَافِ ، وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقْلُدُتْ وَأَسْنِدَ إِلَيْكَ ، وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُ شَاغِلٌ ، وَلَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْهُ صَارِفٌ ، فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَمْتِ فِيهِ بِالْوَاجِبِ ، اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسَنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ ، وَاحْتَرَزْتَ النَّصِيحَةَ مِنْ رَعِيَتِكَ ، وَأَعْنَيْتَ عَلَى الصِّلَاحِ ، فَدَرَّتْ الْخَيْرَاتُ بِبِلَدِكَ ، وَفَشَتْ الْعِمَارَةُ بِبِنَاحِيَتِكَ ، وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كَوْرِكَ ، فَكَثُرَ خَرَاجُكَ ، وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ ، وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جَنْدِكَ ، وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَكَانَتْ مَحْمُودِ السِّيَاسَةِ ، مَرْضِيَّ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ، وَكَانَتْ فِي أَمْوَالِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَقُوَّةٍ وَآلَةٍ وَعُدَّةٍ ، فَنَافِسٌ فِي هَذَا وَلَا تَقْدِمُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، تَحْمَدُ مَغْنَبَةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كَوْرَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَالِكَ ، وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ حَامِلٍ فِي عَمَلِهِ ، مُعَايِنٌ لِأَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُ بِأَمْرٍ ، فَانظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالعَافِيَةَ ، وَرَجُوتَ فِيهِ حَسَنَ الدِّفَاعِ وَالنَّصِيحِ وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ ، وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ ، وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالعِلْمِ ، ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ قَدْ وَاتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَقَوَّاهُ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ

أهلكه ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك ، وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ، فإن لغد أموراً وحوادث تُلهيك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تُعرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مئونتهم ، وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا خللتهم <sup>(١)</sup> مساً ، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظالمته إليك ، والمحقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أحنى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ومُرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يُصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتامهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال ، اقتداءً بأمير المؤمنين - أعزه الله - في العطف عليهم والصلة لهم ، ليُصلح الله بذلك عيشتهم ، ويرزقك به بركةً وزيادة ، وأجر للأضراء من بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية <sup>(٢)</sup> على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تُؤويهم ، وقواماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ، ما لم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال ، واعلم أن الناس

إذا أعطوا حقوقهم وأفضلَ أمانيتهم ، لم يُرضِهِم ذلك ، ولم تُطِيبْ أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى وِلاتهم ، طمعاً في نيل الزيادة وفضلِ الرفق منهم ، وربما بَرِمَ<sup>(١)</sup> المتصفح لأموار الناس ، لكثرة ما يرد عليه ، وَيَشغَلُ فكره وذهنه منها ما يناله به مؤونة ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ، وَيَعرف محاسن أموره في العاجل ، وفضلَ ثواب الآجل ، كالذي يستقبل ما يقرب به إلى الله ، ويلتمس رحمة به ، وأكثر الإذن للناس عليك ، وَأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم أحراسك ، وَاخْفِضْ لهم جَنَاحك ، وأظهر لهم بِشرك ، وَلِنْ لهم في المسألة والمنطق ، وَاعْطِفْ عليهم بجودك وفضلك ، وإذا أعطيت فأعطِ بِسَاحَةٍ وطيب نفس ، والتمس الصنعة والأجر غيرَ مكذّر ولا مَنان ، فإن العطية على ذلك تجارة مرتجة إن شاء الله ، واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضي من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله ، واعرف ما تجمع عمالك من الأموال ، وما ينفقون منها ، ولا تجمع حراماً ، ولا تُثَقِّقْ إسرافاً ، وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها ، وليكن أكرم دُخلائك وخاصتك عليك ، مَنْ إذا رأى عيباً فيك لم يمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر ، وإعلامك ما فيه من النقص ، فإن أولئك أنصح أوليائك ، ومظاهريك لك . وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابتك ، فوقت لكل رجل منهم في كل يوم

وقتاً يدخل عليك فيه ، بكتبه ومؤامرتة وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر  
كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك  
وعقلك ، وكرّر النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق  
فأمضيه ، واستخّر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبيت فيه  
والمسألة عنه ، ولا تمنّ على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من  
أحدهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف  
إلا على ذلك ، وتفهم كتابي إليك ، وأكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله  
على جميع أمورك واستخّره ، فإن الله مع الصالح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك  
وأفضل رعيتك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة  
والملة عدلاً وصلاً ، وأنا أسأل الله أن يصلح عونك وتوفيقك ورؤسك  
وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك ،  
حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسناهم ذكراً وأمرأ ، وأن  
يهلك عدوك ومن ناواك وبنى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز  
الشیطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرك بالعز والقوة والتوفيق ، إنه  
قريب مجيب .

وذكروا أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد ، تنازعه الناس  
وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرئ عليه ، فقال :  
ما بنى أبو الطيب ( يعني طاهراً ) شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى  
والسياسة ، وإصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيضة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم

الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم ، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٥٨ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٣٣٩ )

### ١٣٢ - خطبة عبد الله بن طاهر

خطب عبد الله بن طاهر الناس ، وقد تيسر لقتال الخوارج <sup>(١)</sup> فقال :  
« إنكم فئة الله ، المجاهدون عن حقه ، الذائبون عن دينه ، الذائبون عن محارمه ،  
الداعون إلى ما أمر به ، من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاية أمره ، الذين جعلهم  
رعاة الدين ، ونظام <sup>(٢)</sup> المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوه ،  
وأهل معصيته ، الذين أشيروا <sup>(٣)</sup> وتمردوا ، وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومرقوا  
من الدين ، وسموا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إِنْ تَنْصُرُوا  
اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » ، فليكن الصبر ممقلاًم الذي إليه تلمجئون <sup>(٤)</sup> ،  
وعدتكم التي بها تستظهرون ، فإنه الوزر المنيع ، الذي دلتم الله عليه ، والجنة <sup>(٥)</sup>  
الحصينة التي أمركم الله بلباسها ، غصتوا أبصاركم ، وأخفتوا أصواتكم في مصافكم ،  
وأمضوا قدماً على بصائرهم ، فارغين إلى ذكر الله ، والاستعانة به كما أمركم الله ،

[١] الوارد في كتاب « الفرق بين المرق » أن الأمر بعث طاهر بن الحسين لقتال حمزة بن أكرك - هكذا فيه ، وفي الملل والنحل حمزة بن أدرك بالدال - وهو زعيم فرقة الجزية لإحدى فرق الخوارج العجاردة ، وقد عاث في سجستان وخراسان ومكران وقوهستان وكرمان ، وهزم الجيوش الكثيرة ، وكان ظهوره في أيام هرون الرشيد سنة ١٧٩ ، وبقي الناس في فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون ، فلما تمكن المأمون من الخلافة كتب إليه كتاباً استدعاه فيه إلى طاعته ، فما ازداد إلا هتواً ، فبعث لقتاله طاهر بن الحسين ، فدارت بينه وبين حمزة حروب قتل فيها من العريقين مقدار ثلاثين ألفاً ، أكثرهم من أتباع حمزة ، وانزح حمزة إلى كرمان ، ثم استدعى المأمون طاهراً من خراسان ، فطع فيها حمزة ، وأقبل بجيشه من كرمان ، فخرج إليه عبد الرحمن النيسابوري في عشرين ألفاً فهزموه ، وقتلوا الألوف من أصحابه ، وانفلت منهم حمزة جريحاً ، ومات في هزيمته - انظر ص ٧٩ - .

[٢] النظام : السلك ينظم فيه ، وملاك الأمر . [٣] بطروا .

[٤] اللجأ والمعتم ، وكذا الوزر . [٥] كل ما بقي .

فإنه يقول: « إِذَا لَقَيْتُمْ فِئَةً فَابْتُتُوا وَادَّكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »  
أيدكم الله بعز الصبر، وولايكم بالحياة والنصر. (العنكبوت ٢ : ١٥٥)

١٣٣ - العباس بن المأمون والمعتصم (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ)

قال العباس بن المأمون: لما أفضت الخلافة إلى المعتصم دخلت، فقال:  
هذا مجلس كنت أكرهه الناس لجلوسى فيه، فقلت: « يا أمير المؤمنين، أنت  
تعفو عما تيقنته، فكيف تعاقب على ما توهمت؟ »، فقال: لو أردت عقابك،  
لتركت عتابك. (زهر الآداب ٣ : ٩١)

١٣٤ - استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كان تميم بن جميل السدوسي قد خرج بشاطئ الفرات، واجتمع إليه كثير  
من الأعراب، فعظم أمره، وبعد ذكره، فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق  
في النهوض إليه، فبدد جمعه، فظفر به، فحمله مؤثقا إلى المعتصم، قال أحمد بن  
أبي دواد: ما رأينا رجلا عين الموت، فما هاله، ولا أذهله عما كان يجب عليه  
أن يفعله إلا تميم بن جميل، فإنه أوفى به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم، في  
يوم الموكب، حين يجلس للعامة، ودخل عليه، فاما مثل بين يديه، دعا بالنطع<sup>(١)</sup>  
والسيف فأخضرا، فجعل تميم بن جميل ينظر إليهما ولا يقول شيئا، وجعل  
المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه، وكان جسيما وسيما<sup>(٢)</sup>، ورأى أن يستنطقه  
لينظر أين جناؤه ولسانه من منظره، فقال: يا تميم إن كان لك عذر فأنت به،  
أو حجة فأدل بها، فقال: أما إذ قد أذن لي أمير المؤمنين فأني أقول:

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ،

[١] النطع كحل وشمس وسبب ونب: هياط من الأديم. [٢] جيلا

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءِ مَهِينٍ « جَبَّرَ بِكَ صَدْعَ الدِّينِ ، وَلَمْ بِكَ شَعَثَ  
المسلمين ، وأوضح بك سُبُلَ الحَقِّ ، وَأَخَذَ بِكَ شِهَابَ الباطل ، يا أمير المؤمنين  
إن الذنوب تُحْرِسُ الألسنة الفصيحة ، وَتُعَيِّبُ الأفتدة السحيحة ، ولقد عَظُمَت  
الجريرة ، وانقطعت الحججة ، وَكَبُرَ الذَّنْبُ ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو  
انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما مني ، وأسرعهما إلي ، أو لاهما بامتنانك ،  
وأشبههما بخلافتك ، ثم أنشأ يقول :

سَأَرَى المَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ والنَّطْعِ كَأَمَّا  
وَأَكْبَرُ ضُنَى أَنْكَ اليَوْمِ قَاتِلِي  
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُدْلِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ  
يَعْرِضُ عَلَى الأَوْسِ بْنِ تَعْلِبٍ مَوْقِفُ  
وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي  
وَلَكِنْ خَلَنِي صِدْيِقَةٌ قَدْ تَرَكَتْهُمْ  
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمْ  
فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِيْطَةٍ  
فَكَمْ قَائِلٍ لَا يُبْعِدُ اللهُ رُوحَهُ  
يلاحظني من حيثما أتلفتُ  
وأى أمرى مما قضى الله يُفْلِتُ؟  
وسبغ المنايا بين عينيهِ مُصَلَّتُ؟<sup>(١)</sup>  
يُسَلِّ عَلَى السِّيفِ فِيهِ وَأَسْكُتُ  
لأعلمُ أن الموت شيءٌ مَوْقُتُ  
وأكبادهم من حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ  
وقد تَمَشَّشُوا تلك الوجوه وَصَوَّتُوا<sup>(٢)</sup>  
أذودُ الرَّذَى عنهم وَإِنْ مِتَّ مَوْتُوا<sup>(٣)</sup>  
وآخرَ جَذلانٍ يُسْرُ وَيَشْمَتُ  
فتبسم المعتصم وقال : « كَادَ وَاللَّهِ يَا تَعِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السِّيفُ العَدْلَ »<sup>(٤)</sup> ، أذهب

[١] مسلول . [٢] خش وجهه كنصر وضرب خدشه ولطمه وضربه . [٣] كثر فيهم الموت .  
[٤] العذل كشمس وسبب : اللوم ، وهو مثل ، وأول من قاله ضبة بن أد بن طابخة ، وكان له ابنان  
يقال لأحدهما سعد ، وللآخر سعيد ، فنفرت إبل لضبة تحت الليل ، فوجه ابنيه في طلبها فترقا ، فوجدها  
سعد فردّها ، ومضى سعيد في طلبها ، فلقى الحرث بن كعب ، وكان على الغلام بردان ، فسأله الحرث إيها  
فأبى عليه قتله وأخذ برديه ، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا . قال : أسعد أم سعيد ؟  
فكث ضبة بدلك ماشاء الله أن يمكث ، ثم إنه حجَّ فوالى عطاء ، فلقى بها الحرث بن كعب ، ورأى عليه



فقد غفرت لك الصبوة<sup>(١)</sup> ، وَوَهَبْتُكَ لِلصَّبِيَّةِ » ، ثم أمر بفك قيوده وخلع عليه ، وعقد له بشاطئ الفرات . (المقد الفريد ١ : ١٤٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٩)

### ١٣٥ — بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله

ولما ولي المهدي بالله<sup>(٢)</sup> بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب وزارته ، قام إليه رجل من ذوى حرمة ، فقال : « أعز الله الوزير ، أنا خادمك ، المؤمل لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنطوي القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك » . (زهر الآداب ٣ : ١٩٧)

### ١٣٦ — أحمد بن أبي دواد والواثق (المتوفى سنة ٢٣٣ هـ)

دخل أحمد بن أبي دواد<sup>(٣)</sup> على الواثق فقال : ما زال اليوم قوم في ثلبك ونقصك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لِكُلِّ أَمْرِي مِنْهُمْ مَا أُكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ<sup>(٤)</sup> مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، والله ولي جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورأه ، وما ذكَّ يا أمير المؤمنين من أنت ناصره ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت يا أبا عبد الله :

بردى ابنه سعيد فعرفهما ، فقال له : هل أنت بخبري ما هذان البردان اللذان عليك ؟ دل بلى : لقيت غلاماً ، وهما عليه فسأته إياهما ، فأبى عليّ فقتلته ، وأخذت برديه هذين ، فقال ضبة : سيعك هذا ؟ قال نعم ، فقال : فأعطينه أنظر إليه فإني أظنه صارما ، فأعطاء الحرت سيفه ، فلما أخذه من يده هرهه وقال : الحديث ذو شجون ، ثم ضربه به حتى قتله ، فقيل له يا ضبة : أفي الشهر الحرام ؟ فقال : سبى السيف العذل . [١] جهلة الفتوة . [٢] تولى الخلافة سنة ٢٥٥ إلى سنة ٢٥٦ هـ .

[٣] هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد من كبار أئمة المعتزلة ، ونصراء الاعزال ، كان مقرباً من المأمون أنيرا عنده ، ولما ولي المعتصم الخلافة جعله قاضي القضاة ، وعزل يحيى بن أكثم ، وخص به أحمد ، حتى كان لا يفعل فعلاً باطنياً ولا ظاهراً إلا برأيه ، ولما مات المعتصم ، وتولى بعده ابنه الواثق بالله حسنت حال ابن أبي دواد عنده ، ثم فلج في أول خلافة المتوكل ، فقلد ولده محمداً القضاة مكانه ، وتوفى سنة ٢٤٠ هـ . [٤] أى معظمه ، وفي قراءة « كبره » بضم الكاف .

وَسَقَى إِلَى عَيْبِ عَزَّةٍ مَشْرُودٌ جَعَلَ الْإِلَهَ خَدُودَهُنِ نِعَامًا

( رعر الآداب ٣ : ٢٠٨ ، والقصد المراد ١ : ١٤١ )

### ١٣٧ - ابن أبي دواد والوائق أيضاً

وقال الواثق يوما لابن أبي دواد نضجراً بكثرة حوائجه : قد أحليت بيوت الأموال بطلبك تلك الأثدين بك ، والمتوسلين إليك ، فقال :

« يا أمة المؤمنين ، تأنح شكرها متصله بك ، وذخاؤها موصوله لك ، ومالي من ذلك إلا عشق اتصال الألسن بجلود المدح » ، فقال « والله لا معنالك ما يريد في عشقتك ، ويقوى في همتك فينا ولما » ، وأمر فأخرج له حمسة وثلاثين ألف درهم .

( رعر الآداب ٢ : ٣١٠ )

### ١٣٨ - ابن أبي دواد وابن الزيات

وكان بين القاصي أحمد بن أبي دواد وبين الوزير محمد بن عبد الملك الزيات منافسة وشحاء ، حتى منع الوزير شخصاً كان يصحب القاصي ، ويختص بقضاء حوائجه ، من التردد إليه ، فبلغ ذلك القاصي ، فجاء إلى الوزير فقال له :

« والله ما أحييتك مسكراً بك من قلة ، ولا متعزراً بك من ذلة ، ولكن أمة المؤمنين رتبك مرتبه أو حبت لهما . فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنك فلك »<sup>(٢)</sup>

( وفيات الأعيان ١ : ٢٥ )

[١] ورد بعضهم ، وللواثق من بعده ، ثم دعه المتوكل كما سيأتي .

[٢] وكان الواثق قد أمر ألا يرى أحد من الناس ابن الزيات ، إلا قام له ، فكان ابن أبي داود إذا

رآه قام وادعاه لئلا يلقى .

## ١٣٩ - الجاحظ وابن أبي دواد

وكان الجاحظ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات ، منحرفاً عن أحمد بن  
أبي دؤاد ، فلما نكب ابن الزيات <sup>(١)</sup> ، حمل الجاحظ مفيئداً من البصرة ، وفي  
عنقه سلسله ، وعليه قيض سمّل <sup>(٢)</sup> ، فلما دخل على القاضي أحمد قال له :  
« والله ما أعلمك إلا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصيغة ، معدّناً للساوي ، وما  
فنتنى باستصلاحى لك ، ولكن الأيام لا تُصلح منك ، لفساد طويّتك ، ورداءة  
دخيلتك ، وسوء اختيارك ، وغالب طباعك » .

فقال الجاحظ . « خفضْ عليك - أيّدك الله - فوالله لأن يكون لك  
الأمر على ، خيرٌ من أن يكون لى عليك ، ولأن أسيءَ وتُحسِن ، أحسنُ فى  
الأحدوثه عليك ، من أن أحسن وتسىء ، ولأن تعفُو عنى فى حال قدرتك ،  
أحمل بك من الانتقام منى » .

فقال أحمد : والله ما علمتُك إلا كثير ترويق الكلام ، خلّ عنه الغلّ

والقيد ، وأحسن إليه ، وصدّره فى المجلس

( رهر الآداب ٢ : ١٠٦ ، والنية والأمل ص ٣٩ )

[١] كان فى نفس المتوكل من ابن الزيات شىء كثير ، وذلك أنه لما مات الواثق (وهو أحو المتوكل) .  
أشار ابن الزيات تتولية ولد الواثق ، وأشار ابن أبى داود بحماية المتوكل ، وقام فى ذلك وقعد حتى عممه  
بيده وألسه الردة ، وقتله بين عينيه ، وكان المتوكل فى أيام الواثق مدخل على ابن الزيات فى جهمه وبعلط  
له فى الكلام - يتقرّب بذلك إلى الواثق - فخذ المتوكل ذلك عليه ، فلما ولى الخلافة ، أمهله أربعين يوماً  
حتى يطمئن إليه ، ثم قص عليه وسجنه ، واستصحب أمواله ، وكان ابن الزيات إنان وراته قد اتحد نوراً  
من حديد ، وأطراف مساميره إلى داخل ، وهى قائمة مثل رءوس المسالمة ، يمدد فيه من يستحقون العقوبة  
وكان إذا قال أحدهم أرحمى أيها الورر . قال له : الرحمة حور فى الطبيعة ، فلما اعتقله المتوكل أمر بادخاله  
فى التنور ، وقيدته بحمسة عشر رطلا من الحديد ، وقال : يا أمير المؤمنين أرحمى ، فقال له : الرحمة حور  
، الطيعة ، وتقى فى العذاب أربعين يوماً حتى مات سنة ٢٣٣ هـ .

[٢] السمّل : الخلق من الثياب .

١٤٠ - أبو العيّناء وابن أبي دؤاد

وقال أبو العيّناء لابن أبي دؤاد : إن قوماً من أهل البصرة قدّموا إلى  
«سُرْمَنَ رَأَى» يَدَا عَلِيٍّ ، فقال : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» ، فقلت : إن لهم مكرًا ،  
فقال : «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» ، فقلت : إنهم كثير ، قال :  
«كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» .  
( زهر الآداب ٢ : ٣١٠ ، والقند الريد ١ : ١٤١ )

تم الجزء الثالث

ويليه

ذيل الجمهرة



فهرس

# الجزء الثالث

من جمهرة خطب العرب

## الباب الرابع

الخطب والوصايا في العصر العباسي الأول

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة أبي العباس السفاح وقد توبع بالخلافة	١	١
» داود بن عليّ	٢	٣
» داود بن عليّ وقد أرتج على السفاح	٣	٦
» أخرى له	٤	٧
» » للسفاح بالكوفة	٥	٧
» السفاح بالشام حين قتل مروان	٦	٨
» عيسى بن عليّ » »	٧	٨
» داود بن عليّ بمكة	٨	٩
خطبته بالمدينة	٩	١٠
خطبة أخرى له	١٠	١٠
خطبته وقد بلغه أن قوما أظهروا شكاة بني العباس	١١	١١
» وقد أرتج عليه	١٢	١٢
خطبة صالح بن عليّ	١٣	١٣
» سديف بن ميمون	١٤	١٣
» أبي مسلم الحراساني	١٥	١٥

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة  
رقم  
الخطبة

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خالد بن صفوان وأحوال السفاح	١٧	١٦
« » « ورجل من بني عبد الدار	١٩	١٧
« » « يرثي صديقاً له	٢٠	١٨
« » « يمدح رجلاً	٢٠	١٩
كلمات بليغة لخالد بن صفوان	٢٠	٢٠
عمارة بن حمزة والسفاح	٢١	٢١
خطب أبي جعفر المنصور	٢٢	
خطبته بمكة	٢٢	٢٢
« » بعد بناء ببغداد	٢٢	٢٣
« » ببغداد	٢٣	٢٤
« » وقد أخذ عبد الله بن الحسن وأهل بيته	٢٣	٢٥
« » حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن	٢٦	٢٦
« » وقد قتل أبا مسلم الخراساني	٢٦	٢٧
خطبة أخرى	٢٧	٢٨
قوله وقد قوطع في خطبته	٢٧	٢٩
المنصور يصف خلفاء بني أمية	٢٨	٣٠
« » عبد الرحمن الداخل	٢٩	٣١
وصايا المنصور لابنه المهدي	٢٩	
وصية له	٢٩	٣٢
« » أخرى له	٣٠	٣٣
« » «	٣١	٣٤
خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور	٣٣	٣٥

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه	٣٣	٣٦
قوله وقد قتل ابنه محمد	٣٤	٣٧
امرأة محمد بن عبد الله والمنصور	٣٤	٣٨
جعفر الصادق والمنصور	٣٥	٣٩
صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب	٣٦	٤٠
استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور	٣٧	٤١
» » » المنصور أيضاً	٣٨	٤٢
أبو جعفر المنصور والربيع	٣٩	٤٣
مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور	٤٠	٤٤
» رجل من الزهاد » » »	٤٠	٤٥
» الأوزاعي بين يدي المنصور	٤٣	٤٦
نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة المنصور	٤٦	٤٧
معن بن زائدة والمنصور	٤٧	٤٨
» » » وأحد زواره	٤٨	٤٩
المنصور وأحد الأعراب	٤٨	٥٠
أعراية تعزى المنصور وتهنئه	٤٨	٥١
خطبة محمد بن سليمان	٤٩	٥٢
وصية مسلم بن قتيبة	٤٩	٥٣
خطبة المهدي	٥٠	٥٤

مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان ٥٢

مقال سلام صاحب المظالم ٥٣

» الربيع بن يونس ٥٤

» الفضل بن العباس ٥٥

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
مقال عليّ بن المهدي	٥٧	٥٨
« موسى بن المهدي	٥٩	٥٩
« العباس بن محمد	٦٠	٦٠
« هرون بن المهدي	٦٢	٦١
« صالح بن عليّ	٦٤	٦٢
« محمد بن الليث	٦٤	٦٣
« معاوية بن عبد الله	٦٦	٦٤
« المهدي	٦٨	٦٥
« محمد بن الليث	٧٠	٦٦
« المهدي	٧١	٦٧
ابن عتبة يعزى المهدي ويهنئه	٧٤	٦٨
يعقوب بن داود يستعطف المهدي	٧٤	٦٩
رجل من أهل خراسان يخطب بحضرة المهدي	٧٥	٧٠
مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي	٧٥	٧١
عظة شبيب بن شيبه للمهدي	٧٦	٧٢
خطبته في تعزية المهدي بابنته	٧٦	٧٣
خطبة أخرى له في مدح الخليفة	٧٧	٧٤
كلمات لشبيب بن شيبه	٧٨	٧٥
خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب يوم ولي الرشيد الخلافة	٧٨	٧٦
خطبة هرون الرشيد	٨٠	٧٧
وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين	٨٢	٧٨
خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي	٨٢	٧٩
استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشيد	٨٥	٨٠



الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

رقم  
الخطبة

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة يزيد بن يزيد الشيباني	٨١	٨٩
« عبد الملك بن صالح	٨٢	٩٠
عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته	٨٣	٩٠
غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح	٨٤	٩٠
قوله بعد خروجه من السجن	٨٥	٩٤
وصية عبد الملك بن صالح لابنه	٨٦	٩٥
« أخرى له	٨٧	٩٧
كلمات حكيمة لابن السماك	٨٨	٩٧
ابن السماك ولرشيد	٨٩	٩٧
<b>الفتنة بين الأمين والمأمون</b>		٩٩
وقد الأمين إلى المأمون		
خطبة العباس بن موسى	٩٠	٩٩
« عيسى بن جعفر	٩١	١٠٠
« محمد بن عيسى بن نهبك	٩٢	١٠٠
« صالح صاحب المصلى	٩٣	١٠١
« المأمون	٩٤	١٠١
وصية السيدة زبيدة لعلي بن عيسى بن ماهان	٩٥	١٠٢
« الأمين لابن ماهان	٩٦	١٠٣
استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين	٩٧	١٠٤
حزم طاهر وقوة عزمه	٩٨	١٠٥
طاهر يشد عزيمة جنده	٩٩	١٠٦
وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين	١٠٠	١٠٧
وصية الأمين لأحمد بن يزيد	١٠١	١٠٨

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة  
رقم  
الخطبة

رقم الخطبة	رقم الصفحة	الخطبة أو الوصية
١٠٢	١٠٩	مقال عبد الملك بن صالح للأمين
١٠٣	١١٠	الشغب في جيش عبد الملك بن صالح
١٠٤	١١١	خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان يدعو إلى خلع الأمين
١٠٥	١١٢	« محمد بن أبي خالد »
١٠٦	١١٣	إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة
١٠٧	١١٤	خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين
١٠٨	١١٥	« الأمين وقد تولى الأمر عنه »
١٠٩	١١٧	استعطاف الفضل بن الربيع للأمين
١١٠	١١٨	خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين
	١١٩	خطب المأمون
١١١	١١٩	خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد
١١٢	١١٩	« وقد سلم الناس عليه بالخلافة »
١١٣	١٢٠	« يوم الجمعة »
١١٤	١٢١	« يوم الأضحي »
١١٥	١٢٢	« يوم الفطر »
١١٦	١٢٤	خطبة ابن طباطبا العاوي
١١٧	١٢٥	استعطاف إبراهيم بن المهدي المأمون
١١٨	١٢٧	إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب
١١٩	١٢٨	استعطاف إسحاق بن العباس المأمون
١٢٠	١٢٩	أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها
١٢١	١٣٠	أحد أهل الكوفة يمدح المأمون
١٢٢	١٣٠	محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

رقم  
الخطبة

الحسن بن سهل يمدح المأمون	١٢٣	١٣٠
يحيى بن أكثم يمدح المأمون	١٢٤	١٣١
أحد بنى هاشم والمأمون	١٢٥	١٣٢
رجل يتظلم إلى المأمون	١٢٦	١٣٢
عمرو بن سعيد والمأمون	١٢٧	١٣٢
الحسن بن رجاء والمأمون	١٢٨	١٣٣
سعيد بن مسلم والمأمون	١٢٩	١٣٣
أوزمان يعط سعيد بن مسلم	١٣٠	١٣٤
وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما	١٣١	١٣٤
خطبة عبد الله بن طاهر	١٣٢	١٤٦
العباس بن المأمون والمعتصم	١٣٣	١٤٧
استعطاف تميم بن جميل للمعتصم	١٣٤	١٤٧
بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله	١٣٥	١٤٩
أحمد بن أبي دواد والوائق	١٣٦	١٤٩
ابن أبي دواد والوائق أيضاً	١٣٧	١٥٠
ابن أبي دواد وابن الزيات	١٣٨	١٥٠
الجاحظ وابن أبي دواد	١٣٩	١٥١
أبو العيناء وابن أبي دواد	١٤٠	١٥٢

# فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

ح	أ
الحارث بن عبد الرحمن ٣٧	إبراهيم بن المهدي ١٢٥ - ١٢٧
الحسن بن رجاء ١٣٣	ابن السكك ٩٧
الحسن بن سهل ١٣٠	ابن طباطبا العلوي ١٢٤
الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ١١	ابن عتبة ٧٤
خ	أبو جعفر للنصور ٢٢ - ٢٣ - ٢٦
خالد بن صفوان ١٧ - ١٩ - ٢٠	٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٦
د	أبوزمان العلوي ١٣٤
داود بن علي	أبو العباس السفاح ١ - ٧ - ٨
٣ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١ - ٢	أبو مسلم الخراساني ١٥
داود بن عيسى ١١٤	أحمد بن أبي دواد ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٢
ر	إسحاق بن العباس ١٢٨
الربيع بن يونس ٣٩ - ٥٤	أم جعفر بن يحيى ٨٥
ز	الأمين ١٠٣ - ١٠٨ - ١١٥
السيدة زبيدة ١٠٢	الأوزاعي ٤٣
س	ت
سديف بن ميمون ١٣	تميم بن جميل ١٤٧
سعید بن مسلم ١٣٣	ج
سلام (صاحب المظالم) ٥٣	الجاحظ ١٥١
ش	جعفر الصادق ٣٥
شبيب بن شيبه ٧٦ - ٧٧ - ٧٨	جعفر بن يحيى البرمكي ٨٢

الفضل بن العباس ٥٥

- م -

المأمون ١٠١ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢

محمد بن أبي خالد ١١٢

محمد بن سليمان ٤٩

محمد بن عبد الملك بن صالح ١٣٠

محمد بن عيسى بن نهيك ١٠٠

محمد بن الليث ٦٤ - ٧٠

مسلم بن قتيبة ٤٩

معاوية بن عبد الله ٦٦

معن بن زائدة ٤٧

المهدي ٥٠ - ٦٨ - ٧١

- ن -

النفس الزكية ٣٢

- ه -

المهادي ٥٩

هرون الرشيد ٦٢ - ٨٠ - ٨٢

- ي -

يحيى بن أكثم ١٣١

يزيد بن عمر بن هبيرة ٤٦

يزيد بن مزيد الشيباني ٨٩

يعقوب بن داود ٧٤

يوسف بن القاسم بن صبيح ٧٨

تم فهرس أعلام الخطباء

- ص -

صالح (صاحب المصلى) ١٠١

صالح بن عبد الجليل ٧٥

صالح بن علي ١٣ - ٦٤

- ط -

طاهر بن الحسين

١٠٥ - ١٠٦ - ١١٨ - ١٣٤

- ع -

العباس بن المأمون ١٤٧

العباس بن محمد ٦٠

العباس بن موسى ٩٩

عبد الله بن الحسن ٣٣ - ٣٤

عبد الله بن طاهر ١٤٦

عبد الملك بن صالح

٩٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٧ - ١٠٩

عثمان بن خزيم ٣٨

علي بن عيسى بن ماهان ١٠٤

علي بن المهدي ٥٧

عمارة بن حمزة ٢١

عمرو بن سعيد ١٣٢

عمرو بن عبيد ٤٠

عيسى بن جعفر ١٠٠

عيسى بن علي ٨

- ف -

الفضل بن الربيع ١٠٧ - ١١٧

جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
وأرْمض	أروْمض	٩٢١	٤
لِأُولِي	لَاوِلِي	٨	١٧
ثَقَلْت	ثَقَلْت	٧	٣٩
(تَحْذِف)	إِنْ	١٠	٤٣
الْمَنْصُور	الْمَنْصُور	٨	٤٤
سَجَّالَهَا	سَجَّالَهَا	٩	٥٣
الْخَطْبُ	الْخَطْبُ	١٠	٥٧
م.م.	م.	١٠	٦٠
بِالْمَعْدِلَةِ	بِالْمَعْدِلَةِ	١٤	٦٩
حُسْنُهُ	مَحْسَنُهُ	١٨	٧٧
الرَّشْدُ	الرَّشِيدُ	٥	١٠٠
كُلُّ مَا أُوصِيكَ	كُلُّ أُوصِيكَ	١٩	١٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# لِجَمْعِ خُطَبِ الْعَرَبِ

فِي عَصُورِ الْعَرَبِ الزَّاهِرَةِ

ويحوى خمسة أبواب :

- الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربية
- « الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها
- « الثالث : في نثر الأعراب
- « الرابع : في خطب النكاح
- « الخامس : في خطب من أرتج عليهم ونوادير طريفة  
لبعض الخطباء .

## فهرس المآخذ

- نفح الطيب ، للمقرى : الجزء الأول - الثانى - الرابع
- مطمح الأنفس ، للفتح بن خاقان :
- المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب ، :  
لمحي الدين بن علىّ المرآكشى
- الإحاطة : فى أخبار غرناطة ، للسان :  
الدين بن الخطيب :
- الأمالى : لأبى علىّ القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : « الثالث عشر - السابع عشر
- صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : « الأول
- نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : « السابع
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- العقد الفريد : لابن عبد ربه : « الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : « الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : « الأول - الثانى - الثالث
- أمالى السيد المرتضى : « الرابع
- مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : « الأول - الثانى
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : « السابع - الثامن
- مروج الذهب : للسعودى : الجزء الثانى



- : الصناعتين ، لأبي هلال العسكري  
: بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور  
: سرح العيون : لابن نباتة المصري  
: سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزي  
مواسم الأدب للسيد جعفر البيتي العلوي : الجزء الثاني  
بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى الألوسى : « الثالث  
مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح
- 



## الباب الأول

في

### خطب الأندلسيين والمغاربة

١ - خطبة عبد الرحمن الداخل ( المتوفى سنة ١٧١ هـ )

يوم حربه مع يوسف الفهري صاحب الأندلس

لما اشتد الكرب بين يدي عبد الرحمن الداخل<sup>(١)</sup> ، يوم حربه مع يوسف

الفهري<sup>(٢)</sup> صاحب الأندلس ، ورأى شدة مُقاساة أصحابه قال :

« هذا اليوم هو أسُّ ما مِئِنَى عليه ، إِمَّا ذلُّ الدهر ، وإِمَّا عزُّ الدهر ،

فاصبرُوا ساعةً فيما لا تشتهون ، تَرَبِّحُوا بها بقيةَ أعماركم فيما تشتهون . »

ولما أنحى أصحابه على أصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال :

---

[١] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل ، وذلك أنه لما أصاب دولتهم بالمعرق ما أصابها ، وتبع السفاح من بقي من بني أمية بالقتل والإهلاك ، فرّ عبد الرحمن إلى الأندلس ، واستطاع بهيمته أن يؤسس هناك دولة أورثها دقبه حقة من الدهر ، وهي دولة بني أمية في المغرب من سنة ١٣٨ إلى سنة ٤٢٢ هـ ، وكانت طاصة ملكها قرطبة ، وهي مدينة على نهر الوادي الكبير.

[٢] يوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عتبة بن نافع باني القيروان ، وأمير معاوية على أفريقية والمغرب ، وكانت ولاية يوسف الفهري الأندلس سنة ١٢٩ فدان له تسع سنين وتسعة أشهر ، وعنه انتقل سلطانها إلى بني أمية .

« لا تستأصلوا شأفة<sup>(١)</sup> أعداء ترجون صداقتهم ، واستبقوهم لأشدَّ عداوةً منهم »  
- يشير إلى استبقائهم ، ليُستعان بهم على أعداء الدين - . (نوح الطيب ٢ : ٧٠)

## ٢ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين

ولما أذعن يوسف صاحب الأندلس لعبد الرحمن ، واستقر ملكه ، استحضر الوفود إلى قرطبة ، فاثالوا<sup>(٢)</sup> عليه ، ووالى القعود لهم في قصره عدة أيام ، في مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم ، بكلامٍ سرهم ، وطيب نفوسهم .  
وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين<sup>(٣)</sup> يستجديه ، فقال له :

« يا بن الخلائف الراشدين ، والسادة الأكرمين ، إليك فرزتُ ، وبك عُذتُ ، من زمن ظلوم ، ودهرٍ غشوم ، قلل المال ، وكثر العيال ، وشعثت<sup>(٤)</sup> الحال ، فصيرت إلى نذاك المآل ، وأنت وليّ الحمد والمجد ، والمرجوّ للرّفد<sup>(٥)</sup> » .  
فقال له عبد الرحمن مسرعاً :

« قد سمعنا مقاتلتك ، وقضينا حاجتك ، وأمرنا بعمونك على دهرك ، على كرهنا لسوء مقامك ، فلا تمودن ولا سواك لمثله ، من إراقة ماء وجهك بتصريح المسألة ، والإلحاف في الطلبة<sup>(٦)</sup> ، وإذا ألم بك خطب ، أو حزبك<sup>(٧)</sup> أمر ، فارفعه إلينا في رُقعة لا تعدوك ، كما نستُر عليك خلتك ، ونكفُ شمات العدو عنك ، بعد رفعك لها إلى مالِكِك ومالِكنا - عزَّ وجهه - بإخلاص الدعاء ، وصدق النية » .

[١] الشأفة : قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب ، أو إذا قطعت مات صاحبها ، والأصل ، واستأصل الله شأفته : أذهب كما تذهب تلك القرحة ، أو معناه أزاله من أصله .

[٢] اثال : انصب ، أى تابعوا وتوافدوا عليه . [٣] بالشام .

[٤] شعث الأمر : نصره وفرقه . [٥] الرّفد : العطاء والصلة .

[٦] الطلبة : الطلب . [٧] أى اشتدَّ عليك ، والحلّة : الحاجة .

وأمر له بجائزة حسنة ، وخرج الناس يتعجبون من حسن منطقته ، وبراعة أدبه ، وكفّ فيما بعدُ ذوو الحاجات عن مقابلته بها شفاهاً في مجلسه .

( فتح الطيب ٢ : ٦٨ )

٣ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنئه بفتح سرقسطة

ولما فتح عبد الرحمن الداخل سَرَقُسْطَةَ<sup>(١)</sup> ، وَحَصَلَ في يده نائراًها الحسين الأنصاري ، وانتهى نصره فيها إلى غايةِ أَمَلِهِ ، أَقْبَلَ خواصه يهنئونه ، فجرى بينهم أحدٌ من لا يُؤْتَبَهُ به من الجند ، فهتأه بصوت عال ، فقال له عبد الرحمن : « وَاللَّهِ لَوْلَا أَن هَذَا الْيَوْمَ يَوْمٌ أَسْبَغَ عَلَيَّ فِيهِ النِّعْمَةَ مَنْ هُوَ فَوْقِي ، فَأَوْجَبَ عَلَيَّ ذَلِكَ أَن أُنْعِمَ فِيهِ عَلَيَّ مَنْ هُوَ دُونِي ، لِأَصْلِيَّتِكَ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ مِنْ سُوءِ النَّكَالِ ، مَنْ تَكُونُ ؟ حَتَّى تُقْبَلَ مُهْنَتًا رَافِعًا صَوْتِكَ ، غَيْرَ مُتَلَجِّجٍ وَلَا مُتَهَيِّبٍ لِمَكَانِ الْإِمَارَةِ ، وَلَا عَارِفٍ بِقِيَمَتِهَا ، حَتَّى كَأَنَّكَ تَخَاطَبُ أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ ! وَإِنَّ جَهْلَكَ لِيَجْمَلَكَ عَلَى الْعَوْدِ لِمَثَلِهَا ، فَلَا تَجِدُ مِثْلَ هَذَا الشَّافِعِ فِي مِثْلِهَا مِنْ عَقُوبَةٍ . » فقال : « وَلَعَلَّ فَتُوحَاتِ الْأَمِيرِ يَقْتَرِنُ اتِّصَالُهَا بِاتِّصَالِ جَهْلِي وَذُنُوبِي ، فَتَشْفَعَ لِي مَتَى أَتَيْتَ بِمِثْلِ هَذِهِ الزَّلَّةِ ، لَا أَعِدُ مِنْهُ لَلَّهِ تَعَالَى . »

فتهلل وجه الأمير ، وقال : ليس هذا باعتذار جاهل ، ثم قال : نبهونا على أنفسكم إذا لم تجحدوا من ينهنا عليها ، ورفع مرتبته وزاد في عطائه . ( فتح الطيب ٢ : ٧٠ )

٤ - تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر

كَانَ الْمَنْذَرُ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ<sup>(٢)</sup> سَيِّئُ الْخُلُقِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، كَثِيرُ الْإِصْغَاءِ إِلَى أَقْوَالِ الْوَشَاةِ ، مُفْرِطُ التَّقَلُّقِ مِمَّا يَقَالُ فِي جَانِبِهِ ، مُعَاقِبًا عَلَى

[١] مدينة على نهر إبرة . [٢] هو عبد الرحمن الأوسط ( الثاني ) ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٢٣٨ هـ .

ذلك من يقدر على معاقبته ، مكثر التشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن ، فطال ذلك على الأمير ، فأمر ثقةً من ثقاته أن يبني بجبل منقطع عن العمران بناءً يُسكن فيه ابنه ، والأيدع أحداً من أصحابه يزوره ، فلما استقر المنذر في ذلك المكان ، وبقى وحده ، ونظر إلى ما سئله من الملك ، ضجرو وقال للثقة : عسى أن يصلني غلمانى وأصحابى آانسُ بهم ! فقال له : إن الأمير أمر ألا يصلك أحد ، وأن تبقى وحدك ، لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية ، فعلم أن الأمير قصد بذلك محنته وتأديبه ، فكتب إليه يشكو استيحاشه<sup>(١)</sup> بمكانه ، فلما وقف الأمير على رقعته ، وعلم أن الأدب بلغ به حقه استدعاه ، فقال له :

« وصلت رقعتك ، تشكو ما أصابك من توحش الانفراد ، في ذلك الموضع ، وترغب أن تأنس بخولاك<sup>(٢)</sup> وعبيدك وأصحابك ، وإن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سؤكناك في ذلك المكان ، وما فعلت ذلك عقاباً لك ، وإنما رأيناك تكثر الضجر والتشكى من القال والقييل ، فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك وينم ، حتى تستريح منهم » .  
فقال له : « سماع ما كنت أضجر منه ، أخف على من التوحد والتوحش ، والتخلى مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهي » .

فقال له : « فإذ قد عرفت وتأدبت ، فارجع إلى ما اعتدته ، وعوّل على أن تسمع كأنك لم تسمع ، وترى كأنك لم تر ، وقد قال النبي صلى الله

---

[١] وس الكتاب : « لاني قد توحشت في هذا الموضع توحشا ما عليه من مزيد ، وهدمت فيه من كنت آس إليه ، وأصبحت مسلوب العز ، فقيد الأمر والنهي ، فإن كان ذلك عقاباً لذنب كبير ارتكبته ، وعلمه مولاي ولم أعلمه ، فإني صابر على تأديبه ، ضارع إليه في عفوه وصفحته .

وإن أمير المؤمنين وفعله كالدهر، لا طار بما فعل الدهر»

[٢] الحول : مثال الخدم والحشم وزنا ومعنى .

عليه وسلم : « لو تكاشفتُم ما تدافتم » ، واعلم أنك أقربُ الناسِ إلىَّ ، وأحبُّهم فيَّ ، وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكارِ عليَّ ، وسُخْط لما أفعله في جانبك ، أو جانب غيرك ، مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني ، لكن الحمد لله الذي حَفِظَ ما بين القلوب ، بِسِرِّ بعضها عن بعض ، فيما يجول فيها ، وإنك لندو هِمَّةٍ ومطمَح ، ومن يكن هكذا يَصْبِرُ وَيُنْفِضُ وَيَحْمِلُ ، وَيُبَدِّلُ بالعقابِ الثوابَ ، ويصيِّرُ الأعداءَ من قبيل الأَصْحَابِ ، ويصبرُ من الشخصِ على ما يسوء ، فقد يَرَى منه بعد ذلك ما يَسُرُّ ، ولقد يَخْفُ علىَّ اليومَ مَنْ قاسيتُ من فعله وقوله ما لو قطعتم عضواً عضواً لِمَا ارتكبه مني ، ما شفيتُ منهم غيظي ، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال ، لا سيما عند الاقتدار أولى ، ونظرت إلى جميع مَنْ حولي مِمَّنْ يُحْسِنُ وَيُسِيءُ ، فوجدت القلوب متقاربةً بعضها من بعض ، ونظرت إلى المسيءِ يعود محسناً ، والمحسنِ يعود مسيئاً ، وصرتُ أندمُ على من سَبَقَ له مني عقاب ، ولا أندمُ على من سَبَقَ له مني ثواب ؛ فالزَمَ يا بنى معالي الأمور ، وإنَّ جَماعها في التفاضل ، ومن لا يتفاضل لا يسلم له صاحب ، ولا يُقَرَّبُ منه جانبٌ ، ولا ينال ما تترقى إليه همتُه ، ولا يظفر بأمله ، ولا يجد مُميناً حين يَحْتَاجُ إليه .

فقبل المنزريده وانصرف ، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده ، حتى تخلَّق بالخلق الجميل ، وبلغ ما أوصاه به أبوه ، ورُفِعَ قدره . (فتح الطيب ٢ : ٣٢٧)

ه - عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضا

وقال له أبوه يوماً : إن فيك أتيها مُفْرِطاً ، فقال له : حَقُّ لفرع أنت أصله

أن يعلو ، فقال له : يا بنى ، إن العيون تَمُجُّ التَّيَّاهَ ، والقلوب تنفِرُ عنه ، فقال :

يا أبا ، لى من العزّ والنسب وعلو المكان والسلطان ما يَجِلُّ<sup>(١)</sup> عن ذلك ، وإنى لم أر العيون إلا مُقبلةً علىّ ، ولا الأسماع إلا مُصغيةً إلىّ ، وإن لهذا السلطان رَوْناً يُريقه التبذل ، وعلوًا يخفضه الانبساط ، ولا يصونه ويشرفه إلا التيه والاتقباض<sup>(٢)</sup> ، وإن هؤلاء الأندال ، لهم ميزان يسبرون<sup>(٣)</sup> به الرجل منا ، فإن رأوه راجحاً ، عرفوا له قدر رجاحته ، وإن رأوه ناقصاً عاملوه بنقصه ، وصيروا تواضعه صغراً ، وتخفضه خسةً ، فقال له أبوه : لله أنت ! فابق وما رأيت .  
( نفع الطيب ٢ : ٣٢٩ )

## ٦ — يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه

ومدح بعض الشعراء يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ، فأمر له بمال جزيل ، فلما كان مثل ذلك الوقت ، جاءه بمدح آخر ، فقال أحد خدام يعقوب : هذا اللئيم له دين عندنا يقتضيه ! فقال الأمير :

« يا هذا ، إن كان الله تعالى خلقك مجبولاً على كرهه ربّ الصنائع ، فاجر على ما جبت عليه في نفسك ، ولا تكن كالأجرب يُعدى غيره ، وإن هذا رجل قصدنا قبل ، فكان منا ما أشير<sup>(٤)</sup> به ، وجمله على العودة ، وقد ظن فينا خيراً ، فلا تخيب ظنه ، والحديث أبدأ يحفظ القديم ، وقد جاءنا على جهة التهئة بالعمر ، ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا ، حتى يكثر ترداده ، ويديم نعمنا حتى

[١] في الأصل : « يحمل » ، وأرى صوابه : « يحل » .

[٢] جرى في ذلك على سنن أنى مسلم الحراسانى ، وكان يقول لقواده إذا أخرجهم : « لا تكلموا الناس إلا رمزاً ، ولا تلاحظوهم إلا شزراً ، لتمتلى صدورهم من هيبتمكم » — انظر العقد الفريد ٢ : ٢٩٩ —

[٣] السبر : امتحان غور الجرح . [٤] أشير : مرجح .

نجد ما تُنعم به عليه ، ويحفظ علينا مُرُوءتنا ، حتى يعيننا على التجمّل معه ،  
ولا يُبلينا بجليس مثلك ، يقبض أيدينا عن إسداء الأيادي .

وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبل ، وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الأوان

ما دام العمر . ( فتح الطيب ٢ : ٢٣٠ )

٧ — وفاة الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز

واعذاره عنه لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط

كان الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم صديقاً للوزير هاشم بن عبد العزيز،  
ثابتاً على مودته ، فلما قضى الله على هاشم بالأسر ، أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن  
الأموي<sup>(١)</sup> ذكره في جماعة من خُدّامه ، والوليد حاضر ، فنسبه إلى الطيش

والمعجلة والاستبداد برأيه ، فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد ، فقال :

« أصلح الله تعالى الأمير ، إنه لم يكن على هاشم التخير في الأمور ، ولا

الخروج عن المقدور ، بل قد استعمل جهده ، واستفرغ نصحه ، وقضى حق

الإقدام ، ولم يكن مِلاك النصر بيده ، فذله من وثيق به ، ونكل عنه من كان

معه ، فلم يُرحز قدمه عن موطن حفاظه ، حتى مُلك مُقبلاً غير مُذير ، مُبلياً

غير فشيل ، فجوزى خيراً عن نفسه وسلطانة ، فإنه لا طريق للملام عليه ، وليس

عليه ما جتته الحرب العنوشوم ، وأيضاً فإنه ما قصد أن يجود بنفسه لإرضاء الأمير ،

واجتناباً لسخطه ، فإذا كان ما اعتمد فيه الرضا جالب التقصير ، فذلك معدود

في سوء الحظ .

---

[١] هو الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، حكم الأندلس من سنة ٢٣٨ الى سنة ٢٧٣ هـ ،  
وكان غزاه لأهل الشرك والخلاف ، وربما أوغل في بلاد العدو ستة أشهر أو أكثر يحرق وينسف ،  
وله في العدو وقعة وادي سليط ، وهي من أمهات الوقائع لم يعرف مثلها في الأندلس قبلها .



فأعجب الأمير كلامه ، وشكر له وفاءه ، وأقصر عن تنفيذ هاشم ، وسمى  
في تخليصه . ( فتح الطيب ٢ . ٢٣٠ )

## ٨ - خطبة منذر بن سعيد البلوطي<sup>(١)</sup> ( المتوفى سنة ٣٥٥ هـ )

في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم

روى المؤرخون أن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله<sup>(٢)</sup> ، بلغ من عزّة  
الملك ، ورفعة السلطان بالأندلس ، أن كانت ملوك الروم والإفرنجية تزدلف إليه ،  
تطلب مهادنته ، وتهدى إليه أنفس الذخائر ، ومن جملتهم قسطنطين بن ليون  
صاحب القسطنطينية ، فقد رغب في موادعته ، وبعث إليه سنة ٣٣٨ هـ  
وفداً من قبله بهدية له ، فتأهب الناصر لورودهم ، واحتفل بقدمهم احتفالاً  
رائعاً ، أحب أن يقوم فيه الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكّر جلالة ملكه ،  
وعظيم سلطانه ، وتصف ما تهباً من توطيد الخلافة في دولته ، وتقدم إلى الأمير  
الحكم ابنه ووليّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحكم  
صنيعة الفقيه محمد بن عبد البرّ بالتأهب لذلك ، وكان يدعى من القدرة على تأليف  
الكلام ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام يحاول التكلم ،  
بهّره هولّ المقام ، وأبّهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظه ، بل غشي عليه وسقط

[١] ولد سنة ٢٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٣٥٥ هـ ، وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل حاذقاً فيه ، شديد العارضة  
حاضر الجواب عتيده ، ثاب الحجة ، ولى بقرطبة قضاء الجماعة - المعبر عنه في المشرق بقضاء القضاة -  
لعبد الرحمن الناصر ، ثم لابنه الحكم المستنصر ، ستة عشر طاماً من سنة ٣٢٩ إلى سنة ٣٥٥ هـ ، لم يحفظ  
عليه فيها جور في قضية ، ولا قسم بغير سوية ، ولا ميل لهوى .

[٢] هو عبد الرحمن الثالث ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني ابن الحكم بن هشام بن  
عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٥٠ هـ ، وهو أول من تسمى من أمراء بني  
أمية بالأندلس بأمر المؤمنين عندما التاك أمر الخلافة بالشرق ، وغلب موالى الترك على بني العباس ، وبلغه  
أن المفترق قتل مولا مؤنس المظفر سنة ٣١٧ هـ .

إلى الأرض ، فقيل لأبي عليّ القالي - صاحب الأملی ، وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق - : قم فارع هذا الوهم<sup>(١)</sup> ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القول ، فوقف ساكناً متفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد البلوطي - وكان ممن حضر في زُمرَة الفقهاء - قام من ذاته بدرجة من مِرقاته ، فوصل افتتاح أبي عليّ لأول خطبته بكلام كَانَ يَسُحُه سَحًّا ، كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، فقال :

« أما بعد حمد الله ، والثناء عليه ، وَالتَّمْدَاد لآلَائِهِ ، والشكر لِنِعْمَائِهِ ، والصلاة والسلام على محمد صَفِيَّهِ وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حَادِثَةٍ مَقَامًا ، ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وإني قد قمتُ في مقام كريم ، بين يَدَي مَلِكٍ عَظِيمٍ ، فَأَصْنَعُوا<sup>(٢)</sup> إِلَى مَعْشَرِ الْمَلَأِ بِأَسْمَاعِكُمْ ، وَأَتَقِنُوا عَنِّي<sup>(٣)</sup> بِأَفْئِدَتِكُمْ ، إن من الحق أن يقال لِلْمُحِقِّ صِدْقَتَ ، وَلِلْمُبْطِلِ كَذَبَتَ ، وإن الجليلَ تَعَالَى فِي سَمَائِهِ ، وَتَقَدَّسَ فِي صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ ، أَمْرَ كَلِيمَةِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ ، أن يذكر قومه بأيام الله جل وعز عندهم ، وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَإِنِّي أَذْكَرُكُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ ، وَتَلَاْفِيهِ لَكُمْ بِخِلاْفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّتِي لَمْتُ شَعَثَكُمْ ، وَأَمَنْتُ سِرْبَكُمْ<sup>(٤)</sup> ، ورفعت قوتكم ، بعد أن كنتم قليلاً فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، وَمُسْتَذَلِّينَ فَنَصْرَكُمْ ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ رِعَايَتَكُمْ ، وَأَسْنَدَ

[١] الوهم : الشق في الشيء . [٢] الذي في كتب اللغة : « أصنى إليه سمعه : أماله ، وأصنى

إليه : مالٍ بهمه نحوه » ولعل زيادة الباء في « بأسماعكم » من النسخ لا من الخطيب .

[٣] هكذا في نصح الطيب ، وفي مطبع الأنس : « ومنوا عليّ بأفئدتكم » .

[٤] السرب : النفس .

إليه إمامتكم ، أيام ضَرَبَتِ الْفِتْنَةُ سُرَادِقَهَا عَلَى الْآفَاقِ ، وَأَحَاطَتْ بِكُمْ شُعَلُ النِّفَاقِ ،  
حَتَّى صِرْتُمْ فِي مِثْلِ حَدَقَةِ الْبَعِيرِ ، مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ ، وَنَكَدِ الْعَيْشِ وَالتَّغْيِيرِ ،  
فَاسْتَبَدَلْتُمْ بِخِلَافَتِهِ مِنَ الشَّدَةِ الرِّخَاءَ <sup>(١)</sup> ، وَاتَّقَلْتُمْ بِبِعْنِ سِيَاسَتِهِ إِلَى تَهْيِيدِ كَنْفِ  
العافية بعد استيطان البلاء .

أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ مَعَاشِرَ الْمَلَأَ ، أَلَمْ تَكُنِ الدَّمَاءُ مَسْفُوكَةً فَخَقَّنَهَا ، وَالسُّبُلُ مَخُوفَةً  
فَأَمَّنَهَا ، وَالْأَمْوَالُ مَتَهَبَةً فَأَحْرَزَهَا وَحَصَّنَهَا ؟ أَلَمْ تَكُنِ الْبِلَادُ خِرَابًا فَعَمَّرَهَا ،  
وَتَغُورُ الْمُسْلِمِينَ مُهْتَضِمَةً فَمَاهَا وَنَصَرَهَا ؟ فَاذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِخِلَافَتِهِ ،  
وَتَلَا فِيهِ جَمْعَ كَلِمَتِكُمْ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا بِإِمَامَتِهِ ، حَتَّى أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْكُمْ غَيْظَكُمْ ، وَشَقَى  
صُدُورَكُمْ ، وَصِرْتُمْ يَدًا عَلَى عَدُوِّكُمْ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ بِأَسْكُمْ بَيْنَكُمْ .

فَأَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ ، أَلَمْ تَكُنِ خِلَافَتُهُ قُفْلَ الْفِتْنَةِ بَعْدَ انْطِلَاقِهَا مِنْ عِقَالِهَا ؟ أَلَمْ  
يَتَلَاَفَ صَلَاحَ الْأُمُورِ بِنَفْسِهِ بَعْدَ اضْطِرَابِ أَحْوَالِهَا ؟ وَلَمْ يَكِلْ ذَلِكَ إِلَى الْقَوَادِ  
وَالْأَجْنَادِ ، حَتَّى بَاشَرَهُ بِالْقُوَّةِ وَالْمُهْجَةِ وَالْأَوْلَادِ ، وَاعْتَزَلَ النِّسْوَانَ ، وَهَجَرَ  
الْأَوْطَانَ ، وَرَفَضَ الدَّعَةَ ، وَهِيَ مَحْبُوبَةٌ ، وَتَرَكَ الرُّكُونَ إِلَى الرَّاحَةِ ، وَهِيَ مَطْلُوبَةٌ ،  
بِطَوِيَّةٍ صَحِيحَةٍ ، وَعَزِيمَةٍ صَرِيحَةٍ ، وَبَصِيرَةٍ ثَابِتَةٍ ، نَافِذَةٌ ثَاقِبَةٌ ، وَرِيحٌ هَابَةٌ  
غَالِبَةٌ ، وَنُصْرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاقِعَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَسُلْطَانٌ قَاهِرٌ ، وَجِدٌّ ظَاهِرٌ ، وَسَيْفٌ  
مَنْصُورٌ ، تَحْتَ عَدْلِ مَشْهُورٍ ، مَتَحَمَّلًا لِلنَّصَبِ ، مُسْتَقِلًا لِمَا نَالَ فِي جَانِبِ اللَّهِ  
مِنَ التَّعَبِ ، حَتَّى لَانَتْ الْأَحْوَالُ بَعْدَ شِدَّتِهَا ، وَانْكَسَرَتْ شَوْكَةُ الْفِتْنَةِ عِنْدَ  
حِدَّتِهَا ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا غَارِبٌ إِلَّا جَبَّهُ <sup>(٢)</sup> ، وَلَا نَجْمٌ <sup>(٣)</sup> لِأَهْلِهَا قَرْنٌ إِلَّا جَدَّهُ ،

[١] في الأصل « فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء » والصواب ما ذكرنا :

[٢] الغارب : الكاهل ، أو ما بين السنام والفتق ، وجته : قطعه .

[٣] في الأصل : « نجم » وهو تحريف ، والصواب « نجم » أي ظهر وطلع ، وجده : قطعه .

فأصبحتم بنعمة الله إخواننا ، و بِلَمِّ أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعوانا ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقبصين والأذنين مستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فجٍّ عميق ، وبلد سحيق <sup>(١)</sup> ، لأخذ حَبْل <sup>(٢)</sup> بينه وبينكم جُمَّلَةً وتفصيلاً ، لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، وإن يُخْلَفَ اللهُ وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أحوال باطنة خافية ، دليلها قائم ، وَجَفَنَهَا غير نائم « وَعَدَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَهَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » ، وليس في تصديق ما وَعَدَّ اللهُ ارتياب ، ولكل نبيٍّ مُسْتَقَرٌّ ، ولكل أجلٍ كتابٌ ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين <sup>(٣)</sup> خلافة أمير المؤمنين - أيده الله بالعصمة والسداد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد - أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالآ ، وأعزهم قراراً ، وأمنعهم داراً ، وأكثرهم جمعاً ، وأجلهم صنماً ، لا تُهاجون ولا تُذادون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفكم وابن عمّ نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يده من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، ومَرَقَ من الدين ، فقد خَسِرَ الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

[١] سحيق : بعيد . [٢] أى معاودة بينه وبينكم . [٣] هكذا في فتح الطيب ، ومطوح الأنفس ، ولعلّ صوابه : « أصبحتم بخلافة أمير المؤمنين » .

وقد علمتم أن في التعلق بِمَعْصَمَتِهَا ، والتمسك بِعُرْوَتِهَا ، حفظَ الأموال ، وَحَقَّنَ الدماء ، وَصَلَحَ الخَاصَّةَ وَالذَّهْمَاءَ <sup>(١)</sup> ، وَأَنْ بَدَاوِمَ <sup>(٢)</sup> الطَّاعَةِ تُقَامُ الحُدُودُ ، وَتُوفَى العُهُودُ ، وَبِهَا وَصِلَتِ الأَرْحَامُ ، وَوَضَحَتِ الأَحْكَامُ ، وَبِهَا سَدَّ اللهُ الخَلَلَ ، وَأَمَّنَ السَّبِيلَ ، وَوَطَّأَ الأَكْنَافَ ، وَرَفَعَ الاختلافَ ، وَبِهَا طَابَ لَكُمْ القَرَارُ ، وَاطْمَأْنَنَتِ بِكُمْ الدَّارُ ، فَاعْتَصِمُوا بِمَا أَمَرَكُمْ اللهُ بِالاعتصامِ بِهِ ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ » ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَحَاطَ بِكُمْ فِي جَزِيرَتِكُمْ هَذِهِ مِنْ ضُرُوبِ المَشْرِكِينَ ، وَصَنُوفِ المُلْحِدِينَ السَّاعِينَ فِي شَقِّ عَصَاكُمْ ، وَتَفْرِيقِ مَلَيْتِكُمْ ، الآخِذِينَ فِي مَخَاذِلِ دِينِكُمْ ، وَهَتَّكَ حَرِيمِكُمْ ، وَتَوَهِينِ دَعْوَةِ نَبِيِّكُمْ ، صَلَوَاتِ اللهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَخْتَمُ بِالحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، مُسْتَغْفِرًا اللهُ العَفُورَ الرَّحِيمَ ، فَهُوَ خَيْرُ الغَافِرِينَ .

وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه ، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه ، وكان الناصر أشدهم تعجباً منه ، فولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ، ثم توفى محمد بن عيسى القاضي ، فولاه قضاء الجماعة بقرطبة ، وأقره على الصلاة بالزهراء . ( نهج الطيب ١ : ١٧٢ ، ومطمح الأفسس ص ٤٣ )

## ٩ - خطبة أخرى له

وخطب منذر بن سعيد يوماً - وأراد التواضع - فكان من فصول خطبته ، أن قال :

« حتى متى ، وإلى متى ، أعظ ولا أتعظ ، وأزجر ولا أنزجر ؟ أدلّ الطريق

[١] الدهماء : جماعة الناس . [٢] في الأصل : « بقوام » ، وأظنه : « بدوام » .

إلى المستدئين ، وأبقي مقياً مع الحائرین ! كلا ، إن هذا هو البلاء المبين ! إن  
هي إلا فتنتك تُضِلُّ بها مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا  
وَأَرْحَمْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ، اللَّهُمَّ فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ ، وَلَا تَشْغَلْنِي بِمَا  
تَكَفَّلْتَ لِي بِهِ ، وَلَا تَحْرِمْنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ ،  
يا أرحم الراحمين . ( نفع الطيب ١ : ٢٢٢ )

١٠ - أحد حساد الرمادى الشاعر والمنصور بن أبي عامر

( المتوفى سنة ٣٩٤ هـ )

وقال المنصور بن أبي عامر المَعَاظِرِيُّ (١) يوماً لأبي عمر يوسف الرمادى  
الشاعر : كيف ترى حالك معي ؟ فقال : « فوق قدرى ، ودونَ قدرك (٢) » ،  
فأطرق المنصور كالغضبان ، فَأَنْسَلَ الرمادى وخرج وقد نَدِمَ على ما بَدَرَ منه ،  
وجعل يقول : أَخْطَأْتُ ! لا والله ، ما يُفْلِحُ مع الملوك من يعاملهم بالحق ، ما كَانَ  
ضَرَّنِي لو قلت له : إني بلغتُ السماء ، وتمنطقتُ بالجوزاء ! وأنشد :  
متى يأتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حَاجَةً لِنَفْسِي إِلا قد قَضَيْتُ قضاءها  
وكان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور ، فوجد فُرْصَةً فقال :

[١] هو المنصور أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوايد بن يزيد بن عبد الملك  
المعافري . دخل جده عبد الملك الأندلس مع طارق ، وكان عطيماً في قومه ، وله في الفتح أثر ، وكان  
الحكم بن الناصر قد استوزر ابن أبي عامر ، وفوض إليه أموره ، وترقت حاله عنده ، ثم توفي الحكم  
سنة ٣٦٦ هـ ، وولى بعده ابنه هشام ، وكانت سنة تسع سنين ، فحدث ابن أبي عامر نفسه بالتقلب عليه  
لصغر سنه ، وتم له ما أُمِلَ ، فتقلب عليه ، وترجع على سرير الملك ، وأمر أن يجيأ بتحية الملوك ، وتسمى  
بالحاجب المنصور ، ونهدت الكتب والمخاطبات والأوامر باسمه ، وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدعاء  
للخليفة ، ولم يبق لهشام من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء له على المنابر ، وكتابة اسمه في السكة والطرر ،  
وهلك المنصور أعظم ما كان ملكاً سنة ٣٩٤ هـ لسبع وعشرين سنة من ملكه .

[٢] يريد « ودون ما ينبغي أن يعطيه مثلك مثلي » . .

« وَصَلَ اللَّهُ لِمَوْلَانَا الظَّفَرَ وَالسَّعْدَ ، إِنْ هَذَا الصَّنْفُ صَنَفٌ زُورٌ وَهَذَيَانٌ ،  
لَا يَشْكُرُونَ نِعْمَةً ، وَلَا يَرْعَوْنَ إِلَّا <sup>(١)</sup> وَلَا ذِمَّةً ، كَلَابٌ مِّنْ غَلَبٍ ، وَأَصْحَابٌ مِّنْ  
أَخْصَبٍ ، وَأَعْدَاءٌ مِّنْ أَجْدَبٍ ، وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ أَنْ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ فِيهِمْ :  
« وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ  
مَا لَا يَفْعَلُونَ » والابتعاد منهم أولى من الاقتراب ، وقد قيل فيهم : ما ظنك  
بقومٍ ، الصدقُ يستحسن إلا منهم ؟ » .

\* \* \*

فرقع المنصور رأسه - وكان مُحَايِي أهل الأدب والشعر - وقد اسودَّ وجهه ،  
وظهر فيه الغضب المُفْرِط ، ثم قال :

« ما بالُ أقوامٍ يُشِيرُونَ فِي شَيْءٍ لَمْ يُسْتَشَارُوا فِيهِ ، وَيَسِيئُونَ الْأَدَبَ بِالْحُكْمِ  
فِي مَا لَا يَدْرُونَ ، أَيُرْضَى أَمْ يُسْخِطُ ؟ وَأَنْتِ أَيُّهَا الْمُبْتَعِثُ لِلشَّرِّ دُونَ أَنْ يُبْعَثَ ،  
قَدْ عَلِمْنَا غَرَضَكَ فِي أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَحَسَدَكَ لَهُمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ كَمَا  
قَالَ الْقَائِلُ :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ فَضْلٌ - لَّا عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ

وَعَرَفْنَا غَرَضَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ خَاصَّةً ، وَلِسْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَبْلُغُ أَحَدًا غَرَضَهُ فِي  
أَحَدٍ ، وَلَوْ بَلَّغْنَاكُمْ بَلَّغْنَا فِي جَانِبِكُمْ ، وَإِنَّكَ ضَرَبْتَ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ <sup>(٢)</sup> ، وَأَخْطَأْتَ  
وَجْهَ الصَّوَابِ ، فَزِدْتَ بِذَلِكَ احْتِقَارًا وَصَغَارًا ، وَإِنِّي مَا أَطْرَقْتُ مِنْ كَلَامِ الرَّمَادِيِّ  
إِنْكَارًا عَلَيْهِ ، بَلْ رَأَيْتُ كَلَامًا يَجِلُّ عَنِ الْأَقْدَارِ الْجَمِيلَةِ ، وَتَعَجَّبْتُ مِنْ تَهْدِيهِ لَهُ

[١] الإلّة : العهد .

[٢] مَنْ أَمْثَالَ الْعَرَبِ : « تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ » وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ طَمَعُ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ .

بسرعة ، واستنباطه له على قلة من الإحسان الناصر ، ما لا يستنبطه غيره بالكثير ،  
والله لو حكمته في بيوت الأموال ، لرأيت أنها لا ترجع ما تكلم به قلبه ذرةً ،  
وإياكم أن يعود أحد منكم إلى الكلام في شخص ، قبل أن يؤخذ معه فيه ، ولا  
تحكموا علينا في أوليائنا ، ولو أبصرتم منا التغيير عليهم ، فإننا لا نتغير عليهم  
بغضاً لهم ، وانحرافاً عنهم ، بل تأديباً وإنكاراً ، فإننا من نريد إبعاده لم نُظهر له  
التغير ، بل ننبذه مرة واحدة ، فإن التغيير إنما يكون لمن يُراد استبقاؤه ، ولو  
كنت مائل السمع لكل أحد منكم في صاحبه ، لتفرقتم أيدي سباً (١) ،  
وجؤنبتُ أنا مجانبة الأجر ، وإني قد أطلعتكم على ما في ضميري ، فلا تعدلوا  
عن مرصاتي ، فتجنبوا سُخطي بما جئتموه على أنفسكم .

\* \* \*

ثم أمر أن يُردَّ الرمادي ، وقال له : أعِدْ عليّ كلامك ، فارتاع ، فقال :  
الأمرُ على خلاف ما قدرت ، الثوابُ أولى بكلامك من العقاب ، فسكن  
لتأنيسه ، وأعاد ما تكلم به .

فقال المنصور : « بلغنا أن النعمان بن المنذر حشاً فَمَ النابغة بالذر ، لكلام  
استملحه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يقصُر عن ذلك ، ما هو أنوّه وأحسن حائدةً ،  
وكتب له بمالٍ وخِلاصٍ وموضع يعيش منه ، ثم رد رأسه إلى التكلم في شأن  
الرمادي - وقد كان يغوص في الأرض لو وجد ، لشدة ما حلَّ به مما رأى وسمع -

---

[١] من أمثالهم أيضاً : « ذهبوا أيدي سباً ، وتفرقوا أيدي سباً ، وأيادي سباً » ، واليد : الطريق  
أي فرقتم طرقهم التي سلكوها كما تفرق أهل سباً في مذاهب مختلفة . ضرب التلبيح ، لأنه لما غرق مكانهم ،  
وذهبت جناتهم ، تبددوا في البلاد - انظر القصة في الجزء الأول صفحة ٣٤٥ - وقد بنوا أيدي سباً ،  
وأيدي سباً على السكون لكونه مركباً تركيب خمسة عشر .



وقال : « وَالْمَجَبُّ مِنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ : الْإِبْتِعَادُ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَوْلَى مِنَ الْإِقْتِرَابِ ، نَعَمْ ، ذَلِكَ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ مَفَاخِرٌ ، يُرِيدُ تَحْلِيدَهَا ، وَلَا أَيَادٍ يُرْغَبُ فِي نَشْرِهَا ، فَأَيْنَ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ :

عَلَى مُكْثَرِيهِمْ رَزَقٌ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ<sup>(١)</sup> وَأَيْنَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو ذُلْفٍ      بَيْنَ مَبْدَاهِ وَمُحْتَضَرِهِ  
فَإِذَا وُلِّيَ أَبُو ذُلْفٍ      وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ<sup>(٢)</sup>

أَمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ أَكْرَمُ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ هَذَا الْقَوْلُ ؟ بَلَى ، وَلَكِنْ مُصْحَبَةُ الشُّعْرَاءِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ ، أَحْيَيْتُ غَابِرَ ذِكْرَاهُمْ ، وَخَصَّصْتَهُمْ بِمَفَاخِرِ عَصْرِهِمْ ، وَغَيْرِهِمْ لَمْ تَحْلُدِ الْأَمْدَاحُ<sup>(٣)</sup> مَا يَرْتَمُهُمْ ، فَدَثَّرَ ذِكْرَهُمْ ، وَدَرَسَ نَفْرَهُمْ .

( نفع الطيب ٢ : ٢٢٦ )

١١ — ابن اللبابة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صمادح

لما مات المعتصم بن صمادح<sup>(٤)</sup> ملك المريّة ركب البحر ابنه ووليّ عهده الواثق عزّ الدولة ، وفارق الملك كما أوصاه والده المعتصم .

[١] البيت لرهير بن أبي سلمي من قصيدة في مدح آل هرم بن سنان .

[٢] البيتان لعليّ بن جبلة الأنباري الملقب بالكوك من قصيدة قالها في مدح أبي داف اقام بن عيسى العجليّ — وكان حواداً ممدحاً — وفيها يقول :

كل من في الأرض من عرب بين يديه إلى حضره

مستعير منه مكرمة يكتسبها يوم مفتخره

وهذا البيتان الأخيران أحفظا عليه الأمان ، فطلبه حتى ظفر به ، فسئل لسانه من قماه ، ويقال : بل هرب ولم يزل متوارياً منه حتى مات ، قال صاحب الأعاني : « وهذا هو الصحيح من القوائين ، والآخر شاذ » .

[٣] لم أجد هذا الجمع في كتب اللغة ، وإنما الذي فيها : « المدحة بالكسر والمدح والأمدوحة بالضم : ما يمدح به ، والجمع مدح كعب ومدائح وأمادح » .

[٤] هو أحد ملوك الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب المريّة « بلد بالأندلس على الساحل الجنوبي » ، وكان منافساً للمعتد بن عباد صاحب إشبيلية ، فاوثنا له ، وقد سعى به لدى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين

قال أبو بكر بن اللبابة الشاعر: ما علمتُ حقيقةَ جَوْرِ الدهر، حتى اجتمعت  
بِجَايَةٍ<sup>(١)</sup> مع عزِّ الدولة بن المعتصم، فإنني رأيت منه خيراً من يُجْتَمَعُ به، كأنه  
لم يخلقه الله تعالى إلا المُلْكِ والرياسة، وإحياء الفضائل، ونظرت إلى همته تَنِمُّ  
من تحت مَحْوِلِهِ، كما يَنِمُّ فِرِيدُ<sup>(٢)</sup> السيف وَكَرْمُهُ من تحت الصَّدَأِ، مع حفظه  
لفنون الأدب والتواريخ، وحسن استماعه وإسماعه ورقّة طباعه، ولطافة ذهنه،  
ولقد ذكّرته لأحد من صَحْبَتِهِ من الأدباء في ذلك المكان، ووصفته بهذه  
الصفات، فتشوّق إلى الاجتماع به، وَرَغِبَ إلىّ في أن أستأذنه في ذلك، فلما  
أعلمت عزّ الدولة قال:

« يا أبا بكر، إنك لتعلم أنا اليوم في مَحْوِلِ وَصِيْقٍ، لا يتسع لنا معهما، ولا  
يحمل بنا الاجتماعُ مع أحد، لا سيّما مع ذي أدب ونباهة، يلقانا بين الرحمة،  
ويزورنا بمنّة التفضل في زيارتنا، ونكابِدُ من أَلْفَاظِ تَوْجِعِهِ، وألحاظِ تَفْجِئِهِ،  
ما يحدّد لنا همّاً قد بَلِي، وَيُخَيِّبُ كدّاً قد فَنِي، ومالنا قدرة على أن نجود عليه  
بما يَرْضَى عن همّنا، فدَعْنَا كأننا في قبر، تدرّع لسهام الدهر، بدرع الصبر،  
وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم، وامتزجت امتزاج الماء بالخر،  
فكأننا لم نكشِفِ حالنا لسوانا، ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا، فلا نحمل غيرك بحملك» .  
قال ابن اللبابة: فلا والله سمى بلاغة لا تصدُرُ إلا عن سَدَادٍ، ونفسٍ أبية  
متمكنة من أعنة البيان، وانصرفت متمثلاً:

---

وأفسد ما بينهما، وكان ابن عباد قد استنصر ابن تاشفين لصد قارة الإسبان، فعبّر بجيشه من مراکش  
إلى الأندلس، وأبلى بلاء حسناً في قتالهم حتى دارت عليهم الدائرة في وقعة الزلاقة، ثم مال على ملوك  
الطوائف، فاكسح دولهم، ودانت له الأندلس. [١] بجاية: بلد بالمغرب على ساحل بلاد الجزائر.  
[٢] جوهرية.

لسانُ الفتى نصفٌ، ونِصفُ فؤادهُ فلم يبقَ إلا صُورَةُ اللحمِ والدمِ  
وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ صَامَتِ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ<sup>(١)</sup>  
( نفع الطيب ٢ : ٢٢٨ )

## ١٢ - دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى

### بحضرة ابن تاشفين

لما تألب بنو حسون على القاضي أبى محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة<sup>(٢)</sup> ،  
انبرى للدفاع عنه العالم الأصولى أبو عبد الله بن الفخار ، فقصده إلى حضرة  
الإمامة « مرّاكش » ، وقام فى مجلس أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، وقد  
غصّ بأربابه ، فقال :

« إنه لمقام كريم ، نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ، ونصلّى على خيرة أنبيائه ،  
محمد الهادى إلى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحّابته نجوم الليل البهيم<sup>(٣)</sup> ،  
أما بعد ، فإننا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميراً ، وجعلك للدين الحنيفيّ  
نصيراً وظهيراً ، ونفزع إليك مما دهمنا<sup>(٤)</sup> فى حماك ، ونبث إليك ما لحقنا من  
الضيم ، ونحن تحت ظلّ غلاك ، ويأبى الله أن يذهم من احتسى بأمر المسلمين ،  
ويصّاب بضيم من أدرع بحصنه الحصين ، شكوى قت بها بين يديك ، فى  
حق أمرك الذى عضده<sup>(٥)</sup> مؤيّدته ، لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقّده ، وإن  
قاضيك ابن الوحيدى الذى قدّمته فى مالقة للأحكام ، ورضيت بعدله فيمن بها

[١] البيتان لزهير بن أبى سلمى من مملقته . [٢] بلد بالأندلس على الساحل الجنوبى .

[٣] الأسود . [٤] دهمه كسمع ومنع : غشبه .

[٥] عضده كنصره : أصاب عضده ، والمراد بمؤيده بنو حسون ، والمعنى : إن بنى حسون - وكانوا  
أحق بتأييد أمرك وتوطيده - قد أرهقوه وأوهوه بتمرضهم لأحكام القاضى ، والظعن فيها ، أو معنى  
عضده : نصره ، فالمراد بمؤيده القاضى الوحيدى ، والمعنى على ذلك ، إن القاضى القائم بأمرك يدأب على  
نصره ، وتثبيت دعاته ، باتهاجه طريق الحق فى حكمه ، ولو غضب من جراء ذلك فريق من الرعية .

من الخِصَّة والعوام ، لم يزل يَدُلُّ على حسن اختيارك بحُسن سيرته ، وَيُرْضِي اللهَ تعالى وَيُرْضِي الناسَ بظاهره وسريته ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، وَلَا دَرِينَا له موقف خِزْي ، ولم يزل جارياً على ما يُرْضِي اللهَ تعالى ويرضيك ويرضينا ، إلى أن تعرضت بنو حِشُون للطعن في أحكامه ، والهدَّ من أعلامه ، ولم يعلموا أن اهتضام المقدَّم ، راجع على المقدَّم ، بل جَمَحُوا في لجأهم ، فَعَمُوا وَصَمُوا ، وفعلوا وأمضوا ما به هَمُّوا ، وإلى السُّحْبِ يَرْفَعُ الكَفَّ من قد جَفَّ عنه مَسِيلٌ عينٍ ونهر .

فلا سمعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه . ( فتح الطيب ٢ : ٢٤٠ )

١٣ — موعظة ابن أبي رندقة الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

للأفضل بن أمير الجيوش

دخل ابن أبي رندقة الطرطوشي<sup>(١)</sup> مرة على الأفضل<sup>(٢)</sup> بن أمير الجيوش

فوعظه ، وقال له :

« إن الأمر الذي أصبحت فيه من الملك ، إنما صار إليك بموت من كان

قبلك ، وهو خارج عن يدك ، بمثل ما صار إليك ، فاتق الله فيما خولك من هذه الأمة ، فإن الله عز وجل سألك عن النقيير والقميطير والفتيل<sup>(٣)</sup> ، واعلم أن الله

[١] هو الفقيه العالم أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب المهري الطرطوشي ( بضم الطاءين ، وقد تفتح الطاء الأولى ، نسبة إلى طرطوشة من بلاد الأندلس ) ويعرف بابن أبي رندقة وكان زاهداً طابداً متورطاً متقللاً من الدنيا قوَّالاً للحق ، رحل إلى المشرق ، ودخل بغداد والبصرة ، وسكن الشام مدة ، ودرس بها ، وكان الأفضل بن أمير الجيوش يكرهه ، فلما ولي بعده المأمون بن البطاحي أكرم الطرطوشي إكراماً كثيراً ، وله ألف الشيخ « سراج الملوك » وتوفى بالاسكندرية سنة ٥٢٠ هـ .

[٢] هو الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش المشهور ، وكان أبوه بدر الجمالي حاكم عكا ، فأرسل إليه الخليفة الفاطمي المستنصر يسأله القدوم إلى مصر لإصلاح أحوالها المضطربة إذ ذاك ، فقدم إليها ، وتولى شؤونها ، وأقام معوجها ، وصارت له فيها الكلمة النافذة ، ثم لابنه الأفضل .

[٣] النقيير : النقرة التي في ظهر النواة ، والقميطير : القشرة الرقيقة التي بين النواة والتمر ، والفتيل : ما يكون في شق النواة .

عز وجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحدافيرها ، فسخر له الإنس والجِن والشياطين والطير والوحوش والبهائم ، وسخر له الريح تجرى بأمره رُخاء<sup>(١)</sup> حيث أصاب ، ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عز من قائل : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَأَمَنْتُمْ<sup>(٢)</sup> أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ، فما عدَّ ذلك نعمة كما عدَّتموها ، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عز وجل فقال : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ، لِيَبْلُوَنِي<sup>(٣)</sup> أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ » ، فافتتح الباب ، وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم . ( نفع الطيب ١ : ٢٦٣ )

## ١٤ — خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين ( المتوفى سنة ٥٣٤ هـ )

استدعى محمد بن عبد الله بن تومرت<sup>(٤)</sup> مؤسس دولة الموحدين أصحابه ، قبل موته بأيام يسيرة ، وقد أراد أن يستخلف عليهم عبد المؤمن بن علي ، فاما حضروا بين يديه قام :

[١] الرخاء : الريح اللينة . [٢] أى فأعط منه من شئت . [٣] بلاه : اختبره . [٤] هو محمد بن عبد الله بن نومرت من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ، ورحل إلى المشرق سنة ٥٠١ هـ في طلب العلم ، وانتهى إلى بغداد ، وقيل إنه اتقى أبا حامد العزالي ، ثم رحل إلى المغرب ، وفامت دعوته في أوّل الأمر في صورة أمر بالمعروف ، ناه عن المنكر ، فاتمه بعض القوم ، وخرج هو وأصحابه إلى السوس ، وشرع في التدريس والدعاء إلى الخير ، وما زال يستميل القلوب حتى كثرت شيعته ، ثم جعل يذكر المهدي ويشوق إليه ، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه ، فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ، ادّعى ذلك لنفسه ، وتسمى بالمهدي ، ورفع نسيبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وادّعى إنه من نسل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وصرّح بدعوى العصمة لنفسه ، وأنه المهدي المعصوم ، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقرّ عندهم أنه المهدي ، فبايموه على ذلك ، ولما كانت سنة ٥١٧ هـ جهز جيشاً عظيماً — وكانت مراکش تحت إمرة المرابطين — فقال : اقتصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين ، فادعوم إلى إمامة المنكر ، وإحياء المعروف ، وإزالة البدع ، والإقرار بالإمام المهدي المعصوم ، فإن أجابوكم فهم إخوانكم ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم ، وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي ، فخرجوا إلى مراکش فقتلهم المرابطون

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أنشأ يترضى عن الخلفاء الراشدين ، رضوان الله عليهم ، ويدكر ما كانوا عليه من الثبات في دينهم ، والعزيمة في أمرهم ، وأن أحدهم كان لا تأخذه في الله لومة لائم ، وذكر من حدّ عمر رضى الله عنه ابنة في الحجر ، وتصيبيه على الحق ، في أشباه هذه الفصول ، ثم قال :

فانقرضت هذه العصابة ، نظر الله وجوهها ، وشكر لها سميتها ، وجزاها خيراً عن أمة نبيها ، وخبطت الناس فتنة تركت الحليم حيران ، والعالم متجاهلاً مداهناً ، فلم ينتفع العلماء بعلمهم ، بل قصدوا به الملوك ، واجتلبوا به الدنيا ، وأمالوا وجوه الناس إليهم ، في أشباه لهذا القول ، إلى هلمّ جراً .

ثم إن الله سبحانه - وله الحمد - منّ عليكم - أيها الطائفة - بتأييده ، وخصّكم من بين أهل هذا العصر بحقيقة توحيده ، وقبض <sup>(١)</sup> لكم من <sup>(٢)</sup> ألفاكم ضلالاً لا تهتدون ، وعمياً لا تبصرون ، لا تعرفون معروفاً ، ولا تشكرون منكراً ، قد فشت فيكم البدع ، واستهوتكم الأباطيل ، وزين لكم الشيطان أضاليل وثرّهات <sup>(٣)</sup> ، أنزّه لسانى عن النطق بها ، وأرَبّاً <sup>(٤)</sup> بلفظى عن

قريباً منها بجيش ضخم أميرم الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فدعوم إلى ما أمرم به ابن تومرت فردوا عليهم أسوأ ردّ ، ثم التفت العثمان ، فانهزم أصحاب ابن تومرت وقتل منهم خلق كثير ، فلما رجع القوم إلى ابن تومرت جعل يهون عليهم أمر الهزيمة ، ويقرّر في نفوسهم أن قتلام شهداء ، لأنهم ذابون من دين الله ، فزاد ذلك بصيرة في أمرم ، وحرصاً على لقاء عدوّم ، وجعلوا يشنون الغارات على نواحي حراكش ويقتلون ويسون ولا يقون غلى أحد من قدروا عليه ، وكثر الداخلون في طاعتهم ، ولم يزل أصحابه ظاهرين ، وأحوال المرابطين تختلّ ، وانتقاض دولتهم يترايد ، إلى أن توى ابن تومرت سنة ٥٣٤ هـ بعد أن أسس الأمور ، وأحكم التدبير ، وقام بأمر الموحدين من بعده عبد المؤمن بن علي . وقد استوثق له الأمر بموت علي بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين سنة ٥٣٧ هـ .

[١] أتاح لكم وسبب وهياً . [٢] يعنى نفسه . [٣] جمع ترمة : وهى الباطل .

[٤] ارتفع

ذكرها ، فهذا كم الله به بعد الضلالة ، وبَصَّرَكُم بعد العَمَى ، وجمعكم بعد الفُرقة ، وأعزَّكم بعد الذلة ، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين (١) ، وسيُورثكم أرضهم وديارهم ، ذلك بما كَسَبَتْه أيديهم ، وأضرته قلوبهم ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ .

فجدِّدوا لله سبحانه خالص نياتكم ، وأرؤوه من الشكر قولاً وفعلاً ما يُزَكِّي به سعيكم ، ويتقبَّل أعمالكم ، وينشر أمركم ، واحذروا الفُرقة واختلاف الكلمة ، وشتات الآراء ، وكونوا يداً واحدةً على عدوكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك ، هابكم الناس ، وأسرعوا إلى طاعتكم ، وكثُر أتباعكم ، وأظهر الله الحق على أيديكم ، وإلا تفعلوا شملكم ذلك ، وعمَّكم الصغار (٢) ، واحتقرتكم العامة ، فتخطفتكم الخاصة ، وعليكم في جميع أموركم بمزج الرأفة بالغلظة ، واللين بالعنف ، واعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمرُ آخر هذه الأمة ، إلا على الذي صلح عليه أمر أولها .

وقد اخترنا لكم رجلاً منكم ، وجعلناه أميراً عليكم ، هذا بعد أن بلّوناه (٣) في جميع أحواله ، من ليله ونهاره ، ومدخله ومخرجه ، واختبرنا سيرته وعلا نيته ، فرأيناه في ذلك كله ثبثاً (٤) في دينه ، متبصراً في أمره ، وإني لأرجو أن لا يُخلف الظن فيه ، وهذا المشار إليه هو : « عبد المؤمن » ، فاسمعوا له وأطيعوا مادام سامعاً مطيعاً لربه ، فان بدّل أو نكص على عقبه ، أو ارتاب في أمره ، ففي الموحدين - أعزهم الله - بركةٌ وخير كثير ، والأمر أمر الله يقلده من شاء من عباده .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعا لهم ابن تومرت .

( المعجب ، في تاريخ أخبار المغرب ص ١٠٨ )

١٥ - مقال لسان الدين بن الخطيب ( المتوفى سنة ٧٧٦ هـ )  
في الحض على الجهاد

وقال لسان الدين بن الخطيب <sup>(١)</sup> في الحض على الجهاد <sup>(٢)</sup> .

« أيها الناس - رَحِمَكُمُ اللهُ تَعَالَى - :

إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهم العدو - قصمه الله تعالى - ساحتهم ،  
ورام الكفر - خذله الله تعالى - استباحتهم ، وزحقت أحزاب الطواغيت  
إليهم ، ومدد الصليب ذراعيه عليهم ، وأيديكم - بعزة الله تعالى - أقوى ، وأنتم  
المؤمنون أهل البر والتقوى ، وهو دينكم فانصروه ، وجواركم القريب فلا  
تخفروه <sup>(٣)</sup> ، وسبيل الرشd قد وضح فلتبصروه ، الجهاد الجهاد فقد تعين ،  
الجار الجار فقد قرر الشرع حقه وبيّن ، الله الله في الإسلام ، الله الله في أمة  
محمد عليه الصلاة والسلام ، الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله ، الله الله في  
وطن الجهاد في سبيل الله ، قد استغاث بكم الدين فأغيثوه ، قد تأكد عهد الله

[١] هو لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد المشهور بابن الخطيب خاتمة أدباء الأندلس ، ولد بقرناطة سنة ٧١٣ هـ ، وكان أول أمره في عداد كتاب السلطان أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر ، ثم اصطفاه وجعله وزيره ، وفوس إليه شئون مملكته ، ولما مات أبو الحجاج ، وخلفه ابنه محمد أقربه على الوزارة ، ثم وثب إسماعيل أخو السلطان على ملكه ، فاضطر أن يبادره إلى المغرب مع وزيره لسان الدين ، فلما تحسنت الأحوال عاد محمد إلى ملكه ، وبقى مدة كتب له فيها ابن زمرك أحد تلاميذ لسان الدين ، ثم عاد لسان الدين إلى قرناطة ، وحل مكانه من سلطانه ، فأهلب ذلك نار الحسد في ابن زمرك وأبصاره ، فسعوا به إليه حتى أحفظوه عليه ، فهرب إلى المغرب - وكان في حوزة بني مرين ، وهم من البربر - حكموا المغرب بعد الموحدين من سنة ٦٦٨ إلى سنة ٨٩٠ هـ - فأكرمه سلطان المغرب عبد العزيز ، وخطب ابن الأحمر في أهله وولده ، فبعثهم إليه إلى أن مات ( عبد العزيز ) ، وثار أحد أمراء بني مرين على ابن عبد العزيز ، وساعده ملك بني الأحمر بشرط تسليمه ابن الخطيب ، وتم له أمره ، وقبض عليه ، وسجن بفاس ، ونوظر في كلماته في كتابه « الحجة » وأفتى الفقهاء بقتله ، فدمس عليه من خنقه في سجنه سنة ٧٧٦ هـ .

[٢] وكان سلطانه محمد بن أبي الحجاج أسفروه إلى ملوك بني مرين يستنجدم على الإسبان .

[٣] أخفروه : غدر به ونقض عهده .



وحاشاكم أن تنكثوه ، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله تعالى عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله تعالى لكم جميل العوائد ، صلوا رحم الكلمة (١) ، واسئوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة ، كتاب الله بين أيديكم ، وألسنة الآيات تُناديكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله سبحانه يقول فيه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ » ، ومما صح عنه قوله : « من أغبرت قدماءه في سبيل الله حرهما الله على النار » ، « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم » ، « من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا » ، أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت ، بادروا على الإسلام قبل أن يموت ، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عباده ، جاهدوا في الله بالألسن والأقوال حق جهاده :

ماذا يكون جوابكم لنبيكم      وطريق هذا العذر غير ممهد  
إن قال : لم فرطتمو في أممي      وتركتموهم للعدو المعتدى ؟  
تالله لو أن العقوبة لم تخف      لكفى الحيا من وجه ذلك السيد

اللهم اعطف علينا قلوب العباد ، اللهم بُت لنا الحمية في البلاد ، اللهم دافع عن الحرم والضعيف والأولاد ، اللهم انصرنا على أعدائك ، بأحبائك وأوليائك ، يا خير الناصرين ، اللهم أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

( نفع الطيب ٤ : ٣ )

١٦ - ماخاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني  
وخاطب لسان الدين بن الخطيب تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني  
لما قصدتها عقب ما شرع في جواره ، فقال :

« السلام عليك ثم السلام ، أيها المولى الهمام ، الذى عرف فضله الإسلام ،  
وأوجبت حقه العلماء الأعلام ، وَخَفَقَتْ بِعِزِّ نَصْرِهِ الأعلام ، وتنافست في  
إنفاذ أمره ونهيه السيوف والأقلام ، السلام عليك أيها المولى الذى قَسَمَ زمانه  
بين حكمِ فَصْلِ ، وإمضاء نَصْلِ ، وإحراز خَصْلِ<sup>(١)</sup> ، وعبادة قامت من اليقين  
على أصل ، السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية ، ومُشْبِعِ البطون الجائعة ،  
وكأسي الظهور العارية ، وقادح زناد العزائم الوارية ، ومكتب الكتائب الفازية ،  
في سبيل الله تعالى والسرايا<sup>(٢)</sup> السارية ، السلام عليك يا حُجَّةَ الصبر والتسليم ،  
ومتلقى أمر الله تعالى بالخلق المرضي والقلب السليم ، ومفوض الأمر في الشدائد  
إلى السميع العليم ، وَمُعْمِلِ البنان الطاهر في اكتاب الذكر الحكيم ، كَرَّمَ  
الله تعالى تَرْبَتَكَ وَقَدَّسَهَا ، وطيب رُوحَكَ الزكية وآنسها ، فلقد كنت للدهر  
جَمَالاً ، وللإسلام ثَمَلاً<sup>(٣)</sup> ، وللمستجير مُجِيراً ، وللمظلوم ولياً ونصيراً ، لقد كنت  
للمحارب صَدْرًا ، وفي المواكب بَدْرًا ، وللمواهب بحرًا ، وعلى العباد والبلاد  
ظِلًّا ظليلاً وَسِيراً ، لقد فرعت<sup>(٤)</sup> أعلام عِزِّكَ الثنايا ، وأجزأت همَّتكَ لملوك  
الأرض الهدايا ، كأنك لم تعرِّض الجنود ، ولم تنشر البنود<sup>(٥)</sup> ، ولم تبسط العدل

[١] الحصل : العلية في الضال . [٢] السرايا جمع سرية وهي من خمسة أنفس إلى ثمانية

أو أربعمائة . [٣] الثمال : النيات الذى يقوم بأمر قومه .

[٤] فرعت : علت ، والثنايا : جمع ننية كهدية ، وهي العتبة ، أو الجبل ، أو الطريقة فيه .

[٥] البنود جمع بندكشمس : وهو العلم الكبير .

المحدود ، ولم تُوجد الجود ، ولم تزين الرُكع السُّجود ، فتوسّدت الثرى ، وأطلت الكرى ، وشربت الكأس التي يشربها الورى ، وأصبحت ضارع<sup>(١)</sup> الخدّ ، كليل الخدّ ، سالكاً سنن الأب والجدّ ، لم تجذ بعد انصرام أجلك ، إلا صالح عملك ، ولا صحبت لقبرك ، إلا رابح تجرك<sup>(٢)</sup> ، وما أسلفت من رضاك وصبرك ، فنسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك ، ويجود بسحاب الرحمة تُرابك ، وينفك بصدق اليقين ، ويجعلك من الأئمة المتقين ، ويُعلي درجتك في عليين<sup>(٣)</sup> ، ويجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين .

وَلِيَهْنِكَ أَنْ صَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَكَكَ مِنْ بَعْدِكَ ، إِلَى نَيْرِ سَعْدِكَ ، وَبَارِقِ رَعْدِكَ ، وَمُنْجِزِ وَعْدِكَ ، أَرْضَى وَلَدِكَ ، وَرَيْحَانَةَ خَلْدِكَ<sup>(٤)</sup> ، وَشِقَّةَ<sup>(٥)</sup> نَفْسِكَ ، وَالسَّرْحَةَ الْمُبَارَكَةَ مِنْ غَرْسِكَ ، وَنُورَ شَمْسِكَ ، وَهَوَّضَ عَمَلِكَ الْبَرِّ إِلَى رَمْسِكَ ، فَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ أَثَرُ دَعْوَاتِكَ ، فِي خَلَوَاتِكَ ، وَأَعْقَابِ صَلَوَاتِكَ ، فَكَامِتُكَ وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى بِأَفِيَّةٍ ، وَحَسَنَتِكَ إِلَى مَحَلِّ الْقَبُولِ رَاقِيَةً ، يَرَعَى بِكَ الْوَسِيلَةَ ، وَيَتَمَّمُ مَقَاصِدَكَ الْجَمِيلَةَ ، أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِبِرْكَةِ رِضَاكَ عَلَى مَا قَلَّدَهُ ، وَعَمَرَ بِتَقْوَاهُ يَوْمَهُ وَغَدَهُ ، وَأَبْعَدَ فِي السَّعْدِ أَمَدَهُ ، وَأَطْلَقَ بِالْخَيْرِ يَدَهُ ، وَجَعَلَ الْمَلَائِكَةَ أَنْصَارَهُ وَالْأَقْدَارَ عُدَدَهُ . وَإِنِّي أَيُّهَا الْمَوْلَى الْكَرِيمُ ، الْبَرُّ الرَّحِيمُ ، لَمَّا اشْتَرَانِي ، وَرَاشَنِي<sup>(٦)</sup> وَبَرَّانِي ، وَتَعَبَّدَنِي بِإِحْسَانِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ فِي اسْتِخْلَاصِي خَطَّ بَنَانِهِ ، وَوَصِيَّةَ لِسَانِهِ ، لَمْ أَجِدْ مَكَافَأَةً إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَيْكَ وَإِلَيْهِ بِرِثَائِكَ ، وَإِغْرَاءَ لِسَانِي بِتَخْلِيدِ عَلَيَّائِكَ ، وَتَعْفِيرِ

[١] ذليل . [٢] تمر تجراً وتجارة .

[٣] اسم لأعلى الجنة ، أو هو كتاب جامع لأعمال الخير . [٤] الخلد : النفس والقلب ،

[٥] الشقة : نصف الشيء إذا شق ، والسرحة : الشجرة العظيمة .

[٦] راش السهم : ألق على الريش ، وراش الصديق : أطعمه وسقاه وكساه وأصلح حاله .

الوَجْنَةَ فِي حَرَمِكَ ، وَالإِشَادَةَ بِعَدِّ الْمَمَاتِ بِمَجْدِكَ وَكَرَمِكَ ، فَفَتَحْتَ الْبَابَ فِي هَذَا الْغَرَضِ ، إِلَى الْقِيَامِ بِحَقِّكَ الْمَفْتَرَضِ ، الَّذِي لَوْلَاهُ لَاتَّصَلَّتِ الْغَفْلَةُ عَنْ أَدَائِهِ وَتَعَادَتِ ، فَمَا يَبْسُتُ الْأَلْسُنُ وَلَا كَادَتْ ، مَتَحَيِّزًا بِالسَّبْقِ ، إِلَى أَدَاءِ هَذَا الْحَقِّ ، بَادِئًا بِزِيَارَةِ قَبْرِكَ الَّذِي هُوَ رِحْلَةُ الْغَرْبِ ، مَا نَوَيْتَهُ مِنْ رِحْلَةِ الشَّرْقِ ، وَمَا أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَأَقْطَعَهُ أَثْرَ مَوَاقِعِ الْإِسْتِحْسَانِ ، وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالتَّنْوِيهِ وَالْإِحْسَانِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَجْعَلُهُ عَمَلًا مَقْبُولًا ، وَيَبْلِّغُ فِيهِ مِنَ الْقَبُولِ مَأْمُولًا ، وَيَتَنَمَّدُ مِنْ ضَاجَعَتِهِ مِنْ سَلَفِكَ الْكِرَامِ بِالْمَغْفِرَةِ الصَّيْبَةِ ، وَالتَّحِيَّاتِ الطَّيِّبَةِ ، فَتَعْمُ الْمُلُوكُ الْكِبَارَ ، وَالْخُلَفَاءُ الْأَبْرَارَ ، وَالْأَعْمَةَ الْأَخْيَارَ ، الَّذِينَ كَرُمَتْ مِنْهُمْ السَّيْرُ وَحَسُنَتْ الْأَخْبَارُ ، وَسَعِدَ بِعَزَمَاتِهِمُ الْجِهَادِيَّةِ الْمُؤْمِنُونَ وَشَقِيَ الْكُفَّارُ ، وَصَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى عَوْدًا وَبَدَأًا عَلَى الرَّسُولِ الَّذِي اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ فَهُوَ الْمَصْطَفَى الْمُخْتَارُ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ السَّادَةُ الْأَبْرَارُ ، وَسَلَمٌ تَسْلِيمًا . ( نصح الطيب ٤ : ١٣٥ )

### ١٧ - وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده

« الحمد لله الذي لا يُرْوَعُهُ الْجِمَامُ الْمَرْقُوبُ ، إِذَا شِيمَ <sup>(١)</sup> نَجْمُهُ الْمُثْقُوبُ ، وَلَا يَبْتَغَتْهُ الْأَجَلُ الْمَكْتُوبُ ، وَلَا يَفْجُوهُ الْفِرَاقُ الْمَعْتُوبُ ، مُلْهِمُ الْهُدَى الَّذِي تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَمَوْضِعُ السَّبِيلِ الْمَطْلُوبِ ، وَجَاعِلُ النَّصِيحَةِ الصَّرِيحَةِ مِنْ قِسْمِ الْوَجُوبِ ، لَا سِيَّمَا لِلْوَالِيِّ الْمَحْبُوبِ ، وَالْوَالِدِ الْمَنْسُوبِ ، الْقَائِلِ فِي الْكِتَابِ الْمُعْجِزِ الْأَسْلُوبِ : « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ <sup>(٢)</sup> » ، « وَوَصَّى بِهَا

[١] من شام البرق : نظر إليه أين يقصد ، وأين يعطر . [٢] وتتمام الآية الكريمة :

« إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ

آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . »

إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ<sup>(١)</sup> ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ،  
 أكرم من زُرْتُ على نُورِهِ جُيُوبُ الغيوب ، وأشرف من خُلِعَتْ عليه حُلَلُ  
 المهابة والمِصْمَةِ ، فلا تَقْتَحِمُهُ<sup>(٢)</sup> العيونُ ، ولا تَصِيْمُهُ العيوبُ ، والرضا عن آله  
 وأصحابه المثابرين على لسان<sup>(٣)</sup> الاستقامة بالهَوَى المغلوب ، والأمل المسلوب ،  
 والافتداء الموصِّل المرغوب ، والعزّ والأمن من اللُّغُوب<sup>(٤)</sup> ، وبعد : فإني لما  
 علاني المَشِيب بِقِمَّتِهِ<sup>(٥)</sup> ، وقادني الكِبَر بِرُمَّتِهِ<sup>(٦)</sup> ، وأدَّ كَرَّتُ الشباب بعد  
 أُمَّتِهِ<sup>(٧)</sup> ، أسِفْتُ لِمَا أضعْتُ ، وَنَدِمْتُ بعد الفِطَام على ما رَضَعْتُ ، وتأكدت  
 وجوبُ نصحي لمن لزمني رَعِيَّتُهُ ، وتعلق بعيني سَعِيَّتُهُ ، وأمليت أن تتعدى إلى  
 ثمرة استقامته وأنا رهين قوات ، وفي بَرَزَخِ أموات ، ويأمن العثور في الطريق  
 التي اقتضت عثاري ، إن سلك - وعسى ألا يكون ذلك - على آثاري ، فقلت  
 أخاطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخلد<sup>(٨)</sup> بعد الضراعة إلى الله تعالى في توفيقهم ،  
 وإيضاح طريقهم ، وَجَمَعَ تفريقهم ، وأن يميني على منهم بحسن الخلف ،  
 والتلافي من قبيل التلّف ، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف ، فهو وليّ  
 ذلك ، والهادي إلى خير المسالك : اعلموا هداكم الله تعالى الذي بأنواره تهتدي

[١] وتعام الآية الكريمة : « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَوَصَّى بِهَا  
 إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » .

[٢] تردديه وتحتفره ، ووصفه : طابه . [٣] اللسان : الرسالة .

[٤] اللغوب : أشد الإعياء . [٥] النمة : أعلى كل شيء .

[٦] الرمة بالضم ويكسر : قطعة من جبل .

[٧] الأمة هنا : الحين ، اقتبسه من قوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ »

[٨] الخلد : القلب والفس .

الضلال ، و بِرِضَاهُ تُرْفَعُ الْأَغْلَالُ ، وَبِالْتِمَاسِ قُرْبِهِ يَحْصُلُ الْكَمَالُ ، إِذَا ذَهَبَ الْمَالُ ، وَأَخْلَقَتِ الْآمَالُ ، وَتَبَرَّاتُ مِنْ يَمِينِهَا الشَّمَالُ ، أَنِي مُوَدِّعُكُمْ وَإِنْ سَأَلْتَنِي الرَّذَى ، وَمُفَارِقُكُمْ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى ، وَمَا عَدَا جِمَا بَدَا ، فَكَيْفَ وَأَدْوَاتُ السَّفَرِ تُجْمَعُ ، وَمَنَادَى الرَّحِيلِ يُسْمَعُ ، وَلَا أَقْلٌ لِلْحَيْبِ الْمَوْدِعُ ، مِنْ وَصِيَّةِ مُحْتَضِرٍ ، وَعَجَالَةِ مَقْتَصِرٍ ، وَرَزِيمَةٍ <sup>(١)</sup> تُعْقَدُ فِي خِنْصِرٍ ، وَنَصِيحَةٍ تَكُونُ نَشِيدَةً <sup>(٢)</sup> وَاجِ مُبْصِرٍ ، تَتَكَفَّلُ لَكُمْ بِحَسَنِ الْعَوَاقِبِ مِنْ بَعْدِي ، وَتَوْضِيحٍ لَكُمْ مِنَ الشَّفِيقَةِ وَالْحَنُوقِ قَصْدِي ، حَسْبَمَا تَضْمَنُ وَعَدُّ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ وَعْدِي ، فَهِيَ أَرْبُكُمْ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ وَقْفُهُ ، وَلَا يَنَالُكُمْ الْمَكْرُوهُ مَا رَفَّ عَلَيْكُمْ سَقْفُهُ ، وَكَأَنِّي بِشَبَابِكُمْ قَدْ شَاخَ ، وَبِرَاحِلِكُمْ قَدْ أَنَاخَ ، وَبِنَاشِطِكُمْ قَدْ كَسِيلَ ، وَاسْتَبَدَلَ الصَّابَ <sup>(٣)</sup> مِنَ الْمَسَلِ ، وَتُصُولُ <sup>(٤)</sup> الشَّيْبِ تَرَوِّعُ بِأَسَلِ ، لَا بِلِ السَّامِ <sup>(٥)</sup> مِنْ كُلِّ حَدَبٍ قَدْ نَسَلِ ، وَالْمَعَادُ اللَّحْدُ وَلَا تَسَلِ ، فَبِالْأَمْسِ كُنْتُمْ فِرَاحَ حِجْرٍ <sup>(٦)</sup> ، وَالْيَوْمَ أَبْنَاءَ عَسْكَرٍ حَجْرٍ ، وَغَدًا شَيْوِخَ مَضْيَعَةٍ وَهَجْرٍ ، وَالْقَبُورُ فَاغْرَةٌ <sup>(٧)</sup> ، وَالنَّفُوسُ عَنِ الْمَالُوفَاتِ صَاغْرَةٌ ، وَالدُّنْيَا بِأَهْلِهَا سَاخِرَةٌ ، وَالْأُولَى تَعْقُبُهَا الْآخِرَةٌ ، وَالْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِهِ فِي أَمْرٍ ، وَقَالَ : « يَيْدِي لَا يَيْدِ عَمْرُو <sup>(٧)</sup> » ، فَاقْتَنَوْهَا مِنْ وَصِيَّةٍ ،

[١] الرزيمة : خيط يعقد في الإصبع للتذكير .

[٢] الصاب : هسارة شجر مر . [٣] الصول جمع فصل : وهو جديدة الريح والسيب ، والأسل : الريح . [٤] السام : الموت ، والحذب : ما ارتفع من الأرض ، ونسل كضرب : أسرع والمعاد : المرجع . [٥] أي كالفراخ في حجر أمها وحضنها ، والحجر : الكثير من كل شيء ، وحيش حجر : كثير جدا . [٦] أي فائحة أفواهاها للوقى .

[٧] هو مثل قاتله الزباء ملكة الجزيرة ، وذلك أنها كانت دعت جذيمة الأبرش ملك ما على شاطيء الفرات إلى زواجها ، فلما استقرت عندها قتله نارا بأبيها - وكان جذيمة قد قتله - فاحتال مولاه قصير للنار منها ، فجدع أنفه وأثر آثاراً بطهره ، ثم خرج إلى الزباء ، وأظهر أن عمرو بن هدي - ابن أخت جذيمة - فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بخاله جذيمة وغره من الزباء ، فلما استرسلت إليه ووثقت به ، زين لها

وَمَرَامٍ<sup>(١)</sup> فِي النَّصْحِ قَصِيَّةٌ ، وَخُصُّوا بِهَا أَوْلَادَكُمْ إِذَا عَقَلُوا ، لِيَجِدُوا زَادَهَا إِذَا  
 اتَّقَلُّوا ، وَحَسَنِي وَحَسْبِكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ هَمَلًا ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ  
 أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَا رَضِيَ الدُّنْيَا مَنْزِلًا ، وَلَا لَطْفَ بِنِ أَصْبَحَ عَنْ فِتْنَةِ الْخَيْرِ مُنْعَزِلًا ،  
 وَلِتُلَقِّنُوا تَلْقِينًا ، وَتَعَامُوا عِلْمًا يَقِينًا ، أَنْكُمْ لَنْ تَجِدُوا بَعْدَ أَنْ أَنْفَرِدَ بَدَنِي ،  
 وَيَفْتَرِشَ التُّرَابَ جَنبِي ، وَيَسُحَّ انْسِكَابِي ، وَتَهْرُوِلَ عَنِ الْمَصْلَى رِكَابِي ، أَحْرَصَ  
 مَنِي عَلَى سَعَادَةٍ إِلَيْكُمْ تُجَلِّبُ ، أَوْ غَايَةِ كَمَالٍ بِسَبَبِكُمْ تُرْتَادُ وَتُطَلَّبُ ، حَتَّى لَا يَكُونَ  
 فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا أَوْرَفٌ<sup>(٢)</sup> مِنْكُمْ ظِلًّا ، وَلَا أَشْرَفُ مَحَلًّا ، وَلَا أَغْبَطُ نَهْلًا وَعَلًّا<sup>(٣)</sup> ،  
 وَأَقْلُ مَا يُوْجِبُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُصَيِّخُوا<sup>(٤)</sup> إِلَى قَوْلِي الْآذَانَ ، وَتَسْتَاهِجُوا صُبْحَ  
 نُصْحِي فَقَدِ بَانَ ، وَسَأُعِيدُ عَلَيْكُمْ وَصِيَّةَ لُقْمَانَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ :  
 « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكََ أَظْلَمُ  
 عَظِيمٌ » - « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ  
 عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ، وَلَا تُصَعِّرْ<sup>(٥)</sup> خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

أن تبعته إلى العراق ليحمل إليها من طرائفها وثيابها وطيبها ، وأنها ستصيب في ذلك أربابا عظاما ، فأذنت  
 له وقدم العراق ، وأتى الحيرة متنكرا ، وزوده عمرو بصوف البر والأمتعة ، ورجع إلى الرباء ، فأعجبها  
 ما رأت وسرّها ، وازدادت به ثقة ، وجهرته ثابسة ، فسار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد إليها ، ثم عاد  
 الثالثة وجمع ثقات من رجال عمرو ، وحملهم في الغرائر على الجمال ، وسار إلى الزباء ، ودخلت الإبل المدينة  
 - وكانت الزباء قد حذرت عمرا ، واتخذت نفقا إلى حصن لها في داخل مدينتها ، وقالت : إن جأني أمر  
 دخلت النفق إلى حصن - ودلّ قصير عمرا على باب النفق ، فلما خرجت الرجال من الغرائر صاحوا بأهل  
 المدينة ووصعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق ، وأبلت الرباء تريد النفق ، فأبصرت عمرا معرفته  
 بالصورة التي صورت لها - فصبت خاتمها وكان فيه السم ، وقالت : « يدي لا يبد عمرو » فدهبت متلا ،  
 وتلقاها عمرو بجلها بالسيب وقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها ، وانكفأ راجعا إلى العراق .

[١] مرام : جمع مرعى ، وقصية : بعيدة .

[٢] ورف الظل : اتسع وطال وامتد . [٣] النهل : الشرب الأول ، والعلّ والعلل : الشرب

الثاني أو الشرب بعد الشرب تباها . [٤] أصاح له : استمع . [٥] صعر خدّه : أماله كبرا .

تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ،  
 وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » ، وَأُعِيدُ وَصِيَّةَ  
 خَلِيلِ اللَّهِ وَإِسْرَائِيلَ ، حُكْمٌ (١) مَا تَضَمَّنَهُ حُكْمٌ تَنْزِيلُهُ : « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَقَى  
 لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » والدين الذي ارتضاه واصطفاه ،  
 وَأَكْمَلَهُ وَوَفَّاهُ ، وَقَرَّرَهُ مُصْطَفَاهُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتُوفَّاهُ ، إِذَا أُعْمِلَ فِيهِ اتِّقَادُ ،  
 فَهُوَ عَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ ، وَكِلَاهُمَا مُقَرَّرٌ ، وَمُسْتَمَدٌّ مِنْ عَقْلِ أَوْ تَقَلُّ مَحْرَرٌ ، وَالْعَقْلُ  
 مُتَقَدِّمٌ ، وَبِنَاؤُهُ مَعَ رَفْضِ أَخِيهِ مُتَهَدِّمٌ ، فَاللَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، فَرَدَّ صَمَدٌ (٢) ،  
 لَيْسَ لَهُ وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ ، تَنْزَهُ عَنِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَسَبَقَ وَجُودُهُ وَجُودَ الْأَكْوَانِ ،  
 خَالِقُ الْخَلْقِ وَمَا يَعْمَلُونَ ، الَّذِي لَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، الْحَيُّ الْعَلِيمُ الْمُدَبِّرُ  
 الْقَدِيرُ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، أَرْسَلَ الرِّسَالَ رَحْمَةً لَتَدْعُوا النَّاسَ  
 إِلَى النِّجَاةِ مِنَ الشَّقَاءِ ، وَتَوَجَّهَ الْحُجَّةَ فِي مَصِيرِهِمْ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، مُؤَيَّدَةً بِالْمُعْجَزَاتِ  
 الَّتِي لَا تَنْصِفُ أَنْوَارُهَا بِالِاخْتِفَاءِ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَى تَوَاتُرِهَا دَعْوَى الْإِتِّفَاءِ ، ثُمَّ  
 خَتَمَ دِيْوَانَهُمْ بِنَبِيِّ مِلَّتِنَا الْمَرْعِيَةِ الْمَعْمَلِ ، الشَّاهِدَةِ عَلَى الْمَلِكِ ، فَتَلَخَّصَتْ الطَّاعَةُ ،  
 وَتَعَيَّنَتِ الْإِمْرَةُ الْمُطَاعَةَ ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ إِلَّا رَتْقَابُ السَّاعَةِ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبَضَهُ  
 إِذْ كَانَ بَشَرًا ، وَتَرَكَ دِينَهُ يَضُمُّ مِنَ الْأُمَّةِ نَشْرًا (٣) ، فَمَنْ تَبِعَهُ لِحَقِّ بِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ  
 نُؤُوطَ (٤) عَنْهُ فِي مَنْسَبِهِ ، وَكَانَتْ نِجَاتُهُ عَلَى قَدَرِ سَبَبِهِ ، رُؤِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
 وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، كِتَابَ اللَّهِ  
 وَسُنَّتِي » ، فَمَعَّضُوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِذِ (٥) .

[١] إسرائيلى : يعقوب عليه السلام ، والحكم : الحكمة ، وهو يدل من وصية .

[٢] الصمد : السيد ، لأنه يصدق أى يقصد فى قضاء الحوائج . [٣] النمر : المنتشر ، ومنه :

« اللهم انضم لعمري » . [٤] أى أبعد عنه وطرده ، يقال ناطت الدار : أى بعدت .

[٥] أقصى الأضراس .



فاعملوا يا بني بوصية من ناصح جاهد ، وَمُشْفِقٍ شَفِيقَةٍ وَالِدٍ ، واستشعروا حُبَّهُ الذي توافرت دواعيه ، وَعُوا مَرَّاشِدَ هَدْيِهِ ، فَيَا فَوْزَ وَاعِيهِ ! وَصَلُّوا السَّبَبَ بسببه ، وَآمِنُوا بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ، مُجْمَلًا أَوْ مُفَصَّلًا عَلَى حَسَبِهِ ، وَأَوْجِبُوا التَّجَلَّةَ لِصَحْبِهِ ، الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصَحْبَتِهِ ، وَاجْعَلُوا مَحَبَّتَكُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ تَوَابِعِ مَحَبَّتِهِ ، وَاشْمَلُوهُمْ بِالتَّوْقِيرِ ، وَفَضَّلُوا مِنْهُمْ أَوْلَى الْفَضْلِ الشَّهِيرِ ، وَتَبَرَّءُوا مِنْ الْعَصْبِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَدْعِكُمْ إِلَيْهَا دَاعٍ ، وَلَا تَعِ الشَّاجِرَ بَيْنَهُمْ أَذُنٌ وَاعٍ ، فَهُوَ عِنْوَانُ السَّدَادِ ، وَعِلَامَةُ سَلَامَةِ الْإِعْتِقَادِ ، ثُمَّ اسْحَبُوا فَضْلَ تَعْظِيمِهِمْ عَلَى فَقْهَاءِ الْمِلَّةِ ، وَأَتَمَّتْهَا الْحِلَّةُ <sup>(١)</sup> ، فَهِيَ صَقْلَةٌ نُصُولُهُمْ ، وَفُرُوعٌ نَاشِئَةٌ مِنْ أَصُولِهِمْ ، وَوَرَثَتُهُمْ وَوَرِثَةُ رَسُولِهِمْ ، وَاعْلَمُوا أَنِّي قَطَعْتُ فِي الْبَحْثِ زَمَانِي ، وَجَعَلْتُ النُّظْرَ شَانِي ، مِنْذُ بَرَانِي اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْشَانِي ، مَعَ نُبْلِ <sup>(٢)</sup> يَعْتَرِفُ بِهِ الشَّانِي ، وَإِدْرَاكِ يَسْلَمُهُ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِي ، فَلَمْ أَجِدْ خَابِطَ وَرَقٍ ، وَلَا مَصِيبَ عَرَقٍ ، وَلَا نَازِعَ خِطَامٍ ، وَلَا مَتَكَلِّفَ فِطَامٍ ، وَلَا مَقْتَحِمَ بَحْرِ طَامٍ ، إِلَّا وَغَايَتُهُ الَّتِي يَقْصِدُهَا قَدْ نَضَّتْهَا الشَّرِيعَةُ وَسَبَقَتْهَا ، وَفَرَعَتْ <sup>(٣)</sup> تَنْبِيئَهَا وَارْتَقَتْهَا ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّزَامِ جَادَّتْهَا <sup>(٤)</sup> السَّابِلَةُ ، وَمَسَاحِبَةُ رَفَقَتْهَا الْكَمَالَةُ ، وَالْإِهْتِدَاءُ بِأَقْرَابِهَا غَيْرِ الْآفَلَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ ، وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : « وَمَنْ يَدْتَعِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ، وَقَدْ عَلَّتْ شَرَائِمُهُ ، وَرَاعَ الشُّكُوكَ رَائِعُهُ ، فَلَا تَسْتَنْزِلِكُمْ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ ، وَابْذُلُوا دُونَهُ النُّفُوسَ فِعْلَ الْمُهْتَدِينَ ، فَلَنْ يَنْفَعَ مَتَاعٌ بَعْدَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبَدِينَ ، وَلَا يَضُرُّ مَفْقُودٌ مَعَ الْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ وَاللَّهُ أَصْدَقُ الْوَاعِدِينَ ،

[١] جمع جليل . [٢] النبيل : الذكاء والنجابة ، والشان : البغض .

[٣] فرعه : علاه ، والثبية : العقبة ، أو الجبل أو الطريقة به أو إليه .

[٤] الجادة : الطريق الواضح ، والسابلة مع الطرق : السلوك .

ومتاع الحياة الدنيا أحسن ما وُورث الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلغتُ فأنت خير الشاهدين ، فاحذروا المعاطبَ التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعي شؤنة الوجوه وَنَضَجَ الجلود ، واستعيذوا برضا الله من سُخْطِهِ ، وازبئوا بنفوسكم عن غَمَطِهِ ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بِمُرُورِ قَدْ خَدَعَ أسلافكم ، ولا تحمدوا على جيفة المرَض الزائل ائتلافكم ، واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا<sup>(١)</sup> على ما فات وتمذر ، فإنما هي دُجْنَةٌ<sup>(٢)</sup> ينسخها الصَّبَاح ، وَصَفْقَةُ يتعاقبها الخَسَار أو الرِّبَاح ، ودونكم عقيدة الإيْمَان فَشُدُّوا بالنواجذ عليها ، وَكَفِّكُوا الشُّبُهَةَ أَنْ تَدْتُوَ إِلَيْهَا ، واعلموا أن الإِخْلَالَ بشيء من ذلك خَرَقٌ لا يَرْفُوهُ<sup>(٣)</sup> عمل ، وكل ما سوى الراعى هَمَل ، وما بعدَ الرَّأْسِ في صلاح الجسم أمل ، وتمسكوا بكتاب الله تعالى حِفْظًا وَتِلَاوَةً ، واجعلوا حِمْلَهُ على حِمْلِ التَّكْلِيفِ عِلاوَةً ، وتفكروا في آياته ومعانيه ، وامتلوا أوامره ونواهيه ، ولا تتألولوه ولا تفلأوا فيه ، وأشربوا قلوبكم حُبًّا من انزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حُبِّهِ ، وصونوا شعائرَ الله صونَ المحترِم ، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا ينخرم ، اللهُ اللهُ في الصلاة ذريعة التَّجَلُّة ، وخاصة المِلَّة ، وحاقنة الدم ، وَغِنَى المستأجرِ المستخدم ، وأمَّ العبادة ، وحافضة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناهية عن الفحشاء والمنكر ، إن عَرَضَ الشيطانُ عَرَضَها ، ووطأ للنفس الأمانة سماءها وأرضها ، والوسيلة إلى بلِّ الجوانحِ بِرُودِ الذِّكْرِ ، وإيصال نُحْفَةِ اللهِ إلى مَرِيضِ الفكر ، وضامنة حسن العشرة من الجار ، وداعية للمسالمة من الفجار ، والواسمة

[١] ولا تحزنوا . [٢] الدجنة : الطلعة .

[٣] رفاً التوب كنع : لأم خرقة ، وضمّ بعضه إلى بعض .

بِسْمَةِ السَّلَامَةِ ، وَالشَّاهِدَةَ لِلْعَبْدِ بِرَفْعِ الْمَلَامَةِ ، وَغَسُولٌ <sup>(١)</sup> الطَّبَعُ إِذَا شَانَهُ طَبَعَ ،  
وَالْخَيْرَ الَّذِي كُلُّ مَاسِوَاهُ لَهُ تَبَعٌ ، فَاصْبِرُوا النَّفْسَ عَلَى وِظَائِفِهَا ، بَيْنَ بَدْءٍ وَإِعَادَةٍ ،  
فَالْخَيْرُ عَادَةٌ ، وَلَا تَفْضَلُوا عَلَيْهَا الْأَشْغَالَ الْبَدَنِيَّةَ ، وَتَوَثَّرُوا عَلَى الْعَلِيَّةِ الدُّنْيَا ،  
فَإِنْ أَوْقَاتِهَا الْمَعِينَةُ بِالْإِنْفِلَاتِ تَنْبَسُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْفَلَكَ بِهَا مِنْ أَجْلِكُمْ لَا يُحْبَسُ ،  
وَإِذَا قُورِنَتْ بِالشَّوَاغِلِ فَلَهَا الْجَاهُ الْأَصِيلُ ، وَالْحُكْمُ الَّذِي لَا يَغْيِرُهُ الْغُدُوُّ  
وَالْأَصِيلُ ، وَالْوِظَائِفُ بَعْدَ أَدَائِهَا لَا تَقُوتُ ، وَأَيْنَ حَقٌّ مِنْ يَمُوتُ مِنْ حَقِّ  
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؟ وَأَحْكُمُوا أَوْضَاعَهَا إِذَا أَقْتَمُوهَا ، وَأَتَّبِعُوهَا التَّوَافِلَ  
مَا أَطَقْتُمُوهَا ، فَبِالِإِتِّقَانِ تَفَاضَلْتِ الْأَعْمَالُ ، وَبِالْمُرَاعَاةِ اسْتَحَقَّتِ الْكَمَالَ ، وَلَا  
شُكْرَ مَعَ الْإِهْمَالِ ، وَلَا رِبْحَ مَعَ إِضَاعَةِ رَأْسِ الْمَالِ ، وَذَلِكَ أَحْرَى بِإِقَامَةِ  
الْفَرَضِ ، وَأَدْعَى إِلَى مَسَاعِدَةِ الْبَعْضِ الْبَعْضَ .

وَالطَّهَارَةُ الَّتِي هِيَ فِي تَحْصِيلِهَا سَبَبُ مَوْصَلٍ ، وَشَرَطٌ لِمَشْرُوطِهِ مُحْصَلٌ ،  
فَاسْتَوْفُوهَا ، وَالْأَعْضَاءَ نَظَّفُوهَا ، وَمِيَاهَهَا بَغِيرَ أَوْصَافِهَا الْحَمِيدَةِ فَلَا تَصْفُوهَا ،  
وَالْحُجُولَ وَالْفُرْرَ <sup>(٣)</sup> فَاطِيلُوهَا ، وَالنِّيَّاتِ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَلَا تُهْمِلُوهَا ، فَالْبِنَاءُ  
بِأَسَاسِهِ ، وَالسَّيْفُ بِرِاسِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ مِنْ صَلَاةٍ وَطُهُورٍ ، وَذَكَرَ  
مَجْهُورٌ وَغَيْرُ مَجْهُورٍ ، تَسْتَعْرِقُ الْأَوْقَاتَ ، وَتَنَازِعُ شَيْئَ الْخَوَاطِرِ الْمَفْتَرِقَاتِ ،

[١] الْغَسُولُ كَصَبُورٍ وَتَنُورٍ : الْمَاءُ يَمْتَسِلُ بِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « غَاسُولٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالطَّبَعُ :  
الشَّيْنُ وَالْعَيْبُ . [٢] أَيْ تَذَهَبُ وَتَضْيَعُ ، يُقَالُ : انْبَسَّ الرَّجُلُ إِذَا ذَهَبَ ، وَفِي الْأَصْلِ « تَبَسَّ »  
وَأَرَاهُ مَحْرَمًا .

[٣] الْحُجُولُ جَمْعُ حُجْلٍ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ : وَهُوَ الْحَلْحَالُ ، وَالرَّادِيهَا هُنَا الْأَطْرَافُ ، وَبِاطَاتِهَا  
اسْتِعَابُ غَسَلِهَا ، وَالْفُرْرُ جَمْعُ غُرَّةٍ بِالضَّمِّ وَهِيَ الْوَجْهُ ، وَالرَّادِيهَا بِتَطْوِيلِهَا فِي الْوُضُوءِ : غَسَلَ مَقْدَمَ الرَّأْسِ  
مَعَ الْوَجْهِ ، وَغَسَلَ صَفْحَةَ الْعُنُقِ ، وَجَمَلَةُ الْمَعْنَى : أَنَّهُ يَأْمُرُ بِإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ ، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ :  
« أُمَّتِي الْغُرُّ الْمُحَجَّجُونَ » وَالْفُرْرُ جَمْعُ الْأَغْرَّةِ مِنَ الْبَرَّةِ ، وَهِيَ بِيَاضٌ فِي جِهَةِ الْمَرْسِ مَوْقِ الدَّرَمِ ،  
يُقَالُ : فَرَسٌ أَغْرٌ وَغُرٌّ ، وَالْمُحَجَّلُ : الْفَرَسُ الَّذِي يَرْتَفِعُ الْبِيَاضُ فِي قَوَائِمِهِ فِي مَوْضِعِ الْقَيْدِ ، أَيْ بِيَضُ  
مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنَ الْوَجْهِ وَالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، اسْتِعَارَ أَثَرَ الْوُضُوءِ فِي الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مِنَ الْبِيَاضِ  
الَّذِي يَكُونُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ وَبَيْدِهِ وَرِجْلَيْهِ .

فلا يضبطها إلا مَنْ ضَبَطَ نَفْسَهُ بِعِقَالٍ ، واستعاضَ صَدَأَهُ بِصِقَالٍ <sup>(١)</sup> ، وإن تراخى قَهَقَرَ <sup>(٢)</sup> الباعُ ، وَسَرَقَتَهُ الطَّبَاعُ ، وكانَ لما سواها أضيَعُ ، فشِئِلَ الضِّياعُ . والزكاةُ أختها الحبيبةُ ، وَلِدَتْهَا القُرْبِيَّةُ ، مفتاحُ السعادةِ بالعرَضِ الزائلِ ، وشكرانُ المستولِ على الضدِّ من درجةِ السائلِ ، وحقُّ الله تعالى في مالٍ من أغناه ، لمن أجهده في المعاشِ وعَنَاهُ <sup>(٣)</sup> ، من غيرِ استحقاقِ مَلءِ يده وإخلاءِ يده ، وأخيه ، ولا عِلَّةَ إلا القَدْرَ الذي يُخْفِيهِ ، وما لم ينله حظُّ الله تعالى فلا خَيْرَ فيه ، فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها ، في اختيارِ عَرَضِها وتِاجِها ، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بَدَل ، وخالفوا الشيطانَ كلما عَدَل ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تَمْلِكُونَ ، ولا تدرون أين تسلكون ، فوهبَ وأقدر ، وأوردَ بِفَضْلِهِ وَأَصْدَرَ ، ليرتَّبَ بِكْرَمِهِ الوسائِلَ ، أو يقيم الحججَ والدلائلَ ، فابتغوا إليه الوسيلةَ بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله . وصيامُ رمضانَ عبادةُ السرِّ المقرَّبةُ إلى الله زُلْفَى ، المحفوظة <sup>(٤)</sup> لمن يعلم السرَّ وأخفى ، مؤكِّدةُ بصيامِ الجوارحِ عن الآثامِ ، والقيامُ بِيرِّ القيامِ ، والاجتهادُ وإيثارُ الشهادِ ، على المهادِ ، وإن وَسِعَ الاعتكافُ فهو من سُنَنِهِ المَرَعِيَّةِ ، ولو اُحِقَّه الشرعيةُ ، فبذلك تَحَسَّنَ الوجوهُ ، وتحصَّلَ من الرِّقَّةِ على ما ترجوه ، وتذهب قسوةُ الطباعِ ، ويمتد في مَيِّدانِ الوسائِلِ الباعِ ، والحججِ مع الاستطاعةِ الركنِ الواجبِ ، والقرضِ على العينِ لا يحجِّبُه الحاجِبُ ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنَّه ، وقال : « ليس له جزاء عند الله إلا

[١] صواب العبارة « واستعاض بصدئه صقالا » يقال : استبدل الشيء بغيره إذا أخذ مكانه ( ومنه ترى أن الباء داخلة على المتروك ) واعتاضه منه واستعاضه ( والباء كمن ) .  
[٢] قهقر وقهقرى : رجع القهقرى . [٣] أُنْبِئْ . [٤] الخالصة .

الجنة » ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع تقيره ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه . هذه مُعْدُ الاسلام وفروضه ، ونقود مهزه وعُرُوضه ، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يُذاوِيكم <sup>(١)</sup> ظاهرين ، وتَلَقَّوا الله لامبداين ولا مغيين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتَجَلَّى محاسنها من بعد الانتقاب <sup>(٢)</sup> ، فعليكم بالعلم النافع دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب ، والله عز وجل يقول : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصةً المَلَأِ الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النحلة <sup>(٣)</sup> عادة ، والأذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم ينله فهو ذليل ، وإن كثرت آماله ، وقليل ، وإن جم ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتَحَطَّى حسابكم ، فالتسوه لبنيتكم ، واستدر كوا منه ما خرج عن أيديكم ، وانحلوم على جمعه ودَرْسه ، واجعلوا طباعهم تُرَى لِفَرْسه ، واستسهلوا ما ينالهم من تعبٍ من جرّاه <sup>(٤)</sup> ، وسهر يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل ، وثحلوم وثابة رفعة لا يحط فارعها ولا يُستَنزل ، واختاروا العلوم التي يتعقبها الوقت ، فلا ينالها

[١] يماذيكم ، وظاهرين : ظالين . [٢] أى بعد الاختفاء ، من انتقلت المرأة ليست القناب .  
[٣] نحلة : أعطاء ، والاسم النحلة . [٤] يقال : فعلت ذلك من جرّاه ومن جرّاه بالتشديد ويخففان ، ومن جريرته : أى من أجله ، والهكرى : النوم .

في غيرِه (١) المقت ، وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نَجَمَ بِمَنَابِتِهَا المَرِيعة (٢) ،  
من علوم لسان لا تستغرق الأعمارَ فصولها ، ولا يضايق ثمراتِ المَعَادِ حصولها ،  
فإنها هي آلات لغير ، وأسباب إلى خير منها وخير ، فمن كان قابلاً للازداد ،  
وَأَلْفَى فهمه ذا انقياد ، فليخصَّ تجويد القرآن بتقديعه ، ثم حِفْظ الحديث ومعرفة  
صحيحه من سَقِيمه ، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المِنَّة ، المَهْدِي  
كنوز الكتاب والسُنَّة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجِلَّة ، والتدرج في  
طرق النظر بصحيح الأدلَّة ، وهذه هي الغاية القصوى في المِلَّة ، ومن قصر  
إدراكه عن هذا المرعى ، وتقاعدَ عن التي هي أسمى ، فَلْيَرَوِ الحديثَ بعد تجويد  
الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ، وإياكم والعلوم  
القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة ، فأكثرها لا يُفيد إلا تشكيكاً ، ورأيًا  
ركيكاً ، ولا يُثمر في العاجلة إلا اقتحامَ العيون ، وتطريقَ الظنون ، وتطويق  
الاحتقار ، ورسمة الصغار ، وشمول الأقدار ، والخسْف من بعد الإبدار ، وجادة  
الشريعة أعرق في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن  
رُشد (٣) قاضي المصر ومُفتيه ، وهلمسُ الرشد ومُوليه ، عادت عليه بالسَّخطة

[١] غير الدهر : أحداثه المغيرة ، والضمير فيه يعود على الوقت . [٢] المخصبة .

[٣] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، أعظم فلاسفة الأندلس وأطبائها ، ولد سنة ٥٢٠ هـ  
ودرس علوم الدين والفلسفة والطب ، واتصل بيوسف بن عبد المؤمن زعيم الموحدين ، وشرح له فلسفة  
أرسطو ، وقد ولاء قضاء لإشبيلية ، ثم استداه إلى مراکش ، وجعله طبيبه الخاص ، ثم جعله قاضي القضاة  
بقرطبة ، ولما ولي بعده ابنه المنصور بالله علت مكة ابن رشد عنده ، فأثار ذلك حسد خصومه ، فكادوا  
له عند السلطان واتهموه أنه يجحد القرآن ، وينشط الفلسفة وعلوم الأوائل بدلا من علوم الدين ، وينصر  
مذهب القدماء في القول بالوهمية بعض الكواكب ، فعزله المنصور من قضاء قرطبة ، ثم عفا عنه ،  
واستداه إلى مراکش ، ولم يطل مقامه بها ، فمات سنة ٥٩٥ هـ ، وقد ترجم أكثر كتبه إلى اللغات  
الأجنبية ، وعليها عول الأوربيون في نهضتهم الحديثة .

الشيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخطوا جامكم <sup>(١)</sup> بجامها ، إلا ما كان من حساب ومِساحة ، وما يعود بِجِدْوَى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمحجور ، وَضَرَم <sup>(٢)</sup> مَسْجُور ، وممقوت مهجور ، وَأَمُرُوا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانتهوا عن المنكر نهياً حَرِيّاً بالاعتدال حَقِيقاً ، وَأَغْبَطُوا مَنْ كَانَ مِنْ سِنَةِ الْعَفْلةِ مُفِيقاً ، واجتنبوا ما تُنْهَوْنَ عنه حتى لا تسلكوا منه طريقاً ، وأطيعوا أمر من ولّاه الله تعالى من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفِتْنَةِ جَمِراً ، ولا تُدْخِلُوا في الخلاف زيدياً ولا عمرياً ، وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وَأَهْمَّ مَا أَضْرَى <sup>(٣)</sup> عليه الآباءُ ألسنة البنين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عُرِفَ به ، وإياكم والكذب ، فهو العورة التي لا تُؤَارَى ، وَالسَّوْءَةَ التي لا يُرْتَابُ في عارها ولا يُتَمَارَى ، وأقل عقوبات الكذاب ، بين يديّ مَا أَعَدَّ اللهُ له من العذاب ، أن لا يُقْبَلَ صِدْقُهُ إِذَا صَدَقَ ، ولا يعول عليه إن كان بالحق نطق ، وعليكم بالأمانة فالخيانة لُومٌ ، وفي وجه الديانة كُلوْمٌ <sup>(٤)</sup> ، ومن الشريعة التي لا يُعْذَرُ بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الْحِشْمَةِ وَالصِّيَانَةِ ، ولا تَجْزُوا مَنْ أَقْرَضَكُمْ دِينَ الْخِيَانَةِ ، ولا توجدوا للغدر قبولا ، ولا تُقْرِئُوا عَلَيْهِ طَبْعاً مَجْبُولاً ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولاً ، ولا تستأثروا بِكَنْزٍ وَلَا خَزَنٍ ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا حزن ، ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ ، والله الله أن تُعِينُوا فِي سَفْكِ الدَّمَاءِ

[١] الجام : إناء من فضة . [٢] جمع ضرمة بالتحريك وهي الجرة والبار ، وسجر التور : أحام

[٣] ضرى بالشىء كتب : اعتاده وأولع به ، ويعدى بالهمز والتصغير ، فيقال : أصرته وضرته :

أى أغرته به . [٤] الكلوْم جمع كام بالفتح وهو الجرح .

ولو بالإشارة أو الكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان في فسحة ممتدة ، وسئل الله تعالى غير مُنْسَدَّة ، ما لم يقبذ إلى الله تعالى بأمانه ، ويمسّ الدم الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه : الَّذِي هَدَىٰ بِهِ سَنًّا قَوِيًّا ، وَجَلَّىٰ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ لِيَلْبَهِيَا : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ، واجتناب الزنا وما تعلق به ، مِنْ أَخْلَاقٍ مَنْ كَرُمَتْ طِبَاعُهُ ، وامتد في سبيل السعادة باعته ، لو لم تلتق نور الله الذي لم يهد شعاعه ، فالللال لم تضيق عن الشهوات أنواعه ، ولا عديم إقناعه ، ومن غلبت غرائز جهله ، فلينظر : هل يجب أن يُزنى بأهله ؟ والله قد أعدَّ للزاني عذاباً ويلاً ، وقال : « وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » ، والحرام الكبار ، ومفتاح الجرائم والجرائر<sup>(١)</sup> ، والله لم يجعله في الحياة شرطاً ، والمحرم قد أغنى عنه بالللال الذي سوغ وأعطى ، وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضرة في مرصاة الأجساد ، والله تعالى قد جعلها رجساً محرماً على العباد ، وقرنتها بالأنصاب والأزلام في مبيئة السداد<sup>(٢)</sup> ، ولا تقربوا الربا ، فإنه من مناهي الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » في الكتاب المبين ، ولا تأكلوا مال أحد بغير حقٍ يُبيحه ، واترعوا

[١] الجرائم جمع جريرة : وهي الجريمة .

[٢] يشير إلى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ

رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .



الطَّعْمُ<sup>(١)</sup> عن ذلك حتى تذهب ريحُه ، والتمسوا الحلال يَسْتَعْنِي فِيهِ أَحَدُكُمْ عَلَى قَدَمِهِ ، وَلَا يَكِيلُ خِيَارَهُ إِلَّا لِلثَّقَةِ مِنْ خَدَمِهِ ، وَلَا تَلَجَّثُوا إِلَى الْمُتَشَابِهِ إِلَّا عِنْدَ عَدَمِهِ ، فَهُوَ فِي السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَصْلٌ مُشْرُوطٌ ، وَالْمَحَافِظُ عَلَيْهِ مَغْبُوطٌ ، وَإِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ ، فَالظَّالِمُ مَمْقُوتٌ بِكُلِّ لِسَانٍ ، مُجَاهِرٌ اللَّهُ تَعَالَى بِصَرِيحِ الْعِصْيَانِ ، « وَالظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحَاحِ الْحِسَانِ ، وَالنِّمِةُ فِسَادٌ وَشَتَاتٌ ، لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مُتَاتٌ<sup>(٢)</sup> ، وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ<sup>(٣)</sup> » وَاطَّرَحُوا الْحَسَدَ ، فَمَا سَادَ حَسُودٌ ، وَإِيَّاكُمْ الْغَيْبَةَ : فَبَابِ الْخَيْرِ مَعَهَا مَسْدُودٌ ، وَالْبَخْلُ ، فَمَارُئِي الْبَخِيلِ وَهُوَ مَوْدُودٌ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ ، فَوَاقِعُ الْخِزْيِ لَا تُسْتَقَالُ عَثْرَاتُهَا ، وَمَظَنِّاتُ الْفَضَائِحِ لَا تُؤْمَنُ نَعْمَرَاتُهَا ، وَتَفْقَدُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ السَّاعَاتِ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ فِي الطَّرُقَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَرِقُّوا عَلَى ذَوِي الزَّمَانَاتِ<sup>(٤)</sup> وَالْعَاهَاتِ ، وَتَاجِرُوا مَعَ اللَّهِ بِالصَّدَقَةِ يُرَبِّحُكُمْ فِي الْبِضَاعَاتِ ، وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، وَاذْكُرُوا الْمَسَاكِينَ إِذَا نَصَبْتُمْ الْمَوَائِدَ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ مَالِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْمُحْتَاطُ لِعِيَالِهِ ، وَارْعَوْا حَقُوقَ الْجَارِ ، وَاذْكُرُوا مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ ، وَتَعَاهَدُوا أَوْلَى الْأَرْحَامِ ، وَالْوَشَائِحِ<sup>(٥)</sup> الْبَادِيَةَ الْإِلْتِحَامَ ، وَاحْذَرُوا شَهَادَةَ الزُّورِ : فَإِنَّهَا تَقْطَعُ الظُّهْرَ ، وَتُفْسِدُ السِّرَّ وَالْجَهْرَ ، وَالرِّشَاءَ ، فَإِنَّهَا تَحْطُّ الْأَقْدَارَ ، وَتَسْتَدْعِي الْمَذَلَّةَ وَالصَّغَارَ ، وَلَا تَسَاحَوْا فِي لُعْبَةِ قَمَرٍ<sup>(٦)</sup> ، وَلَا تَشَارِكُوا أَهْلَ الْبَطَالَةِ فِي أَمْرِ ، وَصُونُوا الْمَوَاعِيدَ مِنَ الْإِخْلَافِ ، وَالْأَيْمَانَ مِنْ حِنْثِ الْأَوْغَادِ وَالْأَجْلَافِ ، وَحَقُوقَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْإِزْدِرَاءِ

[١] الطعم : الشهوة . [٢] المتات : ما يمت به أي يتوسل . [٣] القتات : النمام .  
[٤] الرمان : العاهة .

[٥] الوشائج جمع وشيجة : وهي اشتباك الهراة . [٦] قمره : قلبه في لعب القمار .

والاعتساف، ولا تلهجُوا بِالْأَمَالِ الْعِجَافِ<sup>(١)</sup> ولا تَكَلَّفُوا بِالْكَهَانَةِ وَالْإِرْجَافَ،  
 واجعلوا العمرين مَعاشٍ وَمَعَادَ ، وخصوصيةً وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه  
 بِالْمِرْصَادِ ، وأن الخلق بين زرع وحصاد ، وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم ، واحذروا  
 القواطعَ عن السعادة كما تُحذِرُ السُّمُومَ ، واعلموا أن الخير أو الشرف في الدنيا مُحَالٌ  
 أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذيةَ الْمُؤَذِّينَ ، ولا تعارضوا مقالاتِ الظالمين ، فالله لمن  
 بُغِيَ عليه خيرُ الناصرين ، ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تضحجوا  
 للأمراض إذا أعضلت ، فكلُّ مُنْقَرِضٍ حقير ، وكلُّ مُنْقَضٍ وإن طال قصير ،  
 وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جناب الله تعالى الأرج<sup>(٢)</sup> ، وأوسعوا بالرجاء  
 الجوانح ، واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فَطُوبَى لِمَنْ عَبَدَ إِلَيْهِ جَانِحٌ ، وتضرعوا  
 إلى الله تعالى بالدعاء ، وأجثوا إليه في البأساء والضراء ، وقابلوا نعم الله تعالى  
 بالشكر الذي يقيده به الشارد ، وَيَعْتَذِبُ الْوَارِدَ ، وَأَسْهَمُوا<sup>(٣)</sup> منها للمساكين  
 وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحُظُوظَ منها لديهم ؛ فمن الآثار: « ياعائشة أحسنى جوار  
 نعم الله ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم » ، ولا تطغوا في النعم وتقصروا  
 عن شكرها ، وتغلبكم<sup>(٤)</sup> الجهالة بسكرها ، وتوهموا أن سعيكم جلبها ، وجدكم  
 حلبها ، فالله خير الرازقين ، والعاقة للمتقين ، ولا فعل إلا لله إذا نُظِرَ بعين  
 اليقين ، والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تذهبوا بذهابه زينكم ، وليتزم  
 كل منكم لأخيه ، ما يشتد به توأخيه ، بما أمكنه من إخلاص وبر ، ومراعاة  
 في علانية وسر ، وللإنسان مزية لا تُجْهَلُ ، وحق لا يُهْمَلُ ، وأظهروا التعاضد

[١] العجاف جمع عجفاء : وهي المهرولة . [٢] الأرج : تومج ربح الطيب .

[٣] أسهم له : أعطاه سهماً . [٤] في الأصل : « وتغلبكم » ، وأراء محرفاً عن « وتغلبكم » .

والتناصر ، وَصَلُوا التَّعَاهِدَ وَالتَّزَاوَرَ ، تُرْغِمُوا بِذَلِكَ الأَعْدَاءَ ، وَتَسْتَكْتَرُوا الأَوْدَاءَ ،  
وَلَا تَتَنَافَسُوا فِي الحِظُوظِ السَّخِيفَةِ ، وَلَا تَتَهَارَشُوا تَهَارُشَ السَّبَاعِ عَلَى الجِيفَةِ ،  
وَاعْلَمُوا أَنَّ المَعْرُوفَ يَكْتَدِرُ بِالأَمْتِنَانِ ، وَطَاعَةَ النِّسَاءِ شَرٌّ مَا أَفْسَدَ بَيْنَ الإِخْوَانِ ،  
فَإِذَا أَسَدَيْتُمْ مَعْرُوفًا فَلَا تَذْكُرُوهُ ، وَإِذَا بَرَزْتُمْ فَاسْتَرُوهُ ، وَإِذَا أَعْظَمَ النِّسَاءُ  
أَمْرًا فَاحْقِرُوهُ ، وَاللَّهُ اللهُ لَا تَنْسُوا مُقَارَضَةَ سَجَلِي (١) ، وَبَرُّوا أَهْلَ مَوَدَّتِي مِنْ  
أَجْلِ ، وَمَنْ رُزِقَ مِنْكُمْ مَالًا بِهَذَا الوَطَنِ القَلْبِ المَهَادِ ، الَّذِي لَا يَصْلِحُ لِغَيْرِ الجِهَادِ ،  
فَلَا يَسْتَهْلِكُهُ أَجْمَعُ فِي العَقَارِ ، فَيَصْبِحُ عُرْضَةً لِمَذَاةٍ وَالاِحْتِقَارِ ، وَسَاعِيًا لِنَفْسِهِ  
- إِنْ تَغَلَّبَ العَدُوُّ عَلَى بَلَدِهِ - فِي الاِفْتِضَاحِ وَالاِفْتِقَارِ ، وَمَعُوقًا عَنِ الاِنْتِقَالِ ،  
أَمَامَ الثُّوبِ الثَّقَالِ ، وَإِذَا كَانَ رِزْقُ العَبْدِ عَلَى المَوْلَى ، فَالِإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ أَوْلَى ،  
وَازْهَدُوا وَجَهَدَكُمُ فِي مِصَاحِبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، نَغِيرُهَا لَا يَقُومُ بِشَرِّهَا ، وَنَفْعُهَا لَا يَقُومُ  
بِضَرِّهَا ، وَأَعْقَابُ مَنْ تَقَدَّمَ شَاهِدَةً ، وَالتَّوَارِيخُ لِهَذِهِ الدَّعْوَى عَاصِدَةٌ ، وَمَنْ  
بُئِيَ بِهَا مِنْكُمْ فَلْيَسْتَظْهِرْ بِسَعَةِ الاحْتِمَالِ ، وَالتَّقَلُّلِ مِنَ المَالِ ، وَلا يَحْذَرُ مُعَادَاةَ  
الرِّجَالِ ، وَمَزَلَّاتِ الأَدْلَالِ ، وَفَسَادِ الخِيَالِ ، وَمُدَاخَلَةِ العِيَالِ ، وَإِفْشَاءِ السَّرِّ ،  
وَسُكْرِ الاِغْتِرَارِ ، فَإِنَّه دَابُّ العِرِّ ، وَلِيَصْنِ الدِّيَانَةَ ، وَيُؤَثِّرَ الصِّمْتَ وَيَلْزِمُ  
الأَمَانَةَ ، وَيَمِيزُ مِنَ رِضَا اللهِ عَلَى أَوْضَحِ الطَّرِيقِ ، وَمَهْمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ قَصَدَ  
أَقْرَبَهُمَا إِلَى الحَقِّ ، وَلِيَقِفْ فِي التَّمَاسِ أَسْبَابَ الجَلَالِ دُونَ الكَمَالِ غَيْرِ النِّقْصَانِ ،  
وَالزَّعَازِعُ تَسَالِمُ اللَّدَنِ (٢) اللطيف من الأغصان ، وَإِيَاكُمْ وَطَلَبَ الوَلَايَاتِ رَغْبَةً  
وَاسْتِجْلَابًا ، وَاسْتَظْهَارًا عَلَى الخُطُوبِ وَغِلَابًا ، فَذَلِكَ ضَرَرٌ بِالمُرُوءَاتِ وَالأَقْدَارِ ،  
دَاعٍ إِلَى الفُضِيحَةِ وَالعَارِ ، وَمَنْ أَمْتَحِنَ بِهَا مِنْكُمْ اخْتِيَارًا ، أَوْ جُبِرَ عَلَيْهِ إِكْرَاهًا

[١] السجل : النصب . والمعنى : إنكم مدينون لي بما قدمت لكم من معروفى ، فلا تسوا أن تردوه  
لي بأكرام من أودت . [٢] اللدن اللين .

وإيثاراً ، فليتلق وظائفها بسعة صدره ، ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنة ، وهي بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، وتوقع عزل ، وإدالة<sup>(١)</sup> بإزاء بيع جدّ بهزل ، ومزلة قدم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، وممن لا ينقطع بسببه عملُ أيه ، هذه - أسعدكم الله - وصيتي التي أصدرتها ، وتجارتني التي لربكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صباحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغشيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلت على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعت لآلها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم ، ومهما سئتم إطالتها ، واستغزرت مقالها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلك<sup>(٢)</sup> الحساب ، وضابط هذا الباب ، كان الله خليفتي عليكم في كل حال ، فالدنيا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ، جعل الله من وراء خبطته النجاة ، وتفق بضائرها المزجاة<sup>(٣)</sup> ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودع ، والله سبحانه يُلثمه<sup>(٤)</sup> حيث شاء من شمل متصدع ، والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته . ( نفع الطيب ٤ : ٤١٩ )

## ١٨ - خطبة وعظية له

وصدر عنه على لسان واعظ :

« الحمد لله الولي الحميد ، المبدئ المعيد ، البعيد في قرّبه من العبيد ، القريب

[١] للإدالة : الغلبة . [٢] فذلك حسابه كدحرج : أنباء وفرغ منه ، مخترعة من قوله إذا أجل حسابه : فذلك كذا وكذا . [٣] بصاعة مرجاة : رديئة أو قليلة يردّها ويدفعها من رآها رغبة عنها ، وثق السلة تفيقاً : ردّها . [٤] لأم الجرح والصدع كقطع والأوه : سدّه .

في بعده وهو أقرب من حَبْلِ الْوَرِيدِ <sup>(١)</sup> ، مُجْبِي رُبُوعِ الْعَارِفِينَ بِتَحِيَّاتِ حَيَاةِ التَّوْحِيدِ ، وَمُغْنِي نَفُوسِ الزَّاهِدِينَ بِكُنُوزِ احْتِقَارِ الْاِقْتِقَارِ إِلَى الْعَرَضِ الزَّهِيدِ ، وَمُخَلِّصِ خَوَاطِرِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ سَجُونِ دُجُونِ <sup>(٢)</sup> التَّقْيِيدِ ، إِلَى فُسْحِ التَّجْرِيدِ ، نَحْمَدُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ الْمُنْتَظِمَةُ دُرَرُهُ فِي سُلُوكِ الدَّوَامِ ، وَسُمُوطِ <sup>(٣)</sup> التَّأْيِيدِ ، حَمْدًا مِنْ نَزْوِهِ أَحْكَامَ وَحَدَانِيَّتِهِ ، وَأَعْلَامَ فَرْدَانِيَّتِهِ ، عَنْ مَرَابِطِ التَّقْيِيدِ ، وَمَخَابِطِ الطَّبْعِ الْبَلِيدِ ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا مِنْ افْتِتَاحِ بِشْكْرِهِ أَبْوَابِ الْمَزِيدِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ شَهَادَةً تَنْخَطِي بِهَا مَعَالِمَ الْخَلْقِ ، إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ ، عَلَى كَبِدِ التَّفَرِيدِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ قِلَادَةَ الْجِيدِ الْمَجِيدِ ، وَهَلَالِ الْعِيدِ ، وَقَدْ لَكَ الْحِسَابُ وَبَيْتِ الْقَصِيدِ ، الْمَخْصُوصِ بِمَنْشُورِ الْإِدْلَالِ <sup>(٤)</sup> ، وَإِقْطَاعِ الْكَمَالِ ، بَيْنَ مَقَامِ الْمُرَادِ وَمَقَامِ الْمُرِيدِ ، الَّذِي جَعَلَهُ السَّبَبَ الْأَوْصَلَ فِي نَجَاةِ النَّاجِي وَسَعَادَةِ السَّعِيدِ ، وَخَاطِبِ الْخَلَائِقِ عَلَى لِسَانِهِ الصَّادِقِ بِمُحِبَّتِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، فَكَانَ مِمَّا أَوْحَى بِهِ إِلَيْهِ ، وَأَنْزَلَ الْمَلَكَ بِهِ عَلَيْهِ ، مِنَ الذِّكْرِ الْحَمِيدِ ، لِيَأْخُذَ بِالْحُجَزِ <sup>(٥)</sup> وَالْأَطْوَاقِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدًا ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ، وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا

[١] عرق في العنق. [٢] أى ظلام التقييد ، والدجون جمع دجن بالفتح : وهو لباس الغيم الأرض وأقطار السماء. [٣] سموط جمع سمط بالكسر : وهو خيط النظم. [٤] أدل عليه : وثق بمحبته . [٥] المحرز جمع حجرة كفرصة : وهي مقعد الإزار ، ومن السراويل موضع التكة .

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة  
تقوم ببعض حقه الأکید ، وَتَسْرَى إِلَى تَرْبَتِهِ الزُّكِيَّةِ مِنْ ظُهُورِ الْمَوَاجِدِ الْجَائِيَةِ  
عَلَى الْبَرِيدِ :

قعدتُ لتذكيرٍ ، ولو كنتُ منصفاً      لدكرتُ نفسي فهي أحوجُّ للذكري  
إذا لم يكن مني لنفسي واعظٌ      فيا ليت شعري كيف أفعل في الأخرى ؟  
آه ، أيُّ وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبابنا يُسْمَعُ ، وفي ماذا - وقد تبين الرُّشدُ  
من النِّىِّ - يُطْمَعُ ؟ يا من يُعْطَى وَيَمْنَعُ ، إذا لم تُقِمِ الصَّنِيعَةَ فإِذَا نَصَنَعُ ؟ أَجْمَعُنَا  
بِقُلُوبِنَا يَا مَنْ يُفَرِّقُ وَيَجْمَعُ ، وَآيِنَ حَدِيدَهَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ ، فقد استعاذ نبيك  
صلى الله عليه وسلم مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ : اعلموا رحمكم الله أن  
الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الأقوال والأحوال ، ومن الجماد والحيوان ، وما  
أملأه المَلَوَانُ (١) ، فإن الحق نور لا يضره أن صدر من الحامل ، ولا يقصر  
بمحموله احتقار الحامل ، وأنتم تدرّون أنكم في أطوار سفر لا تستقر لها دون  
الغاية رحلة ، ولا تتأثى معها إقامة ولا مهلة ، من الأصلاب إلى الأرحام إلى  
الوجود ، إلى القبور إلى النشور إلى إحدى دارى البقاء ، أفى الله شك ؟ فلو  
أبصرتم مسافراً في البرية يبنى ويفرش ، ويمهد ويعرش ، ألم تكونوا تضحكون  
من جهله ، وتمعجبون من ركاكة عقله ؟ ووالله ما أموالكم ولا أولادكم ،  
وشواغلكم عن الله ، التي فيها اجتهادكم ، إلا بقاء سفر (٢) في قفر ، أو إعراس في  
ليلة نمر (٣) ، كأنكم بها مطرحة تعبر فيها المواشى ، وتنبو العيون عن خبرها

[١] اللواتى : الليل والنهار .

[٢] السفر : جماعة المسافرين . [٣] أعرس القوم وعرسوا : نزلوا في آخر الليل للاستراحة ،

ونمر الحاج من منى كضرب نمرأ ونفورا . انظر ج ٣ ص ١٢١ .

المتلاشى « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » ما بعد  
 المَقِيلِ إِلَّا الرَّحِيلَ ، ولا بعد الرحيل إِلَّا المنزِلُ الكَرِيمُ ، أو المنزل الوَيْلُ ، وإِنَّمَا  
 تَسْتَقْبِلُونَ أَهْوَالَ ، سَكَرَاتُ الْمَوْتِ بَوَاكِرُ حَسَابِهَا ، وَعَتَبُ أَبْوَابِهَا ، فلو  
 كَشِفَ الْغَطَاءُ عَنْ ذَرَّةٍ مِنْهَا ، لَذَهَبَتِ الْعُقُولُ وَطَاشَتِ الْأَلْبَابُ ، وما كَلَّ  
 حَقِيقَةُ يَشْرَحُهَا الْكَلَامُ ، « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ  
 الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، أفلا أعددتُم لهذه الوِزْطَةِ حِيَلَةً ، وأظهرتم  
 للاهْتِمَامَ بِهَا مَخِيلَةً <sup>(١)</sup> ؟ أتعويلا على عفوه مع المقاطعة ؟ وهو القائل في مقام  
 التهديد : « إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » ، أأمنًا من مكره مع المنابذة ؟ « وَلَا يَأْمَنُ  
 مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » أطمعًا في رحمته مع المخالفة ؟ وهو يقول :  
 « فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » ، أَمْشَاقَةٌ وَمَعَانِدَةٌ ؟ « وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ  
 شَدِيدُ الْعِقَابِ » ، أشكًا في الله ؟ فعمالوا نُعَيْدَ الْحِسَابِ ، وَنُقَرَّرَ الْعَقْدَ ، وَتَتَّصِفُ  
 بِدَعْوَةِ الْحَقِّ (أَوْ غَيْرِهَا) مِنَ الْيَوْمِ ، يُفْقَدُ عَقْدُ الْعَقَائِدِ عِنْدَ التَّسَاهُلِ بِالْوَعِيدِ <sup>(٢)</sup> ،  
 فَالْعَامِيُّ يُدْمِي الْأَصْبَعَ الْوَجِيعَةَ ، وَالْعَارِفُ يَضْمَدُ لَهَا مَبْدَأَ الْعَصَبِ .

هكذا هكذا يكون التعمى هكذا هكذا يكون الغرور

« يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » وما عدا  
 مما بدا ، ورسولكم الحريص عليكم الرءوف الرحيم يقول لكم : « الْكَيْسُ  
 مِنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ؛ وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى  
 عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » ، فَعَلَامَ بَعْدَ هَذَا الْمَعْوَلِ ، وماذا يتأوَّل ؟ اتقوا الله تعالى في

[١] الخيلة الظن . [٢] أى أن المرء إذا لم يحسب لوعيد الله حسابا ، واسنزل في اقتراح المعاصي  
 والموبقات ، أفضى به ذلك إلى زلزلة العقيدة ، ولو أنه كان خالص الإيمان لارعوى عما نهى عنه .

نفوسكم وَأَنْصَحُوهَا ، وَاغْتَنِمُوا قُرْصَ الْحَيَاةِ وَارْتَجُّوهَا ، « أَنْ تَقُولَ نَفْسُ  
يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ السَّخِرِينَ » ، وتنادى  
أخرى : « هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟ » ، وتستنثت أخرى : « يَا لَيْتَنَا تَرَدُّ  
فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » ، وتقول أخرى : « رَبِّ أَرْجِعُونِي » ، فَرَحِمَ  
الله من نظر لنفسه ، قبل غُرُوبِ شمسِهِ ، وَقَدَّمَ لِنَعْدِهِ مِنْ أَمْسِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ  
تَجْرُؤُ إِلَى الْمَوْتِ ، وَالنَّفْلَةَ تَقُودُ إِلَى الْفَوْتِ ، وَالصَّحَّةَ مَرَكَبَ الْأَلْمِ ، وَالشَّبِيهَةَ  
سَفِينَةً تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ الْمَهْرَمِ .

وإن شاء قال بعد الخطبة :

« إخواني ، ما هذا التواني ؟ وَالْكَلْفُ بِالْوَجُودِ الْفَانِي ، عَنِ الدَّائِمِ الْبَاقِي ،  
وَالدهر يقطع الأمانى ، وَهَادِمُ اللذات قد شرع في تقض المبانى ، الْأَ مَعْتَبَرِي  
عَالَمُ هَذِهِ الْمَعَانِي ، الْأَ مَرْتَحِلُ عَنِ مَعَانِي هَذِهِ الْمَعَانِي (١) ؟

أَلَا أُذُنٌ تُصْنِي إِلَيَّ سَمِيعَةً      أَحَدَّثَهَا بِالصَّدْقِ مَا صَنَعَ الْمَوْتُ  
مَدَدْتُ لَكُمْ صَوْتِي فَأَوَاهِ حَسْرَةً      عَلَى مَا بَدَأَ مِنْكُمْ فَلَمْ يُسْمَعْ الصَّوْتُ  
هُوَ الْقَدَرُ الْآتِي عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ      فَتَوَبُوا سِرًّا قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الْفَوْتُ

يَا كَلِفًا بِمَا لَا يَدُومُ ، يَا مَفْتُونًا بِغُرُورِ الْوَجُودِ الْمَعْدُومِ ، يَا صَرِيحَ جِدَارِ الْأَجْلِ  
الْمَهْدُومِ ، يَا مُشْتَغِلًا بَيْنِيانِ الطَّرُوقِ قَدْ ظَهَرَ الْمُنَاخُ وَقَرُبَ الْقُدُومِ ، يَا غَرِيقًا فِي  
فِي بَحَارِ الْأَمْلِ مَا عَسَاكَ تَعُومُ ، يَا مُعَلَّلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَمَعَ السَّرَابِ (٢) ،  
لَا بَدَأَ أَنْ تَهْجُرَ الْمَشْرُوبَ وَتَتْرَكَ الْمَطْعُومَ ، دَخَلَ سَارِقُ الْأَجْلِ بَيْتَ عَمْرِكَ ،  
فَسَلَبَ النِّشَاطَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ ، وَطَوَى الْبَسَاطَ وَأَنْتَ تُكْرَبُ (٣) ، وَاقْتَلَعَ جَوَاهِرَ

[١] للمعاني جمع معنى وهو المنزل .

[٢] السراب : ما يرى وسط النهار كأنه ماء . [٣] كرهه النعم كنصر : اشتد عليه .



الجوارح ، وقد وقع بك النهب ، ولم يَبْقَ إلا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد .  
لو خُفِّفَ الوجدُ عني دعوتُ طالبِ ثارى

« كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا » ، كيف التَّراخى والفوتُ مع الأنفاس يُنتظر ،  
كيف الأمان وهاجمِ الموت لا يُبْقِي ولا يَدْر ، كيف الركون إلى الطمع الفاضح  
وقد صحَّ الخبر ؟ من فكَّر في كَرْبِ الحُمار<sup>(١)</sup> تنغَّصت عنده لذةُ النبيذ ، من  
أحسَّ بلفظ<sup>(٢)</sup> الحريق فوق جدَّاره ، لم يُصنَعِ بصوته لِنعْمة العود ، من تيقَّنَ  
بذلَّ العزلة ، هان عليه ترك الولاية .

ما قامَ خيرُك يا زمانُ بشره أولى لنا ما قلَّ منك وما كفى  
أوحى الله سبحانه إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه: أنْ ضَعَّ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثور ،  
فَبَعَدَ ما حادَّته من شعره تعيش سنين ، فقال : يارب وبعْد ذلك ؟ قال :  
تموت ، قال : يارب فالآن .

رأى الأمرَ يُفْضَى إلى آخِرٍ فصيرَّ آخِرَه أوْلاً  
إذا شعرت نفسك بالميل إلى شيء فأعرض عليها غصّة فراقه « لِيَهْلِكَ مَنْ  
هَلَكَ عَنْ يَبْتَةِ ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ يَبْتَةِ » فالمفروح به هو المحزون عليه ، أين  
الأحباب مرؤوا ؟ فياليت شعري أين استقروا ؟ استكانوا والله واضطروا ،  
واستغاثوا من سبقتك<sup>(٣)</sup> بأولياهم ففرؤوا ، وليتهم إذ لم ينفعوا ما ضرؤوا ، فالمنازل  
من بعدهم خالية خاوية ، والعروش ذابلة زاوية ، والعظام من بعد التفاصيل  
متشابهة متساوية ، والمساكن تنذب في أطلالها الذئبُ العاوية .

[١] الحمار : صداع الحمر وأذاها . [٢] أى برميهِ . [٣] هكذا في الأصل ، وكان يمكن أن  
يقول : « واستغاث من سبقتك بأولياهم » إلا أن يخرج على أن « من » مبتدأ مؤخر كما في قوله تعالى :  
« ثُمَّ عَمُوا وَصَّوْا كَثِيرٌ مِنْهُمْ » وقوله : « وَأَسْرُوا النَّجْوى الَّذِينَ ظَلَمُوا » أو « من »

صَحْتُ بِالرَّبْعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا      لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمُضِي الْغَرِيبُ ؟  
 وَيَجْتَنِبُ الدَّارَ قَبْرُ جَدِيدٍ      مِنْهُ يَسْتَسْقِي الْمَكَانُ الْجَدِيدُ  
 غَاخَ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ التَّاجِي      قُلْتُ : هَذَا الْقَبْرِ فِيهِ الْحَيْبُ (١)  
 لَا تَسْأَلْ عَن رَجْعَتِي كَيْفَ كَانَتْ      إِنَّ يَوْمَ الْبَيْنِ يَوْمَ عَصِيبُ  
 بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّتْ نَفْسِي      بَعْدَ إِلْفِي ، كُلُّ آتٍ قَرِيبُ

أين الممّر الخالد ، أين الولد أين الوالد ، أين الطارف أين التالد ، أين المجادل أين  
 المُجَالِد ؟ هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا؟ (٢) وجوه علاهْنُ التَّرى ،  
 وصحائفُ تَفَضُّ ، وأعمال على الله تُعْرَضُ ، بَحَثَ الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ ، والعارفون  
 والأوتاد ، والأنبياء الذين يُهْدَى بهم العباد ، عن سبب الشقاء الذي لاسعادة  
 بعده ، فلم يجدوا إلا البعدَ عن الله تعالى ، وسببه حُبُّ الدنيا ، « لن تجتمع أمتي  
 على ضلالة » .

هَجَرْتُ حَبَائِي مِنْ أَجْلِ لَيْلِي      فَمَا لِي بَعْدَ لَيْلِي مِنْ حَيْبٍ  
 وَمَاذَا أُرْتَجَى مِنْ وَصْلِ لَيْلِي      سَتَجْزِي بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبٍ

وقالوا : ما أوردَ النفسَ الموارِدَ ، وَفَتَحَ عَلَيْهَا بَابَ الْحَتْفِ إِلَّا الْأَمَلَ ، كلما قَوَّمتُهَا  
 مَثاقِفُ الحدودِ ، فتح لها أركانَ الرُّخَصِ . كلما عَقَدَتِ صَوْمَ العزيمَةِ ، أهداها  
 طُرْفَ الغُرُورِ فِي أَطْباقِ « حَتَّى وَإِذَا وَلَكِنْ وَرُبَّمَا » فَأَفْرَطَ القَلْبُ فِي تَقْلِيْبِهَا  
 حَتَّى أَفْطَرَ :

مَا أَوْبَقَ الْأَنْفَسَ إِلَّا الْأَمَلُ      وَهُوَ غُرُورٌ مَا عَلَيْهِ عَمَلُ  
 يُفَرِّضُ مِنْهُ الشَّخْصُ وَهَمَّامَالَهُ      حَالٌ ، وَلَا مَاضٍ ، وَلَا مُسْتَقْبَلُ

[١] لحه وألحه والتمحه : إذا أبصره بنظر خفيف . [٢] الرکز : الصوت الحوق .

ما فوق وَجِهِ الْأَرْضِ نَفْسٌ حَيَّةٌ ۖ  
لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِهَا قَدْ كُونُوا  
مَا نَمَّ إِلَّا لُقْمٌ ۖ قَدْ هَيَّئَتْ  
وَالْوَعْدِ حَقٌّ، وَالْوَرَى فِي غَفْلَةٍ  
أَيْنَ الَّذِينَ شَيَّدُوا وَاغْتَرَسُوا  
أَيْنَ ذُوو الرِّاحَاتِ زَادَتْ حَسْرَةً  
لَمْ تَدْفَعِ الْأَحْبَابُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّ  
اللَّهَ فِي نَفْسِكَ أَوْلَى مِنْ لَه  
لَا تَتْرَكْنَهَا فِي عَمَى وَحَيْرَةٍ  
حَقَّرَهَا الْفَانِي، وَحَاوَلَ زُهْدَهَا  
وَفِيذَ إِلَى اللَّهِ بِهَا مَضْطَرَةً  
هُوَ الْفَنَاءُ، وَالْبَقَاءُ بِعَدِهِ  
يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ وَيَا حَسْرَتَهَا

إِلَّا قَدْ انْقَضَ عَلَيْهَا الْأَجَلُ ۖ  
لَا مَثَلًا السَّهْلُ بِهِمُ وَالْجَبَلُ  
لِلْمَوْتِ، وَهُوَ الْأَكِلُ الْمُسْتَعَجِلُ  
قَدْ خُودِعُوا بِعَاجِلٍ وَضَلُّوا  
وَهَيَّدُوا وَافْتَرَشُوا وَظَلَّلُوا؟  
إِذْ جُنِبُوا إِلَى الثَّرَى وَانْتَقَلُوا<sup>(١)</sup>  
بَكَوْا عَلَى فِرَاقِهِمْ وَأَعْوَلُوا  
ذَخِرَتْ نُصْحًا وَعِتَابًا يُقْبَلُ<sup>(٢)</sup>  
عَنْ هَوْلٍ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا تَغْفُلُ  
وَشَوَّهَهَا إِلَى الَّذِي تَسْتَقْبِلُ  
حَتَّى تَرَى السَّيْرَ عَلَيْهَا يَسْهَلُ<sup>(٣)</sup>  
وَاللَّهُ عَنْ حِكْمَتِهِ لَا يُسْأَلُ  
يَوْمَ يُؤَنَّفِي النَّاسُ مَا قَدْ عَمِلُوا

يَا طَرْدُ<sup>(٤)</sup> الخالفة، أنكم مُدْرَكُونَ فاستبِقُوا باب التوبة، فَإِنَّ رَبَّ تِلْكَ الدَّارِ يُجِيرُ وَلَا  
يُجَارُ عَلَيْهِ « فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا هَدَاكُمْ »، يَا طُفَيْلِيَّةَ الْهَمَّةَ، دُسُّوا  
أَنْفُسَكُمْ بِزُمرِ التَّائِبِينَ، وَقَدْ دُعُوا إِلَى اللَّهِ دَعْوَةَ الْحَبِيبِ، فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ أَكُلٌ فَلَا  
أَقْلٌ مِنْ طَيْبِ الْوَلِيَّةِ، قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: إِذَا عَقَدَ التَّائِبُونَ الصَّلْحَ مَعَ اللَّهِ  
تَعَالَى، انْتَشَرَتْ رَعَايَا الطَّاعَةِ فِي عِمَالَةِ الْأَعْمَالِ، « وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

[١] جنبه : دفعه . [٢] أى اتقى الله فى نفسك التى هى أولى . . . الخ .

[٣] فد : أسر من وفد أى اقدم . [٤] الطريدة : ما طردت من صيد أو غيره .

وَوَضِعَ الْكِتَابُ « معانى هذا المجلس والله نَسِيمٌ سَحَرٍ ، إذا أَسْتَنَشَقَهُ مَخْمُورِ  
الْغَفْلَةِ أَفَاقٍ ، سَعُوطٌ <sup>(١)</sup> هذا الوعظ يَنْقُضُ <sup>(٢)</sup> إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَكْمَةَ الْبَطَالَةِ ، إِنْ  
الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ أَنْزَلَ الدَّوَاءَ ، إِكْسِيرٌ <sup>(٣)</sup> هذا الكتاب يلقب بحكمة جابر <sup>(٤)</sup> ،  
القلوب المنكسرة عين من كان له قلب « إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى  
يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ » إلهى دُنَا من حَيْرَةٍ يَضِلُّ فِيهَا - إِلَّا إِنْ هَدَيْتَ - الدليل ،  
وَأَجْرِنَا مِنْ غَمْرَةٍ <sup>(٥)</sup> وكيف - إِلَّا بِإِغَاثَتِكَ - السبيل ، نفوسٌ صَدِيٌّ مِنْ مَرٍّ  
الأزمان منها الصَّقِيلُ ، وَنَبَاً يَجْنُوبُهَا عَنِ الْحَقِّ الْمَقِيلِ ، وَأَذَانٌ أَنْهَضَهَا الْقَوْلِ  
الثقيل ، وَعَثْرَاتٌ لَا يَقْبَلُهَا إِلَّا أَنْتَ يَا مُقِيلَ الْعَثْرَاتِ يَا مُقِيلَ ، أَنْتَ حَسْبُنَا  
ونعم <sup>(٦)</sup> الوكيل . ( فحح الطيب ٤ : ٨٥ )

### ١٩ - وصية موسى بن سعيد العنسى <sup>(٧)</sup> لابنه

قال أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى :

لما أردت النهوض من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة ، أول وصولي إلى

[١] في الأصل « سوط » وأراه محرفاً عن « سعوط » كما يدل عليه سياق الكلام ، والسعوط : الدواء  
يسبب في الأنف . [٢] في الأصل « يبيض » وأراه « ينقض » أى يذهب .  
[٣] الإكسير : الكيمياء .

[٤] يريد جابر بن حيان . قال ابن الفطحي في تاريخ الحكماء في ترجمته : « هو جابر بن حيان الصوفي  
الكوفي ، وكان متقدماً في العلوم الطبيعية ، وفي صناعة الكيمياء . . الخ » وذكره ابن زيدون في  
رسالته الهزلية ، فقال : « وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء » قال ابن نباتة في سرح اليون :  
« وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يتمد عليه ، وهذا دليل على قول  
أكثر الناس إنه اسم موضوع وضعه المصنفون في هذا الفن ، وزعموا أنه كان في زمن جعفر الصادق ،  
وأنه إذا قال في كتبه : قال لي سيدي ، وسمعت من سيدي ، فإنه يسمي به جعفر الصادق » وقد قدمنا لك  
أن جعفر الصادق توفي سنة ١٤٨ هـ .

[٥] الغمرة : الشدة . [٦] أورد المقرئ في فحح الطيب لسان الدين عقب ذلك كلاماً آخر في الوعظ  
وهو على نمط ما أوردناه لك فافطره هناك إن شئت .

[٧] هو الكاتب الشهير أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى ، من سلالة  
عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه ، وقد نوه به ابن هود ملك الأندلس ، وولاه الجزيرة الخضراء ، وهو

الإسكندرية ، رأى أبي أن يكتب لى وصية أجعلها إماماً فى الغربية ، فبقى فيها أياماً إلى أن كتبتها عنه ، وهى هذه :

أودِعْكَ الرَّحْمَنَ فِي غُرْبَتِكَ	مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكَ
وَمَا اخْتِيَارَى كَانَ طَوَّعَ النَّوَى	لَكُنْتَى أَجْرَى عَلَى بُغْيَتِكَ <sup>(١)</sup>
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى ، إِنِّى	وَاللَّهِ أَشْتَاقُ إِلَى طَلْعَتِكَ
مَنْ كَانَ مَفْتُونًا بِأَبْنَائِهِ	فَإِنِّى أَمَعَنْتُ فِي خَبْرَتِكَ
فَاخْتَصِرِ التَّوَدِيْعَ أَخْذًا ، فَمَا	لِى نَاطِرٌ يَقْوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
وَاجْعَلِ وَصَاتِى نُصْبَ عَيْنِ ، وَلَا	تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةَ الْعَمْرِ الَّتَى حُنَّكَتْ	فِي سَاعَةٍ زُفَّتْ إِلَى فِطْنَتِكَ <sup>(٢)</sup>
فَلتَجَارِبِ أَمْوَرٌ إِذَا	طَالَعَتْهَا تَشَحَّدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَتَمَّ عَنْ وَغِيهَا سَاعَةٌ	فَإِنهَا عَوْنٌ إِلَى يَقْظَتِكَ <sup>(٣)</sup>
وَكُلٌّ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوَى	إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فَلَيْسَ يُدْرَى أَصْلُ ذَى غُرْبَةٍ	وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شِيْمَتِكَ

من رحل من علماء الأندلس إلى المشرق ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٠ هـ ص ٦٧ طاما . وكان أبوه محمد وزيراً جليلاً بعيد الصيت ، على الذكر ، رفيع المهمة ، كثير الأموال ، وكان ذا خطوة لدى الموحدين ، وولى لهم أعمالاً كثيرة بمراكش وإشبيلية وقرنطة ، واتصلت ولايته على أعمال قرنطة ، وكان من شيوخها وأعيانها .

وكان جده عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد تحت طاعة على بن يوسف بن تاشفين ملك البربر ، إلى أن استبد بها سنة ٥٣٩ .

وابنه أبو الحسن على هو متهم كتاب : « المغرب فى أخبار المغرب » ، وكان السبب فى تأليفه هو جده عبد الملك بن سعيد ، ثم تلمه ابنه محمد بن عبد الملك ، ثم تم ما بقى منه ابنه موسى بن محمد ، ثم أربى على الجميع فى إتمامه على بن موسى ، وقد ذكر فى خطبته أنه بدى فيه من سنة ٥٣٠ هـ ، ومنتهاه إلى غرة سنة ٦٤١ هـ ، وكان مولد أبى الحسن بقرنطة سنة ٦١٠ هـ ، ووفاته بتونس سنة ٦٨٥ هـ [١] النوى : البعد . [٢] حنكت : أجهكت . [٣] اليقظة بالتحريك وسكنه للشعر .

وكل ما يُفْضِي إِمْدِرٍ فلا  
 ولا تجالِسَ مَنْ فشا جهلهُ  
 ولا تجادلِ أبدأ حاسداً  
 وامنِ الهَوَيْنِي مظهرًا عفةً  
 أفسِ التحياتِ إلى أهلها  
 وأنطقْ بحيثُ العيُّ مستقبِحُ  
 ولا تزلْ مُجْتَمِعًا طالبًا  
 وكما أبصرتها أمكنت  
 ورجِ على رزقك من بابهِ  
 وأياسُ من الودِّ لدى حاسدِ  
 ووفِّرِ الجهدَ ، فنَّ قسدهُ  
 ووفِّ كلاً حقهُ ، ولكن  
 ولا تكنْ تحقيرُ ذا رتبةٍ  
 وحيثما خيمتَ فاقصِدْ إلى  
 وللرزايا وثبتهُ ، مالهَا  
 ولا تقُلْ : (أسلم لي وحدثني)  
 والتزمِ الأحوالَ وزناً ولا  
 وتجعلِ العقلَ محكماً ، وخذ  
 واعتبرِ الناسَ بالفاظهمُ

تجعله في العربة من إزبتك<sup>(١)</sup>  
 وأقصِدْ لمن يرغبُ في صنعيتك  
 فإنه أذعى إلى هيتك  
 وأبعِ رضا الأعينِ عن هيتك  
 ونبهِ الناسَ على رمتك  
 واصمتْ بحيثِ الخيرُ في سكتك  
 من دهرك الفرصة في وثبتك  
 ثبِ واثقاً بالله في مكنتك<sup>(٢)</sup>  
 وأقصِدْ له ما عشت في بكرتك  
 ضدِّ ، ونافسه على خطتك<sup>(٣)</sup>  
 قصدك لا تعتبه في بمضتك  
 تكسر عند الفخر من حدثك  
 فإنه أنفع في غربتك  
 محبة من تجوه في نصرتك  
 إلا الذي تذخر من عدتك  
 فقد تقاسي الذل في وحدتك  
 ترجع إلى ما قام في شهوتك  
 كلاً بما يظهر في نقدتك  
 وأصحب أخا يرغب في محبتك

[١] الإربة : الحاجة . [٢] المكنة بفتح فسكس : التمكن والقدرة ، وسكنه للشعر .  
 [٣] في الأصل « وأس من الود . . . » وقد أصلحته « وإياس » وبه يستقيم المعنى .

بعد اختبارٍ منك يَقْضِي بما  
 كم من صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نُصْحَهُ  
 إياك أن تَقْرَبَهُ ، إنه  
 وَأَقْنَعُ إذا ما لم تجد مَطْمَعًا  
 وَأَنْتُمْ نَمُو النبت قد زارَهُ  
 وإن نَبَا دهرٍ فَوَطَّن له  
 فكل ذى أمرٍ له دولةٌ  
 ولا تُضَيِّعُ زَمَنًا مُمَكِّنًا  
 والشَّرَّ مَهْمَا أُسْطَعْتَ لا تَأْتِهِ  
 يَحْسُنُ في الآخِذِ من خِلْطَتِكَ<sup>(١)</sup>  
 وَفِكْرُهُ وَقَفُّ على عَثْرَتِكَ  
 عَوْنٌ مع الدهر على كَرْبَتِكَ  
 وَأَطْمَعُ إذا نُعِشْتَ من عُسْرَتِكَ  
 غِيبُ النَّدَى ، واسمُ إلى قَدْرَتِكَ  
 جَأَشَكَ ، وانظرهُ إلى مُدَّتِكَ  
 فَوَفَّ ما وَاوَاكَ في دولتِكَ  
 تَذَكَارُهُ يُذْكَى لَطَى حَسْرَتِكَ  
 فَإِنَّهُ حَوَزَ على مُهْجَتِكَ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

يا بُنَيَّ الذي لا ناصح له مثلى ، ولا منصوح لي مثله ، قد قدمت لك في هذا  
 النظم ما إن أخطرتَه بخاطرك في كل أوان ، رجوتُ لك حسن العافية إن شاء  
 الله تعالى ، وإنَّ أخفَّ منه للحفظ ، وأعلَقَ بالفكر ، وأحقُّ بالتقدم قول الأول :

١ يَزِينُ الغريبَ إذا ما اغْتَرَبَ ثلاثٌ ، فمنهن : حُسْنُ الأَدبِ  
 وَثَانِيَةٌ : حُسْنُ أَخْلَافِهِ وَثَالِثَةٌ : اجْتِنَابُ الرِّيبِ

وإذا اعتبرت هذه الثلاثة ، ولزمتها في العربية ، رأيتها جامعة نافعة ، لا يَلْحَقُكُ  
 إن شاء الله مع استعمالها نَدَمٌ ، ولا يفارقك بِرٌّ ولا كَرَمٌ ، والله دَرُّ القائل :  
 يُعَدُّ رَفِيعَ القومِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وإن لم يكن في قومه بحسيبٍ

[١] الخلطة مثل العشرة وزنا ومعنى ، والخلطة بالعم : اسم من الاختلاط ، مثل الفرقة من الافتراق .

[٢] حازه حوزا : جمعه وضمه وامتلكه كاحتازه احتياراً ، والمعنى : ألك إن أتيت الشرَّ استحوذ على

نفسك وتملكك .

إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلَدَةٍ بِغَرِيبٍ  
وَمَا قَصَّرَ الْقَائِلُ حَيْثُ قَالَ :

وَاصْبِرْ عَلَى خُلُقٍ مِنْ تَعَاشِرُهُ وَدَارِهِ ، فَالْيَيْبُ مَنْ دَارَى  
وَاتَّخَذَ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا وَمَثَلِ الْأَرْضِ كُلَّهَا دَارًا

وَأَصْغَرَ يَا بُنَيَّ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ يَتِيمَةُ الدَّهْرِ<sup>(١)</sup> ، وَسَلِّمَ الْكِرْمَ وَالصَّبْرَ :

وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتَ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ<sup>(٢)</sup>

إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ نَزِيلٍ ، وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ ، وَلَتَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ  
فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : « وَكَانَ كَلِمًا طَرَأَ<sup>(٣)</sup> عَلَى مَلِكٍ ، فَكَانَتْهُ مَعَهُ وَوَلِدٌ ، وَإِلَيْهِ قَصَدَ ،

غَيْرَ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ ، وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ » ، وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى

صِحْبَةٍ مِنْ أَخْذٍ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ<sup>(٤)</sup> ، فَاجْعَلِ التَّكْلِفَ لَهُ سُلْمًا ، وَهَبْ فِي رَوْضِ

أَخْلَاقِهِ هَبُوبَ النَّسِيمِ ، وَحُلَّ بِطَرْفِهِ حُلُولَ الْوَسَنِ<sup>(٥)</sup> ، وَانزِلْ بِقَلْبِهِ نَزْوَلَ الْمَسْرَةِ ،

حَتَّى يَتِمَّكَ لَكَ وَدَادُهُ ، وَيَخْلُصَ فَيْكَ اعْتِقَادُهُ ، وَطَهَّرَ مِنَ الْوَقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ ،

وَأَغْلَقَ سَمْعَكَ ، وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحْسُودَ لَكَ مِنْهُ ، يَرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَتِهِ ،

أَوْ حِسُودَ لَهُ يَغَارُ لِتَجْمُلَهُ بِصَحْبَتِكَ ، وَمَعَ هَذَا فَلَا تَمْتَرْ بِطُولِ صَحْبَتِهِ ، وَلَا تَتَمَهَّدْ

بِدَوَامِ رَقْدَتِهِ ، فَقَدْ يَنْبِئُهُ الزَّمَانُ ، وَيُغَيِّرُ مِنْهُ الْقَلْبَ وَاللِّسَانَ ، وَلِذَا قِيلَ : « إِذَا

أَحْبَبْتَ فَأَحْبِبْ هَوْنًا مَّا ، فِي الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْقَلِبَ الصَّدِيقُ عَدُوًّا ، وَالْعَدُوُّ صَدِيقًا »

وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مَعْيَارًا ، وَكَانَ كَالْمَرْأَةِ يَلْتَقِي كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ ، وَجَعَلَ

نُصَبَ نَازِرِهِ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ :

[١] يَتِيمٌ : دُرَّةٌ بَيْتِيَّةٌ : أَي لَانظِيرَ لَهَا ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُفْرَدٍ يَمُرُّ نَظِيرُهُ فَهُوَ يَتِيمٌ .

[٢] نَبَا بِهِ مَنْزِلُهُ : إِذَا لَمْ يُوَاقِفْهُ . [٣] طَرَأَ عَلَيْهِمْ كَنَعٌ : أَتَاهُمْ مِنْ مَكَانٍ ، أَوْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ لِحَاجَةٍ .

[٤] الضَّمِيرُ فِيهِ يَمُودُ عَلَى « قَلْبِكَ » . [٥] الْوَسْنُ : النَّمَّاسُ .



ولما صار ودّ الناس خيباً جزيتُ على ابتسام بابتسام<sup>(١)</sup>

وفي أمثال العامة : « من سَبَقك بيوم فقد سبقك بعقل » ، فاحْتَذِ بِأَمْثَلَةٍ مِنْ جَرَبٍ ، واستمعِ إلى ما خلدَ الماضون بعد جهْدِهم وتَعَبِهِمْ مِنَ الأَقْوَالِ ، فإنها خلاصة عمرهم ، وزُبْدَةُ تجارِبِهِمْ ، ولا تَتَكَلِّمْ عَلَى عَقْلِكَ ، فإن النظر فيما تَعَبَ فيه الناس طول أعمارهم ، وابتاعوه غالياً بتجارِبِهِمْ ، يُرَبِّحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِيصاً ، وإن رأيت مَنْ لَهُ مُرُوءَةٌ وَعَقْلٌ وَتَجْرِبَةٌ ، فَاسْتَفِدْ مِنْهُ ، وَلَا تَضِيعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ ، فإن فيما تلقاه تلقيحاً لعقلك ، وحثاً لك واهتداءً .

وإياك أن تعمل بهذا البيت في كلِّ موضع : وَالْحُرُّ يُخَذَعُ بِالسَّكَّامِ الطَّيِّبِ : فقد قال أحدهم : ما قيل أضرُّ من هذا البيت على أهل التجمل ، وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسُنُ بك أن تتبعه حتى تتدبره ، فإن كان موافقاً لعقلك ، مُصْلِحاً لِحَالِكَ ، فراعِ ذلك عندك ، وإلا فانبِذْهُ نَبْذَ النِّوَاةِ ، فليس لكل أحد يُتَبَسَّمُ ، ولا كل شخص يُكَلَّمُ ، ولا الجود مما يعمُّ به ، ولا حُسْنُ الظنِّ وطيب النفس مما يعامل به كل أحد ، والله درّ القائل :

ومالٍ لا أوفى البرية قسطنها على قدر ما يعطى وعقلي ميزان

وإياك أن تُعْطِيَ مَنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ : فلا تعامل الدُّونَ بِمَعَامَلَةِ الكَفِّ ، ولا الكَفِّ بِمَعَامَلَةِ الأَعْلَى ، ولا تَضِيعْ عَمْرَكَ فِيمَنْ يَعَامَلُكَ بِالمَطَامِعِ ، وَيُثْبِتُكَ عَلَى مَصْلِحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ ، بِغَائِبَةِ آجِلَةٍ ، واسمع قول الأول :

وَبِعْ آجِلاً مِنْكَ بِالعَاجِلِ : وَأَقْلِلْ مِنْ زِيَارَةِ النَّاسِ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَلَا تَجْفَهُمْ بِالْجَمَلَةِ ، ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه مَلَلٌ وَلَا ضَجَرٌ وَلَا جَفَاءٌ ،

ولا تقل أيضاً: أقعدُ في كِسْرِيَّتِي ، ولا أرى أحداً ، وأستريح من الناس ، فإن ذلك كسل داخ إلى الذل والمهانة ، وإذا علم عدوك أو صديق منك ذلك ، عاملك بحسبه ، فزدراك الصديق ، وجسّر عليك العدو ، وإياك أن يفرك صاحب عن أن تدّخر غيره للزمان ، وتطيعه في عداوة سواه ، ففي الممكن أن يتغير عليك ، فتطلب إعانة غيره عليه ، أو استغناء عنه ، فلا تجد ذخيرة قدّمتها ، وكان هو في أوسع حال ، وأعلى رأي ، بما دبره بحيلته في انقطاعك عن غيره ، فلو اتفق لك أن تصحب من كل صناعة وكل رياسة ، من يكون لك عدوّ ، لكان ذلك أوّل وأصوب ، وسلني فإني خير ، طال - والله - ما صحبتُ الشخص أكثرَ عمري ، لأعتمد على سواه ، ولأعتدّ إلاياه ، منخدعا بسرايه ، موثوقاً في حبال خطابيه ، إلى أن لا يحصل لي منه غير العَضِّ على البنان ، وقول : لو كان ولو كان ! ولا يحملتك أيضاً هذا القول أن تظنه في كلّ أحد ، وتمجّل المكافأة ، وليكن حسن الظن بمقدار ما ، واصبر بمقدار ما ، والفطن لا تخفى عليه تخاييل الأحوال ، وفي الوجوه دلالات وعلامات ، وأصغر إلى القائل :

ليس ذا وجهٍ من يضيف ولا يقف - رى ولا يدفع الأذى عن حريم<sup>(١)</sup>  
 فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه قولٌ وجهك عنه قبلةً ترضاها ، ولتحرص  
 جهدك على أن لا تصحب أو تخدم إلا ربّ حشمةٍ ونعمة ، ومن نشأ في  
 رفاهية ومروءة ، فإنك تنام معه في مهاد العافية ، وإن الجياد على أعراقها<sup>(٢)</sup>  
 تجرى ، وأهل الأحساب والمروءات يتركون منافعهم متى كانت عليهم فيها

[١] ضافه يضيفه : نزل به ضيفاً ، وقرى الضيف كرمى : أحس إليه .

[٢] الأعراق جمع عرق بالكسر وهو الأصل .

وَصَمَّةٌ ، وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان : أَشْرِبَ مُضْعَبَ الْحَمْرِ ؟ فقال عبد الملك - وهو عدو له محارب له على الملك - : لو عَلِمَ مُضْعَبُ أَنَّ الْمَاءَ يُفْسِدُ مُرْوَةَته ما شربه ؛ وَالْفَضْلُ مَا شَهَدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ .

يابني ، وقد عامت أن الدنيا دار مفارقة وتغيير ، وقد قيل : « أَصْحَبُ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » ، فتى فارقت أحداً فعلى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ؟ فَذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ :

« وَلَمَّا مَضَى سَلْمٌ بِكَيْتٍ عَلَى سَلْمٍ » ، وإياك والبيت السائر :

وَكَانَتْ إِذَا حَلَلَتْ بَدَارِ قَوْمٍ رَحَلَتْ بِحَزِيَّةٍ وَتَرَكَتْ عَارَا

واحرص على ما جمع قول القائل : « ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوَدَّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ ، وَتَوْسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ » ، واحذر كل ما بينه لك القائل : « كُلُّ مَا تَعْرِسُهُ تَجْنِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ ، فَإِنَّكَ إِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ » وقول الآخر : « ابْنُ آدَمَ يَتَمَسَّكُنُ حَتَّى يَتِمَّ كُنُّ » وفول الآخر : « ابْنُ آدَمَ ذَنْبٌ مَعَ الضَّعْفِ ، أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ » .

وإياك أن تثبت على صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ ، فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صُحْبَتَهُ ، فجأوبه : « إِنْ الصُّحْبَةُ رِقٌّ ، وَلَا أَضْعُ رِقٌّ فِي يَدِكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ مَلَكَتُكَ <sup>(١)</sup> » ، وأستمل <sup>(٢)</sup> مِنْ عَيْنِ مَنْ تَعَاشَرَهُ ، وَتَفْقَدُ فِي فَلَتَاتِ الْأَلْسِنِ وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهَةِ ، وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السَّكُوتِ عَمَّا

[١] ملكة بالتحريك ، وملكا مثلث الميم ، ومملكة مثلث اللام : احتواه قادراً على الاستعداد به .

[٢] من استملته الكتاب : سأله أن يمليه على ، والمعنى : استرشد وتبين من نظرات عينه ، أحبب لك هو أم هدو .

يضرك أن لا تبينه ، فإن الكلام سلاح السلم ، وبالأين يُعزف ألم الجرح ،  
واجعل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك .

وَآكُذُّ مَا أُوصِيكَ بِهِ أَنْ تَطْرَحَ الْأَفْكَارَ ، وَتَسَلِّمَ لِلْأَقْدَارِ .

وَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِمِيشِهِ نَفْعَةً

إِذَا الْأَفْكَارَ تَجَلَّبَبَ الْهَمُومَ ، وَتَضَاعَفَ الْغَمُومَ ، وَمَلَاذِمَةَ الْقَطُوبِ ، غُنُوانِ  
المصائب والخُطُوبِ ، يَسْتَرِيبُ بِهِ الصَّاحِبِ ، وَيَشْمَتُ الْعَدُوَّ الْمُجَانِبِ ، وَلَا  
تَضَعُ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا نَفْسَكَ ، لِأَنَّكَ تَنْصَرِبُ بِهَا الدَّهْرَ عَلَيْكَ ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَحْزَانِ عَوْنًا عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ فَمَنْ تَلُومُ ؟

مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَةَ الْحَزْنَ ، وَلَا يَرْعَى بِطُولِ عَتَبِكَ الزَّمْنَ ، وَلَقَدْ  
شَاهَدْتُ بِفِرَاطَةِ شَخْصًا قَدْ أَلْفَتَهُ الْهَمُومَ ، وَعَشِيقَتَهُ الْغَمُومَ ، مِنْ صَفَرِهِ إِلَى  
كَبْرِهِ ، لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرِهِ ، حَتَّى لُقِّبَ بِصَدْرِ الْهَمِّ ، وَمَنْ أَحْجَبَ مَا  
رَأَيْتَهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي الشَّدَةِ ، وَلَا يَتَعَلَّلُ بِأَنْ يَكُونَ بِعَدَا فَرْجٍ ، وَيَتَنَكَّدُ فِي  
الرِّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ .

وَيُنْشِدُ : تَوَقَّعْ زَوَالَآ إِذَا قِيلَ تَمَّ ، وَيُنْشِدُ : وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ .

وَلَهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّأْنِ عَجَائِبُ ، وَمِثْلُ هَذَا تُعْمَرُهُ نَحْسُورٌ يَمْرُضِيَا .  
وَمَتَى رَفَعَكَ الزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذُمُّونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ ، وَقَصْدًا  
لِتَصْنِيرِ قَدْرِكَ عِنْدَكَ ، وَتَرْهِيدًا لَكَ فِيهِ ، فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرَهَّدَ فِي عِلْمِكَ ،  
وَتَرَكَّنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي مَدَحُوهُ ، فَتَكُونَ مِثْلَ الْغَرَابِ الَّذِي أَحْجَبَهُ مَشْيُ الْحَبَلَةِ (١)

[١] الحبل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقفا أحمر المقار والرجلين ، والراحدة حبله ، واسم جمه  
حبلى بكسر فسكون ففتح ولا نظير له سوى ظربي ( ومفرده ظربان بفتح فسكون وهو دويبة منقنة الريح )

فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ فَصَعَّبَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشِيهِ فَنَسِيَهُ ، فَبَقِيَ مُخْبِلًا  
المشى ، كما قيل :

إِنَّ الْغَرَابَ ( وَكَانَ يَمْشِي مِشِيَّةً      فيما مضى من سالف الأجيال )<sup>(١)</sup>  
حَسَدًا لِقَطَا ، وَأَرَادَ يَمْشِي مِشِيهَا      فأصابه ضربٌ من العقاب<sup>(٢)</sup>  
فَأُضِلَّ مِشِيَّتَهُ ، وَأَخْطَأَ مِشِيهَا      فلذلك سموه أبا برقال<sup>(٣)</sup>

وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَدُمُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ ، وَيَقُولُ : « مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا  
كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ ، وَلَا مَكَانٌ يُرْتَاخُ فِيهِ » ، فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ،  
أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِمَّنْ صَحِبَهُ الْجِرْمَانُ ، وَاسْتَحَقَّتْ طَلْعَتَهُ لِلْهَوَانِ ، وَأَبْرَمُوا<sup>(٤)</sup>  
عَلَى النَّاسِ بِالسُّؤَالِ فَمَقْتُوهُمْ ، وَعَجَزُوا عَنْ طَلْبِ الْأُمُورِ مِنْ وَجْهِهَا ، فَاسْتَرَاخُوا  
إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ ، وَإِقَامَةِ الْأَعْذَارِ لِأَنْفُسِهِمْ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِمْ ، وَتَعْذِيرِ أُمُورِهِمْ ،  
وَلَا تُزِلُّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

إِنَّ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا      فأخو العزّ يلينُ  
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ      فكما كنتَ تكورُ

وقول الآخر :

تِهَ وَارْتَفِعْ إِنْ قِيلَ أَقْتَرُ ، وَانْخَفِضْ إِنْ قِيلَ أَثْرَى<sup>(٥)</sup>  
كَالْغَصْنِ يَسْفُلُ مَا أَكْتَمَى      تمرّاً ، ويعلو ما تمرّى

[١] هذا البيت ليس مثبتاً في الأصل ، وقد أورده الهميري مع البيتين بعده في حياة الحيوان  
الكبرى ٢ : ٢٤٤ . [٢] المقال : داء في رجل الدابة إذا مشى ظلع ساعة ثم انبسط .  
[٣] من أرفقت الدابة إذا أسرع . [٤] أورد الفعل لازماً وهو متعد ، جاء في كتب اللغة :  
« أبرمه فبرم كفرح وتبرّم : أوله فلّ » . [٥] أقتّر : افتقر .

لا قول الآخر :

والشرُّ أَخْبَثُ ما أوعيتَ مِنْ زاد الخيرَ يَبْتَقِي وإن طال الزمانُ به  
واعتقد في الناس ما قاله القائل :

ومن يَلْتَقِ خيراً يَحْمَدِ الناسُ أمره وقريبٌ منه قول القائل :

فإياك والرُّتَبَ العالِيَةَ بقدر الصُّعُودِ يكون الهبوطُ  
تقومُ ورجلاك في عافية وكن في مكانٍ إذا ما سَقَطَتْ

وَتَحَفَّظُ بما تضمَّنه قول الآخر :

ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه

ولله درَّ القائل :

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافيًا فإذا قنيتَ فكلُّ شيءٍ كافي

والأمثال يَضْرِبُها لذي اللبِّ الحكيم ، وذو البَصَرِ يمشي على الصراط المستقيم ،  
والفطن يقنع بالقليل ، ويستدلُّ باليسير ، والله سبحانه خليفتي عليك ،

لَا رَبَّ سِوَاهُ . ( فتح الطيب ١ : ٤٩٣ )

٢٠ - خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف ( توفي سنة ٧٢٨ هـ )

وخطب أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات <sup>(١)</sup> خطبة ألغيت الألف من

حروفها على كثرة ترددها في الكلام ، وهي :

[١] هو أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الخطيب المتصوف ، من أهل بلش مائة ولد سنة ٦٤٩ هـ ،  
وتوفى سنة ٧٢٨ هـ . قال فيه لسان الدين بن الخطيب : « كان يفتح مجالسه أكثر الأحيان بخطب غريبة ،  
يطبق بها مفاسل الأغراض التي يشرع فيها ، وينظم الشعر دائماً في مراجعته ومخاطبته وإجازته من غير  
تأن ولا روية ، حتى اعتاده ملكة ، واستعمل في السفارات بين الملوك لسحق السخام ، وإصلاح الأمور ،  
فكانوا يوجبون حقه ، ويكثرون بركته ودعاه » وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن الخطيب .

« حِدَّتْ رَبِّي جَلًّا مِنْ كَرِيمٍ مَحْمُودٍ ، وَشَكَرْتُهُ عَزًّا مِنْ عَظِيمٍ مَعْبُودٍ ،  
 وَنَزَّهْتُهُ عَنْ جَهْلٍ كُلِّ مُلْحِدٍ كَفُورٍ ، وَقَدَّسْتُهُ عَنْ قَوْلِ كُلِّ مُفْسِدٍ غَرُورٍ .  
 كَبِيرٌ لَوْ تَقَوَّمَ فِي فَهْمٍ لِحُدِّ<sup>(١)</sup> ، قَدِيرٌ لَوْ تَصَوَّرَ فِي رَسْمٍ لِحُدِّ<sup>(٢)</sup> ، لَوْ عَرَّتَهُ<sup>(٣)</sup>  
 فِكْرَةٌ تَصَوَّرَ لِتَصَوَّرٍ ، وَلَوْ حَدَّتْهُ فِكْرَةٌ لِتَقَدَّرَ<sup>(٤)</sup> ، وَلَوْ فَهَمَّتْ لَهُ كَيْفِيَّةٌ لِبَطَلِ  
 قِدْمِهِ ، وَلَوْ عَلِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةٌ لِحَصَلِ عَدَمِهِ ، وَلَوْ حُصِرَ فِي ظَرْفٍ لِقُطْعِ بَتَجَسُّمِهِ ،  
 وَلَوْ قَهَرَ وَصَفَ لَصُدِّعٍ<sup>(٥)</sup> بِتَقْسُّمِهِ ، وَلَوْ فُرِضَ لَهُ شَبَحٌ لَرَهْقِهِ<sup>(٦)</sup> كَيْفٌ .  
 عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكِيْبٍ قُطِرَ ، عَلِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيْبٍ فِكْرٍ ، مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ  
 يُنْسِكُهُ ، مَعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وَهْمٍ يُدْرِكُهُ ، كَرِيمٌ مِنْ غَيْرِ عَوْضٍ يُلْحَقُهُ ، حَكِيمٌ مِنْ  
 غَيْرِ عَرَضٍ يُلْحَقُهُ<sup>(٧)</sup> ، قَوِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَجْمَعُهُ ، عَلِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَرْفَعُهُ ،  
 لَوْ وُجِدَ لَهُ جِنْسٌ لَعُورِضٌ فِي قِيَوْمِيَّتِهِ<sup>(٨)</sup> ، وَلَوْ ثَبَّتَ لَهُ حِسٌّ لِنُوزَعٍ فِي  
 دَيْمُومِيَّتِهِ<sup>(٩)</sup> .

ومنها : تقدّس وعزّ فعله ، وتنزّه عزّ اسمه وفضله ، جلّ قاهرٌ قدرته ، وعزّ  
 باهرٌ عزّته ، وعظمت صِفته ، وكثرت مننّه ، فتقّ ورتق ، وصوّر وخلق ،  
 وقطع ووصل ، وانصر وخذل ، حمدته حمد من عرف ربه ، ورهب ذنبه ،  
 وصفت حقيقة يقينه قلبه ، وزكّت<sup>(١٠)</sup> بصيرة دينه لبّه ، ربّط سلك سلوكة

[١] أى لعرف ، من الحد : وهو التعريف . [٢] من التحديد ، أى لصارت له ذات محدودة ،  
 ولو أنه قال : « قديم » بدل « قدير » لناسب أن يقول بعده : « لجدّ » بالجيم المفتوحة أى لصار  
 جديداً حادثاً . [٣] عرته : أى اعترته وتناوته ، وفى الأصل « عدته » بالدال وأراه محرّفاً ،  
 وتصوّر أى تمثّل فى صورة ، يقال : صورته فتصوّر . [٤] لتقدّر : أى صار له قدر مجسم ، وفى  
 الأصل « لتعدّر » وأراه محرّفاً . [٥] صدع به : جهر . [٦] رهقه : غشيه ولحقه .

[٧] يلحقه الأول : أى يناله وبأخذه ، ويلحقه الثانى بمعنى يتصف به .

[٨] القيوم : من أسمائه تعالى ، أى الذى لا يند له . [٩] الديمومة : الدوام .

[١٠] زكّت : طهرت .

وَشَدَّ<sup>(١)</sup>، وَهَدَمَ صَرَحَ عُنُوهُ وَهَدَّ، وَحَرَسَ مَعَقِلَ عَقْلَهُ وَحَدَّ، وَطَرَدَ غُرُورَ غِرَّتِهِ<sup>(٢)</sup> وَرَذَلَهُ،<sup>(٣)</sup> عِلِمَ عِلْمٍ تَحْقِيقٍ فَنَحَا نَحْوَهُ، ثَقِرَّ لَهُ عِزٌّ وَجَلَّ بَثْبُوتُ رِبُوِيَّتِهِ وَقَدَمَهُ، وَنَعْتَقَدُ صُدُورَ كُلِّ جَوْهَرٍ وَعَرَضِيٍّ عَنِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَنَشْهَدُ بِتَبْلِيغِ مُحَمَّدٍ صَلَّى رَبُّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، رَسُولَهُ وَخَيْرِ خَلْقِهِ، وَنُعَلِّنُ بِنَهْوضِهِ فِي تَبْيِينِ فَرَضِهِ، وَتَبْلِيغِ شَرْعِهِ، ضَرْبَ قُبَّةِ شَرْعِهِ فَنَسَخَتْ كُلَّ شَرْعٍ، وَجَدَّدَتْ عِزِّمَتَهُ فَقَمَعَ عَدُوَّهُ خَيْرَ قَمَعٍ، قَوْمَ كُلِّ مَقَوْمٍ بِقَوِيْمِ سُنَّتِهِ، وَكَرِيْمِ هَدْيِهِ، وَبَيْنَ لِقَوْمِهِ كَيْفَ يَرَكُنُونَ<sup>(٤)</sup>، فَفَازُوا بِقَصْدِهِ وَسَدِيدِ سَعْيِهِ، بِشَرِّ مُطِيعَةٍ فَظْفَرِ بَرَحْمَتِهِ، وَحَذَرِ حَاصِيَةِ فَشَقِيٍّ بِنِقْمَتِهِ .

وبعد : فقد نصحتكم لو كنتم تعقلون ، وهديتكم لو كنتم تعلمون ، بُصِّرْتُمْ لو كنتم تُبْصِرُونَ ، وَذُكِّرْتُمْ لو كنتم تَذْكُرُونَ ، ظَهَرَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ نَشْرِكِكُمْ ، وَبَرَزَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ حَشْرِكِكُمْ ، فَكَمْ تَرَكَضُونَ فِي طَلْقِ<sup>(٥)</sup> غَفْلَتِكُمْ ، وَتَنْقُلُونَ عَنِ يَوْمِ بَعْثِكُمْ ، وَالْمَوْتِ عَلَيْكُمْ سَيْفٌ مُسَلُولٌ ، وَحُكْمٌ عِزْمٌ غَيْرٌ مَعْلُولٌ ، فَكَيْفَ بِكُمْ يَوْمَ يُؤْخَذُ كُلُّ بَدَنِيَّةٍ ، وَيُنْخَبَرُ بِجَمِيعِ كَسْبِهِ ، وَيَفْرَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَحْبِهِ ، وَيَعْدَمُ نُصْرَةَ حِزْبِهِ ، وَيَشْتَغِلُ بِهِمَّةً وَكَرْبَةً ، عَنِ صَدِيقِهِ وَتَرِيْبِهِ ، وَتُنْشَرُ لَهُ رُقْعَةٌ ، وَتَمَيِّنُ لَهُ بُقْعَةٌ ؟ فَرَبِحَ عَبْدٌ نَظَرَ وَهُوَ فِي مَهَلٍ لِنَفْسِهِ ، وَتَرَسَّلَ فِي رَضِيٍّ عَمَلٍ جَنَّةٍ لِحُلُولِ رَمْسِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَكَتَرَصَنَمَ شَهْوَتِهِ ، لِيَقْرَأَ فِي بُحْبُوحَةٍ<sup>(٧)</sup> قُدْسِهِ .

[١] في الأصل « وشيد » وأراه عرقا عن « شد » إذ هي التي تلام قولها « وربط » .

[٢] الغرة : العلة . [٣] رذله وأرذله : عداه رذلا .

[٤] ركن إلى الشيء ركونا : مال إليه واطمأن ، أي بين لهم كيف يركنون إلى الحق والصواب ،

وقد كانوا من قبله يعمهون في ضلالتهم ويخبطون .

[٥] يقال : جرى الفرس طلقاً أو طلقين : أي شوطاً أو شوطين . [٦] الرمس : القبر .

[٧] بحبوحة المكان : وسطه .



ومنها : فَتَنَّبَهُ - وَيَحْكُ - من سِنَتِكَ ونومك ، وتفكر فيمن هَلَكَ من مُحِبَّتِكَ وقومك ، هَتَفَ بهم مَنْ تَعَلَّمَ ، وَشَبَّ عليهم منه حَرَقٌ <sup>(١)</sup> مُظْلِمٌ ، نَخَرِبَتْ بِصِيحَتِهِ ربوعَهُمْ ، وتفرقت لهولهُ جُوعُهُمْ ، وذلك عزيزهم ، وَخَسِيٌّ رَفِيعُهُمْ ، وَصَمٌّ سَمِيعُهُمْ ، نَخَرَجَ كل منهم عن قصره ، وَرُمِيَ غيرَ مُوسِدٍ في قبره ، فَهُمُ بين سعيد في رَوْضَةٍ مُقَرَّبٍ ، وبين شَقِيٍّ في حُفْرَةٍ مَعْدَبٍ ، فنستوهبُ منه عزَّ وجلَّ عِصْمَةً من كلِّ خَطِيئَةٍ ، وَخُصُوصِيَّةً تَبْقَى من كلِّ نفسٍ جَرِيئَةٍ .

( الإحاطة ، في أخبار غرناطة ١ : ١٥٤ )

## ٢١ - خطبة القاضي عياض التي ضمنها سور القرآن

وخطب القاضي أبو الفضل عياض <sup>(٢)</sup> خطبة ضمنها سور القرآن ، فقال :

« الحمد لله الذي افْتَتَحَ بالحمد كلامه ، وَبَيَّنَّ في سورة البقرة أحكامه ، وَمَدَّ في آلِ عِمْرَانَ والنساءِ مائدةَ الأَنْعَامِ لِيُتِمَّ إِنْعَامَهُ ، وجعل في الأعرافِ أنفَالَ تَوْبَةِ يُونُسَ وألرِ كِتَابِ أُحْكِمَتِ آيَاتُهُ ، بمجاورة يوسف الصِّدِّيقِ في دار الكرامة ، وَسَبَّحَ الرعدُ بحمده ، وجعل النارَ بَرْدًا وسلامًا على إبراهيم ، لِيُؤْمِنَ أَهْلُ الْحِجْرِ <sup>(٣)</sup> أَنَّهُ إِذَا أَتَى أَمْرُ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ فَلَا كَهْفَ وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُظَاهَمُونَ قَوْلَامَهُ ، وجعل في حروف كَهْيَعَصَ سِرًّا مَكْنُونًا ، قَدَّمَ بسببه طه صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء ، لِيُظْهَرَ إِجْلَالَهُ وَإِعْظَامَهُ ، وَأَوْضَحَ الْأَمْرَ حَتَّى حَبَّجَ الْمُؤْمِنُونَ

[١] الحرق : الذار ولهبها .

[٢] هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ولد سنة ٤٧٦ هـ ، بسبته - بلد براكش على الساحل الشمالي - ودخل الأندلس طالباً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيراً ، وكان له به كبير عناية ، وكان إمام وقته فيه ، وفي الجوز واللغة ، واستقضى ببلده سبته ، ثم نقل منها إلى قضاء غرناطة ، وتوفي براكش سنة ٥٤٤ هـ ، قال المقرئ بعد أن أورد هذه الخطبة : « وفي نفسى من نسبتها له شيء ، لأن نفس القاضي في البلاغة أعلى من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم » .

[٣] واد بين المدينة والشام ، وهو منازل عمود .

بَنُورِ الْفُرْقَانِ ، والشعراء صاروا كالتلذذ ذلاً وَصَغَاراً لِعِظْمَتِهِ ، وظهرت قَصَصُ الْعَنْكَبُوتِ فَأَمَّنَ بِهِ الرُّومُ ، وأيقنوا أنه كلام الحى القيوم ، نزل به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى زَيْنِ مَنْ وَافَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وأوضح لقمان الحكمة بالأمر بالسجود لربِّ الْأَحْزَابِ ، فَسَبَّأَ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ أَهْلَ الطَّاغُوتِ ، وَأَكْسَبَهُمْ ذُلًا وَخِزْيًا وَحَسْرَةً وَنَدَامَةً ، وَأَمَدَّ يُسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَأْيِيدِ الصَّافَّاتِ (١) ، فَصَادَ الزُّمَرُ يَوْمَ بَدْرِهِ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ مَا أَوْقَعَ صِنَادِيدَهُمْ فِي الْقَلْبِيبِ (٢) مَكْدُوسٌ وَمَكْبُوبٌ ، حِينَ سَأَلَتْ بِهِمُ النَّمَامَةُ (٣) ، وَغَفَرَ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ لِلْبَدْرِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ حِينَ فَصَّلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، فَذَلَّ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ وَأَيْسَرَ مِنَ السَّلَامَةِ ، ذَلِكَ بِأَنَّ أَمْرَهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ، وَشَغَلَهُمْ زُخْرُفُ الْآخِرَةِ عَنْ ذُخَانِ الدُّنْيَا ، فَجَثُّوا أَمَامَ الْأَخْقَافِ (٤) لِقِتَالِ أَعْدَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، فَأَعْطَوْا الْفَتْحَ وَبُوتُوا حُجْرَاتِ الْجِنَانِ ، وَحِينَ تَلَّوْا : قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَتَدَبَّرُوا جَوَابَ قَسَمِ النَّارِيَّاتِ (٥) وَالطُّورِ ، لَاحَ لَهُمْ نَجْمُ الْحَقِيقَةِ ، وَانْشَقَّ لَهُمْ قَمَرُ الْيَقِينِ ، فَنَافَرُوا السَّامَةَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَمَّنَهُمُ الرَّحْمَنُ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَاعْتَرَفَ بِالضَّعْفِ لَهُمُ الْحَدِيدُ ، وَهَزَمَ الْمَجَادِلُونَ ، وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، يُخْرِبُونَ يُبْتِغُونَ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ نَافَرُوا السَّلَامَةَ .

أَحْمَدُهُ حَمْدًا مِنْ أَمْتَحَنَتِهِ صَفُوفُ الْجَمُوعِ فِي نَفَقِ التَّغَابُنِ ، فَطَلَّقَ الْحُرْمَاتِ حِينَ اعْتَبَرَ الْمَلِكُ وَعَامَهُ ، وَقَدْ سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ وَكَأَنَّهُ بِالْحَاقَّةِ (٦) وَالْمَعَارِجِ يَمِينَهُ

[١] الملائكة تصف نفوسها للعبادة . [٢] القلب : البئر .

[٣] سألت لغاتهم : خفت منازلهم منهم ، أو تفرقت كلمتهم ، أو ذهب مزيم .

[٤] واد باليمن به منازل عاد . [٥] الناريات : الرياح تندرو التراب وغيره .

وَسَمَّاهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، وَقَدْ نَاحَ نُوْحُ الْجِنِّ فَتَزَمَّلَ <sup>(١)</sup> وَتَدَثَّرَ فَرَقًا مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنْسَ بِمُرْسَلَاتِ النَّبَأِ ، فَزَرَ الْعُبُوسَ مِنْ تَحْتِ كُورِ الْعِمَامَةِ ، وَظَهَرَ لَهُ بِالْإِنْقِطَارِ التَّطْفِيفُ ، فَانْشَقَّتْ بُرُوجُ الطَّارِقِ بِتَسْبِيحِ الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَغَشِيَتْهُ الشَّهَامَةُ ، فَوَرَبَّ الْفَجْرِ وَالْبَلَدِ وَالشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالضُّحَى ، لَقَدْ انْشَرَحَتْ صُدُورُ الْمُتَّقِينَ ، حِينَ تَلَوْا سُورَةَ التِّينِ ، وَعَلِقَ الْإِيْمَانُ بِقُلُوبِهِمْ ، فَكَلَّ عَلَى قَدْرِ مَقَامِهِ يُبِينُ ، وَلَمْ يَكُونُوا بِعَنْفَكَيْنِ دَهْرَهُمْ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَصِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، إِذَا ذَكَرُوا الزَّائِلَةَ رَكَبُوا الْعَادِيَاتِ <sup>(٢)</sup> لِيَطْفُقُوا نُورَ الْقَارِعَةِ ، وَلَمْ يُلْهِمِهِمُ التَّكَاثُرَ حِينَ تَلَوْا سُورَةَ الْعَصْرِ وَالْهُمَزَةَ ، وَتَمَثَّلُوا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ، أَرَأَيْتَهُمْ كَيْفَ جَعَلُوا عَلَى رءِ وَسْهُمْ مِنَ الْكُورِ عِمَامَةً ؟ فَالْكُوْثِرُ <sup>(٣)</sup> مَكْتُوبٌ لَهُمْ ، وَالْكَافِرُونَ خُذِلُوا ، وَهُمْ نُصِرُوا ، وَعَدِلَ بِهِمْ عَنْ لَهَبِ الطَّامَةِ ، وَبِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ قَرُّوا وَسَعِدُوا ، وَبِرَبِّ الْفَلَقِ <sup>(٤)</sup> وَالنَّاسِ ، اسْتَعَاذُوا فَأُعِيدُوا مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وَهَمٍّ وَغَمٍّ وَنَدَامَةٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، شَهَادَةٌ تُنَالُ بِهَا مَنَازِلُ الْكِرَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا غَرَّدَتْ فِي الْأَيْكِ حَمَامَةٌ . ( نَفْحِ الطَّيْبِ ٤ : ٣٩١ )

## ٢٢ - خطبة سعيد بن أحمد المقرئ التي ضمنها سور القرآن

وخطب سعيد بن أحمد المقرئ <sup>(٥)</sup> خطبة على هذا النمط نصها :

« الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة، ليصطفى من آل عمران

[١] تزل بئيا به : تلف بها ، وكذا تدثر .

[٢] الخيل تعدو في الغزو ، والقارعة التي تفرع القلوب بأهوالها .

[٣] الكوثر : نهر في الجنة . [٤] الفلق : الصبح .

[٥] هو سعيد بن أحمد المقرئ عم أحمد المقرئ صاحب نفع الطيب .

رجالاً ونساءً، وفضلهم تفضيلاً، ومدة ماأئدة لإنعامه ورزقه، يعرِف أعراف أنفالِ  
كرمه وحقه على أهل التوبة، وجعل ليونسَ في بطن الحوت سبيلاً، ونجى هوداً  
من كربه وحزنه، كما خلص يوسف من جُبّه وسجنه، وسبّح الرعدُ بحمده  
وئمنه، واتخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً، الذي جعل في حجرِ الحجرِ من النحل شراباً  
نوع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بخفي لطفه سبحانه، واتخذ منه كهفًا قد  
شيد بنيانه، وأرسل رُوحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلاً، وفضل طه على جميع  
الأنبياء، فأتى بالحج والكتاب المكنون، حيث دما إلى الإسلام قد أفلح  
المؤمنون، إذ جعل نور الفرقان دليلاً، وصدق محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي  
عجزت الشعراء في صدق نعته، وشهدت النملُ بصدق بعثه، ويين قصص  
الأنبياء في مدة مكثه، ونسج العنكبوت عليه في الغار سترًا مسدولاً،  
وملئت قلوب الروم رُعباً من هيئته، وتعلم لقمان الحكمة من حكته، وهدى  
أهل السجدة للإيمان بدعوته، وهزَم الأحزاب وسبام وأخذهم أخذاً ويلاً،  
فلقَّبهُ فاطِرُ السموات والأرض يساً، كما نفذ حكمة في الصافات، ويين صن  
صِدقه بإظهار المعجزات، وفرَّق زمرَ المشركين، وصبر على أقوالهم وهجرهم  
هَجراً جيلاً، فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفصلت رقابُ  
المشركين إذ لم يكن أمرهم شورى بينهم، وزخرف منار الإسلام، وخفي دخان  
الشرك، وخرت المشركون جاثيةً، كما أنذر أهل الأحقاف فلا يهتدون سبيلاً،  
وأذل الذين كفروا بشدة القتال، وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز، وحجر  
الحجرات الحريز، وبق القدرة قتل الحراصون<sup>(١)</sup> تقتيلاً، كلم موسى على جبل

الطُّور ، فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم ، فاقتربت بطاعته مبادئ السرور ، وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور ، فتعجب الحديد من قوته ، وكثرة المجادلة في أمته ، إلى أن أُعيد في الحشر بأحسن مَقِيلاً ، امتحنه في صفِّ الأنبياء وصلى بهم إماماً ، وفي تلك الجمعة مُائتِ قلوبُ المنافقين من التغابن خُسراً وإرغاماً ، فطلق وحرّم ، تبارك الذي أعطاه الملك ، وعلم بالقلم ، ورتل القرآن ترتيلاً ، وعن علم الحاقّة كم سأل سائل فسأل الإيمان ، ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان ، وأتت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن ، فأُنزل عليه : « يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا » ، فكم من مُدَثِّرِ يوم القيامة شفقةً على الإنسان إذا أرسل مُرْسَلَاتِ الدمع ، فعمّ يتساءلون أهل الكتاب ، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عبس عليهم مالك وتولّاهم بالعذاب ، وَكُوِّرَتِ الشَّمْسُ وانفطرت السماء ، وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ، فَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ إِذَا انشقت السماء بالغمام ، وَطُوِيَتْ ذَاتُ الْبُرُوجِ ، وَطَرَقَ طَارِقُ الصُّورِ بالنفخ للقيام ، وعزّ اسم ربك الأعلى لغاشية الفجر ، فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويلاً ، فَطُوبَىٰ لِلْمُصَلِّينَ الضحى عند انشراح صدورهم ، إِذَا عَايَنُوا التِّينَ وَالزَّيْتُونَ وأشجار الجنة ، فسجدوا بِأَقْرَأِ اسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا النَّعِيمَ الأكبر لأهل هذه الدار ما أحيوا ليلة القدر ، وتبتلوا تبتيلاً ، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا حميم ، وتسوقهم كالعاديات إلى سواء<sup>(١)</sup> الجحيم ، وزلزلت بهم قارعة العقاب ، وقيل لهم : أَلْهَاكُمُْ التَّكَاثُرُ ، هذا عصر العقاب الأيم ، وَخُشِرَ الهُمَزَةُ وأصحاب الفيل إلى النار فلا يظلمون فتِيلاً ، وقالت قریش ما أمنت من

هول الحشر، رأيت الذي يكذبُ بالدين كيف طُرد عن الكوثر؟ وسيبق الكافرون إلى النار، وجاء نصر الله والفتح، فثبتت يدا أبي لهب: إذ لا يجد إلى سورة الإخلاص سبيلا، فنعوذ برب الفلق من شر ما خلق، ونعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي فسق، وتوب إليه وتوكل عليه وكفى بالله وكيلا». (فتح الطيب ٤ : ٣٩٢)

### ٢٣ - خطبة الكفعمي التي ضمنها سور القرآن أيضا

وخطب الكفعمي <sup>(١)</sup> خطبة على هذا النمط أيضا نصها :

« الحمد لله الذي شرف النبي العربي بالسبع المثاني وخواتيم البقرة، من بين الأنام، وفضل آل عمران على الرجال والنساء، بما وهب لهم من مائدة الأنعام، ومنحهم بأعراف الأتقال، وكتب لهم براءة من الآنام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي نبجى يونس وهوذا ويوسف من قومهم، برعد الانتقام، وغذى إبراهيم في الحجر بلعاب النحل ذات الإسرار، فضاهى كهف مريم عليها السلام، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هو طه الأنبياء، وحجج المؤمنين، ونور فرقان الملك العلام، فاشعراء والنمل بفضلته ثمخبر، ولقصص العنكبوت الروم تذكرا، ولقمان في سجدته يشكرا، والأحزاب كأياذي سببا ثقورا، وفاطريس لصافاته ينصرا، وصاد مقله زمره تنظر الأعلام، قال خم بقتال فتحه في حجرات قافه قد ظهرت، وذاريات طوره ونجمه وقره قد عطرت، وبالرحمن واقعة حديده يوم المجادلة قد نصرت، وأبصار معانديه في الحشر يوم

[١] قال صاحب فتح الطيب في ترجمته: « هو إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد بن صالح نسبة إلى كفر عتمة قرية من قرى أعمال نجد كما تقول في النسبة لك بن هب الدار عبدي، ولك حسن كيفا: حصكي».

الامتحان حَسَرَتْ (١) ، وَصَفَّ جمعته فأثر إذ أجساد المنافقين بالتغابن استعرت ،  
وله الطلاق والتحرير وَمَقَامَ الْمَلِكِ والقلم ، فزاهيك به من مقام ، وفي الحاقة ،  
أَعْلَى اللهُ لَهُ المعارج نوح المطهر ، وخصه من بين الإنس والجن بِبِأَيُّهَا الْمُرْمَلُ ،  
وَبِأَيُّهَا الْمُدْتَرُّ ، وَشَفَعَهُ فِي الْقِيَامَةِ إذا دموع الإنسان مُرْسَلَات كالماء المتفجر ،  
ووجهه عند نبيّ النازعات وقد عبس الوجه كأللال المتنور ، ويوم التكوير  
والانفطار وهلاك المطففين وانشقاق ذات البروج بشفاعته غير متضجر ، وقد  
حُرِسَتْ لمولده السماء بالطارق الأعلى ، وتمت غاشية العذاب إلى الفجر على المرّدة  
اللثام ، فهو البلد الأمين وشمس الليل والضحي المخصوص بانسراح الصدر ،  
والمفضلّ بالتين والزيتون ، المستخرج من أمشاج (٢) العَلَقِ ، الطاهر العليّ القدر ،  
شجاع البرية يوم الزلزال ، إذ عاديات القارعة تدوس أهل التكاثر ومشركي العصر ،  
أهلك الله به الهُمَزَةَ وأصحاب الفيل إذ مَكَرُوا وبقريش ولم يتواصوا بالحقّ ولم  
يتواصوا بالصبر ، المخصوص بالدين الحنيفي والكوثر السلسال ، والمؤيد على أهل  
الجحد بالنصر ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تبنت يداً مُمَادِيَهُ ، وَنَعِمَ بالتوحيد  
مُوَالِيَهُ ، وما أفصح فلقُ الصبح بين الناس وامتد الظلام .

( نفع الطيب ٤ : ٣٩٥ )



[١] حسر البصر كضرب : كلّ فهو حسير . [٢] مشح بينهما كضرب : خلط ، والنبيء مشيح ،  
والجمع أمشاج كيتيم وأيتام .

## الباب الثاني

في

### خطب ووصايا مجهول عصرها أوقائلها

١ - خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة

لما ولي أبو بكر بن عبد الله المدينة<sup>(١)</sup> وطال مكثه عليها ، كان يبلغه عن قوم من أهلها أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعاف من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم جمعة أن يقربوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال :

« أيها الناس : إني قائل قولاً ، فمن وعاه وأداه فعلى الله جزاؤه ، ومن لم

---

[١] لا أعرف صاحب هذا الاسم والياً على المدينة، وإنما الذي قرأته في تاريخ الطبري أن أبا بكر بن عبد الله بن عمرو بن حزم الأنصاري ولي المدينة من سنة ٩٦ إلى سنة ١٠٠ في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز « انظر تاريخ الطبري ، الجزء الثامن ، حوادث السنين من ٩٦ إلى ١٠٠ » وذكر أيضاً القلقشندي في صبح الأعشى « ج ٤ : ص ٢٩٦ » أن أبا بكر بن عبد الله ولي المدينة أيام سليمان بن عبد الملك ، والطاهر أنه صاحب هذه الخطبة ، وإني لأستأس في ذلك بقوله : « وطال مكثه عليها » فقد تولاهما خمس سنين ، وبالفرض الذي قيلت فيه الخطبة ، وأنت تذكر ما كان في العهد الأموي من اتساع دائرة الاختلاف الحزبي ، والنضال السياسي البعيد المدى ، وربما كان « عبد الله » اسماً آخر لأبيه عبد ، تسمى به تواضعاً ، وكان ذلك من عادة العرب الصالح رضوان الله عليهم كثيراً ، انظر مثلا كتاب عمر في صلح أهل إيليا « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان » . ( الطبري ٤ : ١٥٩ ) .



يَعَهُ فَلَا يَمَعُدُّ مِنْ ذِمَامِهَا <sup>(١)</sup> إِنْ قَصَّرْتُمْ عَنْ تَفْصِيلِهِ ، فَلَنْ تَعْجِزُوا عَنْ تَحْصِيلِهِ ، فَأَرْغَوْهُ أَبْصَارَكُمْ ، وَأَوْعَوْهُ أَسْمَاعَكُمْ ، وَأَشْمِرُوهُ <sup>(٢)</sup> قُلُوبَكُمْ ، فَاَلْمَوْعِظَةُ حَيَاةٌ ، وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ « وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ <sup>(٣)</sup> السَّبِيلِ » ، « وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ » فَاتُوا الْهَدَى تَهْتَدُوا ، وَاجْتَنِبُوا النَّعَى تَرْشُدُوا ، « وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » ، وَاللَّهُ جَلٌّ ثَنَاوَهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، أَمْرُكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ، وَرَضِيهَا لَكُمْ ، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْفُرْقَةِ ، وَسَخَطَهَا مِنْكُمْ ، فِ « أَلْتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ <sup>(٤)</sup> وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا <sup>(٥)</sup> حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » ، جَعَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِنْ تَبِيعِ رِضْوَانِهِ ، وَتَجَنَّبِ سُخْطَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ .

وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْدِينِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ ، وَوَزَّرَهُ دُونَ الْخَلْقِ ، اخْتَصَمَهُمْ بِهِ ، وَاتَّخَبَهُمْ لَهُ ، فَصَدَّقُوهُ وَنَصَرُوهُ ، وَعَزَّرُوهُ <sup>(٦)</sup> وَوَقَّرُوهُ ، فَلَمْ يُقَدِّمُوا إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَمْ يُحْجِبُوا إِلَّا عَنِ رَأْيِهِ ، وَكَانُوا أَعْوَانَهُ بِمَعْدِهِ ، وَخُلَفَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَصَفَهُمْ فَأَحْسَنَ صِفَتَهُمْ ، وَذَكَرَهُمْ فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا ، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

[١] أى فلا يخرج عن حرمتها ، وتأنيث الضمير في « ذمامها » باعتبار الموعظة أو المقالة .

[٢] أى الرقوه به . [٣] القصد : استقامة الطريق ، أى بيان الطريق المستقيم الموصل إلى الحق .

[٤] النفاة : التقوى ، وجمعها تقى كرطبة ورتب ، وأصلها وقية قلبت واوها المضومة تاء ، كما في تودة

وتخمة ، والياء ألفاً . [٥] الشفا : حرف كل شيء .

[٦] التمزير : التخمير والتعظيم « وهو أيضاً أشد الضرب . ضد » .

وَرِضْوَانًا ، سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ،  
 وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ <sup>(١)</sup> ، كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى  
 عَلَى سُوقِهِ ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ، لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ، ، فن غاظة كفر  
 وخاب ، وجر وخسر ، وقال الله عز وجل : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ  
 أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، وَيَنْصُرُونَ  
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤَثِّرُونَ  
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ <sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ  
 سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ  
 رَحِيمٌ » فن خالف شريطة الله عليه لهم ، وأمره إياه فيهم ، فلا حق له في التيه  
 ولا سهم له في الاسلام ، في آي كثيرة من القرآن .

فَرَقَتْ مَارِقَةً مِنَ الدِّينِ ، وفارقوا المسادين ، وجعلوهم عِضِينَ <sup>(٣)</sup> ، وتشعبوا  
 أحزابا ، أشابات وأوشابا <sup>(٤)</sup> ، نخالفوا كتاب الله فيهم ، وثناءه عليهم ، وأذوا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، نخابوا وخسروا الدنيا والآخرة « ذَلِكَ هُوَ  
 الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » . « أَفَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ

[١] أي ذلك مثلهم في الكتاب ، والشطء : فراخ الزرع ، فأزره أي فقواه ، فاستوى على سوقه :  
 أي قام على أصوله وسيقانه . [٢] يؤثرون : يفضلون ويقدمون ، والخصاصة : الحاجة والفقير .  
 [٣] جمع عضة كعدة : وهي الفرقة والقطعة . [٤] أشابات جمع أشابة : وهي الأخلاط ، وأشبه  
 كفره : خلطه ، والأوشاب جمع وشب كحمل ، والأويش جمع وبش كسبب : الأخلاط والسفلة .

وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ؟ « مالى أرى عيوننا خُزراً <sup>(١)</sup> ، ورقابنا صُغراً <sup>(٢)</sup> ، وبطوننا يُجراً <sup>(٣)</sup> ، شَجَا لا يُسِيغُه الماء <sup>(٤)</sup> ، وداء لا يُشرب فيه الدواء ، « أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُتْسِرِّفِينَ ؟ « كلا والله ، بل هو الهناء <sup>(٥)</sup> والطلاء ، حتى يظهر العُذر ، وَيَبُوحُ السَّرُّ ، وَيَضْحَعُ الْغَيْبُ ، وَيُسَوِّسُ الْجُنُبُ <sup>(٦)</sup> ، فإنكم لم تُخْلَقُوا عَبَثًا ، ولم تُتْرَكُوا سُدىً ، وَيُحْكَمُ الْإِنْيَ لست أتأويًا <sup>(٧)</sup> أَعْلَمُ ، ولا بدويًا أَفْهَمُ ، قد حَلَبْتُمْ أَشْطُرًا <sup>(٨)</sup> ، وَقَلْبَتُمْ أَبْطُنًا وَأَظْهَرًا ، فَعَرَفْتُمْ أَنْحَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وَعَلِمْتُمْ أَنْ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِالسُّنْتِهِمْ ، وَأَسْرَأُوا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَضَرَبُوا بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَعُضٍ ، وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، وَوَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَعْوَانًا يَا ذُنُونُ <sup>(٩)</sup> لَهُمْ ، وَيُصْنَعُونَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا قَبْلَ وَقُوعِ الْقَوَارِعِ <sup>(١٠)</sup> ، وطُولِ الرِّوَايَةِ ، هَذَا لِهَذَا وَمَعَ هَذَا <sup>(١١)</sup> ، فَلَسْتُ أَعْتَنِي <sup>(١٢)</sup> آئِبًا وَلَا تَائِبًا ، « عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ » ،

[١] جمع خزراء مؤنث أخزر وصف من الحزر بالتحريك ، وهو الطرقي أحد الشقيين .

[٢] الصعر بالتحريك ميل في الوجه ، أو في أحد الشقيين ، أو داء في البعير يلوى عنقه منه ، صعر كفرح فهو أصعر .

[٣] بجر بطنه كفرح أيضاً فهو أبجر : عظم ، والجم بجر كحمر .

[٤] الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه ، لا يسيفه : أى لا يجعله سائماً سهلاً المدخل في الحلق .

[٥] الهناء : الفطران ، يريد أنه يمالجهم كما تظلي الإبل الحربي بالفطران لمداواتها .

[٦] باح السرّ : ظهر ، وباح سره : أظهره ، ووضع يصح وانضح واحد ، ويسوس : أى يروض

ويذل ، مضاعف ساسه يسوسه . يقال : سوست له أمراً إذا روضته وذلته ، والجنب : الصعب الذى لا ينقاد .

[٧] الأتوي : الغريب عن القوم . [٨] اقتبسه من المثل المشهور : « حلب الدهر أشطره » وللأفة شطران ، قادمان وآخران ، فكل خالفين شطر بفتح الشين - والحلب للناقة كالفرع

للبقرة - وأشطره منصوب على البدل ، فكأنه قال : حلب أشطر الدهر ، والمعنى : اختبر الدهر وعرف

خيريه وشره . [٩] أذن له وإليه كفرح : استمع . [١٠] القوارع جمع فارعة : وهى الداهية

الفاجئة ، والروائع جمع رائعة ، وهى المفزعة . [١١] أى هذا الذى أتهددكم به من القوارع والروائع ،

لهذا الذى تخوضون فيه ، ومقرون به . [١٢] اعتنشه : ظاهه .

فَأَسْرُوا خَيْرًا وَأَظْهَرُوا ، وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلَصُوا ، فَطالما مَشَيْتُمْ الْقَهْقَرَى  
 نَا كِصِينَ ، وَلَيَعْلَمَ مَنْ أَدْبَرُوا أَصْرًا أَنَّهُا . وَعِظَةٌ بَيْنَ يَدَيِ تِقْمَةٍ ، وَلَسْتُ أَدْعُوكُمْ  
 إِلَى أَهْوَاءِ تُتَّبَعُ ، وَلَا إِلَى رَأْيٍ يُتَّبَعُ ، إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيِّ ، الَّتِي  
 فِيهَا خَيْرُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، فَمَنْ أَجَابَ فَإِلَى رَشْدِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعِنَ قَصْدِهِ ، فَهَلُمَّ  
 إِلَى الشَّرَائِعِ الْجَدَائِعِ <sup>(١)</sup> ، وَلَا تُوتَلُوا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَسْتَبَدِّلُوا الَّذِي هُوَ  
 أُذُنِي <sup>(٢)</sup> بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ « بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » .

إِيَّاكُمْ وَبُنْيَاتِ <sup>(٣)</sup> الطَّرِيقِ ، فَعِنْدَهَا التَّرْنِيقُ وَالرَّهَقُ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَادَةِ ،  
 فَهِيَ أَسَدٌ <sup>(٥)</sup> وَأُورَدُ ، وَدَعَا الْأَمَانِيَّ فَقَدَّارُذَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ  
 إِلَّا مَسَعَى ، وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ، وَ « لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ » <sup>(٦)</sup>  
 بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى « . رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ،  
 وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

( نهایة الأرب ٧ : ٢٥٦ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٢٠ )

[١] الذى فى كتب اللغة : « جداء كسحاب وقطام : السنة الشديدة تجدد بالمال وتذهب به » وهذه  
 الكلمة هى التى يسوغ أن تجمع على جدائع ، ولكنها لا تناسب المقام هنا ، فلمل الأصل « الجوادع »  
 جمع جادعة : وهى الفاطمة ، يريد المرادع الصحيحة الحقة لأنها تقطع الباطل وترهقه كأنه يقول : انبوا  
 الحطة الحاسمة ، أو الجدائع جمع جدوع كمجوز صيغة مبالغة من جادعة ، وفى التعليق على نهاية الأرب  
 « ولعله الجوامع : أى التى تجمع الناس على اتباعها ، كما يدلّ عليه ما بعده » .

[٢] أى أخسّ وأدون قدرا ، وأصل الدنوّ : القرب فى المكان استعير للخسة كما استعير البعد للشرف  
 والرفعة ، أو هو مسهل عن أدنا من الدناءة ، وقد قرئ فى الآية الكريمة : « أَنْتَبَدِلُونَ الَّذِي  
 هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » . [٣] بنيات الطريق : الترهات ( جمع ترمة كقبرة وهى الطريق

الصغيرة المنشعبة من الجادة ، أى اسلكوا الطريق العام طريق الجماعة ، ولا تخرجوا فى سواه .  
 [٤] الترنيق : الضعف فى الأمر « وفى البصر والبدن أيضا » ، والرهق : السفه والحق والحفة ،  
 وركوب المرّ والظلم ، وغشيان المحرم . [٥] أفلع ، من السداد . [٦] أسحته : استأصله .

## ٢ - وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده

عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال : رأيت ببيشة<sup>(١)</sup> رجلاً من أزدي السراة أعمى ، يقوده شاب جميل ، وهو يقول له : « يا سمي ، لا يغرّك أن فسح الشباب خطوك ، وخلى سربك ، وأزفة وزدك<sup>(٢)</sup> ، فكأنك بالكبر قد أرب ظوفك ، وأثقل أوتك ، وأوهن طوتك<sup>(٣)</sup> ، وأتمب سوتك ، فهديت بعد الهملجة ، ودججت بعد الدعلجة<sup>(٤)</sup> ، نخذ من أيام الترفيه لأيام الإنزعاج ، ومن ساعات المهلة لساعة الإعجال<sup>(٥)</sup> ، يابن أخي : إن اغترارك بالشباب ، كالتذاذك بسمادير<sup>(٦)</sup> الأحلام ، ثم تنقشع ، فلا تمسك منها إلا بالحسرة عليها ، ثم تعرّى راحلة الصبا ، وتشرب سلوة<sup>(٧)</sup> عن الهوى ، واعلم أن أغنى الناس يوم الفقر من قدّم ذخيرةً ، وأشدّهم اغتباطاً يوم الحسرة من أحسن سريرته » .

( الأمل : ٢ : ٣١٦ )

## ٣ - وصية رجل لآخر وقد أراد سفراً

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يوصي آخر وأراد سفراً ، فقال :

[١] بيشة : واد بطريق اليمامة . [٢] السرب : الطريق والوجه ، ورفهت الإبل كنع : وردت الماء متى شاءت ، وقد أرفهتها ورفهتها بالتشديد . [٣] أرب العقد : شدة ، والأربة بالضم : العقدة ، وظاف البير يظوفه : إذا داني بين قيديه ، والقينان بفتح القاف موضعاً القيد من الوظيف ، والأوق : النقل ، والظوق : الوسع والطاقة . [٤] الهدجان تكفقان وغراب : مشية الشيخ ، هديج كضرب ، والهملجة : سرعة في المشي ، ودج كضرب دجيجاً ، سر صراً صعيماً ، والدعلجة : ضرب من المشي ، والتردد في الذهاب والجيء ، والدحرجة . [٥] رفه عيشه ككرم فهو رفيه ورافه : مستريح متنعم ، وأرفهه الله ورفهه ترفيهاً ، ومن ساطات المهلة أي الدنيا المهلة : أي التي ستهملها وتقادرها ، وربما كانت « المهلة » [٦] السمادير : ما يترامى للإنسان في نومه من الأباطيل ، وما يترامى السكران في سكره . [٧] السلوة : اسم بمعنى السلوان . قال الأصمعي : يقول الرجل لصاحبه : « سقيني سلوة ( بالفتح ) وسلوانا ( بالضم ) » أي طيبت نفسي عك ، وذكروا أيضاً أن السلوة والسلوانة : خرزة شفافة تدفن في الرمل فتسود فيبحث عنها ، ويسقاها الإنسان فتسليه .



ولا آتَى الدعوة لم يُدْعَ إليها، ولا الجالِسُ المجلسَ لا يستحقُّه، ولا الطالبُ الفضلَ من أيدي اللثام، ولا المتعرِّضُ للخير من عند عدوِّه، ولا المتحمِّقُ في الدَّالَّةِ (١) .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٨ )

## ٧ - وصية أخرى

وقال بعض الحكماء :

« إياك والمجلاة ، فإنَّ العرب كانت تَكْنِيها « أمَّ الندامة » لأنَّ صاحبها يقول قبل أن يَعْلَمَ ، وَيُجِيبُ قبل أن يَفْهَمَ ، وَيَعْزِمُ قبل أن يَفْكُرَ ، وَيَقْطَعُ قبل أن يُقَدِّرَ ، وَيَحْمَدُ قبل أن يُجَرِّبَ ، وَيَذُمَّ قبل أن يَخْبُرَ ، ولن يصحب هذه الصِّفَةَ أَحَدٌ إلاَّ صَحِبَ الندامة ، واعتزل السلامة . ( زهر الآداب ٣ : ١٩٧ )

## ٨ - وصية أخرى

وقال ابن دُرَيْدٍ : أوصى بعض الحكماء رجلاً ، فقال :

« آمُرُكَ بمجاهدة هواك ، فإنه يقال : إنَّ الهَوَى مِفْتَاحُ السيئات ، وخصيم الحسنات ، وكلُّ أهوائك لك عدو ، وأهواها (٢) هَوَى يَكْتُمُكَ في نفسه ، وأعداها هوى يمثِّلُ لك الإثمَ في صورة التقوى ، ولن تَفْصِلَ بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يَشُوبُه وهنٌ ، وَصِدْقٍ لا يَطْمَعُ فيه تكذيبٌ ، وَمَضَاءٍ لا يقاربه التثبُّطُ (٣) ، وَصَبْرٍ لا يَغْتَالُه جَزَعٌ ، وَنِيَّةٍ لا يتقسمها التضييعُ »

( زهر الآداب ٣ : ١٢٩ )

[١] الدالة : ما تدلُّ به على حميمك .

[٢] أى وأشدّها . [٣] التوقف والإبطاء .

## ٩ - عظة لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول :

« إني لأعظكم ، وإني لكثير الذنوب مُسْرِفٍ على نفسي ، غيرُ حامد لها ، ولا حاملها على المكروه في طاعة الله عزَّ وجل ، قد بَلَوْتَهَا فلم أجدها شكراً في الرِّخاء ، ولا صَبْرًا على البلاء ، ولو أن المرءَ لآ يَعْظُ أخاه حتى يُحْكِمَ أمرَ نفسه ، لَتُرِكَ الأمرُ بالخير والنهي عن المنكر ، ولكن عادية الإخوان حياة للقلوب ، وجلاء للنفوس ، وتذكيرٌ من النسيان ، واعلموا أن الدنيا سرورها أحزان ، وإقبالها إديار ، وآخر حياتها الموت ، فكم من مستقبلٍ يوماً لا يَسْتَكْمِلُهُ ، ومُتَنظِرٍ غداً لا يَبْلُغُهُ ، ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأملَ وغرُورَه . »  
( الأمل ٢ : ٥٧ )

## ١٠ - نصيحة لبعض الحكماء

وحذر بعض الحكماء صديقاً له صَحْبَهُ رجل فقال :

« اخذر فلاناً ، فإنه كثير المسألة ، حسن البحث ، لطيف الاستدراج ، يحفظ أول كلامك على آخره ، ويعتبر ما أخرت بما قدمت ، فلا تُظهِرَنَّ له المخافة ، فيرى أنك قد تَحَرَّزْتَ ، واعلم أن من يَقْظَةَ الفِطْنَةَ إظهارَ الغفلة مع شدة الحذر ، فبائه مبائة الآمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ، فإن البحث يُظهِرُ الخفيَّ الباطن ، وَيُبْدِي المستكنَّ الكامن . » ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ )

## ١١ - كلمات شتى لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : قال بعض الحكماء :

« من كانت فيه سبعٌ خِصال لم يَعْدَمَ سبباً : من كان جواداً لم يعدم الشرف



ومن كان ذا وفاء لم يعدم المِقة ، ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول ، ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة ، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم الشؤدد ، ومن كان منصفاً لم يعدم العافية ، ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة .  
( الأمل ٢ : ٢٩ )

وقيل لبعض الحكماء : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخلق الأبدان ، ويُجدد الآمال ، ويُقرب الآجال ، قيل له : فما حال أهله ؟ قال : من ظفر به نصيب ، ومن فاته حزن ، قيل : فأى الأصحاب أبر ؟ قال : العمل الصالح ، قيل : فأيهم أضر ؟ قال : النفس والهوى ، قيل : فقيم المخرج ، قال : في قطع الراحة وبذل المجهود .  
( الأمل ٢ : ٥٩ )

وأخبر عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يقول :  
« الحسد ماحق الحسَنات ، والزُّهو جالبُ المَقْتِ الله ومقت الصالحين ،  
والمُعْجِبُ صارِفٌ عن الازدياد من العلم ، داع إلى التخمُّط <sup>(١)</sup> والجهل ، والبخلُ  
أذمُّ الأخلاق ، وأجلبُها لسوء الأُحدوثة » .  
( الأمل ١ : ٢٠٠ )  
وقال : قال بعض العرب :

« أولى الناس بالفضل أعوذهم بفضله ، وأعونُ الأشياء على تذكِية العقل  
التعلم ، وأدلى الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير » .  
( الأمل ١ : ٢١٧ )  
وقال الأصمعي : العرب تقول :

« لا ثناء مع الكبر ، ولا صديقَ لذي الحسد ، ولا شرفَ لسيِّئ الأدب .  
قال : وكان يقال : « شرُّ خِصال الملوك الجُبْن عن الأعداء ، والبسوة على  
الضعفاء ، والبخلُ عند الإِعطاء » .  
( الأمل ١ : ٢٠١ )

[١] تخمط : تكبر وغضب .

وقال أبو علي القالي : وأملى علينا أبو عبد الله قال : من كلام العرب ووصاهاها :  
« جالس أهل العلم ، فإن جهلت علموك ، وإن زللت قوموك ، وإن أخطأت  
لم يفندوك <sup>(١)</sup> ، وإن صحبت زانوك ، وإن غبت تفقدوك ، ولا تجالس أهل  
الجهل ، فإنك إن جهلت عتفوك ، وإن زللت لم يقوموك ، وإن أخطأت لم  
يثبتوك » . ( الأمل : ٢ : ٧٢ )

### ١٢ - رجل من العرب والحجاج

سأل الحجاج رجلا من العرب عن عشيرته قال : أي عشيرتك أفضل ؟  
قال : أتقاهم لله ، بالرغبة في الآخرة ، والزهد في الدنيا ، قال : فأيهم أسود ؟  
قال : أرزئهم حِلماً حين يُستجهل ، وأسخام حين يُسأل ، قال : فأيهم أدهى ؟  
قال : من كتم سرّه ممن أحب ، مخافة أن يُشارّه يوماً ، قال : فأيهم أكيس ؟  
قال : من يُصلح ماله ويقتصد في معيشته ، قال : فأيهم أرفق ، قال : من يعطى  
بشر وجهه أصدقاءه ، ويتلطف في مسأله ، ويتعاهد حقوق إخوانه ، في إجابة  
دعواتهم ، وعبادة مرّضاهم ، والتسليم عليهم ، والمشى مع جنازهم ، والنصح لهم  
بالغيّب ، قال : فأيهم أفطن ؟ قال : من عرّف ما يوافق الرجال من الحديث  
حين يجالسهم ، قال : فأيهم أصلب ؟ قال : من اشتدت عارضته <sup>(٢)</sup> في اليقين ،  
وحزم في التوكل ، ومنع جاره من الظلم . ( مجمع الأمثال : ٢ : ١٧٨ )

### ١٣ - أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز

ووفد وافد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال له : كيف تركت  
الناس ؟ قال :

[١] فنده : ضف رأيه وخطاه . [٢] العارضة . المجلد والصرامة واللسن .

« تركت غنيهم موفوراً ، وفقيرهم محبوراً ، وظالمهم مقهوراً ، ومظلومهم منصوراً » ، فقال : « الحمد لله ، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بعضو من أعضائي ، لكان يسيراً » . ( الأمل ٢ : ٣٩ )

### ١٤ - كاتب وأمير

ودخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نابتة ، فرأى من الأمير بعض الازدراء ، فقال له :

« لا يَضَعْنِي عندك سُخُولُ النَّبُوءَةِ ، وزوالُ الثَّرْوَةِ ، فَإِنَّ السَّيْفَ العَتِيقَ إِذَا مَسَّهُ كَثِيرُ الصَّدْدَاءِ اسْتَغْنَى بِقَلِيلِ الْجِلَاءِ ، حتى يعود حَدُّهُ ، وَيُظْهِرُ فِرْنِدُهُ ، ولم أَصِفْ نَفْسِي مُعْجَبًا ، لكن شَكَرًا ، قال صلى الله عليه وسلم : « أنا أشرف ولد آدم ولا نخر » . فجهَرَ بالشكر ، وترك الاستطالة بالكبر » .

( زهر الآداب ٣ : ٩١ )

### ١٥ - وصف الهلباجة

من أمثال العرب : « أعجز من هلباجة » وهو النُّوم الكسلان العُطْلُ<sup>(١)</sup> الجافي ، وقد سار في وصف الهلباجة فصل لبعض الأعراب المتفصِّحين ، وفصل آخر لبعض الحضريين ، فأما وصف الأعرابي ، فقد سئل ابن أبي كبشة بن الأقبَعَثَرِي عنهُ فقال : « الهلباجة : الضعيف العاجز ، الأخرق الأحمق ، الجِلْفُ<sup>(٢)</sup> الكسلان ، الساقط لا معنى فيه ، ولا غناء<sup>(٣)</sup> عنده ، ولا كفاية معه ، ولا عمل لديه » .

[١] عطل كفرح : عظم بدنه ، ومن المال والأدب : خلا فهو عطل كقفل وعنى .

[٢] الجافي . [٣] لاغناء : لا كفاية

وأما وصف الحضري فإن بعض بُلغاء الأمصار سئل عن الهلباجة فقال :  
 « هو الذي لَا يَرْعَوِي لِمَعْدَلِ العاذل ، ولا يُصْنَعِي إلى وعظ الواعظ ، ينظر  
 بعين حَسُود ، وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ حَقُود ، إِنْ سَأَلَ الحَلْفَ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ سُئِلَ سوْفَ ،  
 وَإِنْ حَدَّثَ حَلْفَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِنْ زَجَرَ عَنَّفَ ، وَإِنْ قَدَّرَ عَسَفَ <sup>(٢)</sup> ،  
 وَإِنْ احْتَمَلَ أَسَفَ <sup>(٣)</sup> ، وَإِنْ اسْتَعْنَى بَطِرَ ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَنِطَ ، وَإِنْ فَرِحَ أَشِرَ <sup>(٤)</sup> ،  
 وَإِنْ حَزَنَ يَثْسَ ، وَإِنْ ضَمِكَ زَارَ ، وَإِنْ بَكَى جَارَ <sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ حَكَمَ جَارَ ، وَإِنْ  
 قَدَّمْتَهُ تَأَخَّرَ ، وَإِنْ أَخَّرْتَهُ تَقَدَّمَ ، وَإِنْ أَعْطَاكَ مَنَّ عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَعْطَيْتَهُ لَمْ  
 يَشْكُرْكَ ، وَإِنْ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ خَانَكَ ، وَإِنْ أَسْرَرَ إِلَيْكَ اتَّهَمَكَ ، وَإِنْ صَارَ فَوْقَكَ  
 قَهَرَكَ ، وَإِنْ صَارَ دُونَكَ حَسَدَكَ ، وَإِنْ وَثِقْتَ بِهِ خَانَكَ ، وَإِنْ انْبَسَطْتَ إِلَيْهِ  
 شَانَكَ ، وَإِنْ أَكْرَمْتَهُ أَهَانَكَ ، وَإِنْ غَابَ عَنْهُ الصَّدِيقَ سَلَّاهُ ، وَإِنْ حَضَرَ  
 قَلَّاهُ <sup>(٦)</sup> ، وَإِنْ فَاتَمَحَهُ لَمْ يُجِبْهِ ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْهُ لَمْ يَبْدَأْهُ ، وَإِنْ بَدَأَ بِالوَدِّ هَجَرَ ،  
 وَإِنْ بَدَأَ بِالْبِرِّ جَفَا ، وَإِنْ تَكَلَّمَ فَضَحَهُ أَلْمَى ، وَإِنْ عَمِلَ قَصَرَ بِهِ الْجَهْلُ ، وَإِنْ  
 أَوْثَمِنَ غَدَرَ ، وَإِنْ أَجَارَ أَخْفَرَ <sup>(٧)</sup> ، وَإِنْ طَاهَدَ نَكَثَ ، وَإِنْ حَلَفَ حَنَيْثَ ،  
 لَا يَصْدُرُ عَنْهُ الأَمَلُ إِلَّا بِخَيْبَةٍ ، وَلَا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ حُرٌّ إِلَّا بِمِخْنَةٍ . »

قال خلف الأحمر : سألت أعرابياً عن الهلباجة ، فقال : « هو الأحمق  
 الضنغم القدم <sup>(٨)</sup> الأكل الذي والذي . . . ثم جعل يلتقاني بعد ذلك ، ويزيد

[١] الخ . [٢] ظلم . [٣] من أسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه ، أى لم يستطع  
 النهوض بما حمل . [٤] أشر : مرح . [٥] صاح واستغاث . [٦] أبغضه وكرمه غاية الكراهة .  
 [٧] أخفزه وخفر به : قض ههده وغدره . [٨] القدم : العي عن الكلام في نهل ورخاوة ،  
 وقلة فهم ، والنليظ : الأحمق الجاني .

في التفسير كل مرة شيئاً ، ثم قال لي بعد حين - وأراد الخروج - هو الذي جمع كل شرّ . ( مجمع الأمثال ١ : ٢٣٦ )

## ١٦ - بعض البلغاء يصف رجلاً

ووصف بعض البلغاء رجلاً فقال :

« إنه بَسِيطٌ<sup>(١)</sup> الكف ، رَحْبُ الصدر ، مُوَطَّأُ الأَ كَنَافِ ، سَهْلُ الخَلْقِ ، كَرِيمُ الطَّبَاعِ ، غَيْثٌ مُغَوِّثٌ<sup>(٢)</sup> ، وَبِحَرْمَةِ زَخُورِ ، خُضُوكِ السِّنِّ ، بِشِيرِ الوَجْهِ ، بَادِي القَبُولِ<sup>(٣)</sup> غَيْرِ عَبُوسٍ ، يَسْتَقْبَلُكَ بِطَلَّاقَةٍ ، وَيُحْيِيكَ بِبِشْرِ ، وَيَسْتَدْبِرُكَ بِكْرَمِ غَيْثٍ ، وَجَمِيلِ بِشْرِ ، تُبْهِجُكَ طَلَّاقَتُهُ ، وَيَرْضِيكَ بِشْرُهُ ، ضَحَّاكٌ عَلَيَّ مَاثِدَتُهُ ، عَيْدٌ لَضَيْفَانِهِ ، غَيْرٌ مَلَا حِظَ لِأَكِيلِهِ ، بَطِينٌ<sup>(٤)</sup> مِنَ العَقْلِ ، خَمِيصٌ<sup>(٥)</sup> مِنَ الجَهْلِ ، رَاجِحُ الحِلْمِ ، ثَاقِبُ الرَّأْيِ ، طَيِّبُ الخَلْقِ ، مُحْصَنُ الضَّرْبَةِ<sup>(٦)</sup> ، مِعْطَاةٌ غَيْرُ سَأَلٍ ، كَأْسٍ<sup>(٧)</sup> مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ، عَارٍ مِنْ كُلِّ مَلَأْمَةٍ ، إِنْ سئِلَ بِذَلِّ ، وَإِنْ قَالَ فَعَلَ » . ( زهر الآداب ٢ : ٢٠٥ )

## ١٧ - خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن

عن ابن الكلبي عن أبيه قال :

اجتمع خمسُ جَوَارٍ مِنَ العَرَبِ ، فَقُلْنَ : هَأمُنُّ نَصِيفِ خَيْلِ آبَائِنَا

فَقَالَتِ الأُولَى :

« فَرَسٌ أُبَى وَرَدَّةٌ ، وَمَا وَرَدَةٌ ؟ ذَاتُ كَفَلٍ مُزَخَلَقٌ ، وَمَتْنٌ أُخْلَقٌ ،

[١] أى مبسوط الكف سخى . [٢] غوث تغريثاً : قال واغوثاه .

[٣] القبول بالفتح وقد يضم : الحسن . [٤] أى ممتلئ وأصله : عظيم البطن .

[٥] خميص : خال ، وأصله : الجماع . [٦] الضريبة : الطيعة ، ومحصن : عفا

[٧] أى مكسو .

وَجَوْفُ أَخْوَقٍ<sup>(١)</sup> ، وَنَفْسُ مَرُوحٍ ، وَعَيْنُ طَرُوحٍ ، وَرِجْلُ ضَرُوحٍ ، وَيَدُ سَبُوحٍ<sup>(٢)</sup> ، بُدَاهَتُهَا إِهْدَابٌ ، وَعَقَبُهَا غِلَابٌ<sup>(٣)</sup> .

وقالت الثانية :

« فرسُ أَبِي اللَّعَابِ ، وَمَا اللَّعَابُ ؟ غَبِيَّةٌ سَحَابٌ ، وَاضْطِرَامٌ غَابٍ ، مُتْرَصٌ الْأَوْصَالِ ، أَشْمُ الْقَدَالِ ، مُلَا حَكُ الْمَحَالِ<sup>(٤)</sup> ، فَارِسُهُ مُجِيدٌ ، وَصَيْدُهُ عَتِيدٌ ، إِنْ أَقْبَلَ فِظْبِي مَعَّاجٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَظَلِيمٌ هَدَّاجٌ ، وَإِنْ أَحْضَرَ فَعَلِيجٌ هَرَّاجٌ<sup>(٥)</sup> . »

وقالت الثالثة :

« فرسُ أَبِي حُدَمَةَ ، وَمَا حُدَمَةَ ؟ إِنْ أَقْبَلَتْ فَقَنَاةٌ مُقَوِّمَةٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَتْ فَأُثْفِيَّةٌ مُلَمَلَةٌ ، وَإِنْ أَعْرَصَتْ فَذَيْبَةٌ مُعْجِرِمَةٌ<sup>(٦)</sup> ، أَرْسَاغُهَا مُتْرَصَةٌ ، وَفُصُوصُهَا مُمَحَّصَةٌ ، جَرِيَّتُهَا انْتِرَارٌ ، وَتَقْرِيَّتُهَا انكِدَارٌ<sup>(٧)</sup> . »

[١] الزحلق : الملس الذي كأنه زحلوقة (بالضم) وهي آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل ، والأخلق : الأملس ، وأخوق : واسع . [٢] مروح : كثيرة المرح ، طروح بعيدة موقع النظر ، ضروح : دفوع ، يريد أنها تضرح الحجارة برجليها إذا عدت ، سبوح : كأنها تسبح في عدوها من سرعتها . [٣] بداهتها : جاءتها ، والبداهة والبديهة واحد ، والإهداب : السرعة ، والعقب : جرى بعد جرى ، وغلاب مصدر ، غالبته مغالبة وغلابا ، كأنها تغالب الجري .

[٤] الغيبة : الدفعة من المطر ، والغاب جمع غابة وهي الأجرة ، مترس : محكم ، أتروست الشيء : أحكمته أتم : مرتفع ، القدال : مفرد العذار ( والعذار من اللجام ككتاب : ماسال على خد الفرس ) ، ملاحك مداخل ( يفتح الحاء ) كأنه دوخل بعضه في بعض ، والمال جمع مالة : وهي فقار الظهر ( كسحاب جمع فقارة ) وذكر الأصمعي أنه رأى فقار فرس ميت ، فإذا ثلاث فقر من عظم واحد ، وكذا تكون العراب فيما ذكروا . [٥] مجيد : صاحب جواد ، عتيد : حاضر ، معج في سيره ومعج : إذا أسرع ، والمهدج كشمس : المني الرويد ويكون السريع ، والعليج : حمار الوحش السمين القوي ، وهرج الفرس كضرب : إذا كان كثير الجري . [٦] حذمة : فحلة من الحذم وهو السرعة أو القطع ، فقناة مقومة تريد أنها دقيقة القدم ، وهو مدح في الإناث ، والأثفية : الحجر توضع عليه القدر ، مللمة : مجتمعة ، تريد أنها مدورة المؤخر ، لأن الأثافي تختار مدورة ، معجرفة بكسر الراء اسم فاعل من المعجرفة ، وهي لإسراع في مقابلة خطو . قال الشاعر :

أَمَا إِذَا يَهُدُو فَتُحَلَبُ جَرِيَّةٌ أَوْ ذَيْبٌ عَادِيَةٌ يَعْجِرِمُ عَجْرِمَةٌ

ويقال ناقة معجرفة بفتح الراء : أي شديدة . [٧] بمحصة : قليلة اللحم قليلة الشعر ، محس الجلد

وقالت الرابعة :

« فرسُ أبي خَيْفَق ، وما خَيْفَق ؟ ذاتُ ناهِقٍ مُعْرَق ، وَشِدْقُ أَشْدَق ،  
وأديمٌ مُمَلَّق <sup>(١)</sup> ، لها خَلْقٌ أَشْدَف ، وَدَسِيعٌ مُنْفَنَف ، وَتَلِيلٌ مُسَيْف <sup>(٢)</sup> ،  
وَنَابَةٌ زُلُوج ، خَيْفَانَةٌ رَهُوج ، تَقْرِيئُهَا إِهْمَاج ، وَخَضْرُهَا ارْتِمَاج <sup>(٣)</sup> . »

وقالت الخامسة :

« فرسُ أبي هُذُلُول ، وما هُذُلُول ؟ طَرِيدُهُ مَحْبُول ، وَطَالِبُهُ مَشْكُول ،  
رَقِيقُ الْمَلَاغِم ، أَمِينُ الْمَعَاقِم <sup>(٤)</sup> ، عَبَلُ الْمَخْرَم ، مَخْدٌ مِرْجَم <sup>(٥)</sup> ، مُنِيفُ الْحَارِك ،  
أَشْمُ السَّنَابِك ، مَجْدُولُ الْخَصَائِل ، سَبْطُ الْفَلَائِل <sup>(٦)</sup> ، غَوْجُ التَّلِيل ، صَاصَالُ  
الصَّهِيل ، أَدِيمُهُ صَافٍ ، وَسَدِيدِيئُهُ ضَافٍ <sup>(٧)</sup> ، وَعَفْوُهُ كَافٍ . ( الأملئ ١ : ١٩٠ )

كفرح ، إذا سقط شعره واملأست ، انثرار : انصباب ، كأنه يثره ثراً ، والتقريب : ضرب من العدو  
أو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً ، وانكدر : أسرع وانقص ، وانكدر عليه القوم : انصبوا .

[١] خيفق : فيعل من الحفق كشمس : وهو السرعة ، الناهقان : العطمان الشاخصان في خدى الفرس  
معرق : تليل اللحم ، أشدق : واسع الشدق ، معلق : مملس . [٢] الأشدق : العظيم الشخص ،  
والشدق محركة : الشخص ، الدسيع . مغرز العنق في السكاهل ، منفنق : واسع ، من المنفق كجعفر :  
وهو الهواء بين السماء والأرض ، التليل : العنق ، مسيف : كأنه سيف .

[٣] زلوج : سريعة ، الزليج والرجان بالتحريك : السرعة ، الحيفانة : الجرادة التي فيها تقط سود  
تخالق سائر لونها ، وإنما قيل للفرس : خيفانة لسرعتها لأن الجرادة إذا ظهر فيها تلك القطة كان أسرع  
لطيرانها ، رهوج : كثيرة الرهيج ، ( والرهج بالتحريك : الغبار ) أهج الفرس إهماحا : إذا اجتهد في  
عدوه ، والحضر : ارتفاع الفرس في عدوه ، الارتماج : كثرة البرق وتتابعه .

[٤] محبول : في حباله ، مشكول : موثق في شكال ( الشكال ككتاب : الحبل شدّه به قوائم الدابة )  
الملاغم من الإنسان : ماحول الفم ، أرادت هاهنا الجحافل ( والجحافل جمع جحفة بالفتح بمنزلة الشفة للخيول  
والبغال والحير ) والمعاقم : المفاصل . [٥] عبل : عليظ ، والحرم موضع الحرام ، مخد : يخذ الأرض  
أى يجعل فيها أخاديد ( والأخاديد : الشقوق جمع أخدود ) ، مرجم : يرمم الحجر بالحجر ، أو يرمم  
الأرض بحوافره . [٦] منيف : مرتفع ، والحارك : منبت أدنى العرف إلى الظهر الذي يأخذ به من  
يركبه ، والسنايك : أطراف الحوافر جمع سبك كقنفذ ، مجدول : مفتول ، الحصائل جمع خصيلة : وهي  
كل قطعة من اللحم مستطيلة أو مجتممة ، الفليل : الشعر المجتمع ، ويقال للقطعة من الشعر : الفليلة ،  
سبب : مسترسل . [٧] الغوج : اللين المعطف ، والصلصلة صوت الحديد ، وكل صوت حاد ،  
والسبيب : شعر الناصية ، ضاف : سابغ .

## ١٨ - رجل من العرب يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

سئل رجل من العرب عن مطر كان بعد جَدْب فقال :

«نشأ حملاً<sup>(١)</sup> سُدًّا متقاذِفَ الأحضان ، مُحمَوِيَّ الأركان ، لَمَاعَ الأقراب ،  
مُكفَهَرِ الرِّباب ، تَحِيْنَ رُعودِهِ حينَ اضطراب ، وَتُرْجِرُ زَجْرَةَ اللُّيُوثِ الغِضَاب ،  
لبوارِقِهِ التَّهابُ ، وَلِرِوَاعِدِهِ اضطراب ، فَجَاحَفَتِ<sup>(٢)</sup> صِدُورُهُ الشَّعَافَ ، وَرَكِبَتِ  
أَهْجَازُهُ القِيفَافَ ، ثُمَّ أَلْقَى أَعْبَاءَهُ ، وَحَطَّ أَثْقَالَهُ ، فَتَأَلَّقَ وَأَصْبَقَ<sup>(٣)</sup> ، وَانْبَجَسَ  
وَانْبَعَقَ ، ثُمَّ أَتَجَّمَ فَاَنْطَلَقَ ، فَغَادَرَ النِّهَاءَ<sup>(٤)</sup> مُتْرَعَةً ، وَالغَيْطَانَ مُمْرَعَةً ، حَبَاءً  
للبلاد ، وَرِزْقًا للعباد .» ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٠ )



---

[١] الحمل : السحاب الكثير الماء ، والسد : الذي قد سدّ الأذق ، احموي : اسودّ ، والأقرب جمع قرب كقفل وعنق وهو الحاصرة ، والرباب : السحاب الأبيض . [٢] جاحفه : زاحه وداناه ، والشعاف جمع شعبة كركبة : وهي رأس الجبل ، والقفاف جمع قفّ بالضم وهو ما علق من الأرض وارتفع لم يبلغ أن يكون جبلا . [٣] صبقتهم السماء وأصعقتهم : ألقت عليهم صاعقة ، وانبجس : انفجر بالماء وانبعق السحاب : انبعج بالمطر واندفع ، والانبعاق : أن يندفع عليك الشيء فجأة وأنت لا تشع ، وأتجمت السماء : أسرع مطرها . [٤] النهاء جمع نهى بالكسر والفتح : الغدير ، ومترعة : مملوءة ، والغيطان جمع فائط : وهو المطمئن الواسع من الأرض ، ممرعة : مخصبة ، حباء : عطاء .



## الباب الثالث

في

### نثر الأعراب

قولهم في الوعظ والتوصية

١ - مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

قام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك ، فقال :

« إني مُكَلِّمك يا أمير المؤمنين بكلامٍ فيه بعض الغِلْظَةِ ، فاحتمِله إن كرهته ، فإن وراءه ما تُحِبُّه إن قبلته » ، قال : هاتِ يا أعرابي : إنا نجد بسعة الاحتمال على من لا نرجو نُصْحَه ، ولا نأمن غِشَّه ، وأرجو أن تكون الناصحَ جَيِّبًا ، المأمونَ غَيِّبًا ، قال : « يا أمير المؤمنين أما إذ أمنت بادرَةَ غضبك ، فإني سأُطَلِّق لسانِي بما خَرِسَتْ عنه الألسُن من عظمتك ، تأديةً لحقِّ الله وحقِّ أمانتك . إنه قد اكتنَّفَكَ رجالٌ أساءوا الاختياراً لأنفسهم ، فابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فهم حربٌ للأخرة ، سلِّمٌ للدنيا ، فلا تأمنهم على ما أئتمنتك الله عليه ، فإنهم

لا يألونك<sup>(١)</sup> خَبَالًا ، والأمانة تضييماً ، والأمة عَسْفًا وَخَسْفًا<sup>(٢)</sup> ، وأنت  
مستول عما اجترحو<sup>(٣)</sup> ، وليسوا مستولين عما اجترحتَ ، فلا تُصلح دنياهم  
بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صَفْقَةً يوم القيامة ، وأعظمهم غَبْنًا من باع  
آخرته بدنياه غيره « قال سليمان : « أما أنت يا أعرابي ، فقد سللت لسانك ،  
وهو أقطع سيفيك » ، فقال : « أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك » .

(عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٧ ، والعقد الفريد ١ : ٣٠٧ ، ومروج الذهب ٢ : ١٦٤ ،  
وزهر الآداب ١ : ٢٧٧)

## ٢ - أعرابي يعظ هشام بن عبد الملك

ودخل أعرابي على هشام بن عبد الملك ، فقال له : عِظْنِي يَا أعرابي ، فقال :  
« كفى بالقرآن واعظًا ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ،  
بسم الله الرحمن الرحيم : « وَيَلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ<sup>(٤)</sup> الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ  
يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ  
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » ، ثم قال : « يا أمير المؤمنين ،  
هذا جزاء من يُطَفِّفُ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ ، فَاظْنِكْ بِنِ أَخْذِهِ كُلَّهُ<sup>(٥)</sup> ؟ » .

(العقد الفريد ٢ : ٨٤)

## ٣ - خطبة أعرابي<sup>(٦)</sup>

وولّى جعفر بن سليمان<sup>(٧)</sup> أعرابياً بعض مياهمهم<sup>(٨)</sup> فخطبهم يوم الجمعة فقال :

[١] ألا يأتو : قصر وأبطأ ، والحبال : السداد . [٢] العسف : الظلم ، والخسف : الذل .

[٣] اكتسبوا ، وفي رواية : « اجتموا » .

[٤] طفف : نفس المكيال . [٥] وروى صاحب العقد أيضاً هذه العظة (ج ١ ص ٣٠٦)

وذكر أنها لابن السماك وعط بها الرشيد .

[٦] قدمنا في الجزء الثاني ص ٤٦٣ أن هذه الخطبة متنازع فيها ، فهي ترمز تارة إلى الإمام علي

كرم الله وجهه ، وأخرى إلى سحبان وائل ، وثالثة إلى أعرابي . [٧] هو ابن عم أبي جعفر

المنصور ، وكان والياً له على المدينة سنة ١٤٦ - ١٥٠ هـ . [٨] في مجمع الأمثال : « عن الأصمعي

قال : حدثني شيخ من أهل العلم قال : شهدت الجمعة بالضرية « ضرية كفتية : قرية بين البصرة ومكة »

« الحمد لله رب العالمين ، والعاقة للمتقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، أما بعد : فإن الدنيا دارُ بَلاغٍ <sup>(١)</sup> ، والآخرة دارُ قرار ، نخدوا لمقرِّكم من ممرِّكم ، ولا تهتِكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حياتكم ، ولنغيرها خلقتكم ، اليوم عملٌ بلا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل ، إن الرجل إذا هلك ، قال الناس ما ترك؟ وقالت الملائكة : ما قدم؟ فله آباؤكم ! قدّموا بعضاً ، يكون لكم قرصاً ، ولا تخلّفوا كُلاً ، يكون عليكم كُلاً <sup>(٢)</sup> ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، والحمد لله ، والمصلّى عليه محمد ، والمدعو له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر بن سليمان ، قوموا إلى صلاتكم » .

( الأمل ١ : ٢٤٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٦٤ ، وتهذيب الكامل ١ : ٢٨ ،  
ومجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٣ وزهر الآداب ٢ : ٤ )

## ٤ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد . أما بعد : فإن التعمق في ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا ينثني حتى ينثني عنه ، والله تبارك وتعالى لا يدرك واصفٌ كُنّه صفته ، ولا يبلغ خطيبٌ مُنتهى مدحته ، له الحمد كما مدح نفسه ، فانهضوا إلى صلاتكم » ثم نزل فصلي . ( العقد الفريد ٢ : ١٦٤ )

---

وأما رجل من الأعراب ، فخرج وخطب ، وافت ثيابه على رأسه ، ويده قوس فقال . . . . . وأورد هذه الخطبة « ، وفي الكامل للبرد : « قال الأصمعي فيما بلغني خطبنا أعرابي بالبادية لحمد الله . . . » . [١] وفي رواية الميداني ، وعيون الأخبار « بلاء » وفي رواية العقد « دار ممرّ والآخرة دار مقرّ » [٢] الكل : الثقل .

## ه - خطبة أخرى

وخطب أعرابي قومه فقال :

« الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء ، ما أقبح بمثلي

أن ينهى عن أمرٍ ويرتكبه ، ويأمر بشيءٍ ويحتنبه ، وقد قال الأول :

وَدَعَّ مَا لُمْتَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فَذَمَّ أَنْ يَلُومَكَ مَنْ تَلُومُ

أَلْهَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ تَقْوَاهُ ، وَالْعَمَلَ بِرِضَاهُ . ( القدر الفريد ٢ : ١٦٤ )

## ٦ - أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

قال أبنان بن تغلب - وكان عابداً من عبّاد أهل البصرة توفى سنة ١٤١ هـ -

شَهِدْتُ أَعْرَابِيَةً وَهِيَ تُوصِي وَلِدًا لَهَا يَرِيدُ سَفْرًا وَهِيَ تَقُولُ لَهُ :

« أَيُّ مُبْنَى اجْلِسْ أَمْنَحْكَ وَصِيَّتِي ، وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ ، فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ أَجْدَى <sup>(١)</sup>

عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ ، أَيُّ مُبْنَى : إِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَرِيعُ الضَّعِيفَةَ ، وَتَفَرِّقُ

بَيْنَ الْمُحِبِّينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعْرُضَ لِلْعِيُوبِ فَتُتَّخَذَ غَرَضًا <sup>(٢)</sup> ، وَخَلِيقٌ أَنْ لَا يَثْبُتَ

الغرضُ على كثرة السَّهَامِ ، وَقَلِمَا اعْتَوْرَتْ <sup>(٣)</sup> السَّهَامَ غَرَضًا إِلَّا كَلَّمَتْهُ <sup>(٤)</sup> حَتَّى

يَهَيَّ <sup>(٥)</sup> مَا اشْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَالْبُخْلَ بِمَالِكَ ، وَإِذَا هَزَزْتَ

فَاهْزُزْ كَرِيمًا يَلِينُ لَهْزَتِكَ ، وَلَا تَهْزُزْ اللِّثِيمَ فَإِنَّهُ صَخْرَةٌ لَا يَنْفَجِرُ مَاؤُهَا ، وَمَثَلُ

لِنَفْسِكَ مِثَالٌ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ

فَاجْتَنِبْهُ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشَرِّهِ ، وَخَالَفَ ذَلِكَ

مِنْهُ فَعَلَهُ ، كَأَنَّ صَدِيقَهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصْرِفِهَا » ثُمَّ أَمْسَكَتْ ، فَدَنُوتُ

[١] أضع [٢] هدفا . [٣] تداولك . [٤] جرحته وحطته .

منها ، فقلت : بالله يا أعرابية ، إلا زِدْتِه في الوصية ، فقالت : أو قد أعجبتك كلام العرب يا عراقى ؟ قلت : نعم ، قالت : والغدرُ أقيح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحِلْمَ والسَّخَاءَ فقد أجاد الحُلَّةَ <sup>(١)</sup> : رَيَّطَهَا وَسِرَّ بِأَلْهَا .

( الأملئ ٢ : ٨١ ، والمعقد الفريد ٢ : ٨٥ ، وبلاغات النساء ص ٥٧ ، والبيان والبيان ٣ : ٢٢١ )

## ٧ - أعرابية توصى ابنها

وقالت أعرابية لابنها :

« يا بُنَيَّ ، إن سؤَالَك الناسَ ما في أيديهم من أشدِّ الافتقار إليهم ، ومن افتقرتَ إليه هُنَّتَ عليه ، ولا تزال تُحْفَظُ وتُكْرَمُ ، حتى تَسْأَلَ وترَغِبُ ، فإذا أَلَحَّتْ عليك الحاجةُ ، ولزِمَكَ سوءُ الحالِ ، فاجعل سؤَالَك إلى من إليه حاجةُ السائلِ والمستولِ ، فإنه يُعْطَى السائلِ » . ( المعقد الفريد ٢ : ٨٥ )

## ٨ - أعرابي يوصى ابنه

ووصى أعرابي ابنه فقال :

« ابْدُلْ المودَّةَ الصادقةَ تستفدْ إخوانًا ، وتتخذْ أعوانًا ، فإن العداوة موجودة عتيِّدة ، والصدقة مُستعْرِزَةٌ <sup>(٢)</sup> بعيدة ، جنبْ كرامتك اللئام ، فإنهم إن أحسنتَ إليهم لم يشكروا ، وإن نزلتْ شديدة لم يصبروا » . ( الأملئ ١ : ٢٠١ )

## ٩ - أعرابي ينصح لابنه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« لا يَغْرُنْكَ ما ترى من خَفْضِ العيشِ ، ولينِ الرِّيشِ <sup>(٣)</sup> ، واكن فانظر

إلى سوء الظُّمْنِ ، وسوءِ المُنْقَلَبِ » . ( الأملئ ٢ : ٥٩ )

[١] الحلة لا تكون إلا من ثوبين إزار ورداء ، والريطة : الملاعة كلها نسج واحد وقطعة واحدة

والسربال : القميص . [٢] مستعززة : منقبضة شديدة : [٣] الماصب والمعاش .

## ١٠ - أعرابي ينصح لابنه

وقال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« كن للعاقل المذبر أرجى منك للأحمق المُقبِل » ، ثم أنشد :

عَدُوُّكَ ذُو الْحِلْمِ أَتَى عَلَيْكَ وَأَرْعَى مِنَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ<sup>(١)</sup>

( ذيل الأملال ص ٣٤ )

## ١١ - أعرابي ينصح لأخيه

ونصح أعرابي لأخيه ، فقال :

« اعلم أن الناصح لك ، المشفق عليك ، مَنْ طالع لك ما وراء العواقب برويته ونظره ، وَمَثَلُكَ الْأَحْوَالِ الْمَخُوفَةَ عَلَيْكَ ، وَخَلَطَ الْوَعْرَ بِالسَّهْلِ مِنْ كَلَامِهِ وَمَشُورَتِهِ ، لِيَكُونَ خَوْفُكَ كِفَاءً<sup>(٢)</sup> وَجَانِكَ ، وَشَكَرَكَ إِزَاءَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ، وَأَنْ الْغَائِشَ لَكَ ، وَالْحَاطِبَ<sup>(٣)</sup> عَلَيْكَ ، مَنْ مَدَّ لَكَ فِي الْاِغْتِرَارِ ، وَوَطَأَ لَكَ مِهَادَ<sup>(٤)</sup> الظُّلْمِ ، تَابِعًا لِمَرْضَاتِكَ ، مِنْقَادًا لِهَوَاكَ » . ( الأملال ١ : ١٩٨ )

## ١٢ - أعرابي يعظ أخاه

ووعظ أعرابي أخاه له أفسد ماله في الشراب ، فقال :

« لا الدهرُ يَعْظُكَ ، ولا الأيامُ تُنذِرُكَ ، ولا الشَّيْبُ يَزْجُرُكَ ، والسَّاطِئُ تَحْصِيَّ عَلَيْكَ ، والأَنْفَاسُ تُعَدُّ مِنْكَ ، والمنايا تُقَادُ إِلَيْكَ ، أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ ، أَعْوَدُهَا بِالْمَضَرَّةِ عَلَيْكَ » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٥ ، والأملال ١ : ١٩٨ ، وزهر الآداب ٣ : ١١٥ )

[١] الوامق : الحب . [٢] مكافئاً .

[٣] الحاطب : الحمار . [٤] المهاد : الفراش .

### ١٣ - أعرابي يعظ صاحبه

وقال أعرابي لصاحبه :

« والله لئن هَمَّجَت <sup>(١)</sup> إلى الباطل ، إنك لَقَطُوف <sup>(٢)</sup> عن الحق ، ولئن أبطأت لَيْسُرَ عَنِّ بكَ ، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم رابحون ، فلا تغرنك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك » . (البيان والتبيين ٢ : ١٥٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٦)

### ١٤ - أعرابي يعظ أخاه

وقال أعرابي لأخيه :

« يا أخى : أنت طالب ومطلوب ، يَطْلُبُكَ ما لا تَقْوَتُهُ ، وتطلب ما قد كُفِيَّتَهُ ، فكأن ما غاب عنك ، قد كُشِفَ لك ، وما أنت فيه فد تُقِلَّتْ عنه ، فامهد <sup>(٣)</sup> لنفسك ، وأعد ذلك ، وخذ في جِهَازِكَ » . (العقد الفريد ٢ : ٨٤)

### ١٥ - أعرابي يعظ رجلا

وقال أعرابي لرجل :

« أى أخى : إنَّ يَسَارَ النفسِ أفضلُ من يسار المال ، فإن لم تُرْزَقْ غِنَى فلا تُحْرِمْ تقوى ، فَرُبَّ شَبَعَانَ من النعم ، عُرْيَانٌ من الكرم ، واعلم أن المؤمن على خير : تُرَحَّبُ به الأرض ، وتستبشِّرُ به السماء ، ولن يُسَاءَ إليه في بطنها وقد أحسنَ على ظهرها » . (العقد الفريد ٢ : ٨٥)

[١] من هملح البرذون : مشى مشية سهلة في سرعة .

[٢] من قطفت الدابة كنصر وضرب : ضاق مشيا ، فهي قطوف .

[٣] أى مهد وأعد .

## ١٦ - أعرابي يعظ رجلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يعظ رجلا وهو يقول :

« وَيُحَكِّكُ ! إِنْ فُلَانًا وَإِنْ ضَحِكُ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ يَضْحَكُ مِنْكَ ، وَلَئِنْ أَظْهَرَ الشَّفِيقَةَ عَلَيْكَ ، إِنْ عَقَّارَبَهُ لَتَسْرِي إِلَيْكَ ، فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْهُ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ ، فَلَا تَجْعَلْهُ صَدِيقًا فِي سِرِّيَتِكَ » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٤ )

## ١٧ - أعرابي يعظ رجلا

وسمع أعرابي رجلا يقع في السلطان ، فقال :

« إِنَّكَ غُفْلٌ لَمْ تَسْمَعْ التَّجَارِبُ ، وَفِي النَّصِيحِ لَسَمْعُ الْعُقَّارِبِ ، كَأَنِّي بِالضَّاحِكِ إِلَيْكَ ، وَهُوَ بِالكَ عَلَيْكَ » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٤ )

## ١٨ - كلام أعرابي لابن عمه

وشاور أعرابي ابن عمه له ، فأشار عليه برأى ، فقال :

« قَدْ قَلَّتْ بِمَا يَقُولُ بِهِ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ الَّذِي يَخْلُطُ خُلُوكَ كَلَامِهِ بِمُرَّةٍ ، وَحَزَنَتَهُ بِسَهْلِهِ ، وَيَحْرُكُ الْإِشْفَاقُ مِنْهُ مَا هُوَ سَاكِنٌ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ وَعَيْتُ النَّصِيحَ مِنْهُ وَقَبَلْتَهُ ، إِذْ كَانَ مَصْدَرُهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ لَأَشَكُّ فِي مَوَدَّتِهِ ، وَصَافِي غَيْبِهِ ، وَمَا زَلَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ مَتَّهِجًا وَاضِحًا ، وَطَرِيقًا مَهَيَّبًا (١) » .

( الأمل ٢ : ٨٢ )





## ١٩ - كلمات حكيمة للأعراب

قيل لأعرابي : مَالِكَ لَا تَشْرَبِ التَّبِيذَ ؟ قَالَ : « لثَلَاثِ خِلَالٍ فِيهِ : لِأَنَّهُ مُتَلَفٌ لِلْمَالِ ، مُذْهَبٌ لِلْعَقْلِ ، مُسْقِطٌ لِلْمَرْوَةِ » .

وقال أعرابي : « الدِراهِمُ مِيَّاسِيمٌ<sup>(١)</sup> ، تَسِيمٌ حَمْدًا وَذَمًّا ، فَمَنْ حَبَسَهَا كَانَ لَهَا ، وَمَنْ أَنْفَقَهَا كَانَتْ لَهُ ، وَمَا كُلُّ مَنْ أُعْطِيَ مَالًا أُعْطِيَ حَمْدًا ، وَلَا كُلُّ عَدِيمٍ ذَمِيمٌ » .  
وقال أعرابي لأخ له : « يَا أَخِي إِنَّ مَالِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ كُنْتَ لَهُ ، وَإِنْ لَمْ تُفْنِهِ أَفْنَاكَ ، فَكُلُّهُ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَكَ » .

وقال أعرابي : « إِنْ الْمَوْفِقُ مَنْ تَرَكَ أَرْفَقَ الْحَالَاتِ بِهِ ، لِأَصْلَحِهَا لِدِينِهِ ، نَظْرًا لِنَفْسِهِ ، إِذَا لَمْ تَنْظُرْ نَفْسُهُ لَهَا » .

وقال أعرابي : « إِنْ اللَّهُ مُخْلِيفٌ مَا أَتَلَفَ النَّاسُ ، وَالدهرُ مُتَلِفٌ مَا أَخْلَفُوا ، وَكَمْ مِنْ مَيِّتَةٍ عَلَيْهَا طَلَبَ الْحَيَاةَ ، وَكَمْ مِنْ حَيَاةٍ سَبَبَتْهَا التَّعَرُّضُ لِلْمَوْتِ » .  
وقال أعرابي : « إِنْ الْآمَالَ قَطَعْتَ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، كَالسَّرَابِ غَرَّ مَنْ رَأَاهُ ، وَأَخْلَفَ مِنْ رِجَاهِ » .

وقال أعرابي لصاحب له : « أَصْحَبٌ مِنْ يَتَنَاسَى مَعْرُوفَهُ عَلَيْكَ ، وَيَتَذَكَّرُ حَقُوقَكَ عَلَيْهِ » .

وقال أعرابي : « لَا تَسْأَلْ مَنْ يَفِرُّ مِنْ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَلَكِنْ سَلْ مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى » .

[١] مياسم جمع ميسم بالكسر : وهو المكواة .

وقال أعرابي : « ما بقاء عُمرٍ تقطعه الساعات ، وسلامةُ بدنٍ مُعرَّضٍ للآفاتِ ؟ ولقد عجبتُ من المؤمنِ كيف يكره الموتَ ؟ وهو ينقله إلى الثواب الذي أحياءه ليله ، وأظمأ له نهاره . »

وذكر أهلُ السلطان عند أعرابي فقال : « أما والله لئن عَزُوا في الدنيا بالجور ، لقد ذَلُّوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضُوا بقليلٍ فإن ، عِوَصًا عن كثيرٍ باقٍ ، وإنما نزلَ القدمُ حيث لا ينفخ الندم . »

وقال أعرابي : « من كانت مطيته الليل والنهار ، سارا به وإن لم يسِرْ ، وبلغنا به وإن لم يبلغ . »

وقال أعرابي : « الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة ، والزهادة في الآخرة مفتاح الرغبة في الدنيا . »

وقيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت ! قال : « وإذا مِتُّ فإلى أين يذهب بي ؟ » قالوا : « إلى الله تعالى » ، قال : « فما كراحتي أن يذهب بي إلى من لم أرا الخير إلا منه ؟ »

وقال أعرابي : « من خاف الموتَ بادر الموتَ ، ومن لم يُنحَّ النفسَ عن الشهوات ، أسرعَ به إلى المهلكات ، والجنة والنار أمامك . »

وقال أعرابي : « خيرٌ لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضتَ له الحياة ، وشرٌّ من الموت ما إذا نزل بك أحبتَ له الموت . »

وقيل لأعرابي : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟ قال : « الكريمُ يُسلط عليه اللئيمُ ، والعاقلُ يُسلط عليه الجاهل . »

وقيل له : أيُّ الداعين أحقُّ بالإجابة ؟ قال : المظلوم ، وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : « من أفرد الله بحاجته » .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : « إذا أشكل عليك أمران ، فانظر أيهما أقرب من هواك نخالفه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى » .  
وقال أعرابي : « الشرُّ عاجله لذيد ، وآجله وخيم » .

وقال أعرابي : « من ولد الخير أنتج له فراخاً تطير بأجنحة السرور ، ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، وقضبائه الغيظ ، وثمرته الندم » .

وقال أعرابي : « من كساه الحياء ثوبه ، خفي على الناس عيبه » وقال : « بئس الزاد، التعمدي على العباد » ، وقال : « التلطف بالحيلة، أنفع من الوسيلة » ، وقال : « من تقل على صديقه، خف على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون » .

وقال أعرابي : « أعجزُ الناس مَنْ قَصَرَ في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيَع من ظفر به منهم » .

وقال أعرابي لابنه : « لا يسرك أن تغلب بالشر ، فإن الغالب بالشر هو المغلوب » .

وقال أعرابي لأخ له : « قد نهيتك أن تريق ماء وجهك عند من لاماء في وجهه ، فإن حظك من عطيته السؤال » .

وقال أعرابي : « إن حبَّ الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة ، وبنغض الشرَّ خير وإن فعلت أكثره » .

وقال أعرابي : « والله لولا أن المروءة تَقِيلُ تَحْمِلُهَا <sup>(١)</sup> ، شديدة مؤنثها ، ماترك اللثام للكرام شيئا » .

واحتضِرَ أعرابي ، فقال له بنوه : عِظْنَا يَا أَبَتِ ، فقال : « عاشروا الناس معاشرةً ، إن غبتم حَنُوا إِلَيْكُمْ ، وإن متمم بَكَوْا عَلَيْكُمْ » .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شَمْلَةٍ <sup>(٢)</sup> شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : « إن الشَّمْلَةَ لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ هُوَ فِيهَا » .

وقال أعرابي : « رُبَّ رَجُلٍ سِرُّهُ مَنْشُورٌ عَلَى لِسَانِهِ ، وَآخِرُ قَدِّهِ التَّحَفُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ التَّحَافُ الْجَنَاحُ عَلَى الْخَوَافِي » .

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسرِّ؟ قال : « ما جوفى له إلا قَبْرٌ » .

ومرَّ أعرابيان برجل صلبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أُنْبِتَتْهُ الطَّاعَةُ ، وَحَصَّدَتْهُ المَعْصِيَةُ ، وقال الآخر : « من طَلَّقَ الدُّنْيَا فَالْآخِرَةُ صَاحِبَتُهُ ، وَمَنْ فَارَقَ الْحَقَّ فَالْجَذْعُ رَاحِلَتُهُ » .

وقال أعرابي : « إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ وِفَاءَ الرَّجُلِ ، وَدَوَامَ عَهْدِهِ ، فَانظُرْ إِلَى حَيْنِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَشَوْقِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ ، وَبَكَائِهِ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ » .

وقال أعرابي : « إِذَا كَانَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، وَالسَّلَاحُ عِنْدَ مَنْ لَا يَسْتَعْمَلُهُ ، وَالْمَالُ عِنْدَ مَنْ لَا يَنْفِقُهُ ، ضَاعَتِ الْأُمُورُ » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٥ - ٨٧ )

وقال أعرابي : « إِنْ الدُّنْيَا تَنْطِقُ بِغَيْرِ لِسَانٍ ، فَتَخْبِرُ عَمَّا يَكُونُ بِمَا قَدْ كَانَ » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٠ )

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « غَفَلْنَا وَلَمْ يَنْفُلِ الدَّهْرُ عَنَا ، فَلَمْ

[١] الحمل في الأصل : شقان على البعير يحمل فيهما العديلان . [٢] كساء دون انعطيفة يشتمل به .

تَمِظُ بغيرنا ، حتى وُعِظَ غيرُنا بنا ، فقد أدركت السعادة من تنبّه ، وأدركت الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة واعظاً . ( زهر الآداب ٢ : ٥ )

وقال أعرابي لرجل : « اشكرُ للمنعِمِ عليك ، وأنعمِ على الشاكر لك ،

تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مُناصحتَه » . ( زهر الآداب ٢ : ٦ )

وتذاكر قوم صِلَةَ الرَّحِمِ ، وأعرابيٌّ جالس ، فقال : « مَنْسَأَةٌ <sup>(١)</sup> في العمر ،

مَرَضَاةٌ للربِّ ، حَبَّةٌ في الأهلِ » . ( الأمل ١ : ٢١٧ )

وقال أعرابي : « لا أعرف ضُرًّا أوصل إلى نِباطِ القلبِ ، من الحاجة إلى من

لم تَثِقْ بإسعافه ، ولا تأمن رَدَّه ، وأكَلَمُ المصائبِ فَقَدُ خَلِيلٍ لا عِوَضَ منه » .

وقيل لأعرابي : أى شىء أمتع ؟ فقال : « مُمَازِحَةُ المُحِبِّ ، ومحادثة الصديق ،

وأمانى تقطع بها أيامك » .

وقال أعرابي : « من لم يرضَ عن صديقه إلا بإيثاره على نفسه ، دام سَخَطُه ،

ومن عاتب على كل ذنب كثير عدوّه ، ومن لم يؤاخِ من الإخوان إلا من لا عيبَ

فيه قلَّ صَدِيقُه » . ( الأمل ١ : ٢١٨ )

عن عبدالرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي ما تقول في المرء ؟ قال : « ما عسى

أن أقول في شىء يفسد الصداقة القديمة ، وَيَحُلُّ العُقْدَةَ الوثيقة ، أقلُّ ما فيه أن

يكون دُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبةُ من أمتن أسباب الفتنه » . ( الأمل ١ : ٢٥٨ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « لا يوجد العَجُولُ

محموداً ، ولا الفَضُولُ مَسْروراً ، ولا المَلُولُ ذا إخوان ، ولا الحُرُّ حريصاً ، ولا

الشَّرُّ غنياً » .

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « سُنْ عَقْلَكَ بِالْحَلْمِ ، وَثُرْوَتَكَ بِالْعَفَافِ ،  
وَنَجْدَتَكَ بِمَجَانِبَةِ الْخَيْلَاءِ ، وَخَلَّتْكَ <sup>(١)</sup> بِالْإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ » . ( الأمل ٢ : ٣٢ )  
وقال : سمعت أعرابياً يقول : « أَقْبِحُ أَعْمَالَ الْمُقْتَدِرِينَ الْإِتْقَامَ ، وَمَا اسْتَنْبَطَ  
الصَّوَابُ بِمِثْلِ الْمَشَاوِرَةِ ، وَلَا حُصِّلَتِ النِّعَمُ بِمِثْلِ الْمَوَاسَاةِ ، وَلَا اكْتَسَبَتِ  
البِقْضَاءُ بِمِثْلِ الْكِبَرِ » . ( الأمل ٢ : ٣٢ ، وزمر الآداب ٢ : ٣ )  
وقال أعرابي : « خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ يُنِيلُ عُرْفًا ، أَوْ يَدْفَعُ ضُرًّا » .  
( الأمل ٢ : ٤١ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « الْعَاقِلُ حَقِيقٌ أَنْ  
يُسَخِّي بِنَفْسِهِ عَنِ الدُّنْيَا ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يِنَالُ أَحَدٌ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَلَّ إِمْتَاعُهُ بِهِ ، أَوْ  
كَثُرَ عَنَاؤُهُ فِيهِ ، وَاشْتَدَّتْ مَرَزِيَّتُهُ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ عِنْدَ فِرَاقِهِ ، وَعَظُمَتِ التَّبِعَةُ  
فِيهِ بَعْدَهُ » . ( الأمل ٢ : ٤١ )

وقال أعرابي : « خَصَلْتَانِ مِنَ الْكِرْمِ : إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ،  
وَمَوَاسَاةُ الْإِخْوَانِ » . ( الأمل ٢ : ٧٣ )

وقال أعرابي : « مَا غُبِنْتُ قَطُّ حَتَّى يُغْبِنَ قَوْمِي » ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟  
قال : « لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أَشَاوِرَهُمْ » . ( البيان والتبيين ٢ : ١٦١ )

وقال أعرابي لرجل مَطَّلَهُ فِي حَاجَةٍ : « إِنْ مِثْلَ الظَّفْرِ بِالحَاجَةِ تَعَجِيلُ اليَأْسِ مِنْهَا ،  
إِذَا عَسُرَ قَضَاؤُهَا ، وَإِنْ الطَّلَبُ وَإِنْ قَلَّ ، أَعْظَمُ قَدْرًا مِنَ الحَاجَةِ وَإِنْ عَظُمَتِ ،  
والمَطْلُ مِنْ غَيْرِ عُسْرِ آفَةُ الجُودِ » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٢١ )

وقال أعرابي : « وَعَدُّ الْكَرِيمِ تَقْدُّ وَتَعَجِيلُ ، وَعَدُّ اللَّئِيمِ مَطْلٌ وَتَعْمِيلُ »  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ )

وقال أعرابي : « اعتذارٌ من منع ، أنجملُ من وعدٍ تمطول . »

( الأمل ٢ : ١٩٨ )

وقال أعرابي : « عوّد لسانك الخيرَ ، تسلّم من أهل الشرِّ . »

( ذيل الأمل ص ٢٩ )

وقال أعرابي : « خرجت ليلة حين انحدرت أيدي النجوم ، وشالت<sup>(١)</sup>

أرجلها ، فازلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم

فجعلت أغازلها ، فقالت : يا هذا ، أمالك ناهٍ من كرم ، إن لم يكن لك زاجرٌ من

عقل ؟ قال : والله ما يراني إلا الكواكب ! قالت : فأين مكوكبها ؟ .

( المقدم الفريد ٢ : ٩٤ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥١ ، وزهر الآداب ٢ : ٦ )

## أجوبة الأعراب

### ٢٠ - مجاوبة أعرابي للحجاج

خرج الحجاج ذات يوم فأصْحَرَ<sup>(٢)</sup> ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من

يتغدّى معي ، فطلبوا ، فإذا أعرابي في شملة : فأْتِيَ به ، فقال السلام عليكم ،

قال : هَلُمَّ أيها الأعرابي ، قال : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه ، قال :

ومن هو ؟ قال : دعاني الله ربّي إلى الصوم ، فأنا صائم ، قال : وصومٌ في مثل هذا

اليوم الحارّ ؟ قال : صمت ليومٍ هو أحرُّ منه ، قال : فأفطر اليومَ وصمَّ غداً ،

قال : وَيَضْمَن لِي الأمير أني أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك إليه ، قال : فكيف

تسألني عاجلاً بأجلٍ ، ليس إليه سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب ، قال : والله

[١] ارتفعت : من شالت الناقة بذنبا وأشالته : رفعته ، وشال هو .

[٢] أصحر : برز في الصحراء .

ما طيبه خبأزك ولا طبأخك ، قال : فمن طيبه ؟ قال : العافية ، قال الحجاج :  
تالله إن رأيت كاليوم ! أخرجوه عنى . (البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ ، والقدا نريد ٢ : ٨٧)

## ٢١ - مساءلة الحجاج أعرابيا فصيحاً

وقال الحجاج لأعرابي كلمه فوجده فصيحاً: كيف تركت الناس وراءك؟ فقال:  
« تركتهم - أصلح الله الأمير - حين تفرقوا في النيطان ، وأخذوا النيران ،  
وتشكت النساء ، وعرض الشاء ، ومات الكلب » ، فقال الحجاج لجلسائه :  
أخصباً نعت أم جدباً ؟ قالوا : بل جدباً ، قال : بل خصباً ، قوله : تفرقوا في  
النيطان<sup>(١)</sup> ، معناه : أنها أعشبت ، فإبلهم وغنمهم ترعى ، وأخذوا النيران ، معناه :  
استغنوا باللبن عن أن يشتروا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها ، وتشكت النساء  
أعضادهن ، من كثرة ما يمتخضن<sup>(٢)</sup> الألبان ، وعرض الشاء : استن<sup>(٣)</sup> من كثرة  
العشب والمرعى ، ومات الكلب : لم تمت أغنامهم وإبلهم فياً كل جيفها .  
( ذيل الأملى ص ٨٧ )

## ٢٢ - مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان

ودخل أعرابي على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابي صف الحمر ، فقال :  
شمول<sup>(٤)</sup> إذا شجبت ، وفي الكأس مزة<sup>(٥)</sup> لها في عظام الشارين ديب<sup>(٤)</sup>  
تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الإناء قطوب<sup>(٥)</sup>

[١] جمع فائط : وهو اللطيف الواسع من الأرض . [٢] مخص اللبن من بؤ قطع ونصر وضرب  
أخذ زبده . [٣] استن : سمن ، سن الإبل كنصر : إذا رطما فأصمها .  
[٤] الشمول : الحمر أو الباردة منها ، لأنها تشعل برمجها الناس ، أو لأن لها عصفة كعصفة الشمال ،  
وشج الفرااب : مزجه . [٥] القذى : ما يقع في الشراب ، قطب كضرب قطباً وقطوباً : زوى ما بين  
عينيه وكلع ، وأخوما : هو نبيذ الزبيب ، والمعنى : أن الشارين يفضلون عليه فيشربونها دونه ، فهو  
يقطب من أجل ذلك ، وفي أخيها يقول الشاعر :



فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد اتهمك عندي حُسْنُ صفتك لها ، قال : « يا أمير المؤمنين ، واتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها » .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢١٥ )

### ٢٣ - مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسري

وخطب خالد بن عبد الله القسري فقال :

« يا أهل البادية : ما أحسن بلدكم ، وأغلاظ معاشكم ، وأجفَى أخلاقكم ، لا تشهدون الجمعة ، ولا تجالسون عالماً » ، فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : « أمّا ما ذكرت من خشونة بلدنا ، وغليظ طعامنا ، فهو كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضر ، فيكم ثلاث خصال ، هي شرٌّ من كل ما ذكرت » ، قال له خالد : وما هي ؟ قال : « تنقبون الدور ، وتنبشون القبور ، وتنكحون الذكور » ، قال : « قبّحك الله ، وقبّح ماجئت به » . ( العقد الفريد ٢ : ١٢٧ )

### ٢٤ - أجوبة شتى

وقدّم أعرابي إلى السلطان ، فقال له : قل الحق ، وإلا أوجعتك ضرباً ، قال له : « وأنت فأعمل به ، فوالله ما أوعدك الله على تركه ، أعظم مما تُوعِدُنِي به » .

ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة ، فأثر العينين ، مُشرفِ الحاجبين ، ناتيئِ الجبهة ، فقال له : أين ربك ؟ قال : بِالرِصَادِ !

وقيل لأعرابي : إنك تُحسِنُ الشّارة <sup>(١)</sup> ، قال : « ذلك عُنوانُ نعمة

الله عندي » .

دع الجر يفسر بها الفواة فإني رأيت أحاما مقنياً بكانها  
فإلا يكنها أو تكنه فإنه أخوها غدته أمه بلبانها

[١] الشارة : اللباس والهيئة والزينة .

وقيل لأعرابي : « كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار » .

وسئل أعرابي عن القَدَر فقال : « الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس ، يَعْرِفُ ضَوْءَها ، ولا يقف على حدودها » .

وسئل آخر عن القدر ، فقال : « علم اختصمت فيه العقول ، وتقاول فيه المختلفون ، وَحَقٌّ علينا أن يرد إلينا ما التبس علينا من حكمه ، إلى ما سبق علينا من علمه » . ( القدر الفريد ٢ : ٨٦ - ٨٧ )

وقيل لأعرابي : من أبلغُ الناس ؟ قال : « أحسنهم لفظاً وأسرعهم بديهة » .

وقيل لأعرابي : مالك لا تُطِيلُ الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القِلادة ما أحاط بِالْمُنْقِ » .

وقال معاوية لأعرابية : هل من قَرِيٍّ ؟ قالت : نعم ، قال : وما هو ؟ قالت : « خُبْزٌ خَمِيرٌ ، ولبنٌ فَطِيرٌ ، وماءٌ نَمِيرٌ <sup>(١)</sup> » .

وقيل لأعرابي : فيم كتم ؟ قال : « كنا بين قِدرٍ تفور ، وكأسٍ تدور ، وحديث لا يَحْجُور <sup>(٢)</sup> » .

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : « شدة الرعدة ، وَقُرْفُصَاءُ القِمْدَةِ ، وَذَرَبُ المِعْدَةِ <sup>(٣)</sup> » .

وقيل لأعرابي : « مالك من الولد ؟ قال : قليلٌ خبيث ، قيل له : ما معناه ؟

[١] الخمر : الذي اختمر ، وماء نمير : ناعم ، عذبا كان أو غير عذب .

[٢] أى - لا ينقص ، وربما كان لايجور بالجم . [٣] القرفصاء : أن يجلس على أليته ، ويلصق

مخذيته ببطنه ، ويحتمى يديه يضعهما على ساقيه ، أو يجلس على ركبتيه منكباً ، ويلصق بطنه بفخذيه ،

ويتأبط كفيه ، والنرب : الحدة ، والمعدة ككلمة وكسرة .

قال : « إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبث من أنثى »

وقيل لأعرابي - وقد أدخل ناقته في السوق ليبيعها - صف لنا ناقتك ، قال :  
ما طلبت عليها قطُّ إلا أدركتُ ، ولا طلبتُ إلا فُتُّ ، قيل له : فلم تبيعها ؟  
قال : لقول الشاعر :

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يأمَّ عامرٍ كرائمَ من ربِّ بهنِّ ضنينِ  
وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : « مُحرُّ الوحش لا تحتاج  
إلى بيطار » .

وقيل لشريح القاضي : هل كلك أحد قطُّ فلم تُطِقْ له جواباً ؟ قال : ما أعلمه  
إلا أن يكون أعرابياً ، خاصم عندي وهو يشير يديه ، فقلت له : أمسِك ، فإن  
لسانك أطول من يدك ، قال : « أسامري أنت لا تمسُّ ؟ (١) » .

( العقد الفريد ٢ : ٩٧ )

وقيل لأعرابي : أيُّ الألوان أحسنُ ؟ قال : « قصورٌ بيضٌ ، في  
حدائقٍ خضرٍ » .

---

[١] يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ، قَالَ بَعُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ،  
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنَ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ، وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ، قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ  
فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَأَمْسَأَسَ » .

والسامري : هو موسى بن ظفر السامري نسبة إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها : السامرة ، وكان  
من قوم يعبدون البقر ، وقع في مصر ، فدخل في بني إسرائيل ، وآمن بموسى ، وكان مسافراً لا يزال في قلبه  
عبادة البقر ، فلما ذهب موسى لمساواة ربه ففتن بني إسرائيل ، وكانوا حين خرجوا من مصر حملوا معهم من  
حلي القبط التي أخذوها منهم رهائن على ما يقرضونهم من المال - فاتخذ لهم منها عجلاً جسداً له غوار . . .  
إلى آخر ما هو معروف في القصة ، من أثر الرسول : أي من أثر حافر الرسول وهو جبيل ، والأثر :  
التراب الذي تحت حابره ، والمساس : مصدر ماس ، وهو نقي أريد به النهي ، أي لا تمسني ولا أمسك .

وقيل لآخر : أى الألوان أحسنُ ؟ قال : « بَيْضَةٌ <sup>(١)</sup> » ، فى رَوْضَةٍ ، عن  
غَيْبِ سَارِيَّةٍ ، وَالشَّمْسِ مُكَبَّدَةٍ . ( المقدم المرید ٢ : ٩٦ )

وخطب أعرابى إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ وارتفع السَّجْفُ <sup>(٢)</sup>  
فرأى شيئاً كرهه فقال : « والله ما عندى نقد ، وإنى لأكره أن يكون  
على دين » . ( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٠ )

وقيل لأعرابية مات ابنها : « ما أحسن عزاءك عن ابنك ! » ، قالت :  
« إن مصيبتى آمنتنى من المصائب بعده » .

وقال محمد بن حرب الهلالي : قلت لأعرابى : « إنى لك لوأدٌ » ، قال :  
« وإن لك من قلبى لرأئداً » . ( البيان والتبيين ١ : ١٤٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٩٢ )

وقال الأصمعى : رأيت أعرابياً أمامه شاةٌ ، فقلت : لمن هذه الشاة ؟ قال :  
« هى لله عندى » . ( المقدم المرید ٢ : ٨٦ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٩ )

## قولهم فى الاستمناح والاستجداء

### ٢٥ — أعرابى يجتدى عتبه بن أبى سفيان

اعترض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان ، وهو على مكة ، فقال : أيها الخليفة ،  
فقال : لستُ به ، ولم تُبْعِدْ ، قال : يا أخاه ، قال : أَسَمَعْتَ فقل ، قال :

« شيخ من بنى حامر يتقرب إليك بالعمومة ، ويختص بالخثولة ، ويشكو  
إليك كثرة العيال ، ووَطْأَةَ الزمان ، وشدة فقر ، وترادفُ ضُرِّ ، وعندك ما يسعه

[١] البَيْضَةُ : ساحة القوم ومجتمعهم ، والسارية : السحابة تسمى ليلاً ، وكبدت الشمس السماء : صارت

فى كبدتها أى وسطها ، وفى الأصل « مكيدة » بالياء وهو تصحيف .

[٢] السجف بالفتح والكسر : الست .

وَيَصْرِفُ عَنْهُ بؤْسَهُ ، قال : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكَ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَيْكَ ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِغِنَاكَ ، فَلَيْتَ إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ ، يَقُومُ بِإِبْطَائِنَا عَنْكَ » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والعقد الفريد ٢ : ٨١ )

## ٢٦ — أعرابي يجتدى عمر بن عبد العزيز

وَأَتَى أَعْرَابِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ :

« رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، سَاقَتْهُ إِلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَبَلَغَتْ بِهِ الْغَايَةَ ، وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَنْ مَقَامِي غَدًا » ، فَقَالَ عُمَرُ : « وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً أَبْلَغُ مِنْ قَائِلٍ ، وَلَا أَوْعِظُ لِمَقُولٍ لَهُ مِنْهَا » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٣ ، والأمالى ٢ : ١٧٤ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ )

## ٢٧ — خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك

وَكَانَتْ الْأَعْرَابُ تَنْتَجِعُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخُطْبِ كُلِّ عَامٍ ، فَتَقْدَمُ إِلَيْهِمُ الْحَاجِبُ بِأَمْرِهِمُ بِالْإِيْجَازِ ، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً ، وَالْمَنْعَ مَبْغَضَةً ،

فَلَأَنْ نَحْبَبَكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نُبَغِضَكَ <sup>(١)</sup> » ، فَأَعْطَاهُ وَأَجْزَلَ لَهُ . (العقد الفريد ٢ : ٨٣)

## ٢٨ — مقام أعرابي بين يدي هشام

وقام أعرابي بين يدي هشام فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَتْ عَلَى النَّاسِ ثَلَاثُ سِنِينَ ، أُمًّا الْأُولَى : فَلَحَّتِ <sup>(٢)</sup>

اللَّحْمَ ، وَأُمَّا الثَّانِيَةَ : فَأَكَلْتُ الشَّحْمَ ، وَأُمَّا الثَّلَاثَةَ : فَهَاضَتْ <sup>(٣)</sup> الْعَظْمَ ، وَعِنْدَكُمْ

[١] يروى هذا لحمد بن أبي الجهم العدوي ، قاله في حضرة هشام أيضاً . انظر الجزء الثاني ص ٤٠٦ .

[٢] من لحا الشجرة : أخذ لحاءها (بالكسر) وهو قشرها . [٣] هاض العظم : كسره بعد

الجبور وهو مبيض ، وفي رواية : « وعام أتى العظم » أي وصل إلى نقيه (بالكسر) وهو مخ العظم .

فُضُولُ أَمْوَالٍ ، فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ فَانْقَسِمُوا بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَقِيمٌ تُحْظَرُ<sup>(١)</sup> عَنْهُمْ ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِمْ بِهَا ، إِنْ اللَّهُ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » ، قَالَ هِشَامُ : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرِ هَذِهِ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : « مَا ضَرَبْتُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ ، أَدْرِعُ الْهَجِيرَ ، وَأَخْوِضُ الدُّجَى خُلَاصَةً دُونَ حَامٍ » ، فَأَمَرَ هِشَامُ بِمَالٍ ، فَقَسَّمَهُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ لِلأَعْرَابِيِّ بِمَالٍ ، فَقَالَ : « أَكَلُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مِثْلُ هَذَا ؟ » قَالُوا : « لَا ، وَلَا يَقُومُ بِذَلِكَ بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ » ، قَالَ : « فَلَاحِجَةٌ لِي فِيمَا يَبْعَثُ لِأُمَّةِ النَّاسِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٨ والمقد الفريد ٢ : ٨٢ )

## ٢٩ — أَعْرَابِيٌّ يَسْتَجِدِي عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ

وَقَالَ الْعُتْبِيُّ : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ بِيَابِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ :

« يَا أَهْلَ الْفَضَارَةِ<sup>(٢)</sup> ، حَقِيبَ<sup>(٣)</sup> السَّحَابِ ، وَانْقَشَعَ الرَّيَابُ ، وَاسْتَأْسَدَتِ الذَّنَابُ ، وَرُذِمَ الثَّمَدُ<sup>(٤)</sup> ، وَقَلَّ الْحَفْدُ<sup>(٥)</sup> ، وَمَاتَ الْوَلَدُ ، وَكُنْتُ كَثِيرَ الْعُقَاةِ<sup>(٦)</sup> ، صَنِيبَ<sup>(٧)</sup> السَّقَاةِ ، عَظِيمَ الدَّلَاةِ<sup>(٨)</sup> لِاتِّصَالِ الزَّمَانِ ، وَغَفَلَ<sup>(٩)</sup> الْحِدْتَانِ ، حَتَّى حَلَّلَ<sup>(١٠)</sup> ، وَعَدَدَ وَمَالَ ، فَتَفَرَّقْنَا أَيْدِي سَبَا<sup>(١١)</sup> ، بَيْنَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ،

[١] تعجب وتمنع . [٢] الفضارة : العمة والسمة والحصب ، وفي الأصل : « الفضادة » وهو تحريف — والفضادة الذلة والمقمة — . [٣] حقب المطر وغيره : احتبس ، والرياب : السحاب الأبيض . [٤] الثمد كشمس وسبب : الماء الليل لامادة له . [٥] الحفد : الأعوان جمع حافد . [٦] العقاة جمع طاف : وهو الوارد والضيف ، وكل طالب فضل أو رزق . [٧] وصف من الصنوب بالتحريك وهو شدة الصوت ، والسقاة جمع ساق كقاض ، وفي الأصل « صحب السماء » وأراه محرفاً . [٨] في الأصل : « عظيم الزلات » وأراه محرفاً عن « الدلاة » ، والدلاة كفضاة جمع دال كقاض ، وهو النازع في الدلو المستقي به الماء من البئر . يقال : أدليت الدلو ودليتها : إذا أرسلتها في البئر . ودلوها أدوها فأنا دال : إذا أخرجتها . [٩] الغفل بالتحريك : الغفلة ، والحديتان : نوب الدم وحوادثه ، وفي الأصل : « ولا أعقل الحديتان » وأراه محرفاً ، وربما كان الأصل « ولا يغفل الحديتان » بتكرير لام الجر . [١٠] الحلة بالكسر : القوم الازلون ، والجمع - لال وحلل ككتتاب وعنب ، وتطلق الحلة على البيوت مجازاً تسمية للمحل باسم الحال ، وهي مائة بيت فما فوقها . [١١] يقال : ذهبوا أيدي سبا ، وتفرقوا أيدي سبا ، أي تبددوا ، شبهوا بأهل سبأ لما

وكنت حَسَنَ الشَّارَةِ <sup>(١)</sup> ، خَصِيبَ الدَّارَةِ <sup>(٢)</sup> ، سليم الجارة <sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ مَحَلِّيَ  
جَمِّي ، وقومى أُسَى <sup>(٤)</sup> ، وعزى جَدًّا <sup>(٥)</sup> ، قَضَى اللهُ - ولأرجعاًنَ لما قَضَى - بِسَوَافٍ <sup>(٦)</sup>  
المال ، وَشَتَاتِ الرِّجَالِ ، وتغيُّرِ الحَالِ ، فَأَعِينُوا مَنْ شَخَّصَهُ شَاهِدُهُ ، وَإِسَانُهُ  
وَإِفْدُهُ ، وَفَقْرُهُ سَائِقُهُ وَقَائِدُهُ . ( زمر الآداب ٣ : ٣٠٧ )

### ٣٠ - أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر

ودخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكر بالبصرة ، فوقفت بين  
السماطين <sup>(٧)</sup> فقالت :

« أصلح الله الأمير وأمتع به ، حَدَرْنَا إِلَيْكَ سَنَةً اشْتَدَّ بِلَاؤُهَا ، وانكشف  
غِطَاؤُهَا ، أَقْوَدُ صَبِيَّةً صَغَارًا ، وَآخِرِينَ كِبَارًا ، فِي بِلْدَةِ شَاسِعَةٍ ، تَخْفِضُنَا خَافِضَةً ،  
وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِمِائَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ ، بَرَّيْنِ عَظْمِي ، وَأَذْهَبَيْنِ لِحْمِي ، وَتَرَكْتَنِي  
وَالِهَةً ، أَذُورُ بِالْحَضِيضِ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلْدُ الْعَرِيضُ ، فَسَأَلْتُ فِي أَحْيَاءِ  
العرب : مَنْ الكَامِلَةُ فِضَائِلُهُ ، الْمُعْطَى سَائِلُهُ ، الْمَكْنِيُّ نَائِلُهُ ؟ فَدَلَّيْتُ عَلَيْكَ  
- أصلحك الله تعالى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، قَدِمَاتِ الْوَالِدِ ، وَغَابَ الرَّافِدُ ،

مزقهم الله في الأرض كل ممزق ، فأخذ كل طائفة منهم طريقاً على حدة ، واليد : الطريق . يقال : أخذ  
القوم يد بجر ، فقيل للقوم إذا تفرقوا في جهات مختلفة : ذهبوا أيدي سبأ : أي فرقهم طرقهم التي  
سلكوها كما تفرق أهل سبأ في مدهاب شتى ، والعرب لا تهمز سبأ في هذا الموضع ، لأنه كثر في كلامهم  
فاستثقلوا فيه الهمزة ، وإن كان أصله مهموزاً ، وقد بنوا أيدي سبأ ، وأيادي سبأ على السكون لكونه  
مركباً تركيب حمسة عشر .

[١] النارة : الهيبة واللباس والريثة والجمال . [٢] الدارة : الدار .

[٣] الجارة ، من معانيها : الزوجة . [٤] الأسي جمع أسوة : وهي القدوة .

[٥] الجدا : العطية ، والمطر الذي لا يعرف أقصاه . [٦] السواف بالضم ويفتح : مرض الإبل ،

وسواف المال يسوف ويساف : هلك ، أو وقع فيه السواف .

[٧] السماطان من الناس : الجانبان .

وأنت بعد الله غيائي ، ومُنْتَهَى أَمَلِي ، فافعل بي إحدى ثلاثِ خِصال : إما أن  
تَرُدَّنِي إلى بلدي ، أو تُحْسِنَ صَفْدِي<sup>(١)</sup> ، أو تَقِيمَ أَوْدِي ، فقال : بل أجمعهن  
لك ، فلم يزل ينجري عليها كما يُجْرِي على عياله حتى ماتت .  
( زمر الآداب ٣ : ٣٠٦ )

\* \* \*

وروى صاحب العقد قال :  
قال الأصمعي : وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى  
الله تعالى عنهما فقالت :

« إني أتيت من أرضٍ شاسعة ، تَخْفِضُنِي خافضة ، وترفعني رافعة ، في  
بَوَادِي بَرَيْنٍ لِحِي ، وَهِيضِن<sup>(٢)</sup> عَظْمِي ، وتركتني وَالِهَةً ، قد ضاق بي البلد ،  
بعد الأهل وَالْوَالِدَ ، وكثرة من العَدَدِ ، لَأَقْرَابَةَ تُؤَوِّبِنِي ، ولا عشيرة تَحْمِينِي ،  
فسألت أحياء العرب ، مَنْ المَرْتَجَى سَيِّبُهُ<sup>(٣)</sup> ، المأمون عَيْبُهُ ، الكثيرُ نَائِلُهُ ،  
المَكْنِيُّ سَائِلُهُ ، فَدَلَّلْتُ عَلَيْكَ ، وأنا امرأة من هَوَازِنَ ، فقدت الولد والوالد ،  
فاصنع في أمرى واحدة من ثلاث : إما أن تُحْسِنَ صَفْدِي ، وإما أن تَقِيمَ أَوْدِي ،  
وإما أن تَرُدَّنِي إلى بلدي » ، قال : بل أجمعهن لك ، ففعل ذلك بها .

( العقد الفريد ٢ : ٨٢ )

٣١ - أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري ، فقال :

« أصلح الله الأمير : شيخٌ كبيرٌ ، حَدَّثَهُ إِلَيْكَ بَارِيَةُ الْعِظَامِ<sup>(٤)</sup> ، وَمُورَثَةٌ

---

[١] الصند . العطاء . [٢] هاض العظم : كسره عند الجبور . [٣] السيب العطاء .  
[٤] حدته : ساقته ، وبارية العظام : نوى السكبات التي تبرى العظام ، مورثة : مهيبة ، من التارث ،  
ومورثة النار .



الأسقام ، وَمُطَوَّلَةُ الْأَعْوَامِ ، فَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُ ، وَذُعْذِعَتْ <sup>(١)</sup> آبَالُهُ ، وَتَغَيَّرَتْ أحواله ، فَإِنَّ رَأَى الْأَمِيرَ أَنْ يَجْبُرَهُ بِفَضْلِهِ ، وَيَنْعَشُهُ بِسَجْلِهِ <sup>(٢)</sup> ، وَيُرَدُّهُ إِلَى أَهْلِهِ ! » فَقَالَ : كُلُّ ذَلِكَ ، وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ . ( الأمل ٢ : ٤٩ )

### ٣٢ — أعرابي يستجدي معن بن زائدة

وقَدِمَ أعرابي من بني كِنَانَةَ عَلَى مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ وَهُوَ بِالْبَحْرَيْنِ فَقَالَ :

« إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ سَبَبًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ وَالرَّحِمِ ، أَفْوَى مِنْ رِحْلَةٍ مِثْلِي مِنْ أَهْلِ السَّنِّ وَالْحَسَبِ إِلَيْكَ مِنْ بِلَادِهِ ، بِلَا سَبَبٍ وَلَا وَسِيلَةٍ ، إِلَّا دَعَاءُكَ إِلَى الْمَكَارِمِ ، وَرَغْبَتِكَ فِي الْمَعْرُوفِ ، فَإِنَّ رَأَيْتَ أَنْ تَضَعْنِي مِنْ نَفْسِكَ بِحَيْثُ وَضَعْتَ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ فَافْعَلْ » فَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . ( المقدم الفرد ٢ : ٨٠ )

### ٣٣ — خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام

عن أبي زيد قال : بَيْنَمَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا أعرابيٌّ فَقَالَ :

« يَا مَسَامُونَ ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، وَالصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّهِ ، إِنِّي امرؤٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْمِلْطَاطِ الشَّرْقِيِّ الْمُوَاصِي أَسْيَافَ تِهَامَةَ <sup>(٣)</sup> ، عَكَفْتُ عَلَى سِنُونِ مُحَشٍّ <sup>(٤)</sup> ، فَاجْتَبَيْتِ الدُّرَى ، وَهَشَمْتَ العُرَى <sup>(٥)</sup> ، وَجَمَشْتَ النُّجْمَ ، وَأَفْجَحْتَ الْبَهْمَ <sup>(٦)</sup> ،

[١] ذُعْذِعَتْ : فرقت ، وآبال جمع إبل . [٢] السجل والاصل : الدلو العظيمة مملوءة .

[٣] المِلْطَاطُ : كل شفير نهر أو واد ، والمواصي والمواصل واحد ، يقال : تواصى النبت : إذا اتصل بعضه ببعض ، وأسْيَاف جمع سيف بالكسر : وهو ساحل البحر . [٤] عَكَفْتُ : أقامت ، والسِنُونُ الجُدوب ، ومحش جمع محوش كصبور ، وهي التي تمحش ( بضم الحاء ) الكلاً أي تحرقه .

[٥] اجْتَبَيْتِ : قطعت واستأصلت ، وهَشَمْتَ : كسرت ، والبرى جمع عروة ، والعروة : القطة من الشجر لا يزال باقياً على الجذب ترطاه أمواهم . [٦] جَمَشْتَ : احتلقت ، والجم : ما نحم ولم يستقل على ساق ، وأفجحت : أي جمعتها عجائاً ، والهجي : السبي الغناء المهزول .

وَهَمَّتِ الشَّحْمَ ، وَالتَّحَبَّتِ اللَّحْمَ ، وَأَحْجَبَتِ الْعَظْمَ <sup>(١)</sup> ، وفادرت التراب مَوْرًا ،  
والماء غَوْرًا ، والناسَ أَوْزَا مَا <sup>(٢)</sup> ، وَالتَّبَطَّ قُعَا مَا ، وَالضَّهْلُ جُزَا مَا ، وَالْمَقَامَ  
جَمْعًا مَا <sup>(٣)</sup> ، يُصَبِّحُنَا الْمَاوِي ، وَيَطْرُقُنَا الْمَاوِي <sup>(٤)</sup> ، نَخْرَجْتُ لَا أَتَلْفَعُ بِوَصِيدَةٍ ،  
وَلَا أَتَقَوِّتُ هَيْبِدَةً <sup>(٥)</sup> ، فَالْبَخَصَاتُ وَقِعَةٌ ، وَالرُّكْبَاتُ زَامَةٌ ، وَالْأَطْرَافُ  
قَفْعَةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَالْجِسْمُ مُسْلَمٌ ، وَالنَّظْرُ مُدْزِهِمٌ <sup>(٧)</sup> ، أَعْشُو فَاغْطَشُ ، وَأَضْحَى  
فَاخْفَشُ <sup>(٨)</sup> ، أَسهل ظالما ، وَأُحْزِنُ رَاكِمًا <sup>(٩)</sup> فهل من أمرٍ مَمَيِّرٍ <sup>(١٠)</sup> ، أوداع  
بخير ؟ وقاكم الله سَطَوَةَ الْقَادِرِ ، وَمَلَكَ الْكَاهِرِ <sup>(١١)</sup> ، وسوء الموارد ، وَفُضُوحَ  
الْمَصَادِرِ ، قال : فَأَعْطَيْتُهُ دِينَارًا وَكَتَبْتَ كَلَامَهُ ، وَاسْتَفْسَرْتَهُ مَا لَمْ أَعْرِفَهُ .

(الأمالي ١ : ١١٣)

### ٣٤ - خطبة الأعرابي السائل في المسجد الجامع بالبصرة

وروى الجاحظ قال :

قال أبو الحسن : سمعت أعرابياً في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة

- [١] همت : أذبت ، والعرب تقول : « همك ما همك » أي أدابك ما أذكرك ، والتحبت اللحم : أوى عرقته من العظم ، وأحجبت العظم : أوى عودته فصيخته كاللجن . [٢] مار موراً : اضطرب وماج ، والغور : الغائر ، أوزاع : فرق . [٣] التبط : الماء الذي يستخرج من البئر أول ما تحفر ، والقاع الماء الملح المر : والضهل : القليل من الماء ، والجزاع : أشد المياه حرارة ، والجمعاع : المكان الذي لا يطمئن من قدم عليه . [٤] الهاوي : الجراد ، والماوي : الدثب . [٥] التلغ : الاشتمال ، والوصيدة : كل نسيجة ، والهيبد : حب الخنظل يعالج - حتى يطيب فيحتبز . [٦] البخصات جمع بخصه ، وهي لحم باطن القدم ، ووقعة : من قولهم : وقع الرجل كفرح إذا اشتكى لحم باطن قدمه ، ورامة : متشقة ، وقعة ومقعة واحد : وهي التي قد تقبضت ويبست . [٧] المسلم : الضائر المتغير ، والمدرم : الضعيف البصر الذي قد ضعف بصره من جوع أو مرض . [٨] أعشو : أنظر : فأغطش : أصير غطشاً ( بكسر الطاء ) والغطش محركة : ضعف في البصر ، وضحي للشمس كفرح وسعى : برز لها ، والعمش بالتجريك : ضعف البصر خلقة ، أو فساد في الجفون بلا وجع أو أن يبصر بالليل دون النهار . [٩] أسهل ظالماً : أي إذا مشيت في السهول ظلمت ، وظلج كنع : عمر في مشيه ، وأحزن راكماً : أي إذا علوت الحزن ركمت أي كبوت لوجهي . [١٠] المير : العطية ، من قولهم : مارم يبرم ميراً . [١١] الكاهر والقاهر : واحد ، وقد قرأ بعضهم : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ » .

ثلاث وخمسين ومائة ، وهو يقول :

« أما بعد : فإننا أبناء سبيل ، وأنضاء<sup>(١)</sup> طريق ، وفل<sup>(٢)</sup> سنة ، تصدقوا

علينا ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ، أما والله  
إننا لنقوم هذا المقام ، وفي الصدر حزازة<sup>(٣)</sup> ، وفي القلب غصّة .

( البيان والتبيين ٢ : ٤٦ )

### ٣٥ - صورة أخرى

وروى أبو عليّ القالي هذه الخطبة بصورة أخرى ، وهما كما :

عن يونس قال : وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة فقال :

« قلّ الثيل<sup>(٤)</sup> ، ونقص الكيل<sup>(٥)</sup> ، وعجفت<sup>(٦)</sup> الخيل ، والله ما أصبحنا ننفخ

في وضح<sup>(٧)</sup> ، وما لنا في الديوان وشمة<sup>(٨)</sup> ، وإنا لعميال<sup>(٩)</sup> جربة<sup>(١٠)</sup> ، فهل من

معين ، أعانه الله ، يعين ابن سبيل ، ونضو طريق ، وفل سنة ؟ فلا قليل من

الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت . ( الأمل ٢ : ١٩٧ )

### ٣٦ - صورة أخرى

ورواها صاحب العقدة فقال : وقف أعرابي على حلقة يونس فقال :

« الحمد لله ، وأعوذ بالله ، أن أذكر به وأنساه ، إنا أناس قدمنا المدينة

ثلاثون رجلاً لا ندفن ميتاً ولا نتحول من منزل وإن كرهناه ، فرحم الله عبداً

[١] أنضاء جمع نضو كقرد وهو المهزول ، أي قد هزلنا وأصنانا سلوك الطريق .

[٢] السنة : الجذب والفحط ، وقوم فل : منهزمون ، والجمع فلول وأفلال ، أي هزلنا الفحط .

[٣] الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه . [٤] هزلت . [٥] الوضح : اللبن ، سمي

وضحاً لبياضه . [٦] الوشمة : مثل الوشم في الذراع ، يريد الخط .

[٧] الجربة : الكثير ، أو العيال يأكلون ولا ينفعون .

تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، وَقَلَّ سَنَةٌ ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ، يقول الله عز وجل : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » إن الله لا يستقرض من عوزٍ ، ولكن ليبلُو خيار عباده .  
( القمد الفريد ٢ : ٨٢ )

### ٣٧ - أعرابي يستجدي

وقال المدائني : سمعت أعرابياً يسأل وهو يقول :  
« رحم الله امرأ لم تمنح أذناه كلامي ، وَقَدَّمْ لِنَفْسِهِ مَمَّا ذَاكَ <sup>(١)</sup> من سوء مقامي ، فإن البلاد مُجْدِبَةٌ ، والدار مُضَيِّعَةٌ ، والحال سيئة <sup>(٢)</sup> ، والحياء زاجر ينهى عن كلامكم ، والمُذْمُ عاذرٌ يحملي على إخباركم ، والدعاو إحدى الصدقتين ، فرحم الله امرأ أمرَ بِمَيْرٍ <sup>(٣)</sup> ، أودعا بخير » ، فقال له بعض القوم : يَمُنُّ الرجل ؟ فقال : « يَمُنُّ لا تنفمكم معرفته ، ولا تضرركم جهالته ، ذلك الاكتساب ، يمنع من عز الانتساب » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢١٧ ، والقمد الفريد ٢ : ٨١ ، والأمال ١ : ١٣٨ )

### ٣٨ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : أصابت الأعراب أعوام جَذْبَةٌ وشدة وَجْهٌ ، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابي وهو يقول :  
« أيها الناس ، إخوانكم في الدين ، وشركاؤكم في الإسلام ، حابِرٌ وسبيل ، وأفلال بؤس ، وَصَرَعي جَذْبٌ ، تناهت علينا سنون ثلاثة <sup>(٤)</sup> ، غَبَرَتِ النَّهْمُ ،

[١] العاقبة والمعاد والعياذ : الالتجاء . [٢] وفي الأمال « والحاء مسفة » أي مجيعة .

[٣] ما ز عياله ميراً : جلب لهم الميرة ( بالكسر ) وهي الطعام ، وفي القمد : « فرحم الله امرأ يميز ،

وداعياً يميز » . [٤] غبره لطفه بالغبار ، أو هي « غبرت » بالياء .

وأهلكك النعم ، فأكأننا ما بقي من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا ، ونغنى بالغيث قلوبنا ، حتى عاد مَحْنًا عِظَامًا ، وعاد إشراقنا ظلامًا ، وأقبلنا إليكم يَصْرَعنا الوعر ، وَيَكِيننا <sup>(١)</sup> السهل ، وهذه آثار مصائبنا لأئحة في سماتنا ، فرحم الله متصدقًا من كثير ، وموأسياً من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال ، وبلغ المجهود ، والله يَجْزِي المتصدقين .

### ٣٩ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : كنت في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلاً ، فقال : « أيها الناس ، إن الفقريهتك الحجاب ، وَيُرْز الكماب <sup>(٢)</sup> ، وقد حملتنا سِنُو المصائب ، وَنَكَبات الدهور ، على مَرَّ كَبِها الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، وَنِضُو زمان ، وَطَرِيدَ فاقَةٍ ، وَطَرِيحَ هَدَكَّة ، رحمك الله » .

### ٤٠ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : وقف أعرابي علينا فقال : « يا قوم : تتابعت علينا سِنُون بتغير وانتقاص ، فاتركت لنا هُبَمًا ولا رُبَمًا <sup>(٣)</sup> ، ولا عافِطَةً ولا نَافِطَةً <sup>(٤)</sup> ، ولا نَاعِيَةً ولا رَاعِيَةً ، فأماتت الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة ، فأعينوني من عطية ما آتاكم الله ، وارحموا أبا أيتام ، وَنِضُو زمان ، فلقد خَلَفْتُ أقوامًا يمرضون ولا يكفنون

[١] أي يسترنا . [٢] جارية كصاب : نهد ثديها .

[٣] الهيج : الفصيل يفتح في آخر النتاج ، والربع : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج .

[٤] العافطة : النعجة ، من العفظ ، وهو الضرط ، عفت كضرب : ضربت فهي عافطة ، والعفظ

أيضاً : ثير الضأن تنثر بأنوفها كما ينثر الحمار ، والنافطة : العنز ، من النفظ ، نطبت العنز كضرب : نثرت بأنفها أو عطست فهي نافطة ، أو لأنها تفظ بيولها : أي تدفعه دفعاً ، أو النافطة لإنباع للعافطة ، أو

العافطة : الأمة الراعية ، والنافطة : الشاة .

ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل وإن كرهوه ، ولقد مشيتُ حتى اتعلتُ الدماء ،  
وَجُعْتُ حتى أكلتُ التُّرى .

### ٤١ - أعرابية تستجدي

وقال الأصمى : وقفت أعرابية فقالت :

« يا قوم سنّة جرّدت ، وأيدٍ جُذدت ، وحال جهّدت <sup>(١)</sup> ، فهل من فاعلٍ  
لخير ، وأميرٍ يميّر ؟ رَحِمَ اللهُ من رَحِم ، فأقرضَ من لا يظلم » .

( القمد الفريد ٢ : ٨٠ - ٨٤ )

### ٤٢ أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي بقوم فقال :

« أشكو إليكم أيها الملائماتنا ، كلّح في وجهه ، وأناخ على بكلمكله ، بمد  
نعمة من المال ، وثروة من المال ، وغبطة من الحال ، اعتورتني جدّأئده <sup>(٢)</sup> ، بقبل  
مصائبه ، عن قسيّ نوابه ، فتركألى ناغية <sup>(٣)</sup> أجتدي ضرعها ، ولا راغية  
ارتجى نفعها ، فهل فيكم من ميينٍ على صرّفه ، أو مُعدٍ <sup>(٤)</sup> على حتفه ؟ » ، فرد  
القوم عليه ، ولم يُدِيلوه شيئاً ، فأنشأ يقول :

قد ضاع من يأكل من أمثالكم      جوداً ، وليس الجودُ من فِعالكم  
لا بارك الله لكم في مالكم      ولا أزاح السوء عن عيالكم  
فالفقر خيرٌ من صلاح حالكم

[١] جهده المرض كبح : مره .

[٢] سنة جداء : علة مجذبة ، والجداء من كل حلوبة : القامحة اللبن من عيب ، والجدوة :  
انقلية اللبن من غير عيب ، والجمع جدائد وحداد . [٣] الناغية : القاعة من الثناء بالضم ، وهي صوت  
الغم ، والراغية : الناقة ، من الرضاء ، وهو صوت الإبل .  
٢٤٦ - ٢٤٧ : أمداه طه : نصره وأطانه وقواه .

### ٤٣ - أعرابي يستجدي

وَسَمِعَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَهُوَ يَقُولُ :  
« يَا قَوْمَ تَصَدَّقُوا عَلَيَّ شَيْخَ مُعِيلٍ ، وَعَابِرَ سَبِيلٍ ، شَهِدَ لَهُ ظَاهِرُهُ ، وَسَمِعَ  
شِكْوَاهُ خَالِقُهُ ، بَدَنُهُ مَطْلُوبٌ ، وَثُوبُهُ مَسْلُوبٌ » ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :  
رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ فِي دِيَّةٍ لَزِمْتَنِي ، قَالَ : فَمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : مِائَةٌ بَعِيرٍ ، قَالَ :  
ذُونَكُمَا فِي بَطْنِ الْوَادِي . (المقد الفريد ٢ : ٨٢ - ٨٣)

### ٤٤ - أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَوْمٍ فَقَالَ :  
« إِنَّا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْضَاءُ طَرِيقٍ وَقَاسِيَةٌ (١) ، رَحِمَ اللَّهُ  
أَمْرًا أُعْطِيَ مِنْ سَعَةٍ ، وَوَأَسَى مِنْ كَفَافٍ » .  
فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ دَرَاهِمًا فَقَالَ : « آجَرَكَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْتَلِيكَ » .

### ٤٥ - أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ بِقَوْمٍ فَقَالَ :  
« يَا قَوْمَ : تَتَابَعْتُمْ عَلَيْنَا سِنُونَ جَمَادٍ (٢) شِدَادًا ، لَمْ يَكُنْ لِلسَّمَاءِ فِيهَا رَجْعٌ (٣) ،  
وَلَا لِلْأَرْضِ فِيهَا صَدْعٌ (٤) ، فَنَضَبَ الْعِدُّ (٥) ، وَنَشَفَ الْوَشْلُ ، وَأُنْحَمَلَ الْخِضْبُ ،

[١] أى وحال قاسية ، وربما كان الأصل « وقل سنة » . [٢] الجاد : السنة التي لامطر فيها .

[٣] الرجوع : المطر ، لعوده كل حين . [٤] أى اشتقاق عن النبات ، اقتبس من الآية الكريمة :

« وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ » .

[٥] العد : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء العين ، ونضب الماء : غار ، والوشل : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ، ولا يتصل قطره ، ونشف الماء في الأرض : ذهب « ونشف الخوض الماء شربه » وأعمل : أجذب .

وَكَلَّحَ الْجَذْبَ ، وَشَفَّ<sup>(١)</sup> الْمَالَ ، وَكَسَفَ الْبَالَ ، وَشَطَفَ الْمَعَاشَ ، وَذَهَبَ  
الرِّيَاشُ ، وَطَرَحَتْنِي الْأَيَّامُ إِلَيْكُمْ غَرِيبَ الدَّارِ ، نَائِيَّ الْمَحَلِّ ، لَيْسَ لِي مَالٌ أَرْجِعُ  
إِلَيْهِ ، وَلَا عَشِيرَةٌ أَحَقُّ بِهَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً رَحِمَ اغْتِرَابِي ، وَجَعَلَ الْمَعْرُوفَ  
جَوَابِي . (العقد الفريد ٢ : ٨٠)

### ٤٦ — أعرابية تستجدى

وخرج المهدي يطوف بعد هدأة<sup>(٢)</sup> من الليل ، فَسَمِعَ أعرابية من جانب  
المسجد ، وهي تقول :

« قوم متظلمون ، نَبَتَ<sup>(٣)</sup> عنهم العيونُ ، وَفَدَحَتَهُمُ الدُّيُونُ ، وَعَضَّتَهُمُ  
السُّنُونُ ، بَادَتِ رِجَالَهُمْ ، وَذَهَبَتِ أَمْوَالُهُمْ ، وَكَثُرَ عِيَالُهُمْ ، أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْصَاءُ  
طَرِيقٍ ، وَوَصِيَّةُ اللَّهِ وَوَصِيَّةُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ يُبِيرُ؟  
كَلَّاهُ اللَّهُ فِي سَفَرِهِ ، وَخَلَّفَهُ فِي أَهْلِهِ . »

فَأَمْرٌ نُصِيرًا الْخَادِمَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا خَمْسًا مِائَةَ دَرَاهِمٍ .

(العقد الفريد ٢ : ٨٠ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٤٤)

### ٤٧ — أعرابي يستجدى

ووقف أعرابي في شهر رمضان على قوم فقال :

« يا قوم : لَقَدْ خَتَمَتِ هَذِهِ الْفَرِيضَةُ عَلَى أَفْوَاهِنَا مِنْ صُبْحِ أَمْسٍ ، وَمَعِيَ

بَنْتَانِ لِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُهُمَا تَحَلُّتَا بِجِلَالِ ، فَهَلْ رَجُلٌ كَرِيمٌ يَرْحَمُ الْيَوْمَ مَقَامَنَا ،  
فِي رَدِّ حُشَاشَتِنَا<sup>(٤)</sup> ؟ مَنْعَهُ اللَّهُ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، فَإِنَّهُ مَقَامُ ذُلِّ وَعَارٍ وَصَغَارٍ . »

[١] شَفَّ : رَقَّ ، وَالشَّطْفُ بِالْتَحْرِيكِ : يَبْسُ الْعَيْشَ وَشِدَّتَهُ ، وَالرِّيَاشُ : الْمَالُ وَالْحَصْبُ وَالْمَعَاشُ

[٢] أَيْ حَبْنِ هَدَايَ لَيْلٍ ، أَوْ هُوَ أَوَّلُ اللَّيْلِ إِلَى ثَلَاثَةٍ .

[٣] اِقْتَحَمْتَهُمْ وَأَزْدَرْتَهُمْ ، وَفَدَحْتَهُمْ : أَتَقَلَّبْتَهُمْ .

[٤] الْحَشَاشَةُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْمَرِيضِ ، وَالصَّغَارُ : الذُّلُّ .



فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ، فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال :  
« أَشَدُّ وَاللَّهِ عَلَيَّ مِنْ سُوءِ حَالِي وَفَاقَتِي ، تَوْهَمِي فِيكُمْ الْمَوَاسَاةَ ، أَنْتَعَلُوا الطَّرِيقَ ،  
لَا صَحِيبَكُمْ اللَّهُ ! » . ( القمد العريد ٢ : ٨٢ )

### ٤٨ - أعرابي يستجدي

وقام أعرابي ليسأل فقال :  
« أَيْنَ الْوَجُوهُ الصُّبَّاحُ <sup>(١)</sup> ، وَالْعُقُولُ الصُّحَّاحُ ، وَالْأَلْسُنُ الْفِصَّاحُ ،  
وَالْأَنْسَابُ الصُّرَّاحُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْمَكَارِمُ الرِّبَّاحُ ، وَالصُّدُورُ الْفِصَّاحُ ؟ تُعِيدُنِي مِنْ  
مَقَامِي هَذَا » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢ )

### ٤٩ - أعرابي يستجدي

ودعا أعرابي في طريق مكة ، فقال :  
« هَلْ مِنْ عَائِدٍ بِفَضْلٍ ، أَوْ مُؤَاسٍ مِنْ كِفَافٍ ؟ <sup>(٣)</sup> » ، فَأَمْسِكَ عَنْهُ  
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فَنَعْجِزَ ، وَلَا إِلَى النَّاسِ فَنَضِيعَ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ )

### ٥٠ - أعرابي يستجدي

وقف أعرابي فسأل قوماً فقالوا له : عليك بالصَّيَارِفَةَ ، قَالَ : هُنَاكَ وَاللَّهِ  
قَرَارَةُ اللَّوْمِ ! ( البيان والتبيين ٢ : ٤٨ )

### ٥١ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جَعَلَ اللَّهُ حَظَّكُمْ فِي الْخَيْرِ ، وَلَا جَعَلَ حَظَّ  
السَّائِلِ مِنْكُمْ عِذْرَةَ <sup>(٤)</sup> صَادِقَةً » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

[١] جمع صبيحة وهي الجميلة من الصباحة كفضاحة أي الجمال . [٢] جمع صريحة وهي المحضة الخالصة  
[٣] الكفاف من الرزق : ما كسب عن الناس وأغنى . [٤] العذرة : اسم من العذر

٥٢ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ، فقال له صبي من جوف الدار : « بُورِكَ فيكَ ، فقال :  
قَبَّحَ اللهُ هذا الفَمَ ، لقد تعلمَ الشرَّ صغيراً » . ( البيان والتبيين ٣ : ١٣٦ )

٥٣ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي على قوم فنموه ، فقال :  
« اللهم اشغَلْنَا بِذِكْرِكَ ، وَأَعِدْنَا مِنْ سُخْطِكَ ، وَأُولِجْنَا إِلَى عَفْوِكَ ، فَقَدْ  
صَنَعَ خَلْقَكَ بِرِزْقِكَ ، فَلَا تَشْغَلْنَا بِمَا عِنْدَهُمْ عَنْ طَلَبِ مَا عِنْدَكَ ، وَآتِنَا مِنْ  
الدُّنْيَا الْقُنْعَانَ » ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَهَا يُسْخِطُكَ ، فَلَا خَيْرَ فِيمَا يُسْخِطُكَ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ )

٥٤ - أعرابي يستجدي

وقال أبو الحسن : وقف علينا أعرابي فقال :  
« أَخٌ فِي كِتَابِ اللهِ ، وَجَارٌ فِي بِلَادِ اللهِ ، وَطَالِبٌ خَيْرٍ مِنْ رِزْقِ اللهِ ، فَهَلْ  
فِيكُمْ مِنْ مُوسَى فِي اللهِ ؟ » .  
وسأل أعرابي رجلاً ، فاعتلَّ عليه فقال : « إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَجَمَلِكَ  
اللهُ صَادِقًا » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٤ )

٥٥ - أعرابي يسأل رجلاً حاجة له

أتى أعرابي رجلاً ( لم تكن بينه وبينه حُرْمَةٌ ) في حاجة له ، فقال :  
« إِنِّي امْتَطَيْتُ إِلَيْكَ الرَّجَاءَ ، وَسِرَّتْ عَلَيَّ الْأَمَلُ ، وَوَقَدْتُ بِالشُّكْرِ ،  
وَتَوَسَّلْتُ بِحَسَنِ الظَّنِّ ، فَحَقَّقْتُ الْأَمَلَ ، وَأَحْسِنِ الْمَثُوبَةَ ، وَأَكْرِمِ الْقَصْدَ ، وَأَتِمِّمْ  
الْوَدَّ ، وَتَعَجَّلِ الْمُرَادَ » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٢ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥ )

## قولهم في بكاء الموتى

٥٦ - أعرابية تبكى ابنها

وَحَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ ، فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ  
وَجَعَةٌ فَقَالَتْ :

« وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيْعًا ، وَفَقَدْتُكَ سَرِيْعًا ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ  
الْحَالِيْنَ مَدَّةٌ أَتَدُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا ، فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالْعَضَارَةِ <sup>(١)</sup> ، وَرَوْتِى  
الْحَيَاةَ ، وَالتَّنَسُّمَ فِي طَيْبِ رَوَائِحِهَا ، تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا ، وَرُفَاتًا  
سَحِيْقًا ، وَصَعِيْدًا جُرُزًا <sup>(٢)</sup> .

أَيُّ بَنِي لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ ، وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلِيِّ ،  
وَرَمْتَنِي بِعَدِّكَ نَكْبَةَ الرَّدَى ، أَيُّ بَنِي لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ  
ظِلَامُهُ <sup>(٣)</sup> ، ثُمَّ قَالَتْ :

أَيُّ رَبِّ ، وَمِنْكَ الْعَدْلُ ، وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ ، وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ ، فَلَمْ  
تَمْتَعْنِي بِهِ كَثِيْرًا ، بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشِيْكَأ <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ  
الْأَجْرَ ، فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ ، وَرَضِيْتُ قَضَاءَكَ ، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَى مَنْ  
أَسْتَوْدَعْتُهُ الرَّذْمَ <sup>(٥)</sup> ، وَوَسَّدْتُهُ الثَّرَى ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ ، وَآئِسِنْ وَحْشَتَهُ ،  
وَأَسْأِرْ عَوْرَتَهُ ، يَوْمَ تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ <sup>(٦)</sup> وَالسُّوْءَاتُ .

[١] النضارة : العمة والحسن والنعى ، والنضارة أيضاً : النعمة والسعة والحصب :

[٢] أطباق جمع طبق : وهو وجه الأرض ، والرفات : الحطام ، وسحيقاً : مسحوقاً ، والصميد :

التراب ، أو وجه الأرض ، وأرض جرز : لانتبت ، أو أكل نباتها ، أو لم يصبها مطر .

[٣] أسفر الصبح وسفر كضرب : أضاء وأشرق ، داج : قال الأصمى : دجا الليل ، لأنما هو ألبس

كل شيء ، وليس هو من الظلمة ، قال : ومه قولهم : دجا الإسلام أى قوى ، وألبس كل شيء .

[٤] سريماً . [٥] الردم : السد ، وما يسقط من الجدار المتهدم . [٦] السيئات .

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره فقالت :  
 أى بنى : إني قد تروّدت لسفري ، فليت شعري ، ماذا لك أبعد طريقك ،  
 ويوم معادك ! اللهم إني أسألك له الرضا برضاي عنه ، ثم قالت :  
 استودعتك من استودعتك في أحشائي جنيئاً ، وأثكل الوالدات !  
 ما أمض<sup>(١)</sup> حرارة قلوبهن ، وأقلق مضاجعهن ، وأطول ليالهن ، وأقصر  
 نهارهن ، وأقل أنسهن ، وأشدّ وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن  
 من الأحزان .

فلم تزل تقول هذا ونحوه ، حتى أبكت كل من سمعها ، وحمدت الله عز  
 وجل ، واسترجعت وصلت ركعات عند قبره وانطلقت . ( زمر الآداب ٢ : ٧ )

### ٥٧ — حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها

وروى أبو علي القالي : عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« دَفَعْتُ يوماً في تلهشي بالبادية إلى وادٍ خلاء لا أنيس به إلا يئْتُ مُعْتَنِزٌ<sup>(٢)</sup> ،  
 بفيناؤه أعزُّ ، وقد ظمِئْتُ فيمَمَّتْهُ ، فسَلَّمْتُ فإذا عجوزٌ قد برزت ، كأنها نعامَةٌ  
 رَاحِمٌ<sup>(٣)</sup> ، فقلت : هل من ماء ؟ فقالت : أو لَبَنٌ ، فقلت : ما كانت بُغيتي إلا  
 الماء ، فإذا يسَّرَ اللهُ اللَّبَنُ فإني إليه فقير ، فقامت إلى قَعْبٍ<sup>(٤)</sup> فأفرغت فيه ماءً ،  
 ونظَّفت غَسَلَهُ ، ثم جاءت إلى الأعزُّ ، فتغَبَّرْتِهِنَّ<sup>(٥)</sup> حتى احتلبت قُرَابَ<sup>(٦)</sup>

[١] مضه الشيء : بلغ من قلبه الحزن به كما مضه .

[٢] منفرد . [٣] الراخم : التي تحضن بيضها ، أرحت الدجاجة على بيضها ورخته ، ورحمت عليه

فهي مرخم ولاخم . [٤] القعب : قدح إلى الصفر ، ويصبه به الماء .

[٥] أي احتلبت الغبر ( كقفل ) : وهي بقية اللبن في المرع ، وجمعه أعبار .

[٦] قراب وقريب واحد ، مثل كبار وكبير وجسام وجسيم .

مِلءِ القَعْبِ ، ثم أفرغت عليه ماء حتى رغا وطففت مُمَّاكَلَتَهُ (١) ، كأنها نَمَامَةٌ بيضاء ، ثم ناولتني إياه ، فشربت حتى تحببت (٢) رِيًّا واطمأنتت ، فقلت :  
إني أراك معتزلةً في هذا الوادي الموحش ، وَالْحِلَّةُ (٣) منك قريب ، فلو انضمتِ إلى جنابهم فَأَنِستِ بهم ! فقالت :

« يابن أخى ، إني لَأَنسُ بِالوَحْشَةِ ، وأستريح إلى الوَحْدَةِ ، ويطمئن قلبي إلى هذا الوادي الموحش ، فأتذكر مَنْ عَهَدْتُ ، فكأني أخطب أعيانهم ، وَأَتَرَاءِى أَشْبَاحَهُمْ (٤) ، وَتَتَخَيَّلُ لِي أُنْدِيَّةُ رِجَالِهِمْ ، وَمَلَاعِبُ وَلَدَانِهِمْ ، وَمُنْدَى (٥) أموالهم ، والله يابن أخى لقد رأيت هذا الوادي بِشِعِ اللَّدِيدِينَ (٦) بأهل أذواح وقباب ، وَنَمَمٍ كَالهَضَابِ ، وَخَيْلٍ كَالذَّنَابِ ، وَفَتِيَانٍ كَالرَّمَاحِ ، يَبَارُونَ الرِّيحَ ، وَيَحْمُونَ الصَّبَاحَ (٧) ، فَأَحَالُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ قَمًّا بِغَرَفَةٍ (٨) ، فَأَصْبَحَتِ الْآثَارُ دَارِسَةً ، وَالْمَحَالُ طَامِسَةً ، وكذلك سيرة الدهر فيمن وثق به »  
ثم قالت : ارم بعينك في هذا الملاء المتباطن (٩) ، فنظرت فإذا قبورٌ نحو أربعين أو خمسين ، فقالت : ألا ترى تلك الأجدات ؟ قلت نعم ، قالت : ما انطوت إلا على أخٍ أو ابن أخٍ ، أو عمٍّ أو ابن عمٍّ ، فأصبحوا قد أَلَمَّتْ (١٠) عليهم الأرضُ ، وأنا أترقب ما غلهم ، انصرف راشداً رَحِمَكَ اللهُ . (الأمل ٢: ٧)

[١] الثمالة : الرغبة « وهي مثلثة الراء » . [٢] امتلأت . [٣] الحلة : جماعة بيوت الناس والجمع حلال ككتاب . [٤] أشخاصهم جمع شبح كشمس وسبب .  
[٥] التندية : أن يورد الرجل لبله ، ثم يرهاها ، ثم يوردها ، ثم يرهاها ، والمندى : المكان الذي يندى فيه المأل . [٦] بشع : ملآن ، اللديان : الجانبان ، والدوحة : الشجرة العظيمة .  
[٧] الصباح جمع صبيحة : وهي الجميلة من الصبابة كسحابة : الجمال .  
[٨] قم البيت قما : كفسه « والمقمة : الكنيسة ، والقمامة : الكناسة » والغرفة الواحدة من الغرف : وهي ضرب من الشجر . [٩] الملا : القضاء ، والمتباطن : المتظامن .  
[١٠] أى احتوت عليهم ، وغلهم : أهدكهم .

## ٥٨ - حديث امرأة مات ابنها بين يديها

عن عبد الرحمن عن عمه قال : دخلتُ على امرأة من العرب بأعلى الأرض في خيائها لها ، وبين يديها بُنْيُ لها ، قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وعصبتته وسجته (١) ، ثم قالت :

« يا بن أخي ، قلت : ماتشائين ؟ قالت : ما أحقّ من ألبسِ النعمة ، وأطيلت له النظرة (٢) ، أن لا يدعَ التوثق من نفسه ، قبل حلِّ عُقدته (٣) ، والحلولِ بِمَقْوَتِهِ (٤) ، وَالْمَحَالَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ » ، قال : وما يَقْطُرُ من عينها قطرةً صبراً واحتساباً ، ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كَانَ مَالِكٌ لِبَطْنِكَ ، ولا أَمْرُكَ لِعِرْسِكَ (٥) ، ثم أنشدت تقول :

رَجِيبُ الدَّرَاعِ بِالَّتِي لَا تَشِيدُهُ  
وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا ذَرْعًا (٦)

( الأمل : ٢ : ٢٨٢ ، والبيان والتبيين : ٣ : ٢٣١ )

## قولهم في الشكوى

### ٥٩ - أعرابي يشكو حاله

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« قَدِمَ عَلَيْنَا الْبَصْرَةَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَقَصَدْتَهُ فَوَجَدْتَهُ يَتَخَضَّبُ لِحَيْتِهِ ، فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ فَقُلْتُ : بَلَّغْنِي مَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، فَجِئْتُكَ أَقْبَسَ مِنْ عَمَلِكَ ، فَقَالَ : أَتَيْتَنِي وَأَنَا أَخْضِبُ ، وَإِنْ الْخِضَابُ لِمَنْ عِلَامَاتُ الْكَبِيرِ ، وَطَالَ وَاللَّهِ مَا غَدَوْتُ عَلَى صَيْدِ الْوَحُوشِ ، وَمَنْشَيْتُ أَمَامَ الْجِيُوشِ ،

[١] تبيجية الميت : تغطيته ، [٢] النظرة : الإمهال . [٣] كناية عن الموت .

[٤] المقوّة : الهلة ، أي بغيره . [٥] المرس : امرأة الرجل .

[٦] ضاق بالأمر فرحاً : ضغف طاقته ، ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً .

واختَلتُ بالرِّداء ، وهُوْتُ<sup>(١)</sup> بالنساء ، وَقَرَّيتُ الضَّيفَ ، وأرويتُ السَّيفَ ،  
وَشربتُ الرِّاحَ ، ونادمتُ الجَحْجَاحَ<sup>(٢)</sup> ، فاليومُ قد حَنَانِي الكَبِيرَ ، وَضَعُفَ

مَنى البصرِ ، وجاءَ بعدَ الصَّفو الكدرِ ، ثم قبضَ على لحيته ، وأنشأ يقول :

شَيْبٌ تُغَيِّبُهُ كَيْمَا تَفْرُ بِهِ كَبَيْعِكَ الثَّوْبَ مَطْوِيًّا عَلَى حَرَقِ

قد كنتُ كَالْمُضْنِ تَرْتاحُ الرِّيحُ لَهُ فَصِرْتُ عُوْدًا بِلأَماءِ وَلَا وَرَقِ

صَبْرًا عَلَى الدَّهْرِ ، إن الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ وَأَهْلُهُ مِنْهُ بَيْنَ الصَّفْوِ وَالرَّنَقِ<sup>(٣)</sup>

( الأماي ٢ : ٩٤ )

## ٦٠ - كلمات شتى في الشكوى

قيل لأعرابية أصيبت بابنها : ما أحسنَ عَزاءَكَ ! قالت : « إن فَقْدِي إِياهِ

أَمَنِّي كُلِّ فَقْدٍ سِوَاهِ ، وإن مصيبتِي بِهِ هَوَّنتَ عَلَيَّ المِصائبَ بَعْدَهُ » ، ثم  
أنشأت تقول :

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحْذِرُ

لَيْتَ المِنازِلَ وَالذُّبَا رَ حَفَّارُهُ وَمَقَابِرُهُ

\*\*\*

وقيل لأعرابي : كيف حزنُكَ على ولدِكَ ؟ قال : « ما تركَ هُمُ الغَداءَ وَالْمِشاةَ

لِي حُزْنًا » .

\*\*\*

وقيل لأعرابي : ما أنحلَّ جِسمَكَ ؟ قال : « سوءُ الغِذاءِ ، وَجُدُوبَةُ المَرعَى ،

واختلافُ المِهمومِ في صَدْرِي » ، ثم أنشأ يقول :

المهم ما لم يُتَمَّضِ لِسَبِيلِهِ      دَاوِدَ تَضَمَّنَهُ الضَّلُوعُ عَظِيمُ  
ولربما استيأستُ ثم أقول : لا      إن الذي ضمّن النجاحَ كريمُ

\*\*\*

وقيل لأعرابي قد أخذ به السنُّ : كيف أصبحتَ ؟ قال : « أصبحتُ  
تقيّدني الشَّعْرَةَ ، وَأَعَثُرُ فِي البَعْرَةِ ، قد أقام الدهر صمري ، بعد أن أقتُصَّعَرَه . »

\*\*\*

وقال أعرابي : « لقد كنتُ أنكرُ البيضاء ، فصيرتُ أنكرُ السوداء ،  
فياخير مبدول ، وياشرَّ بدَل ! » .

\*\*\*

وذكر أعرابي منزلاً بآدَ أهله فقال : « مَنَزِلُ وَاللهِ رَحَلت عنه رَبَاتُ  
الْحُدُورِ ، وَأقامت فيه رَوَاحِلُ<sup>(١)</sup> القُدُورِ ، وقد اكتسى بالنبات كأنما ألبس  
الحُمَّلَ ، وكان أهله يَمْفُون<sup>(٢)</sup> فيه آثارَ الرياح ، وأصبحت الريح تَعْفُو آثارهم ،  
فالمهد قريب ، والمُلتقى بعيد . »

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً تغيرت أحوالهم فقال : « أَعْيُنُ وَالله كُحِلت بِالعَبْرَةِ  
بعد الحَبْرَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَأَنْفُسُ لَبِسَت الحزن بعد السرور . »

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً تغيرت حالهم فقال : « كَانُوا وَالله فِي عَيْشٍ رَقِيقِ  
الحواشي ، فطواه الدهر بعد سَمَةِ ، حتى لَبِسُوا أيديهم من القُرِّ<sup>(٤)</sup> ، ولم أرَ صاحباً

---

[١] الرراحل جمع واحدة : وهي في الأصل : الناقة الصالحة لأن ترحل ، والمراد هنا الحوامل التي تحمل  
القُدُورَ ، أي الأثافي . [٢] عفا المنزل : درس ، وعفته الريح ، يتعدى ويلزم ، وبإيها عدا ،  
ودفته الريح أيضاً بالتشديد للبالغة . [٣] الحبرة : السرور . [٤] القرّ مثلك الغاف : البرد .



أَغْرَمَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا ظَالِمًا أُغْشِمَ<sup>(١)</sup> مِنَ الْمَوْتِ ، وَمَنْ عَصَفَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ  
أَرْذِيَاهُ<sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ وَكَلَّ بِهِ الْمَوْتَ أَفْنَاهُ .



ووقف أعرابي على دار قد باد أهلها فقال : « داره والله مُعْتَصِرَةٌ للدَّوْعِ ،  
حَطَّتْ بِهَا السَّحَابُ أَثْقَالَهَا ، وَجَرَّتْ بِهَا الرِّيحُ أَذْيَالَهَا . »



وذكر أعرابي رجلاً تغيرت حاله فقال : « طُوِيَتْ صَحِيفَتُهُ ، وَذَهَبَ رِزْقُهُ ،  
فَالْبَلَاءُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ ، وَالْعَيْشُ عَنْهُ قَابِضٌ كَفَيْهِ . »



وذكر أعرابي رجلاً ضاق عيشه بعد سعة فقال : « كَانَ وَاللَّهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ  
مَمْدُودٍ ، فَقَدِحَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ زَنْدٌ غَيْرُ كَابِيَةٍ<sup>(٣)</sup> . »

( العقد الفريد ٢ : ٧٩ - ٨٠ )



وذكر أعرابي مصيبة نالته ، فقال : « مُصِيبَةٌ وَاللَّهِ تَرَكْتُ سُودَ الرَّءِوسِ  
بِيضًا ، وَبِيضَ الْوُجُوهِ سُودًا ، وَهُوَ أَنْتِ الْمَصَائِبَ بَعْدَهَا . »

( العقد الفريد ٢ : ٧٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٥ )



وذكر أعرابي قطيعة بعض إخوانه فقال : « صَفَرْتُ عِيَابُ<sup>(٤)</sup> الْوُدِّ بَيْنِي  
وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَائِهَا ، وَأَقْفَرْتُ وَجُوهُ كَانَتْ بِمِائِهَا ، فَأَذْبَرْتُ مَا كَانَ مُقْبَلًا ،  
وَأَقْبَلْتُ مَا كَانَ مَدْبَرًا . »

( العقد الفريد ٢ : ٧٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٤ )

---

[١] أظلم . [٢] أهلكاه . [٣] الزند : العود الذي يقدح به النار وكبا الزند . لم يخرج ناره ، وفي الأصل « زند عين كابية » وهو تحريف .  
[٤] صفرت : خلت ، وعياب جمع عيبة بالفتح : ما يجعل فيه الثياب .

❖  
وقيل لأعرابي : ما أذهبَ شبابك ؟ قال : « من طال أمدُّه ، وكثر ولده ،  
ودفَّ عدده ، وذهبَ جلده ، ذهبَ شبابه » .

( المقد الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٧ )

❖  
وسئل أعرابي عن سفر أ كدّي<sup>(١)</sup> فيه ، فقال : « ما غنمنا إلا ما قصرنا في  
صلاتنا ، فأما ما أكلته الهواجر<sup>(٢)</sup> ، ولقيته منا الأباغر ، فأمرُّ استخفناها لما  
أملناه » .

❖  
وقالت امرأة من الأعراب : « أصبحنا ما يرقد لنا فرس ، وما ينام لنا حرس » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٨٢ )

❖  
وقال أعرابي : « مضى لنا سلفُ أهل تَوَاضُل ، اعتقدوا<sup>(٣)</sup> مِنَّا ، واتخذوا  
الأيادي ذخيرةً لمن بعدهم ، يَرَوْنَ اصطناع المعروف عليهم قرصاً لازماً ، وإظهارَ  
البرِّ واجباً ، ثم جاء الزمان بينين ، اتخذوا مِنّتهم بضاعة ، وبرَّهم مَرابحةً<sup>(٤)</sup> ، وأيادِيهم  
تجارة ، واصطناعَ المعروف مُقارضةً ، كنقدي ، خُذْ مني وهاتِ » .

❖  
وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : « تمام العِدَّة ، وانقضاء المدة » .

❖  
ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضرِّ فقال : « يا هذا :  
أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ؟ » . ( المقد الفريد ٢ : ٨٥ )

---

[١] أم، من « حمر فأ كدى » أى صادف الكدية - والكدية كفرصة : الأرض الغليظة ،  
والصفة العظيمة الشديدة . [٢] الهواجر جمع هاجرة ، وهى شدة المرِّ  
[٣] من اعتقد مالا : اقتناه . [٤] رابحه على السلعة : أعطاه ربحاً



ووصف أعرابي الدنيا فقال : « هي رَنَقَةٌ <sup>(١)</sup> المشارب ، حَجَّة المصائب ، لا تُتَمَّعك الدهرَ بصاحب » .



وقال أعرابي : « حَسْبُكَ من فساد الدنيا أنك ترى أُسْنِمَةً <sup>(٢)</sup> تُوضَع ، وأخفافاً تُرْفَع ، والخير يُطَلَب عند غير أهله ، والفقير قد حلَّ غير محلّه » .  
( العقد الفريد ٢ : ٨٦ )



وقيل لأعرابي : كيف ابْنُك - وَكَانَ به عاقباً - قال : « عذابٌ لا يقاومه الصَّبْرُ ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتني قد استودعته القبرَ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٧ )



عن الأصمعي قال : قيل لأعرابي قَدِمَ الحَضْرَةَ <sup>(٣)</sup> ، ما أَقْدَمَكَ ؟ قال :  
« الحَيْن <sup>(٤)</sup> ، الذي يُغَطِّي العَيْنَ » . ( الأمل ١ : ٢٠٢ )



وأصيب أعرابي بابن له ، فقال وقد قيل له أَصْبِر : « أَعْلَى الله أَتَجَلَّد ، أم في مصيبتى أَتَبَلَّد ؟ والله لِلْجَزَع من أمره أَحَبُّ إلىَّ الآن من الصبر ، لأن الجزع استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أَجْزَع من النقص لم أَفْرَح بالمزيد » .  
( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ )



وقيل لأعرابي : لِمَ لا تَضْرِب في الأرض ؟ فقال : « يمنعني من ذلك ، طِفْل بَارِكٌ ، وإِصِّ سافِكٌ ، ثم إني لست بعد ذلك واثقاً بِنُجْح طَلِبتِي ، ولا معتقداً

[١] كدرة . [٢] جمع سام ، والمراد ما كان عالياً .

[٣] الحضرة : خلاف البادية كالحفر بالتحريك . [٤] الهلاك .

قضاء حاجتى ، ولا راجياً عطف قرابتى ، لأنى أقدم على قوم أطعام الشيطان ،  
واستالمهم السلطان ، وساعدتم الزمان ، وأسكروهم حدائثة الأسنان .

( زهر الآداب ٣ : ٢٤٤ )

وقال بعض الأعراب : « نالنا وشى<sup>(١)</sup> ، وخلفه ولى<sup>(٢)</sup> ، فالأرض كأنها  
وشى<sup>(٣)</sup> عبقرى<sup>(٤)</sup> ، ثم أتتنا غيوم جراد<sup>(٥)</sup> ، بمنجل حواد<sup>(٦)</sup> ، فخربت البلاد ،  
وأهلك العباد ، فسبحان من يهلك القوى الأَكول ، بالضعيف المأكول .

( زهر الآداب ٣ : ٢٤٦ )

## ٦١ - قولهم فى العتاب والاعتذار

عاب أعرابى أباه فقال : « يا أبت ، إن عظيم حَقك على لا يذهب صغير  
حقى عليك ، والذي تَمَّتْ به<sup>(١)</sup> إلى ، أمتٌ بمثله إليك ، ولستُ أزعَمُ أنا سواها ،  
ولكنى أقول : لا يحِلُّ لك الاعتداء .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، وزهر الآداب ٣ : ١٠٠ )

وقال أعرابى لصديق استبطأه فلأَمَه : « كَانتْ بى إِيكَ زَلَّةٌ يَمْنَعُنِي مِنْ  
ذِكْرِهَا مَا أَمَلْتُ مِنْ تَجَاوُزِكَ عَنْهَا ، وَلَيْسَ أَعْتَذِرُ إِيَّاكَ مِنْهَا إِلَّا بِالْإِقْلَاعِ عَنْهَا .

وقال آخر لابن عم له : « والله ما أعرف تقصيراً فأقلع ، ولا ذنباً فأعتب ،  
ولست أقول إنك كذبت ، ولا إننى أذنبت . » ( زهر الآداب ٣ : ١٦٣ )

[١] الوسمى : مطر الريح الأول ، والولى : المطر الذى يأتى بعد المطر .

[٢] الوشى : نقش الثوب ، والعبقرى : المنقطع النظير ، نسبة إلى عبقر ، موضع تزعم العرب أنه من

أرض الجن ، ثم نسبوا إليه كل شىء تمجبوا من حدقه ، أو جودة صنعه .

[٣] المنجل جمع منجل كبير : حديدة يقضب بها الزرع ، وحواد جمع حادة : أى قاطعة ، وفى الأصل

« حراد » وأراه محرفاً . [٤] تتوسل .



وقال آخر لابن عمّ له : « سأتخطى ذنبك إلى عُذرك ، وإن كنتُ من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شكّ ، ولكن ليتمّ المعروف مني إليك ، وتقوم الحُجّة لي عليك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٥ )



وعَدّت أعرابية أباهما في الجُود وإتلاف ماله ، فقالت : « حبسُ المال ، أنفع للعيال ، من بذلِ الوجه في السؤال ، فقد قلَّ النوال ، وكثر البُخال ، وقد أتلفتَ الطارفَ والتّلاذ ، وبقيت تطلبُ ما في أيدي العباد ، ومن لم يحفظ ما ينفعه ، أوشك أن يسعى فيما يضرّه » . ( زهر الآداب ٣ : ٣٤٦ )

## ٦٢ - قولهم في المدح

دخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « رأيتني فيما أتعاطى من مدحك ، كالخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، الذي لا يخفى على الناظر ، وأيقنت أني حيثُ انتهى بن القول ، منسوبٌ إلى العجز ، مُقصر عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك ، إلى الدعاء لك ، ووكلتُ الإخبار عنك ، إلى علم الناس بك » . ( الأمل ٢ : ٧٣ )



وأثنى أعرابي على رجل فقال : « إن خيرك لَسَرِيحٌ (١) ، وإن منعك لمَرِيحٌ ، وإن رِفْدَكَ لَرَبِيحٌ » . ( البيان والتبيين ٢ : ١٠٥ )



عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً من بني كلاب يذكّر رجلاً

[١] أي عطاء بلا مطل ولا إبطاء ، ومرح : أي من كدّ الطلب .

فقال : « كَانَ وَاللَّهِ الْفَهْمُ مِنْهُ ذَا أَذْنَيْنِ ، وَالْجَوَابُ ذَا لِسَانَيْنِ ، لَمْ أَرَأِ أَحَدًا كَانَ أَرْتَقَ لِحْلَلِ رَأْيٍ مِنْهُ ، وَلَا أَبْعَدَ مَسَافَةَ رَوِيَّةٍ ، وَمُرَادَ<sup>(١)</sup> طَرْفٍ ، إِنَّمَا يَرْمِي بِهَيْمَتِهِ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ الْكِرْمُ ، وَمَا زَالَ وَاللَّهِ يَتَحَسَّى مَرَارَةَ أَخْلَاقِ الْإِخْوَانِ ، وَيَسْقِيهِمْ عُذُوبَةَ أَخْلَاقِهِ » (الأمالي ١٦ : ٢ ، والعقد الفريد ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢)

\*\*\*

وقال : سمعت أعرابياً ذكر رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ لِلْإِخَاءِ وَصُولًا ، وَلِلْمَالِ بَدُولًا ، وَكَانَ الْوَفَاءَ بِهِمَا عَلَيْهِ كَفِيلاً ، وَمَنْ فَاضَلَهُ كَانَ مَفْضُولًا » .

( الأمالي ١ : ١١٦ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٩ )

\*\*\*

ووصف أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ مِمَّنْ يَنْفَعُ سِلْمُهُ ، وَيُتَوَاصَفُ حِلْمُهُ ، وَلَا يُسْتَمْرَأُ<sup>(٢)</sup> ظُلْمُهُ ، إِنْ قَالَ فَعَل ، وَإِنْ وَلِيَ عَدْل » .

( البيان والتبيين ٢ : ١٥٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٣ )

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً فقال : « أَدَّبَتْهُمُ الْحِكْمَةُ ، وَأَحْكَمَتْهُمُ التَّجَارِبُ ، وَلَمْ تَقْرُرْهُمُ السَّلَامَةُ الْمَنْطُويَّةَ عَلَى الْهَلَاكَةِ ، وَجَانَبُوا التَّسْوِيفَ الَّذِي بِهِ قَطَعَ النَّاسُ مَسَافَةَ آجَالِهِمْ ، فَذَاتَ أَلْسِنَتِهِمْ بِالْوَعْدِ ، وَانْبَسَطَتْ أَيْدِيهِمْ بِالْإِنْجَازِ ، فَأَحْسَنُوا الْمَقَالَ ، وَشَفَعُوهُ بِالْفِعَالِ » .

( الأمالي ٢ : ٢٣ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٨ )

\*\*\*

عن عبد الرحمن عن عمه قال : وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها ، فقالت : « يَا أُمَّةُ ، مِنْ نَشَرَ ثَوْبَ الثَّنَاءِ ، فَقَدْ أَدَّى وَاجِبَ الْجَزَاءِ ، وَفِي

[١] زياد الإبل : اختلافها في الرمي مقبلة ومدبرة ، والموضع مراد ومستراد .

[٢] لا يستطاب ، من استمرأ الطعام : وجده مريئاً أي منيئاً حميد اللبنة .

كِتْمَانِ الشُّكْرِ جُجُودٌ لِمَا وَجِبَ مِنَ الْحَقِّ ، وَدُخُولٌ فِي كُفْرِ النَّعْمِ » ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا : « أَيُّ بُنْيَةٍ : أَطَبَّتِ الثَّنَاءَ ، وَقَتَّ بِالْجُزَاءِ ، وَلَمْ تَدْعِ لِلذَّمِّ مَوْضِعًا ، إِنِّي وَجَدْتُ مَنْ عَقَلَ ، لَمْ يَعْجَلْ بِذَمِّهِ وَلَا ثَنَاءً إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارٍ » ، فَقَالَتْ : « يَا أُمَّهُ ، مَا مَدَحْتُ حَتَّى اخْتَبَرْتُ ، وَلَا وَصَفْتُ حَتَّى عَرَفْتُ » .  
( الأملی ١ : ٢٢٥ )



ووصف بعض الأعراب أميراً فقال : « إذا أوعِدَ آخَرَ ، وَإِذَا وَعِدَ نَجَّجِلْ ، وَوَعِيدَهُ عَفْوٌ ، وَوَعْدَهُ إِجْجَازٌ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢١٧ )



ونعت أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ الْأَلْسُنُ وَالْقُلُوبُ رِيضَتَ لَهُ ، فَمَا تَنْعَقِدِ إِلَّا عَلَى وَدِّهِ ، وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا بِحَمْدِهِ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٣ )



وذكر رجل عند أعرابي فوقع فيه قوم فقال : « أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا كَلْمَ لَكُمْ لَمَّا دُومَ ، وَأَعْطَاكُمْ لِلْمَغْرُومِ <sup>(١)</sup> ، وَأَكْسَبَكُمْ لِلْمَعْدُومِ ، وَأَعْطَفَكُمْ عَلَى الْمَحْرُومِ »  
( الأملی ٢ : ١٦ ، والبيان والتبيين ١ : ١٦٣ )



وأعطى رجل أعرابياً فأكثر له ، فقال له الأعرابي : « إِنْ كُنْتَ جَاوَزْتَ قَدْرِي عِنْدَ نَفْسِي ، فَقَدْ بَلَغْتَ أَمَلِي فِيكَ » .  
( الأملی ٢ : ٥٠ )



ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ يُعَنِّي <sup>(٢)</sup> فِي طَلَبِ الْمَكَارِمِ ، غَيْرَ ضَالٍّ فِي مَعَارِجِ طَرَفِهَا ، وَلَا مُتَشَاغِلٍ عَنْهَا بِغَيْرِهَا » .  
( الأملی ٢ : ٥٠ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩ )

[١] أي للدال المغروم ، فن لزمه غرم حمله عه . [٢] أي يتعب وينصب .

ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : « أصلح الله الأمير : اجعلني زماما من أزممتك يُجرّ بها الأعداء ، فإنني مسعر حرب<sup>(١)</sup> ، وركاب نُجيب<sup>(٢)</sup> ، شديد على الأعداء ، لئن على الأصدقاء ، منطوى الحصيعة<sup>(٣)</sup> ، قليل الثميعة ، غرار النوم ، قد غذّنتني الحرب بأفاويقها<sup>(٤)</sup> ، وحلبت الدهر أشطّره ، ولا تمنعك مني الدمامة<sup>(٥)</sup> ، فإن من تحتها شهامة » .

( المقدم الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨٠ )

\*\*\*

ومدح أعرابي رجلا فقال : « ذاك والله فسيح الأدب ، مستخيم السبب ، من أي أقطاره أتيتّه ، تنني عليه بكرم فعّال ، وحسن مقال » .

( زهر الآداب ٢ : ٦ ، والمقدم الفريد ٢ : ٨٩ )

\*\*\*

ومدح أعرابي رجلا فقال « كان والله يفسل من العار وجوهاً مسودّة ، ويفتح من الرأي عيوناً مُنسدّة » . ( المقدم الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥ )

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً عبّاداً فقال : « تركوا والله النعيم ليتنعموا ، لهم عبرات متدافقة ، وزفرات متتابعة ، لا ترام إلا في وجهٍ وجيه عند الله » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً فقال : « ما رأيت أسرع إلى داجٍ بليّل ، على فرسٍ حسيب ، وجلٍ نجيب<sup>(٥)</sup> ، ثم لا ينتظر الأولُ السابقُ ، الآخرُ اللاحقُ » .

---

[١] أي موقدها ، والنجب جمع نجيب . [٢] حصل الشيء تحصيلا : جمعه ، والاسم الحصيعة ، والمعنى مكتم السر ، والثميلة في الأصل : ما يبقى في بطن الدابة من العلف والماء ، وما يدخره الإنسان من طعام أو غيره ، وفي حديث عبد الملك قال الحجاج : « أما بعد فقد ولتلك العرازين ، فسر إليها منطوى الثميعة » والمعنى فسر إليها مخفا ، والغرار : القليل من النوم . [٣] الأفاويق جمع أفاق ، وهو جمع فيعة بالكسر ، والفيعة : اسم اللبن يجتمع في الفروع بين الحلبتين . [٤] الدمامة : قبح المنظر . [٥] النجيب : الجمل السريع الخفيف في السير .



وذكر أعرابي قوماً فقال : « جعلوا أموالهم مناديلَ أعراضهم ، فالخير بهم زائد ، والمعروف لهم شاهد ، يُعْطُونَهَا بِطَبِيبَةِ أَنْفُسِهِمْ إِذَا طُلِبَتْ إِلَيْهِمْ ، ويباشرون المعروف بإشراق الوجوه إذا بُغِيَ لَدَيْهِمْ .



وذكر أعرابي قوماً فقال : « والله ما أنالوا شيئاً بأطراف أناملهم إلا وطيناه بأخماس<sup>(١)</sup> أقدامنا ، وإن أقصى همهم لَأَذْنِي فِعَالِنَا » .



وذكر أعرابي أميراً فقال : « إِذَا وَلِيَ لَمْ يُطَاقِبْ بَيْنَ جُفُونِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَأَرْسَلَ الْعُيُونَ عَلَى عِيُونِهِ ، فَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُمْ ، شَاهِدٌ مَعَهُمْ ، فَالْحَسَنُ رَاجٍ ، وَالْمُسِيءُ خَائِفٌ » .



وذكر أعرابي رجلاً يبراعة المنطق فقال : « كَانَ وَاللَّهِ بَارِعَ الْمَنْطِقِ ، جَزَلَ الْأَلْفَازَ ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ ، فَصِيحَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَاشِي الْكَلَامِ ، بَلِيلَ الرِّيقِ ، قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ ، سَاكِنَ الْإِشَارَاتِ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « رَأَيْتَ لَهُ حِلْمًا وَأَنَاةً ، يُحَدِّثُكَ الْحَدِيثَ عَلَى مَقَاطِعِهِ ، وَيُنْشِدُ الشَّعْرَ عَلَى مَدَارِجِهِ<sup>(٣)</sup> ، فَلَا تَسْمَعُ لَهُ لَحْنًا وَلَا إِحَالَةَ<sup>(٤)</sup> » .



وذكر أعرابي قوماً فقال : « آلت<sup>(٥)</sup> سَيُوفُهُمْ أَلَّا تَقْضِيَ دَيْنًا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَضِيعَ حَقًّا لَهُمْ ، فَمَا أَخَذَ مِنْهُمْ مَرْدُودٌ إِلَيْهِمْ ، وَمَا أَخَذُوا مَتْرُوكٌ لَهُمْ » .

[١] جمع أحص كأحمر ، وهو من باطن القدم ما لم يصب الأرض .

[٢] أي لم ينم عن شئون رعيته ، والعيون : الجراسيس .

[٣] مدارج جمع مدرج ومدرجة : المذهب والمسلك . [٤] أحال الكلام إحالة : إذا أفسده ، والحال

من الكلام : ما عدل به عن وجهه ، وأحال : أتى بالحال وتكلم به . [٥] حلفت

✱

ومدح أعرابي رجلا فقال : « مارأيت عينا قطُ أخرق لِظُلْمَةِ الليل من عينه ،  
وَلَحْظَةً أشبهَ بلهبِ النار من لَحْظَتِهِ ، له هِرْزَةٌ كهِرْزَةِ السيف إذا طَرِبَ ، وَجِرْأَةٌ  
كجِرْأَةِ الليث إذا غَضِبَ » .

✱

ومدح أعرابي رجلا فقال : « كانت ظُلْمَةٌ ليله كضوءِ نهاره ، آمراً بارتِيادِ ،  
وناهياً عن فسادِ ، لِحَبِيبِ السوء غير منقادِ » .

✱

وذكر أعرابي رجلا فقال : « اشترى والله عِرْضَه من الأذى ، فلو كانت  
الدنيا له فأنفقها ، لرأى بَعْدَها عليه حُقُوقًا ، وكان مِنها جأً للأُمُور المُشْكِلَة إذا  
تناجز الناسُ باللائمةِ » .

✱

وذكر أعرابي رجلا فقال : « يُفَوِّقُ <sup>(١)</sup> الكلمةَ على المعنى ، فتمرُّقُ مُرُوقِ  
السهمِ من الرميَّةِ ، فما أصاب قتلَ ، وما أخطأ أشوى <sup>(٢)</sup> ، وما غَطَطَ <sup>(٣)</sup> له  
سهمٌ منذ تحرك لسانُهُ في فيه » .

✱

وذكر أعرابي أخاه فقال : « كَانَ والله رَكُوبًا للأهوالِ ، غير أَلُوفِ  
لِلْحِجَالِ <sup>(٤)</sup> ، إذا أُرْعِدَ <sup>(٥)</sup> لقوم من غير قُرٍّ ، يهين نفسًا كريمة على قومها ، غير  
مُبْقِيَةٍ لَعْدٍ ما في يومها » .

---

[١] يسدّد ويصوب ، والرمية : ما يرمى . [٢] أشواه أصاب شواه ، والشوى كصا : اليدان  
والرجلان والأطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل . [٣] الغططة : حكاية صوت القدر في الغليان  
وما أشبهها وقد يكون الأصل « وما غطط » أى ما اضطرب من الغططة وهى اضطراب موج البحر  
: [٤] الحجال جمع حجلة بالتحريك : القبة وموضع يزين بالثياب والستور للعروس ، والمراد النساء .  
[٥] أرعد : أخذته رعدة .

❖❖  
ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ مِنْ شَجَرٍ لَا يُخْلِفُ ثَمَرَهُ ، وَمَنْ  
بَحَرَ لَا يُخَافُ كَدْرَهُ » .

❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ فَتَى رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ نَاشِئًا ، فَأَحْسَنَ  
لُبْسَهُ ، وَزَيْنَ بِهِ نَفْسَهُ » .

❖❖  
ومدح أعرابي رجلاً فقال : « يُحِمُّ أُذُنِيهِ عَنِ اسْتِمَاعِ الْخَنَاءِ ، وَيُخْرِسُ  
لِسَانَهُ عَنِ التَّكَلُّمِ بِهِ ، فَهُوَ الْمَاءُ الشَّرِيبُ <sup>(١)</sup> ، وَالْمِصْقَعُ الْخَطِيبُ » .

❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ رَجُلٌ سَبَقَ إِلَى مَعْرِوْفِهِ قَبْلَ طَلْبِي إِلَيْهِ ،  
فَالعَرِضُ وَافِرٌ ، وَالوَجْهُ بِمَاءِهِ ، وَمَا اسْتَقِيلَ <sup>(٢)</sup> بِنِعْمَةٍ إِلَّا أَقْفَلَنِي بِأُخْرَى » .

❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ رَضِيعُ الْجُودِ وَالْمَفْطُومُ بِهِ ، عَقِيمٌ عَنِ  
الْفَحْشَاءِ ، مُعْتَصِمٌ بِالتَّقْوَى ، إِذَا حَذَفَتْ <sup>(٣)</sup> الْأَلْسُنُ عَنِ الرَّأْيِ ، حَذَفَ  
بِالصَّوَابِ ، كَمَا يَحْذِفُ الْأَرْنَبُ ، فَإِنْ طَالَتِ الْغَايَةُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِهَا نِهَايَةً ،  
تَمَهَّلَ أَمَامَ الْقَوْمِ سَابِقًا » .

❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إِنْ جَلِيسَهُ لِطِيبِ عِشْرَتِهِ أَطْرَبُ مِنَ الْإِبِلِ  
عَلَى الْحُدَاءِ ، وَالِثْمَلُ عَلَى الْغِنَاءِ » .

---

[١] الشريب والشراب : ما يشرب ، المصقع : البليغ أو العالى الصوت أو من لا يرتج عليه في كلامه ولا يتتبع . [٢] أى وما أحل ، وأقفلنى : أرجمى وردنى . [٣] حذفت : رمت .

✠  
وذكر أعرابي رجلا فقال : « كَانَ لَهُ عِلْمٌ لَا يَخَالِطُهُ جَهْلٌ ، وَصَدَقَ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، كَأَنَّهُ الْوَيْلُ عِنْدَ الْمَحَلِّ (١) » .

✠  
وذكر أعرابي رجلا فقال : « مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَعْرُوفِ مِنْهُ ، وَمَا رَأَيْتُ الْمُنْكَرَ أَبْغَضَ لِأَحَدٍ بَغْضَهُ لَهُ » .

✠  
وقدم أعرابي البادية وقد نال من بنى بَرَمَك ، فقيل له كيف رأيتهم ؟ قال :  
« رَأَيْتَهُمْ وَقَدْ أَنْسَتَ بِهِمُ النِّعْمَةُ ، كَأَنَّهَا مِنْ ثِيَابِهِمْ » .

✠  
وذكر أعرابي رجلا فقال : « مَا زَالَ يَبْنِي الْمَجْدَ ، وَيَشْتَرِي الْحَمْدَ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدُ » .

✠  
ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « إِنْ جَهَلَا أَنْ يَقُولَ الْمَادِحَ بِمُخْلَافِ مَا يَعْرِفُ مِنَ الْمَدُوحِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَكَارِمِ فِي زَمَانِ اللَّؤْمِ مِنْكَ ، وَأَنْشُدُ :

مَالِي أَرَى أَبْوَابَهُمْ مَهْجُورَةً ؟      وَكَأَنَّ بَابَكَ تَجْمَعُ الْأَسْوَاقِ  
حَابُوكَ أَمْ هَابُوكَ أَمْ شَامُوا النَّدَى      بِيَدَيْكَ فَاجْتَمَعُوا مِنَ الْآفَاقِ  
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْمَكَارِمِ حَاشِقًا      وَالْمَكْرُمَاتِ قَلِيلَةً الْعُشَاقِ

( القدر العريد ٢ : ٨٨ - ٩٠ )



وضل أعرابي الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدى ، فرفع رأسه إليه فقال :  
ما أدري ما أقول ؟ أقول : رَفَعَكَ اللهُ ؟ فقد رَفَعَكَ ، أم أقول : نَوَّرَكَ اللهُ ؟ فقد  
نَوَّرَكَ ، أم أقول : حَسَّنَكَ اللهُ ؟ فقد حَسَّنَكَ ، أم أقول : عَمَّرَكَ اللهُ ؟ فقد  
عَمَّرَكَ ، ولكني أقول : جعلني اللهُ فِدَاكَ . (العقد الفريد ٢ : ٩٧)



وذكر أعرابي قومه فقال : « كَانُوا وَاللَّهِ إِذَا اصْطَفُوا تَحْتَ الْقَتَامِ <sup>(١)</sup> ،  
خَطَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ ، بِوُفُودِ الْحِمَامِ ، وَإِذَا تَصَاغُوا بِالسِّيُوفِ فَفَرَّتْ <sup>(٢)</sup> الْمَنَايَا  
أَفْوَاهَهَا ، فَرُبَّ يَوْمٍ عَارِمٍ <sup>(٣)</sup> قَدْ أَحْسَنُوا أَدَبَهُ ، وَحَرْبٍ عَبُوسٍ قَدْ صَاحَكَتَهَا  
أَسِنَّتُهُمْ ، وَخَطَبٍ شَتْنٍ <sup>(٤)</sup> قَدْ ذَلَّلُوا مَنَاكِبَهُ ، وَيَوْمٍ عَمَّاسٍ <sup>(٥)</sup> قَدْ كَشَفُوا ظُلْمَتَهُ  
بِالصَّبْرِ حَتَّى يَنْجَلِي ، إِنَّمَا كَانُوا الْبَحْرَ الَّذِي لَا يُنْكَشُ <sup>(٦)</sup> غِمَارُهُ ، وَلَا يُنْتَهَنُ  
تِيَارُهُ » . (الأمل ١ : ١٣٩ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٨ ، وزهر الآداب ٢ : ٤)



ووصف أعرابي رجلا فقال : « هُوَ أَطْهَرُ مِنَ الْمَاءِ ، وَأَرْقُ طَبَاعًا مِنَ الْهَوَاءِ ،  
وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ ، وَأَهْدَى مِنَ النَّجْمِ » . (زهر الآداب ٢ : ٣)

[١] القتام : الغبار ، والحمام : الموت ، ورواية العقد : « كَانُوا إِذَا اصْطَفُوا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ »  
— سفر بين القوم كضرب ونصر : أصلح — . [٢] ففرت : فتحت .  
[٣] العرامة بالفتح والعرام بالضم : الشراسة والأذى ، هرم كنعن وضرب وكرم وعلم .  
[٤] شتن : شديد .مقاق . [٥] العماس من اللبالي : المظلم الشديد ، وأمر لا يقام له ولا يبتدى لوجهه .  
[٦] لا ينكش : لا ينزع ، والغمار جمع غمر كشمس : وهو الماء الكثير ، ونهته : كفه وزجره . وفي  
رواية العقد : « إِنَّمَا قَرَى الْبَحْرَ مَا أَلْقَمْتَهُ التَّمَمِ » ، ورواية زهر الآداب : « إِذَا اصْطَفُوا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ  
السَّهَامُ ، وَإِذَا تَصَاغُوا بِالسِّيُوفِ فَفَرَّتْ فَهَ الْحِمَامُ »



ووصف أعرابي قومه فقال : أَيُوثُ حَرْبٍ ، وَغِيُوثُ جَدَبٍ ، إِنْ قَاتَلُوا  
أَبْلَوْا ، وَإِنْ بَدَلُوا أَغْنَوْا . ( زمر الآداب ٢ : ٤ )



وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : « إِذَا ثَبَتَتِ الْأَصُولُ فِي الْقُلُوبِ ،  
نَطَقَتِ الْأَلْسُنُ بِالْفُرُوعِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي لَكَ شَاكِرٌ ، وَلِسَانِي ذَاكِرٌ ، وَمُحَالٌ  
أَنْ يَظْهَرَ الْوُدَّ الْمُسْتَقِيمَ ، مِنْ الْفَوَادِ السَّقِيمِ » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٥ )



وسئل أعرابي عن قومه فقال : « يَقْتُلُونَ الْفَقْرَ ، عِنْدَ شِدَّةِ الْقُرْبِ (١) ،  
وَأَرْوَاحِ (٢) الشِّتَاءِ ، وَهَبُوبِ الْجَرِيَاءِ (٣) ، بِأَسْنِمَةِ الْجَزُورِ ، وَمُتْرَحَاتِ (٤)  
الْقُدُورِ ، تَحْسُنُ وَجُوهَهُمْ عِنْدَ طَلَبِ الْمَعْرُوفِ ، وَتَعْبِسُ عِنْدَ لَمَعَانِ السِّيُوفِ » .



ووصف أعرابي قوماً فقال : « لِهَمِّ جُودِ كِرَامٍ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُهَا ، وَبَأْسِ  
لِيُوثٍ تَتَّبَعُهَا أَشْبَالُهَا ، وَهَمِّ مَلُوكٍ انْفَسَحَتْ آمَالُهَا ، وَفَرِّ صِيمِ آبَاءِ  
شَرَفَتْ أَحْوَالُهَا » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٧ )



---

[١] القرّ بتقليت الالف : البرد . [٢] جمع ريح كريح . [٣] ريح العمال أو بردها .  
[٤] جمع مترعة : وهي الملوعة .

## ٦٣ - قولهم في الدم

وذكر أعرابي قوماً فقال : « أولئك سلخيت أبقاؤهم بالهجاء ، ودُبغت وجوههم باللؤم ، لبأسهم في الدنيا الملامة ، وزادهم إلى الآخرة الندامة » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً فقال : « لهم بيوتٌ تُدخل حببوا ، إلى غير نمارق<sup>(١)</sup> ولا وسائد ، فُصِح الألسن برّد السائل ، جماد الأ كُفّ عن النائل<sup>(٢)</sup> » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « لقد صغّر فلاناً في عيني عظيم الدنيا في عينه ، وكأنما يرى السائل إذا أتاه ، ملك الموت إذا رآه » .

\*\*\*

وسئل أعرابي عن رجل فقال : « ما ظنكم بسكيرٍ لا يفيق ، يتهم الصديق ، ويعصي الشفيق ، لا يكون في موضع إلا حرمت فيه الصلاة ، ولو أفلتت كلمة سوء لم تصر إلا إليه ، ولو نزلت لعنة من السماء لم تقع إلا عليه » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إن فلاناً ليُمدي بِأئمه ، مَنْ تسمّى باسمه ، ولئن خيبتني فلربّ باقية قد ضاعت في طلب رجل كريم » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « تغدو إليه مرّاكب الضلالة ، فترجع من

---

[١] النمارق جمع نمرقة (بالضم) : وهي الوسادة الصغيرة . [٢] النائل : الطاء ، وهو جمد اليدى أو الأنامل ( كشمس ) : أى بجذيل ، وقد جمعوا جمد الشعر على جماد ككتاب كجاء في اللسان ، فليكن هذا مثله ، وقد جاء في الأصل « جمد » بدون ألف ، وأراه محرفاً ، إذ لا يجمع جمد ( بالفتح ) على جمد بضم فسكون ، ولا على جمد بضمين .

عنده يبذور الآثام ، مُعَدِّمٍ مما تحب ، مُكَثِّرٍ مما تكرهه ، وصاحب السوء  
قطعة من النار .



وقال أعرابي لرجل : « أنت والله ممن إذا سأل الحلف ، وإذا سُئِلَ سوِّف ،  
وإذا حَدَّثَ حَلَف ، وإذا وعد أخلف ، تنظر نظر حَسُود ، وتُعْرِض  
إِعراضَ حَقُود . »



وسافر أعرابي إلى رجل فخرمه ، فقال لَمَّا سُئِلَ عن سفره : « مارَبِحْنَا في  
سفرنا إلا ما قَصَرْنَا من صلَاتِنَا ، فأما الذي لَقِينَا من الهَوَاجِر (١) ، وَلَقِيْتْنَا  
مِنَ الأَبَاعِرِ ، فَعُقُوبَةٌ لَنَا فِيمَا أفسَدْنَا من حَسَنِ ظَنِّنَا » ، ثم أنشأ يقول :  
رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا خَرَجْنَا وَمَا خَابَتْ سَرِيَّةُ سَالِمِينَا



وذكر أعرابي رجلا فقال : « كَانَ إِذَا رَأَى قَرَبًا مِنْ حَاجِبٍ حَاجِبًا ،  
فَأَقُولُ لَهُ : لَا تَقْبِجْ وَجْهَكَ إِلَى قَبِجِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَتَيْتَكَ لَطْمِيعِ رَاغِبًا ،  
وَلَا لُخُوفِ رَاهِبًا . »



وذم أعرابي رجلا فقال : « عَبَدَ الفَعَالَ ، حُرَّ المَقَالَ ، عَظِيمَ الرِّوَاقِ ،  
دَنِيءَ الأَخْلَاقِ ، الدَّهْرُ يَرْفَعُهُ ، وَنَفْسُهُ تَضَعُهُ . »



وقال أعرابي : « دَخَلْتُ البَصْرَةَ ، فَرَأَيْتُ ثِيَابَ أَحْرَارٍ عَلَى أَجْسَادِ عَبِيدِ ،

---

[١] الهواجر جمع هاجرة : وهي شدة الحر .



إقبال حظههم إديار حظه الكرام ، شجره أصوله عند فروعه ، شغلهم عن المعروف  
رغبتهم في المنكر .



وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذاك ثمّ المجالس ، أعيا ما يكون عند جلسائه ،  
أبلغ ما يكون عند نفسه » .



وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذلك إلى من يداوى عقله من الجهل ، أحوج  
منه إلى من يداوى عقله من المرض ، إنه لا مرض أوجع من قلة عقل » .



وذكر أعرابي رجلا لم يدرك بثأره فقال : « كيف يدرك بثأره من في صدره  
من البلغم حشو مرقة ، لو دقت بوجهه الحجارة لرضها (١) ، ولو خلا  
بالكعبة لسرقها » .



وذكر أعرابي رجلا فقال : « تسهر والله زوجته جوعاً إذا سهر الناس  
شبعاً ، ثم لا يخاف مع ذلك عاجل عار ، ولا آجل نار ، كالبهيمة أكلت  
ما جمعت ، ونكحت ما وجدت » .



وسمع أعرابي رجلا يزعم فقال : « ويحك ! إنما يستجاب لمؤمن أو  
مظلوم ، ولست بواحد منهما ، وأراك يخفّ عليك ثقل الذنوب ، فيحسن عندك  
مقايح العيوب » .

✱

وذكر أعرابي رجلاً بضعف فقال : « سيء الروية ، قليل التقيّة ، كثير السّعاية ، ضعيف النّكايّة » .

✱

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « عليه كلّ يوم من فعله شاهدٌ بفسقه ، وشهاداتُ الأفعال ، أعدل من شهادات الرجال » .

✱

وذكر أعرابي رجلاً بذلّة فقال : « عاش خاملاً ، ومات مؤثوراً » .

✱

وقال أعرابي لرجل شريف البيت ، دنى الهمة : « ما أحوجك أن يكون عرضك لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه » .

✱

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إن حدّته يُسابقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكت عنه أخذ في التّرمات<sup>(١)</sup> » .

✱

وذكر أعرابي رجلاً راكباً هواه فقال : « والله هو أقصد إلى ما يهواه ، من الطّرق إلى المياه ، أفقره ذلك أو أغناه » .

✱

وقال أعرابي : « ليت فلاناً أقالني من حسن ظني به ، فأختم بصواب إذ بدأت بخطأ ، ولكن من لم تُحكّمه التجارب ، أسرع بالمدح إلى من يستوجب الذم ، وبالذم إلى من يستوجب المدح » .

[١] الترمات جمع ترمة : وهي الباطل .

وقال أعرابي لرجل : « هل أنت إلا أنت لم تتغير ؟ ولو كنت من حديد  
مُحَمَّى ووَضِعْتَ على عَيْنٍ لم تَدَبْ » .

وقال أعرابي لأخيه : « قد كنتُ نهيتك أن تدنُسَ عِرْضَكَ بمرض فلان ،  
وأعلمك أنه سمينُ المال ، مهزول المعروف ، من المرزوقين فجأة ، قصيرُ عمر  
الغنى ، طويل عمر الفقر » .

وقال أعرابي : « لا ترك الله مُخَاً في سُلَامَى <sup>(١)</sup> ناقةٍ حملتني إليك ، وللداعي  
عليها أحقُّ بالدعاء عليه ، إذ كلّفها المسيرَ إليك » .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « لا يُؤنس جاراً ، ولا يُؤهل داراً ،  
ولا يبعث ناراً » .

وذكر أعرابي امرأة قبيحة فقال : « تُرْخِي ذيلها على عُرْقُوبِي نعامةٍ ،  
وتُسَدِلِ خمارها على وجه كالجِمالَةِ <sup>(٢)</sup> » .

وقال أعرابي لامرأة : « والله إنك لمُشْرِفة الأذنين ، جاحِظَة العينين ، ذات  
خلق متضائل ، يُعْجِبُكَ الباطل ، إن شَبِعْتَ بَطْرَتِ ، وإن جُعْتَ صَحْبَتِ <sup>(٣)</sup> ،  
وإن رأيتِ حسناً دَفَنْتِهِ ، وإن رأيتِ سيئاً أذَعْتِهِ ، تَكْرَمِينَ من حَقْرِكَ ،  
وتَحْقِرِينَ من أكرمكِ » . ( المقدم الفريد ٢ : ٩٠ - ٩٣ )

[١] السلايات : عظام الأصابع . [٢] الجمالة : خرقة ينزل بها القدر

[٣] الصخب : شدة الصوت .

وسأل أعرابي رجلا فخرمه ، فقال له أخوه : « نزلت وألله بوادٍ غير ممطور ،  
وأيتت رجلا بك غير مسرور ، فلم تُدرك ما سألت ، ولا نلت ما أملت ،  
فازتَ حِلَّ بِنْدَم ، أو أقيم على عَدَم » . ( العقد الفريد ٢ : ٩٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٥ )

\*\*\*

ودخلت أعرابية على محمدونة بنت المهدي ، فلما خرجت سئلت فقالت :  
« والله لقد رأيتها فما رأيت طائلا ، كأن بطنها قرية ، كأن نذيتها دبة ، كأن  
استها رُقعة <sup>(١)</sup> ، كأن وجهها وجه ديك قد نفش <sup>(٢)</sup> عفريته يقاتل ديكا » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٢ ، والأمال ٢ : ١٥٦ )

\*\*\*

وذم أعرابي رجلا فقال : « أفسد آخرته بصلاح دنياه ، ففارق ما أصلح  
غير راجع إليه ، وقدم على ما أفسد غير منتقل عنه ، ولو صدق رجل نفسه  
ما كذبه ، ولو ألقى زمامه أوطأه راحلته » . ( زهر الآداب ٢ : ٦ )

\*\*\*

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخاصمه : « والله لو صور الجمل  
لأظلم معه النهار ، ولو صور العقل لأضاء معه الليل ، وإنك من أفضلهما لمُعَدِم ،  
تخف الله واعلم أن من ورائك حكا لا يحتاج المدعى عنده إلى إحضار بينة » .  
( زهر الآداب ٣ : ١٦٣ )

\*\*\*

وقال أعرابي يعيب قوما : « هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرهم  
جرما إلى أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفحشاء » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والعقد الفريد ٢ : ٩٠ )

\*\*\*

ووصف أعرابي رجلاً فقال : « صَغِيرُ الْقَدْرِ ، قَصِيرُ الشَّبْرِ <sup>(١)</sup> ، ضَيْقُ الصدر ، لثِيمُ النَّجْرِ <sup>(٢)</sup> ، عَظِيمُ الْكِبَرِ ، كَثِيرُ الْفَخْرِ » .  
( البيان والتبيين ١ : ١٥٧ ، والمقدّم الفريد ٢ : ٩١ )

\*\*\*

وذكر أعرابي أميراً فقال : « يَقْضِي بِالْمَشْوَةِ ، وَيَطِيلُ النِّشْوَةَ ، وَيَقْبَلُ الرِّشْوَةَ <sup>(٣)</sup> » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٥٠ ، والمقدّم الفريد ٢ : ٩١ )

\*\*\*

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابياً يقول : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمَّ أَوْفَى » ، قال : « وَمَنْ أُمُّ أَوْفَى ؟ » ، قال : « امْرَأَتِي ، وَإِنِّهَا لِحَمَقَاءِ مِرْغَامَةٍ <sup>(٤)</sup> ، أَكُولُ قَامَةً <sup>(٥)</sup> ، لَا تَبْقَى لَهَا حَامَةٌ <sup>(٦)</sup> ، غَيْرَ أَنَّهَا حَسَنَاءٌ فَلَا تُفْرَكُ <sup>(٧)</sup> ، وَأُمُّ غُلَامَانِ فَلَا تُتْرَكُ » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٤٧ )

\*\*\*

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي تقول : « وَاللَّهِ إِنْ شُرِبَكَ لَأَشْتَفَا <sup>(٨)</sup> ، وَإِنْ ضِجِّعْتِكَ لَأَنْجِمَا <sup>(٩)</sup> ، وَإِنْ شِمَلْتِكَ لَأَلْتَفَا ، وَإِنَّكَ لَتَشْبَعُ لَيْلَةَ تُضَافُ ، وَتَنَامُ لَيْلَةَ تَخَافُ » ،

[١] الشبر : القدّ . [٢] النجر : الأصل . [٣] المشوة والنشوة والرشوة بتثنية الفاء في الثلاثة ، المشوة : ركوب الأمر على غير بيان ، والنشوة : السكر ، والرشوة : الجمل والبرطيل « بكسر الباء » . [٤] المرغامة : الغضبية لبعلمها . [٥] قامة : اسم فاعل ، من قمّ : أى أكل ما على الجوان كاقتمه ، وقمّه : كمنه : [٦] الحامة : الحاصة . [٧] فرك زوجته وفركته كسمع ، وكنصر شاذ : أبفضته ، ورجل مفرك بالتشديد تبغضه النساء وامرأة مفركة : يبغضها الرجال . [٨] اشتفّ ما في الإيذاء : شربه كله . [٩] الانجماف : الانصراف .

فقال لها : « والله إنك لَكَرْوَاءُ السَّاقِينِ <sup>(١)</sup> ، قَعَوَاءُ الْفَخْذَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، مَقَاءُ الرُّفَيْنِ <sup>(٣)</sup> ، مَفَاضَةَ الْكَشْحَيْنِ <sup>(٤)</sup> ضَيْفِكَ جَائِعٌ ، وَشَرِّكَ شَائِعٌ » . ( الأمل : ١ : ١٠٤ )

\*\*\*

عن عبد الرحمن عن عمه قال : مرّ أعرابي برجل يكنى أبا الفمر - وكان ضخماً جسيماً ، وكان بواباً لبعض الملوك - فقال : أَعَيْنِ الْفَقِيرَ الْحَسِيرَ ، فقال : ما ألحفَ سائِلِكُمْ ، وأَكْرَهَ جَائِعِكُمْ ، أراحنا الله منكم ، فقال له الأعرابي : « لو فرَّقَ قوتُ جسمك في جسوم عشرة منا ، لكفانا طعامك في يومٍ شهراً ، وإنك لعظيم السَّرَطَةِ <sup>(٥)</sup> ، شديد الضَّرَطَةِ ، لو ذرّيتُ بِحَبَقَّتِكَ يَبْدَرٌ ، لكففته رِيحَ الْجَرِيَاءِ <sup>(٦)</sup> » . ( الأمل : ١ : ٢٢٦ )

## ٦٤ - قولهم في الغزل

سئل أعرابي عن امرأة فقال : « هي أَرْقُ من الهواء ، وأطيبُ من الماء ، وأحسن من النِّعْمَاءِ ، وأبعد من السماء » . ( الأمل : ١ : ٢٠١ ، والمقد الفريد : ٢ : ٩٤ )

\*\*\*

وذكر أعرابي امرأة فقال : « لها جِلْدٌ من لَوْلُو ، مع رائحةِ الْمِسْكِ ، وفي كل عُضْوٍ منها شمسٌ طالعة » .

\*\*\*

وذكر أعرابي امرأة فقال : « كَادَ الْغَزَالُ أَنْ يَكُونَهَا ، لَوْلَا مَا تَمَّ مِنْهَا وما نَقَصَ مِنْهُ » .

[١] الكرواء : الدقيقة الساقين .

[٢] القعواء : الدقيقة ، أو الدقيقة الفخذين ، وقيل : هي المتباعدة ما بين الفخذين ( كالنجواء ) .

[٣] الرفغ : أصل الرفغ ، والمغاء : الدقيقة الفخذين ، أو الطويلة من المقي بالتحرّيك وهو الطول .

[٤] المفاضة : المسترخية ، والكشعان : الحاصرتان . [٥] البلعة من سرطه كنصر وفرح : ابتلعه

[٦] الحبقة : الضرطة ، والبيدر : الموضع الذي تداس فيه الجيوب ، والجرياء : ريح الشمال الباردة .

وذكر أعرابي نِسْوَةَ خرجن متنزهاتٍ فقال : « وجوهٌ كالدنانير ، وأعناق  
كأعناق اليعافير<sup>(١)</sup> ، وأوساطٌ كأوساط الزناير ، أقبلن إلينا بحُجُولٍ<sup>(٢)</sup> تحفِقُ ،  
وأوشحةٌ تُمَلِّقُ ، وكم أسيرٍ لهن وكم مُطَلِّقٍ » .



ووصف أعرابي امرأة حسناء فقال : « تَبَسِّمُ عن خَمَشٍ<sup>(٣)</sup> اللثاتِ ،  
كأَقاحِي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه » .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « هي الشِّقْمُ الذي لا بُرءَ منه ، والبرء الذي  
لا سقم معه ، وهي أقرب من الحشأ ، وأبعد من السَّما » .



ووصف أعرابي امرأة فقال : « بيضاء جَعْدَةٌ<sup>(٤)</sup> لا يَمَسُّ الثوبُ منها  
إلا مُشاشَةً<sup>(٥)</sup> كتفيتها ، وَحَلَمَةٌ ثديها ، ورضنِي ركبتيها ، ورائفتِي  
اليتيها ، وأنشد :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثَّدِيَّ لِقَمَصِهَا      مَسَّ البَطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهوراً  
وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ العَشِيِّ تَنَاحَتْ      نَبَهْنَ حَاسِدَةً وَهَجْنَ غَيُوراً

[١] اليعافير جمع يعفور : وهو ولد البقرة الوحشية . [٢] الحجول جمع حجل بالكسر والفتح :  
وهو الخللخال ، والأوشحة جمع وشاح بالضم والكسر : أديم عريض يرصع بالجواهر ، تشده المرأة بين  
طاقها وكشحيها . [٣] خدش ، والأقاحي جمع أقحوان بالضم : وهو نبت طيب الريح حواليه ورق  
أبيض ، ووسطه أصفر ، وراقه : أعجبه .

[٤] الجعد من الشعر خلاف السبط ، أو التقصير منه ، ورجل جعد الشعر والأنثى جعدة ، والجعد أيضا  
المدمج الخلق المجتمع يعضه الى بعض ، والجعد اذا ذهب به مذهب المدح فله معنيان مستحجان : أحدهما أن  
يكون معصوب الجوارح شديد الأسر والخلق ذير مسترخ ولا مضطرب ، والثاني أن يكون شعره جعدا غير  
سبط لأن سبوطه الشعر هي الغالبة على شعور المعجم من الروم والفرس ، وجعدودة الشعر هي الغالبة على  
شعور العرب . [٥] المشاشة : رأس العظم ، والرضف : عظام في الركبة كالأصابع المضمومة قد أخذ  
بعضها بعضا ، والرائقة : أسفل الألية عند القيام .

✽

وذكر أعرابي امرأة فقال : « تلك شمس باهت بها الأرضُ شمس - سماؤها ،  
وليس لي شفيح في اقتضائها <sup>(١)</sup> ، وإن نفسي لكثوم لداؤها ، ولكنها تقيض  
عند امتلائها » .

✽

وقال أعرابي في امرأة ودعها للمسير : « والله ما رأيت دمة ترقرق من  
عين يا محمد <sup>(٢)</sup> على ديباجة خدّ ، أحسن من عبّرة أمطرتها عينها ، فأعشت  
بها قلبي » .

✽

وقال أعرابي : « إن لي قلباً مرّوعاً <sup>(٣)</sup> ، وعينا دمّوعاً ، فإذا يصنع كل  
واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءها دواؤها ، وسقمهما شفاؤها ؟ » .

✽

وقال أعرابي : « ما أشدّ جولة الرأي عند الهوى ، وفطام النفس عن الصبا !  
ولقد تقطعت كبدي ! لوم الماذنين للماشقين قرطة في آذانهم ، ولوحات الحب  
نيران في أبدانهم ، مع دموع على المغاني <sup>(٤)</sup> ، كغروب السواني » .

✽

وذكر أعرابي امرأة فقال : « لقد نمت عيني نظرت إليها ، وشقي قلب  
تفجع عليها ، ولقد كنت أزورها عند أهلها ، فيرحب بي طرفها ، ويتجهمني  
لسانها » قيل له فما بلغ من حُبك لها ؟ قال : « إني ذاكر لها وبينى وبينها  
عدوة الطائر ، فأجد لذكرها ريح المسك » .

[١] الضيق دينه وتماشاها بمعنى . [٢] الأعمد : الكحل ، والديباجة : الحد . [٣] مفزعا .  
[٤] المغاني جمع مغني : وهو المنزل ، والغروب جمع غرب كشمس : وهو اللؤلؤ العظيمة ، والسواني جمع  
سانية : وهي النافذة يسقى عليها ، والغرب وأداته .



وقال أعرابي : « ألهوى هوان ، ولكن غلِطَ باسمه ، وإنما يعرف من يقول ، من أبتكته المنازك والطلول » .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « إن لساني لندكرها لندلول ، وإن حببها لقلبي لقتول ، وإن قصير الليل بها ليطول » .

ووصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال فقال : « كلامهن أقتل من النبل ، وأوقع بالقلب من الوبل بالمحل ، فروعهن أحسن من فروع النخل » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٣ - ٩٥ )

وقال أعرابي : « دخلت البصرة ، فرأيت أعيناً دُعجاً<sup>(١)</sup> ، وحواجب زُجاً ، يسحبن الثياب ، ويسلبن الألباب » ( العقد الفريد ٢ : ٩٣ ، وزهر الآداب ٣ : ١٧ )

وذكر أعرابي نساء فقال : « ظمائن<sup>(٢)</sup> في سوافهين طول ، غير قبيحات العطول<sup>(٣)</sup> ، إذا مشين أسبلن الذيول ، وإن ركبن أثقلن الحمول<sup>(٤)</sup> » .  
( زهر الآداب ٣ : ١٧ )

وقال أعرابي : « لقد رأيت بالبصرة بُروداً كأنها صُبغت بأنوار الربيع ، فهي ترُوع<sup>(٥)</sup> ، واللابس لها أروع » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٦ )

[١] دُعجا جمع دُعجا ، وصف من الدعج بالتحريك : وهو سواد العين مع سميتها . وزجا جمع زجا من الزجج بالتحريك أيضاً : وهو دقة الحاجبين و طول .

[٢] ظمائن جمع ظمينة : والظمينة في الأصل وصف المرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها لأنها تصير مظعونة ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظن بها ، والسوالف جمع سالفه : وهي ناحية مقدم العنق من لدن معاق القُرط الى قرة الترقوة . [٣] مطلت المرأة كفرح عطلا بالتحريك وعطولا : إذا لم يكن عليها حلي . [٤] الحمول : الهوادج ، أو الإبل عليها الهوادج جمع حمل بالكسر ويفتح . [٥] تعجب .

وقال أعرابي : « شيعنا الحى وفيهم أدوية السقام<sup>(١)</sup> ، فقَرَأَنَ بِالْحَدَقِ  
السَّلَامَ ، وَخَرِسْتَ الألسن عن الكلام . » ( الأمل ٢ : ٥٠ )

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : « لَامُتَّعَ الهوى بملكه ، ولا مَلَّى<sup>(٢)</sup>  
بسُلطانه ، وَقَبَّضَ الله يده ، وأوهنَ عَضُدَه ، فإنه جائرٌ لا يُنصِفُ في حكم ، أعمى  
لا ينطق بعدل ، ولا يُقَصِّرُ في ظلم ، ولا يرعوى لذم ، ولا ينقاد لحق ، ولا يُبْتِغِي  
على عقل وفهم ، لو مَلَكَ الهوى وَأَطِيع ، لَرَدَّ الأُمُورَ على أدبارها ، والدنيا على أعقابها »

وسئل أعرابي عن الهوى فقال : « هوداء تُدَاوِي به النفوس الصَّحاح ،  
وَتَسَلُّ منه الأرواح ، وهو سُقْمٌ مُكْتَمٌ ، وَحَمِيمٌ<sup>(٣)</sup> مُضْطَرِمٌ ، فالقلوب له  
مُنْضِجَةٌ ، والعيون ساكبة . » ( زهر الآداب ٣ : ١٨ )

ووصف أعرابي امرأة يحبها فقال : « هي زينة الحُضُورِ ، وباب من أبواب  
السُرور ، وَلَدِ كَرُّها في المنيب ، والبعدِ عن الرقيب ، أشهى إلينا من كل ولد  
وَنَسِيب ، وبها عُرِفَ فضلُ الحُورِ العِينِ ، واشتِيقَ بها إليهن يومَ الدِّينِ . »  
( زهر الآداب ٣ : ٢٤٤ )

ووصف أعرابي نساء فقال :  
« يَلْتَمِسُنَ على السَّبائِكِ<sup>(٤)</sup> ، وَيَتَشِحْنَ على النَّيَّازِكِ<sup>(٥)</sup> ، وَيَأْتِرْنَ

[١] أى الهويات الداوية لسقام .  
[٢] ملاه الله حبيبه تلمية : متعه به وأطاشه منه طويلا . [٣] الحميم : الماء الحار . وفي الأصل :  
« وحى » وأراءه محرفا عن حميم ، ويناسبه قوله بعد : « والعيون ساكبة » .  
[٤] اللتام على الفم ، واللقام على طرف الأنف ، تلتمت المرأة وتلفت ، والسبائك هنا الأسنان شبيها  
لياضها بالسبائك . [٥] النيازك جمع نيزك كجعفر : وهو الرمح القصير .

على العوانك<sup>(١)</sup> ، وَيَرْتَفِقْنَ على الأرائك<sup>(٢)</sup> ، ويتهادين على الدرانيك<sup>(٣)</sup> ،  
ابتسامهن وميض<sup>(٤)</sup> ، عن وليع كالإغريض<sup>(٥)</sup> ، وهن إلى الصبا صور<sup>(٦)</sup> ، وعن  
الحنانور<sup>(٧)</sup> . « (الأمال ١ : ٤٤ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨ )

## قولهم في الوصف

### ٦٥ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سئل أعرابي عن مطر فقال :

« استقلُّ سُدُّم مع انتشار الطفل<sup>(١)</sup> ، فشَصَا وَأَحْزَالَ<sup>(٢)</sup> ، ثم اكْفَهَرَّت  
أَرْجَاؤُهُ ، وَاحْمَوَمَتْ أَرْحَاؤُهُ ، وَابْذَعَرَّتْ فَوَارِقُهُ<sup>(٣)</sup> ، وَتَضَا حَكَّتْ بَوَارِقُهُ ،  
وَاسْتَطَارَ وَادِقُهُ ، وَأَرْتَقَّتْ جُوبُهُ ، وَأَرْتَمَنَ هَيْدَبُهُ<sup>(٤)</sup> ، وَحَشَكَتْ أَخْلَافُهُ ،  
وَاسْتَقَلَّتْ أَرْدَافُهُ ، وَانْتَشَرَتْ أَكْنَافُهُ<sup>(٥)</sup> ، فالرعد مُرْتَجِسٌ ، والبرق مُخْتَلِسٌ ،

[١] العوانك جمع طابك : وهو رمل منعقد يشق فيه البعير لا يقدر على السير .

[٢] الأرائك جمع أريكة وهي السرر أو الفرش ، وارتفق : ارتدأ على مرفق يده ، أو على الخد .

[٣] يتهادين : يمشين مشياً ضعيفاً ، والدرانيك : الطنافس جمع درنوك كصفور ، ودرنوك كزرج .

[٤] الوميض : اللعان الحني ، والوليع : الطلع ، كأنه نظم اللؤلؤ في شدة بياضه . قال الشاعر يصف

نفر امرأة : وتبسم عن نير كالوليع ، والإغريض : الطلع حين ينشق عنه كافوره ، والبرد (بتحريك الراء) .

[٥] صور : مواثيل ، ومنه قيل للمائل العق أصور ، ونور : ما فرات من الريبة جمع نوار كسحاب .

[٦] استقل : ارتفع ، والسد : السحاب الذي يسد الأفق ، والطفل : العشى إلى حد المغرب .

[٧] شصا ارتفع ، واحزأل مثله . [٨] المكهفر من السحاب : الذي يركب بعضه بعضاً ،

وأرجاؤه : نواحيه جمع رجاكمصا ، واحمومت : اسودت ، وأرحاؤه : أوساطه ، جمع رجاكمصا ، وابدعرت

تفرقت ، والفوارق جمع فارق ، وهو السحاب الذي ينقطع من معظم السحاب ، وأصله في الإبل ، يقال

ناقة فارق : وهي التي تندعن الإبل عند نتاجها .

[٩] استطار : انتشر ، والودق الذي يكون فيه الودق ( كشمس ) وهو المطر العظيم القطر ، وارتقت

التأمت ، وجوبه : فرجه ، وارتمن : استرخى ، والهيدب : الذي يتدلى ويدنو من الأرض مثل هديب القطيفة .

[١٠] حشكت : امتلأت ، والأخلاف جمع خاف كحمل ، وهو للناقة كالضرع للبقرة ، أردافه : ما أخيره

والأكناف : الواحي .

والماء مُنْبَجِسٌ <sup>(١)</sup> ، فَأُتْرِعَ النُّدْرَ ، وَانْتَبَثَ الْوُجْرُ <sup>(٢)</sup> ، وَخَلَطَ الْأَوْعَالَ  
بِالْأَجَالِ ، وَقَرَنَ الصَّيْرَانَ بِالرَّئَالِ <sup>(٣)</sup> ، فَلَأَوْدِيَةَ هَدِيرٍ ، وَلِلشُّرَاجِ خَرِيرٍ ، وَلِلتَّلَاعِ  
زَفِيرٍ <sup>(٤)</sup> ، وَحَطَّ النَّبْعَ وَالْعُتْمَ ، مِنْ الْقُلَلِ الشَّمِّ ، إِلَى الْقَيْعَانِ الصُّخْمِ <sup>(٥)</sup> ، فَلَمْ  
يَبْقَ فِي الْقُلَلِ إِلَّا مُعْصِمٌ مُجْرَثِمٌ ، أَوْ دَاحِضٌ مُجْرَجَمٌ <sup>(٦)</sup> ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ  
العالمين ، عَلَى عِبَادِهِ الْمُذْنِبِينَ . (الأمال ١ : ١٧٣)

## ٦٦ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابياً من غنيّ يذكر مطراً أصاب <sup>(٧)</sup> بلادهم في  
غيبٍ جَدَّبَ فقال :

« تَدَارَكَ رَبُّكَ خَلْقَهُ ، وَقَدْ كَلَبَتِ الْأَمْحَالُ ، وَتَقَاصَرَتِ الْأَمَالُ ، وَعَكَفَ  
الْيَاسُ ، وَكُظِمَتِ الْأَنْفَاسُ ، وَأَصْبَحَ الْمَاشِيُّ مُضْمِرِمًا <sup>(٨)</sup> ، وَالتَّرِبُ مُعْدِمًا ،

[١] مرتجس : مصوّت من الرّحس كحمل وهو الصوت ، مختلس : كأنه يختلس البعير لشدة إبعاده ،  
منبجس : منفجر .

[٢] أترع : ملأ والندر جمع غدِير ، والوَجْر جمع وجار ككتاب وسحاب وهو جمر الضبيع والمثلب ،  
وانتبت : أخرج نبيتها وهو تراب البثر والقبر ، أي أنه لشدة هدم الوجر حتى أخرج ما بداخلها من التراب .  
[٣] الأوطال جمع وعل ، ( كشمس وكتف ودئل ) : التيس الجبلي ، والأجال جمع أجل كحمل وهو  
القطيع من البقر أي أنه لشدة جمع بين النحول - وهي تسكن الجبال - وبين البقر - وهي تسكن القيعان  
والرمال ، والصيران جمع صوار كشجاع ، وصيار ككتاب وهو القطيع من البقر ، والرئال جمع رأل كشمس  
فرخ النعام ، فالرئال تسكن الجلد ( بالتحريك وهي الأرض الصلبة للمستوية المنبسطة ) والصيران تسكن الرمال  
والقيعان ، فقرن بينهما .

[٤] هدير : أي صوت كهدير الأبل ، الفراج جمع شرج كشمس وهو ميل الماء من الحرة إلى السهل  
والتللاع : مسيل الماء من الجبال حتى ينصب في الوادي . [٥] النبع : شجر يتخذ منه القسي ينبت في  
الجبال ، والعتم : الزيتون الجبلي كقفل وعنتى ، والقلل : أعلى الجبال جمع قلة كفرصة ، والشم : المرتفعة  
جمع شماء ، والقيعان جمع قاع : وهي أرض سهلة مطمئة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، والصخم : التي تلوها  
حرة جمع أحمم . [٦] المعصم : الذي قد تمسك بالجبال وانفتح فيها ( ويقال للرجل الذي يمسك بحرف فرسه  
خوف السقوط : معصم ) مجرثم : متقبض ، الداخض : الذي يقمص برجليه عند الموت ، والمجرجم : المصروع .  
[٧] صاب : جاد ، وكلبت : اشتدت ، والأمحال جمع محل كشمس وهو الفحط ، وعكف : أقام .

[٨] الماشي : صاحب الماشية ، معنى الرجل وأمشى : كثرت ماشيته ، والمصرم : المقارب المال القفل ،

وَجُفِيَتْ الحَلَالِيلَ ، وَأَمْثِهِنَتِ العَقَائِلَ ، فَأَنْشَأَ سَجَابِيْرُ كَامًا<sup>(١)</sup> ، كَنَهْوَرًا سَجَامًا ،  
بُرُوقَهُ مَتَأَلِّقَةً ، وَرُعُودَهُ مُتَقَعِّمَةً ، فَسَحَّ سَاجِيًا<sup>(٢)</sup> رَاكِدًا ، ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي فُوقٍ ،  
ثُمَّ أَمْرَ رَبِّكَ الشَّمَالَ ، فَطَحَّرَتْ<sup>(٣)</sup> رُ كَامَهُ ، وَفَرَّقَتْ جَهَامَهُ ، فَاَنْقَشَعَ مَحْمُودًا ،  
وَقَدْ أَحْيَا وَأَغْنَى ، وَجَادَ فَأَرْوَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُكْتَبُ نِعْمَتُهُ ، وَلَا تَنْقَدُ  
قِسْمَتُهُ ، وَلَا يَخِيْبُ سَائِلُهُ ، وَلَا يَنْزُرُ<sup>(٤)</sup> نَائِلُهُ . (الأمل : ١ : ١٧٦)

### ٦٧ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : « سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن مطر  
صَابَ بلادهم فقال :

« نَشَأَ عَارِضًا<sup>(٥)</sup> ، فَطَلَعَ نَاهِيضًا ، ثُمَّ ابْتَسَمَ وَامِيضًا ، فَأَعَسَّ فِي الأَقْطَارِ  
فَأَسْجَاهَا ، وَامْتَدَّ فِي الآفَاقِ فَنَغَطَّاهَا ، ثُمَّ ارْتَجَزَ<sup>(٦)</sup> فَهَمَّهُمْ ، ثُمَّ دَوَى فَأَظْلَمَ ،

والترب الغى الذى له المال مثل التراب كثرة ، يقال : أترب الرجل إذا كثرت ماله (وقل أيضاً . ضد )  
وترب كفرح إذا انتفر كأنه لصق بالتراب ، وامتهنت : استخدمت واعتملت ، والمقائل جمع عقيلة ، وأنشأ  
أحدث ، والشء : السحاب أول ما يخرج .

[١] الركام : التراكم ، والكنهور من السحاب قطع كأنها الجبال ، أو التراكم منه ، واحدته كنهورة ،  
وسجّام : صباب ، ومتألقة : لامعة ، ومتقعمة : مصوتة .

[٢] سحّ : صب ، ساجياً : ساكباً ، راكداً : ثابتاً ، والفواق : أن يصب صبة ثم يسكن ، ثم يصب  
أخرى ثم يسكن مأخوذ من فواق اللاقة وهو ما بين الحابتين ، كأنه يحلب حلبة ثم يسكن ، ثم يحلب أخرى  
ثم يسكن . [٣] طحرت : أذهبت وأعدت ، والمهام : السحاب الذى قد هراق مائه ، تكنت : تحصى .  
[٤] يرر : يقل ، ومنه قيل : امرأة نزور : إذا كانت قليلة الولد .

[٥] العارض : السحاب المترض فى الأفق ، وومض البرق كوعد : لمع خفيفاً ، ولم أهد فى كتب اللدة  
«أعسّ» وإنما الذى فيها «عسس السحاب : دنا من الأرض» وأسعاها : عطاها ، وفى الأصل «أسعاها»  
بإاء وهو تصحيف . [٦] ارتجز الردد : صات ، وارتجز السحاب : تحرك بطيئاً لكثرة مائه ،  
رهمهم الردد : إذا سمعت له دوياء والهمهمة : كل صوت معه ببحج ، وأركت : أتى بالرك (بفتح الراء وبكسر)  
وهو المطر القليل أز هو فوق الدث ، والدث بالفتح : المطر الضعيف ، والبغشة بالفتح : العارة الضعيفة  
وقد غشت السماء كعب ، والغش : المطر الضعيف وهو فوق الرداد ، طشت السماء كنصر وضرب .

فَأَرْكَ وَدَثَّ ، وَبَشَّ وَطَشَّ ، ثُمَّ قَطَّقَطَ <sup>(١)</sup> فَأَفْرَطَ ، ثُمَّ دَيْمَ فَأَنْمَطَ ، ثُمَّ رَكَدَ فَأَنْجَمَ ، ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ ، وَجَادَ فَأَنَمَ ، فَكَمَسَ الرَّبَا <sup>(٢)</sup> ، وَأَفْرَطَ الزُّبَى ، سَبَمًا تَبَاعًا ، مَا يَرِيدُ اتَّقْشَاعًا ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَتْ الْحُزُونُ <sup>(٣)</sup> ، وَتَضَحَّضَتْ الْمُتُونُ ، سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ ، كَمَا جَلَبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٤٩ )

### ٦٨ - ثلاثة غلبة من الأعراب يصفون مطرا

، الأصمى قال : مررت بِغِلْمَةٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يَتِمَّ قَلُونَ <sup>(٤)</sup> فِي غَدِيرٍ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَيُّكُمْ يَصِفُ لِي الْغَيْثَ وَأَعْطِيهِ دِرْهَمًا ؟ فَنَجَّوْا إِلَى فَقَالُوا : كُلْنَا ، وَمِنْ ثَلَاثَةٍ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : صِفُوا ، فَأَيُّكُمْ ارْتَضَيْتَ وَصَفَهُ أَعْطَيْتَهُ الدَّرْهَمَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

« عَنْ لَنَا قَارِضٍ قَصْرًا <sup>(٥)</sup> ، تَسْوِقُهُ الصَّبَا ، وَتَحْدُوهُ الْجَنُوبُ ، يَجْبُو حَبْوُ الْمُعْتَنِكَ <sup>(٦)</sup> ، حَتَّى إِذَا اِزْأَلَمَتْ <sup>(٧)</sup> صَدُورُهُ ، وَاتَّعَلَّتْ خُصُورُهُ ، وَرَجَّعَ هَدِيرُهُ ، وَصَعَقَ زَيْرُهُ ، وَاسْتَقَلَّ نَشَاؤُهُ <sup>(٨)</sup> ، وَتَلَامَّ خَصَاؤُهُ ، وَارْتَمَجَ

[١] العطف بالكسر : المطر المتتابع العظيم القطر ، وقد قططت السماء ، والدَّيْمَةُ بالكسر : مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق ، أو يدوم أيما ، وقد ديمت السماء ، أنمط : قام ولارم ، وأنجمت السماء : أسرع مطرها وحام ، والوبل : المطر الشديد الضخم القطر ، وقد وبلت السماء كرهده : أمطرت ، وسجم كدخل : سال والصب . [٢] قس الربا : كسر وضرب : غوصها ، وأفرطها : ملامها حتى قاست ، والزى جمع زية كفرصة ، وهي الراية لا يطولها الماء ، وحفرة تحفر لصيد الأسد ( وهو الراد هنا ) سميت بذلك لأنهم كانوا يحفرونها في موضع حال .

[٣] الحزون جمع حرل كشمس وهو الغليظ من الأرض ، والمتون جمع متن كشمس : وهو ما صلب من الأرض وارتفع ، والتضحضح والتضحضح : الماء القليل ، وقيل هو ما لا يخرق فيه ، وقيل هو الماء إلى الكمين أو إلى أنصاف السوق - وفي لغة هذيل الكثير - وقد تضحضح للماء ، والتضحضح أيضاً جرى السراب ، تضحضح إذا تفرق .

[٤] يتقاطون في الماء . [٥] عرض : والدمر : المشى ، والصباء ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والهار . [٦] عك الرمل كنصر : تمدد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورملة طائفة : فيها تمدد لا يمدد البير على المشى فيها إلا أن يجبو ، واعتك البير واستنك : حبا في المانك فلم يمدد على السير وقال رؤفة : أوديت إن لم تحب حيو الممتك .

[٧] ازلامت : ارتفعت ، والحصور جمع خصر : وهو وسط الإنسان ، والرجيع : ترديد الصوت في الحلق . [٨] النفاص ككتاب وسحاب : السحاب المرمح ، أو المرتفع بعضه فوق بعض وخصاصه :

ارتعاضه ، وأوفدت سِقَابُهُ <sup>(١)</sup> ، وامتدت أطنابُهُ ، تدارك وَذْقُهُ ، وتَأْتَقُ بَرَقَهُ ،  
 وَحَفَزَتْ تَوَالِيَهُ <sup>(٢)</sup> ، وَأَنْسَفَحَتْ عَزَائِيَهُ ، فغادر التَّرى عَمِدًا <sup>(٣)</sup> ، وَالْعَزَازَ تَمِيدًا ،  
 وَالْحُتَّ عِقْدًا <sup>(٤)</sup> ، وَالضَّحَاضِحَ مُتَوَاصِيَةً ، وَالشَّعَابَ مُتَدَاعِيَةً .  
 وقال الآخر : « تَرَاءَتِ الْمَخَائِلُ <sup>(٥)</sup> مِنَ الْأَقْطَارِ ، تَحْنُ حَنِينِ الْعِشَارِ ،  
 وَتَتْرَامِي بِشُهْبِ النَّارِ ، قَوَاعِدُهَا مِتْلَاحِكَةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَبَوَاسِقُهَا مِتْضَاحِكَةٌ ، وَأَرْجَاؤُهَا  
 مِتْقَازِفَةٌ ، وَأَعْجَازُهَا مُتْرَادِفَةٌ ، وَأَرْحَاؤُهَا مُتْرَاصِفَةٌ ، فَوَصَلَتْ الْغَرْبَ بِالشَّرْقِ ،  
 وَالْوَبْلَ بِالْوَدْقِ ، سَحَّادَرًا كَمَا <sup>(٧)</sup> ، مِتْتَابِعًا لَكَمَا كَمَا ، فَضَحَّضَتْ الْجَفَاجِفَ <sup>(٨)</sup> ،  
 وَأَنْهَرَتْ الصِّفَافِصِفَ ، وَحَوَّضَتْ الْأَصَالِفَ ، ثُمَّ أَفْلَعَتْ مَحْمُودَةَ الْآثَارِ ،  
 مَوْمُوقَةَ الْخِيَارِ » .

فرجه ، وأصله الفرج بين الأثافي والثقب الصغير وكل خلل أو خرق في باب ومنخل وبرقع ونحوه، وارتفع : ارتعد ، وارتعمس : تلوى وانتفض ، وارتعمس الرمح : اشتد اهتزازُه .

[١] أوفدت : أشرفت ، والسقاب جمع سقب كشمس وهو عمود الجباب ، والأطباب جمع طب كسقى وهو  
 جبل طويل يشد به الوتد . [٢] حفزه كضربه : دفعه من خلفه ، والتوالى : الأعجاز والمآخير ، والعرالى  
 بكسر اللام وفتحها جمع عزلاء : وهي مصب الماء من الراوية ونحوها ، واسفحت : اصبت ، من سفع الدم  
 أراقه . [٣] عمد الترى كفرح : بلله المطر حتى إذا قبضت عليه تعقد لدوته ، والعزاز : الأرض الصلبة  
 مكان ثد : ند من التأد بالتحريك وهو الديو . [٤] الحث : الياس الحشن من الرمل ، والعقد ككف  
 وجبل : ماتعقد من الرمل وتراكم ، والضحاضح كجففر والضحضاح : الماء اليسير ، متواصية : متواصلة ، والشعاب  
 جمع شعبة كفرصة : وهي السيل في الرمل ، وماعظم من سواقى الأودية ، وصدع في الحلل يأوى إليه المطر .  
 [٥] مخايل جمع مخيلة « بصم الميم وكسر الحاء » والمخيلة والمخيلة « بتشديد الياء المكسورة » السحابة  
 التي تحسبها ماطرة ، والعشار جمع عشاء كفساء : وهي الناقة التي مضى لحملها شجرة أشهر أرتمانية ،  
 أو هي كالفساء من النساء ، والشهب جمع شهاب ككتاب : وهو شعلة من نار ساطعة .

[٦] قواعدها : أسافلها ، وأصله من قواعد البيت : أى أساسه ، متلاحكة : أى قد اشتدت التماسها ،  
 والمتلاحكة : الناقة الشديدة الحلق ، وبواسقها : أعاليها جمع باسقة ، من بسق : أى طال وارتفع ، وبتضاحكة :  
 أى يضحك فيها برقعها ، متقاذفة : أى يقذف بعضها بعضا بالمطر ، وأرحاؤها : أوساطها ، متراصفة : متراكمة  
 قد رصف بعضها فوق بعض . [٧] أى صبا متتابعا ، وراكاكا : تمازجا من السكالك ككتاب وهو لرحام .  
 [٨] الجفاجف جمع جفجف كجففر : وهي الأرض المرتفعة ليست بالغليظة ، وضحضحتها : حطت فيها ضحضح ،  
 والصفافص جمع صفف كجففر : وهو المستوى من الأرض ، وأنهر الماء : أساله ، والأصلف والصلعاء :  
 ما صلب من الأرض ، والجمع أصالف ، وحوضت جعلت فيها حياضا .

فقال الثالث : والله ما خلتها بلغ خمساً ، فقال : هلمَّ الدرهمَ أصِفِه لك ، فقلت : لا ، أو تقول كما قالوا ، قال : لا بُدَّ لِيَهُمَا <sup>(١)</sup> وَصَفًا ، ولأَوْقِفَهُمَا رَصَفًا ، فقلت : هاتِ لله أبوك ، فقال : « بينما الحاضرُ بين الباس والإِبلاس ، قد غمَّهم الإشفاق ، رهبة الإِملاق ، وقد جفَّت الأنواء <sup>(٢)</sup> ، ورفرف البلاء ، واستولى القنوط على القلوب ، وكثُر الاستغفار من الذنوب ، ارتاح ربك لعباده ، فأنشأ سحاباً مُستَجْهِراً <sup>(٣)</sup> كَنَهْوَرًا مُعْنَوَنِيكًا مُخْلَوِيكًا ، ثم استقل وأخزألٌ ، فصار كآلِسماء دون السماء ، وكالْأَرْضِ المَذْحُوَّة <sup>(٤)</sup> في لُوحِ الهوَاءِ ، فأحسبَ الشَّهولَ ، وأتأقَ الهُجُولَ ، وأحيا الرجاء ، وأمات الضَّرَاءَ ، وذلك من فضل رب العالمين . »  
قال : فمَلَأَ اللهُ اليَفْعُ صدرى ، فأعطيت كل واحدٍ درهما ، وكتبت كلامهم .  
( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٢ )

### ٦٩ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : سألت أعرابيا عن مطر صابهم بعد جذب فقال :  
« ارتاح لنا ربك بعد ما استولى على الظنون ، وخامر القلبَ القنوطُ ، فأنشأ بنوهُ الجبَّهة <sup>(٥)</sup> قزعةً كالْفَرَضِ من قِبَلِ العَيْنِ ، فأخزألت عند ترجُّل النهار ،

[١] بدءه : فاته وقلبه ، والناصر : ساكن الحضر ، والباس : العذاب والشدة ، والإِبلاس : النعير واليأس ، والإشفاق : الحوف ، والإِملاق : الفاقة . [٢] الأنواء جمع نوء : وهو في الأصل سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله في ساعته من المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحروالبرد إليها . [٣] مستجهدراً : لم أجد هذه الكلمة في كتب اللغة ، وربما كان الأصل : « مستهدراً » من استهدر العيون إذا السع ، والمهلوك : الشديد السواد ، وقد تقدم معنى اعتك واستعتك ، واعتوك أفعول من هذه المادة ، ولم أحده في كتب اللغة . [٤] البسوطه ، واللوح : الهوَاءِ وأحسبها : أرواها ، من أحسبه إذا أطعمه وسقاه حتى شبع وروى ، وأتأق : ملأ ، والمحول جمع هجل كشمس : وهو المطنبي من الأرض ، واليفع واليافع : الشاب .  
[٥] الجبَّهة : منزل للقمر ، قرعة : قطعة من الحجاب ، والفرض : انترس ، والعين : القبلة ، وترجل النهار : ارتفع .



لَا زَمِيمَ السِّرَارِ<sup>(١)</sup> ، حتى إِذَا نَهَضَتْ فِي الأفق طالعةً ، أمر مسخَّرها الجنوبَ  
فَتَسَمَّتْ لها ، فانتشرت أحضانها ، وَأُحْمَوَّتْ أركانها ، وَبَسَقَ عَنَانها<sup>(٢)</sup> ،  
وَكَفَهَرَتْ رَحَاهَا ، وَانْبَعَجَتْ كُلاهَا ، وَذَمَّرَتْ أُخْرَاهَا أَوْلَاهَا ، ثم استطارت  
عَقَائِقُهَا ، وَتَقَمَّقَعَتْ صَوَاعِقُهَا ، ثم ارْتَمَعَتْ<sup>(٣)</sup> جوانبها ، وتداعت سَوَا كِبُهَا ،  
وَدَرَّتْ حَوَالِبُهَا ، فَكَانَتْ الأَرْضُ طَبَقًا<sup>(٤)</sup> ، سَحَّ فَهَضَبَ ، وَعَمَّ فَأَحْسَبَ ،  
فَعَلَّ القِيَمَانَ ، وَضَحَّضَحَ الغَيْطَانَ ، وَجَوَّخَ الأَضْوَجَ<sup>(٥)</sup> ، وَأَتْرَعَ الشَّرَاجَ ،  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ كِفَاءَ إِسَاءَتِنَا إِحْسَانًا ، وَجَزَاءَ ظَلْمِنَا غُفْرَانًا .

( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٣ )

## ٧٠ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً من بني عامر بن لؤي بن  
صَعَصَعَةَ يصف مطراً فقال :

« نَشَأَ عِنْدَ القَصْرِ ، بِنَوَى الغَفْرِ<sup>(٦)</sup> ، حَبِيْبًا عَارِضًا ، ضاحِكًا وَامِضًا ،  
فَكَلَّا وَلَا<sup>(٧)</sup> ، مَا كَانَ ، حَتَّى شَجِيتَ بِهِ أَقْطَارُ المِوَاءِ ، وَاحْتَجَبَتْ بِهِ السَّمَاءُ ،

[١] الإزميم : ليلة من ليالي الحاق - والحاق ممشة : ثلاث ليال من آخر الشهر ، والسرار :  
آخر ليلة من الشهر ، وأحضانها جمع حضان كحمل : وهو حان الشيء وناحيته ، وأحومت : اسودت .  
[٢] بسق : ارتفع ، والعنان : السحاب ، رحاها : وسطها ، وانبعج : انشقت ، والكلية من  
السحاب : أسفله - ومن الزادة رقعة مستديرة تخرز عليها تحت العروة ، وذمرت : حضت - والتذامر :  
التحاض على المتال ، عقائقها : بروقها المشبهة للعقائق .  
[٣] ارتمن المطر : ثبت وجد . [٤] غيث طبق : عام واسع يطبق الأرض ، وهصب كضرب :  
مطر . [٥] جَوَّخَ السيل الوادي : إذا كسر جبنيه واقتلع أحرافه ، وفي الأصل «خوخ» وهو تصحيف  
والأضواج جمع ضوَج كشمس : وهو منمطب الوادي ، والشراج جمع شرج كشمس أيضاً : وهو مسيل  
الماء من المرة ( ينتج الماء ) إلى السيل .  
[٦] الغسر : العشى ، والغفر : منزل للقمر ، والحبي : السحاب يشرف من الأفق على الأرض ، أو الذي  
بعمقه فوق بعض . [٧] قال في اللسان : « والعرب إذا أرادوا تقليد مدة فعل أو ظهور شيء خفي  
قالوا : كان فعله كلاً ، وربما كرروا فقالوا كلاً ولا ، قال الشاعر : يكون زول القوم فيها كلاً ولا : » ،  
والشجا : ما اعترض في الخلق من نظم ونحوه ، وتد شجي به كرضي .

ثم أطرق<sup>(١)</sup> ، فاكفهر<sup>(٢)</sup> ، وتراكم فأذلم<sup>(٣)</sup> ، وبسق فازلام<sup>(٤)</sup> ، ثم حدث به الريح ،  
فخن<sup>(٥)</sup> ، فالبرق مُرتعج<sup>(٦)</sup> ، والرعد مُتبوج<sup>(٧)</sup> ، والخرج متبعج<sup>(٨)</sup> ، فأنجم ثلاثاً ،  
متحيراً ههنا<sup>(٩)</sup> ، أخلاؤه حاشكة<sup>(١٠)</sup> ، ودفعه متواشكة<sup>(١١)</sup> ، وسوامه متعاركة<sup>(١٢)</sup> ، ثم  
ودع منجماً<sup>(١٣)</sup> ، وأقلع مُتھماً<sup>(١٤)</sup> ، محمود البلاء<sup>(١٥)</sup> ، مُترع الثَّاء<sup>(١٦)</sup> ، مشكور النعماء<sup>(١٧)</sup> ،  
بطول<sup>(١٨)</sup> ذى الكبرياء<sup>(١٩)</sup> . ( بولغ الأرب ٣ : ٢٥٤ )

### ٧١ - أعرابي يصف مطراً

عن أبي عبيدة قال : خرج النُّعْمان في بعض أيامه في عَقِبِ سَمَاء ، فلقى  
أعرابياً على ناقة ، فأمر فأثى به ، قال : كيف تركت الأرض وراءك ، فقال :  
« فيح رُحاب<sup>(١)</sup> ، منها السهولُ ومنها الصَّعاب ، منشوطة يجبالها ، حاملة  
لأثقالها » ، قال إنما سألتك عن السماء ! قال :  
« مُطَلَّة<sup>(٢)</sup> مستقلة<sup>(٣)</sup> ، على غير سِقاب ولا أطناب ، يختلف عَصْرُها ،  
ويتعاقب سِرَاجُها ، قال : ليس عن هذا أسألك ! قال : فسَلْ ما بدالك ، قال :  
هل صابَ الأرضَ غيثٌ ؟ قال :  
« نعم : أنعمت<sup>(٤)</sup> السماء في أرضنا ثلاثاً رهواً ، فثرت وأرزغت<sup>(٥)</sup> ،

[١] هو من أطرقت الإبل : تبع بعضها بعضاً ، واذلم : اسود .

[٢] التَّبْوَجُ : الصياح ، والخرج : السحاب أول ما ينشأ ، متبعج : متندق .

[٣] الهَثَاث : السريح ، حاشكة : كثيرة الماء ، متواشكة : يسارع بعضها بعضاً ، والسوام : الإبل الراحية .

[٤] أمم المطر وغيره : أقلع ، ومنها : أى سأراً نحو تهامة ، والهاء جمع نهي بالكسر والفتح وهو الدير .

[٥] أى بفعله وقدرته .

[٦] فيح جمع فيحاء : واسعة ، وكذا رحاب ، منشوطة : مشدودة ، من نشط الجبل كنصر عقده

(وأشطه : حله) . [٧] مطلة : مرتفعة ، وكذا مستقلة ، والسقاب جمع سقب كشمس : وهو عمود الخباء ،

والعصران : اللين والهان ، وسراجها : الشمس والقمر . [٨] أى دامت ولا رمت ، والرهو : السكون

والثرة من العيون : الغزيرة كالثرارة ، وقد ثرت هي ، والرؤفة بالتحريك : الوحل ، وأرزغ المطر الأرض

بها ولم تسل ، ورسن المطر : كثر وثرى الأرض حتى تبله يد الحافر عنه إلى إرسافه .

وَرَسَّغَتْ ، ثم خرجتُ من أرض قومي أقرؤها <sup>(١)</sup> ، فإذا هي مُتَوَاصِيَةٌ ، لا خَطِيئَةَ بَيْنَهَا ، حتى هبَّتْ بِمِشَارٍ ، فتداعى السحابُ من الأقطار ، فجاءنا بالسيل الحرَّار ، فعفا <sup>(٢)</sup> الآثار ، وملاً الجِفَارَ ، وقوَّراً على الأشجار ، فأججَرَ الحُضَارَ ، ومنع الشفَّارَ ، ثم أفلعَ عن نفع وإضرار ، فلما اتلَّابَّت <sup>(٣)</sup> لى القِيَعَانَ ، ووضعَت السُّبُلَ فى الغِيْطَانَ ، وفات العنَّانُ ، من أقطار الأعنان ، فلم أجد وَزَراً إلا الغِيْرَانَ ، ففات وجر الضبُّع ، فنادتُ السهولَ كالبحار ، تتلاطم بالتيار ، والحُزُونُ متلفعةً بالغمَاءِ <sup>(٤)</sup> ، والوحوشَ مقذوفةً على الأرجاء ، فزالَت أطا السماء ، وأخوض الماء ، حتى وَطِئَتْ أرضكم . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٧ )

## ٧٢ - أعرابي يصف مطرا

عن أبي عبيدة قال : وقف أعرابي على قوم من الحاجِّ قتال : « يا قومي بدا شأنى ، والذى أَلْفَجَنِي <sup>(٥)</sup> إلى مسألتكم ، إن الغيث كان قد قَوَى عَنَّا ، ثم تَكَرَّفَ فأَسْحَابُ ، وَشَصَا الرَّبَّابُ ، وَأَذَلَّهُمْ سَيْقَهُ <sup>(٦)</sup> ، فارتجس رَيْقَهُ ، وقلنا : هذا عامٌ با كِرِّ الوَسْمِيِّ <sup>(٧)</sup> ، محمود السَّمِيِّ ، ثم هبَّت له الشَّمَالُ ، فَأَحْزَلَّتْ طَخَارِيرُهُ <sup>(٨)</sup> ، وتقرَّعَ كِرْفَتُهُ متباشراً ، ثم تتابعَ لَمَعَانُ البرق ، حيث

- [١] أتبعها ، والخطيئة : الأرض لم تنطر بين ممطورتين ، أو التي مطر بعضها ، وعشار : موضع .  
 [٢] محاما وطمسها ، والجفار جمع جفر كشمس : البثر التي لم تطو ، وقورها : قطع من وسطها خرقة مستديرا ، وأجر ، من أجر الضب : أى أدخله فى حجرة ، والحضار جمع حاضر وهو المقيم فى الحضرة ، والسفار جمع سافر وهو المسافر لافعل له . [٣] استقامت ، والعنان : السحاب ، والأعنان من السماء : نواحيها ، ولوزر الملجأ ، والغيران جمع غار : وهو الكهف فى الجبل ، والوحار بالكسر والفتح : جحر الضب وغيرها . [٤] الغناء : البالى من ورق الشجر المخالط لزبد السيل .  
 [٥] ألجأنى ، وقوى المطر : احتبس ، وتكرفاً : تراكم ، وشصا : ارتفع ، والرباب : السحاب الأبيض .  
 [٦] ادلهم : اسودت ، والسبق : السحاب لاما فيه ، والرقيق : تردد الماء على وجه الأرض .  
 [٧] الوسمى : مطر الريح الأول ، سمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات ، والسمى جمع سماء : وهو المطر أو المطرة الجيدة . [٨] الطخارير جمع طخروور كصغور بالحاء والحاء : اللطخ من السحاب ، والكرفى : السحاب المرتفع التراكم ، وتقرَّع : تفرَّق وانفث ، وشام البرق : نظر إليه أين يقصد .

تَشِيْمُهُ الْأَبْصَارَ ، وَتَجْدُهُ النَّظَارَ ، وَمَرَّتِ (١) الْجَنُوبُ مَاءَهُ ، فَقَوَّضَ الْحَيُّ مُزْلِمَيْنِ  
نَحْوَهُ ، فَسَرَّحْنَا الْمَالَ فِيهِ وَكَانَ وَخِيًّا وَخِيًّا ، فَأَسَافَ الْمَالَ ، وَأَضْفَ الْحَالَ ، فَرَحِمَ  
اللَّهُ امْرَأَ جَادٍ بِمَيْرٍ ، أَوْدَلَ عَلَى خَيْرٍ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٨ )

### ٧٣ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

قال أبو حبيب - وكان أعرابياً من بني ربيعة بن مالك - : « لقد رأيتنا في  
أرضٍ عَجْفَاءَ (٢) ، وزمانٍ أَعْجَفَ ، وشجرٍ أَعْصَمَ ، في قُفٍّ غَلِيظٍ ، فبينما نحن  
كذلك ، إذ أنشأ الله تعالى من السماء غيثاً مُسْتَكْفِئاً (٣) نَشْوَهُ ، مُسْبِلَةً عَزَّالِيَهُ ،  
صَنِخَامًا فَطْرُهُ ، جَوْدًا صَوَّبَهُ زَاكِيًّا ، أنزله الله تعالى رزقاً لنا ، فَعَيْشَ بِهِ أَمْوَالَنَا ،  
وَوَصَلَ بِهِ طَرَقَنَا ، وَأَصَابَنَا وَإِنَّا لَبِنَوَاطَةٌ (٤) بَعِيدَةُ الْأَرْجَاءِ ، فَاهْرَمَعَ طَرُّهَا ،  
حَتَّى رَأَيْتُنَا وَمَا نَرَى غَيْرَ السَّمَاءِ وَالْمَاءِ ، وَضَهَوَاتِ الطَّلْحِ (٥) ، وَضَرَبَ السَّيْلُ  
النَّجَافَ ، وَمَلَأَ الْأُودِيَةَ فَزَعَبَهَا ، فَمَا لَبَيْتُنَا إِلَّا عَشْرًا ، حَتَّى رَأَيْتَهَا رَوْضَةً تَنْدَى .  
( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٩ )

[١] هو من مري الناقة كرمي : مسح ضرعها لتدر ، مزلمين : ماضين مرتحين إليه ، وأساف المال :  
أهلكه ، والسواف كجبان وشجاع : الموت في الناس والمال ، ساف سواً أي هلك ، وأسافه الله ، ويقال  
أيضاً أساف الرجل : وقع في ماله السواف أي الموت ، وأضف من الضف كسبب وهو الضيق والفتنة ،  
أصاهم من العيش صف أي شدة .

[٢] ليس بها نبات ، وأصله من العجف بالتحريك وهو الهزال ، وأعصم : يابس ، وأصله من العسم  
بالتحريك وهو يبس في مفصل الرسغ تعرج منه اليد والقدم ، والقف : ما غلظ من الأرض وارتمح ، لم  
يبلغ أن يكون جيلاً ، وأنشأ الله السحاب : رفعه . [٣] مستكفاً : مستديراً كالكمة ، ( والكفة  
بالكسر ويضم كل مستدير ) ، وصوبه : مطره . [٤] النوطة : الأرض يكثر بها الطلح ( والطلح :  
شجر عظام ) والموضع المرتفع عن الماء ، أو ليس بواد ولا تلة بل بين ذلك ، واهرمع : كثر وأسرع .  
[٥] الضهوة : بركة الماء ، والجفاف جمع نجف بالتحريك وبهاء : مكان لا يعلوه الماء ، أو هي أرض  
مستدرة مشرفة على ما حولها ، وزعبا : ملاءها .

## ٧٤ - أعرابي يصف مطرا

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال :

« أصابتك سماء في وجهك يا أعرابي » ؟ قال : « نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سحابة طحناء وطفاء <sup>(١)</sup> ، كأن هوائها الدلاء ، مُرَجِحَةٌ النواحي ، موصولة بالآكام ، تكاد تمس هام الرجال ، كثير زجلها <sup>(٢)</sup> ، قاصف رعدُها ، خاطف <sup>(٣)</sup> برقها ، حثيث ودقها ، بطيء سيرها ، مُتَمَنِّجِرٌ قَطْرُها ، مظلم نوؤها ، قد لجئت الوحش إلى أوطانها ، تبحث عن أصولها بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ، فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين ببعض الشجر ، وتعلقنا بقمم الجبال ، لكنا جفء <sup>(٤)</sup> في بعض الأودية ، ولقم الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونسألها في أجلك ببركتك ، وعاد الله بك على رعيتك ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد .  
فقال سليمان : « لعمري أيبك لئن كانت بديهة لقد أحسنت ، وإن كانت محبرة لقد أجدت » ، قال : بل محبرة مهذورة يا أمير المؤمنين ، قال : « يا غلام أعطه ، فوالله لصدقه أعجب إلينا من صيفته » . (العقد الفريد ٢ : ٩٦ )

## ٧٥ - أعرابية تصف مطرا

عن الأصمعي قال : « كان شيخ من الأعراب في خبائه ، وابنة له بالفناء <sup>(٥)</sup> ، إذ سمع رعدا فقال : ما ترين يا بنية ؟ قالت : أراها حواء قرحاء <sup>(٦)</sup> ، كأنها أقراب

[١] سحابة وطء : مسترخية لكثرة ماؤها ، أو هي الدائمة السح الحثينة ، هواديا : أوائلها ومقدمها ، مرجحة : ثقيلة مهتزة . [٢] ازجل : الجلبة ورفع الصوت ، متمنجر : سائل منصبي ، ولجأ إليه كنع وفرح ، وأظلاف جمع ظلف بالكسر وهو للبرة والشاة والطبي وشبهها كالقدم لنا ، والفتن جمع فنة ، وهي قة الجبل . [٣] زدت هذه الكلمة كي يستقيم بها الكلام والظاهر أنها سقيت من الأصل في الطبع . [٤] الجماء : الزبد ، واقم الطريق : معظمه أو وسطه ، حوى الأضليل : « انم » وهو تحريف .

[٥] الفناء : ما اتسع أمام الدار . [٦] حواء : وصف من الحوة بالضم وهي حمرة الى السواد ،

أتان قراء ، ثم سمع راعدة أخرى فقال : كيف ترينها ؟ قالت : أراها جمة  
الترجاف<sup>(١)</sup> ، متساقطة الأكناف ، تتألق بالبرق الولاف ، قال : هل مني المعرفة ،  
إنني<sup>(٢)</sup> نوبيا . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥١ )

## ٧٦ - أعرابية تصف مطراً

عن الأصمعي قال : كان أعرابي ضرير تقوده ابنته ، وهي ترعى غنيمات لها ،  
فأرت سحاباً فقالت : يا أبت جاءتك السماء ، فقال : كيف ترينها ، قالت :  
كأنها فرس دهماء<sup>(٣)</sup> تجرّ جلالها ، قال : ارعى غنيماتك ، فرعت ملياً ، ثم قالت :  
يا أبت جاءتك السماء ، قال : كيف ترينها ؟ قالت : كأنها عين جل طريف<sup>(٤)</sup> ،  
قال : ارعى غنيماتك ، فرعت ملياً ، ثم قالت : يا أبت جاءتك السماء ، قال : كيف  
ترينها ؟ قالت : سطحت وبيضت ، قال : أدخل غنيماتك ، قال : فجاءت السماء  
بشيء شطاً<sup>(٥)</sup> له الزرع وأينع ، وخضر ونضّر . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٦٠ )

## ٧٧ - أعرابي يصف أرضاً

ووصف أعرابي أرضاً أحدها فقال :

« خلع شيخها ، وأبقل رمثها ، وخضب عرّفجها<sup>(٦)</sup> ، وأتسق نبثها ،  
واخضرت قره يائها ، وأخوصت بطنانها<sup>(٧)</sup> ، وأحلست أكامها ، واعتم

والفرحة بالضم : في وجه الفرس دون المرأة ، والوصف منه أقرح وقرحاء ، والأقرب جمع قرب كقفل  
وعنق : وهو الخاصرة ، والفرسة بالضم : بياض فيه ككرة ، حمار أقر ، وأتان قراء .

[١] كثيرة الاضطراب ، الولاف : المتتابع ، من ولف البرق كوعد ولفاً وولافاً بالكسر : تتابع .

[٢] النوى : الحفير حول الجباء يمنع السيل ، وانتأيته حملته .

[٣] سوداء ، والجلال جمع جل بالضم والفتح : ما تلبسه الدابة لتصان به .

[٤] الجبل ينتقل من مرعى إلى مرعى . [٥] شطاً الزرع : أخرج شطاً ، أي فراخه .

[٦] خلع الشيع : أورق ( والخالغ من العضاء : الذي لا يسقط ورقة أبداً ، والعضاء ككتاب : كل شجر

له شوك ) والرمث : مرعى للإبل ، وشجر يشبه الفضا ، والرفج : شجر سهلي ، وخضب الشجر كضرب

وسمع وعى : اخضر . [٧] القربان : مجرى الماء من الربو إلى الرياض جمع قرى كقنى ، وأخوص

نَبْتُ جَرَاثِمِهَا<sup>(١)</sup> ، وَأَجْرَتْ بِقَلْتِهَا وَذَرَقَتْهَا وَخُبَازَتِهَا<sup>(٢)</sup> ، وَأَحْوَرَّتْ خَوَاصِرُ  
إِبِلِهَا ، وَشَكَرَتْ حَلُوبَتُهَا ، وَسَمِنَتْ قَتُوبَتِهَا<sup>(٣)</sup> ، وَعَمِدَتْ رَاهَا ، وَعَقَدَتْ تَنَاهِيَهَا ،  
وَأَمَاهَتْ ثَمَارَهَا ، وَوَثِقَ النَّاسُ بِصَارَتِهَا<sup>(٤)</sup> . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٧ )

## ٧٨ — رائد يصف أرضاً جذبة

قال أبو الجيب : وصف رائدُ أرضاً جذبةً فقال :

« أَغْبَرَّتْ جَادَتُهَا<sup>(٥)</sup> ، وَذَرَعَ مَرْتَمَهَا ، وَقَضِمَ شَجْرُهَا ، وَرَقَّتْ كَرِشُهَا ،  
وَخَوَّرَ عَظْمَهَا ، وَالتقى سَرْحَاهَا<sup>(٦)</sup> ، وَتَمَيَّزَ<sup>(٧)</sup> أَهْلُهَا ، وَدَخَلَ قُلُوبَهُمُ الْوَهْلُ ،  
وَأَمَوَالَهُمُ الْهَزْلُ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٧ )

العرفج : نفطر بوق ، وأخوصت النخلة : أخرجت الحوص ، والبطنان جمع باطن وهو العارض من الأرض  
أى المعائن منها . [١] أحلس البت : غطى الأرض بكثرتة ، وأحلس الأرض نهى محلسة : صار  
البات عليها كالحلس كثرة — الحلس كحلم كساء على ظهر البعير — والجراثيم جمع حرثومة بالضم ، وجرثومة  
الشيء : أصله ، واعتم : أى كأه ليس عمامة . [٢] أجزت البقلة : صارت لها حراء — وحراء ككتاب  
جمع حروو بالثلاث وهو صغير كل شيء — والذرة واحدة الدرق وهو نبات مثل الكرات الجبلى الدقاق فى  
رأسه حب حلو يؤكل رطباً تحبه الرطاة يأتون به أهلهم ، والحبارة والحيازي : النبات المعروف .

[٣] أحورَّت : أبيضت وذلك من الشد على خواصرها لئلا تحبب ( والحبب بالتحريك : انفاخ بطنها من  
مرعى ترعاه ) والحلومة : المحلوبة ، وشكرت الناقة : امتلأ ضرعها ، والدابة : سميت ، والقنوبة : الابل  
التي تقبها ( وأقنت الناقة : شد عليها القتب ( بالتحريك ) وهو إكاف صغير على قدر سنام البعير ) .

[٤] عمد النرى : بله المطر حتى إذا قبضت عليه تعقد لدوته ، والتناهى جمع تنهية : وهى مستقر السيل  
حيث ينتهى الماء من الوادى ، وعقدت تناهيها : أن يمر السيل مقبلاً حتى إذا انتهى مشتهاء دار بالأبطح  
حتى يلتقى طرفا السيل ، وأمَاهت ثمارها : أى كثر ماؤها ، والصائرة : المطر والكلأ .

[٥] الجادة : الطريق إلى الماء ، وذرع المرتع : بعد عن الماء ، وقضم شجرها : تكسر ، يقال :  
سيف قضم كفروح : أى طال عليه الدهر فتكسر حده ، وقضم السن : انصدع وتثلج ، وإذا لم يكن للجمال  
مرعى إلا الشجر وحده رقت أكراشه . [٦] يعنى أنه إذا أكل كل سارح مايليه ، التقيا عند الماء .  
[٧] نفرَّتوا فى طلب الكلأ ، والوهل : الفزع ، والهرل : موت مواشى الرجل .

## ٧٩ - رائد يصف أرضاً

عن محمد بن كُناسة قال : أخبرني بعض فصحاء أعراب طي<sup>(١)</sup> قال :  
« بعث قوم رائداً ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ وَتَمَاشِيْبٌ <sup>(٢)</sup> ، وَكَمَاءٌ  
مُتَفَرِّقَةٌ شَيْبٌ ، تَقْلَعُهَا بِأَخْفَافِهَا النَّيْبُ <sup>(٣)</sup> » ، قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا  
كذب ! فأرسلوا آخر ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عُشْبٌ نَادٌ مَادٌ ، مَوَلِيٌّ <sup>(٤)</sup> .  
وَعَهْدٌ ، مَتَدَارِكٌ جَعْدٌ <sup>(٥)</sup> ، كَأَخْفَازِ نِسَاءِ بَنِي سَعْدِ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ تُعَدُّ <sup>(٥)</sup> » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٧٩ )

## ٨٠ - رائد يصف أرضاً

وبعث رجل أولاده يرتادون في خِصْبٍ ، فقال أحدهم : « رَأَيْتُ بَقْلًا ،  
وَمَاءً غَيْلًا <sup>(٦)</sup> ، يَسِيلُ سَيْلًا ، وَخُوصَةٌ تَمِيلُ مَيْلًا ، يَحْسِبُهَا الرَّائِدُ لَيْلًا » ، وقال  
الثاني : « رَأَيْتُ دَيْعَةً عَلَى دَيْعَةٍ ، فِي عَهْدِهَا غَيْرُ قَدِيمَةٍ ، وَكَلَّأْتُ شَبَعٌ مِنْهُ النَّابِ  
قَبْلَ الْفَطِيمَةِ » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٧٩ )



وروي هذا الوصف عن ابن الكلبي بصورة أخرى قال :

« خَطَبَ هِنْدُ بِنَةُ الْخُسِّ الْإِيَادِيَةِ ثَلَاثَةَ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهَا ، وَارْتَضَتْ أَنْسَابَهُمْ

---

[١] العشب : الكلاً الرطب ، والتماشيب : القطع المتفرقة منه . [٢] اليب جمع ناب : وهو  
الناقة المسنة . [٣] جاء في اللسان : « قال الأصمعي : قيل لبعض العرب : أصب لنا موضعاً أي اطلب  
فقال رائدكم : وجدت مكاناً ثدياً مئداً ( بفتح فكسر ) وقال زيد بن كثوة : بثوا رائداً بجاء وقال : عشب  
نَادٌ مَادٌ ( بفتح فسكون ) كَأَهْ أَسْوَقُ بَنِي سَعْدِ » وثند النبات كفرح : ندى فهو نَدٌّ ، ومَادٌ كَنَعٌ امْتَرٌ  
وتروى وجرى فيه الماء وتنم ولان ، والمَادُ : الناعم من كل شيء ، والمولى : الذى أصابه الولى  
( والولى : المطر الذى يأتى بعد المطر ) ، والمهد : أول مطر الوسمى ( والوسمى : أول مطر الربيع ) .

[٤] من قولهم : زيد جعد : أى متراكب مجتمع قد صار بعضه فوق بعض .

[٥] أى أن العشب قد طال وتم ، والنيب تشبع منه وهى تعد ، لأنها تتناوله وهى قائمة لانبرح مكانها  
ولا تطأ رأسها . [٦] الفيل : الماء الذى يجرى بين الشجر



وَجَاهِلِهِمْ ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَسْبُرَ عَقُولَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَرْتَادُوا لِي مَرْعَى ، فَلَمَّا أَتَوْهَا قَالَتْ لِأَحَدِهِمْ : مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتَ بَقْلًا وَبُقَيْلًا ، وَمَاءً غَدَقًا <sup>(١)</sup> سَيْلًا ، يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ أَيْلًا ، قَالَتْ : أَمْرَعْتُ <sup>(٢)</sup> ، قَالَ الْآخِرُ : رَأَيْتَ دَيْمَةً بِمَدْدِيْمَةٍ ، عَلَى عَهَادٍ غَيْرِ قَدِيْمَةٍ ، فَالِنَابُ تَشْبَعُ قَبْلَ الْفَطِيْمَةِ ، قَالَ الثَّلَاثُ : رَأَيْتَ غَيْثًا ثَعْدًا مَعْدًا <sup>(٣)</sup> ، مُتْرَاكِمًا جَعْدًا ، كَأَنْخَاذِ نِسَاءِ بَنِي سَعْدِ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ ثُعْدٌ » . ( بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٦ )

## ٨١ - أعرابي يصف أرضه وماله

عن أبي عمرو بن العلاء قال : لقيت أعرابياً بمكة فقلت له ، ممن أنت ؟ قال : أسديّ ، قلت : ومن أيهم ؟ قال : نهديّ ، قلت : من أي البلاد ؟ قال : من عَمَّانَ ، قلت : فأنتي لك هذه الفصاحة ؟ قال : « إِنَّا سَكَنَّا قُطْرًا لَا نَسْمَعُ فِيهِ نَاجِحَةَ التِّيَّارِ <sup>(٤)</sup> » ، قلت : صف لي أرضك ، قال : « سَيْفٌ أَفِيحٌ ، وَفَضَاءٌ صَحَّاحٌ ، وَجَبَلٌ صَرْدَحٌ ، وَرَمْلٌ أَصْبَحٌ <sup>(٥)</sup> » ، قلت : فما مالك ؟ قال : النخل ، قلت : فأين أنت من الإبل ؟ قال : « إِنْ النُّخْلُ حَمَلَهَا غِذَاءً ، وَسَعَفُهَا <sup>(٦)</sup> ضِيَاءً ، وَجَذَعُهَا بِنَاءً ، وَكَرْبُهَا صِلَاءً ، وَلِيْفِهَا رِشَاءً ، وَخَوْصُهَا وِعَاءً ، وَقَرَوُهَا إِنْاءٌ » . ( ذيل الأمل ص ١٧ )

[١] الغدق : الماء الكثير . [٢] أمرعه : أصابه مريعاً تكتصيب وزناً ومعنى .

[٣] الغيث : المطر والكلاء ، وقيل : الأصل المطر ثم سمي ما يبت به غيثاً ، والمراد هنا الثاني ، وبقل

ثعد معد : غض رطب رخص .

[٤] الناجحة : الصوت ، والتيار : الموج . [٥] السيف : ساحل البحر ، وساحل الوادي ، أو

لكل ساحل سيف ، أو إنما يقال ذلك لسيف عمان ، وأفيح : واسع ، والصحصح : ما استوى من

الأرض ، والصدح : الصلب ، والأصبح : الذي يملو بياضه حمرة . [٦] السعف : جريد النخل أو

ورقه ، والكرب : أصول السعف الغلاط العراض ، والرشاء : الحبل ، والفرو : أسفل النخلة ينقر

فينتد فيه - أي يتخذ فيه النبيذ -

## ٨٢ - أعرابي يصف بلدا

وذكر أعرابي بلداً فقال: « بلد كالأثرس، ماتمشى فيه الرياح إلا عابرات سبيل،

ولا يمرّ فيه السّفْر إلا بأدْلٍ دليل » . (العقد الفريد ٢ : ٨٠)

وقال أعرابي : « صررت ببلد ألقى به الصيْف<sup>(١)</sup> بقاعه ، فأظهر غديراً يقصُر

الطَّرْفُ عن أرجائه ، وقد نَفَتِ الرِّيحُ القَدَى عن مأته ، فكأنه سلاسل دِرْعِ

ذاتِ قُضُول<sup>(٢)</sup> » . (العقد الفريد ٢ : ٩٦)

وسئل أعرابي عن مسافة ما بين بلدين فقال : « مُهر ليلة ، وأديم<sup>(٣)</sup> يوم » .

وقال آخر : « سواد ليلة ، أو بياض يوم » .

(البيان والتبيين ٢ : ٥١ والعقد الفريد ٢ : ٩٧)

وقال آخر : « إن المسافر ومَتَاعَهُ لَعَلَى قَلْتِ<sup>(٤)</sup> إلا ما وَقَى اللهُ » .

(العقد الفريد ٢ : ٥٢)

## ٨٣ - أعرابي يصف أشد البرد

سئل أعرابي ف قيل له : ما أشدُّ البرد ؟ قال : « رِيحٌ جَرِيْبَاءُ ، في طَلِّ قَهْمَاءُ ،

غَيْبٌ سَمَاءُ<sup>(٥)</sup> » . (البيان والتبيين ١ : ١٦٣)

## ٨٤ - أعرابي يصف إبلا

وقال : سمعت أعرابياً يصف إبلاً فقال :

« إنها لَعِظَامُ الحَنَاجِرِ ، سِبَاطُ المَشَافِرِ ، كُومٌ بهَازِرٍ<sup>(٦)</sup> ، نُكْدٌ خَنَاجِرٍ<sup>(٧)</sup> ،

[١] السيف كسيد ويخفف : المطر يحيى . في الصيف أو بعد الربيع كالصبي .

[٢] جمع فضل : وهو الزيادة . [٣] أديم الهمزة : طامته أو بياضه . [٤] القلت : الهلاك .

[٥] الجريباء : ریح الشمال المردة ، أو الریح بين الجنوب والعباء والعواء : السحاب المرتفع ، أو

الكثيف ، أو المطر ، و غيب سماء : أى عقب مطر . [٦] الحنجرة والحنجور كهمفور : الحلقة ،

وجمه حناجر ، والشائر جمع مشركنبر : وهو البعير كالشفة للإنسان ، والكوم : العظام الأسنة جمع أكوام

وكوماء ، والبهازر جمع بهزرة : كبنطقة ، وهى العطيمة من البوق .

[٧] الكد : الفزيرات اللبن من الإبل ( والى لا ابن لها أيضا ضد ) ، والحناجر : الفزيرات اللبن

أجوافها رِغَابٌ<sup>(١)</sup> ، وأعطائها رِحَابٌ<sup>(٢)</sup> ، تُنْتَع من البَهْم<sup>(٣)</sup> ، وتُبَدَّل للجُمَم « .  
( الأملی ١ : ٥٢ )

### ٨٥ - أعرابي يصف ناقة

ووصف أعرابي ناقة فقال : « إذا اَحْكَلَّت عَيْنُهَا ، وَأَلَّتْ<sup>(٤)</sup> أُذُنُهَا ،  
وَسَجَّح<sup>(٥)</sup> خَدَّهَا ، وَهَدَل<sup>(٥)</sup> مِشْفَرَهَا ، وَاسْتَدَارَتْ جُجْمَتَهَا ، فَهِيَ الْكَرِيمَةُ » .  
( الأملی ١ : ٢١٧ )

### ٨٦ - أعرابي يصف خيلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : « خرجت علينا خيلٌ مستطيرةٌ  
النَّقْع<sup>(٦)</sup> ، كَأَنَّ هَوَادِيَهَا<sup>(٧)</sup> أَعْلَامٌ ، وَأَذَانُهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ ، وَفُرْسَانُهَا أُسُودُ  
آجَامٍ » .

### ٨٧ - أعرابي يصف خيلا

وذكر أعرابي خيلا فقال : « وَاللَّهِ مَا أَنْحَدَرْتُ فِي وَادٍ إِلَّا مَلَأَتْ بَطْنَهُ ،  
وَلَا رَكِبْتُ بَطْنَ جَبَلٍ إِلَّا أَشْهَلْتُ حَزَنَهُ » . ( العقد الفريد ٢ : ٩٥ )

### ٨٨ - أعرابي يصف خيلا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يصف خيلا فقال : « سِبَاطُ  
الْحَصَائِلِ<sup>(٨)</sup> ، ظِمَاءُ الْمَفَاصِلِ ، شِدَادُ الْأَبَاجِلِ<sup>(٩)</sup> ، قُبُّ الْأَيَاطِلِ ، كِرَامُ  
النَّوَاجِلِ<sup>(١٠)</sup> » . ( الأمل ١ : ٥٢ )

جمع خنجر كجعفر وبهاء وخنجورة بالضم . [١] رِغَابٌ : واسعة ، وأعطائها : مباركها عند الماء جمع  
عطن كسبب . [٢] البهْم جمع بهمة كفرصة : وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى ، من شدة  
بأسه ، والجَم جمع جمة كقبة ، وهم القوم يسألون في الديات .

[٣] أَلَّ البعير : نصب أذنيه وحددهما . [٤] سَجَّح : سهل وحسن . [٥] هَدَل : استرخى .  
[٦] الغبار . [٧] أَرَاثِلُهَا . [٨] الحَصَائِلُ جمع خصلة : وهي كل قطعة من اللحم مستطيلة أو  
مجتمعة ، وقيل : هي ما أعماز من لحم المعنر بعضه من بعض ، وسباط جمع سبط ، ككتف وشمس ، رجل  
سبط الجسم إذا كان حسن القدر والاستواء ، وظماء : ضمير . [٩] الْأَبَاجِلُ جمع أبجل : وهو عرق  
غليظ في الرجل أو في اليد ، يريد أنها شداد القوائم . [١٠] الْأَيَاطِلُ جمع أيطل : وهو الخاصرة ،

## ٨٩ - أعرابي يصف فرسا

ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : « قد انتهى ضُمُورُه ، وَذَبَلُ قَرِيرُهُ <sup>(١)</sup> ،  
وظهر حَصِيرُه <sup>(٢)</sup> ، وتفلقت غُرُورُه <sup>(٣)</sup> ، واسترخت شاكِلَتُه <sup>(٤)</sup> ، يُقبل بزور  
الأسد ، وَيُذبر بِمَجْزِ الذئب » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٣ ، والأمال ٢ : ٢٥٦ )

## ٩٠ - أعرابي يصف خاتماً

وقال أعرابي يصف خاتماً : « شَفَّ <sup>(٥)</sup> تقديرُ حَلَقَتِه ، وَدُورُ كَرَسِي فِضْتِه ،  
وَأَحْكَمُ تَرْكِيبِه ، وَأَتَقَنُ تَدْبِيرِه ، فبه يتم المَلِكُ ، وَيَنْفُذُ الأَمْرَ ، وَيَكْرُمُ الكِتَابُ ،  
وَيَشْرُفُ المَكْتُوبُ إِلَيْه » . ( العقد الفريد ٢ : ٩٧ )

## ٩١ - أعرابي يصف أطيب الطعام

وقال عبد الملك لأعرابي : « ما أطيبُ الطعام ؟ » ، فقال : « بَكْرَةٌ  
سَنِمَةٌ <sup>(٦)</sup> ، مُعْتَبَطَةٌ غير ضَمِنَةٍ ، في قُدُورٍ رَذِمَةٌ <sup>(٧)</sup> ، بِشِفَارٍ خَدِمَةٌ <sup>(٨)</sup> ، في غداة  
شَبِيمة <sup>(٩)</sup> » ، فقال عبد الملك : وَأَيُّك لَقَدْ أَطِيتَ <sup>(١٠)</sup> .  
( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

---

قَبَّ جمع أقب ، وصف من القب كسب وهو دقة الحصر وضور البطن ، والواحد جمع ناجلة ، من  
نجلته : أي ولدته . [١] الفرير : موضع الحجسة من معرفة الفرس .  
[٢] الحصير : عرق يمتدّ معترضاً على جنب الدابة إلى ناحية بطنها ، أو لمة كذلك .  
[٣] الفرور : الفضون التي في جلده ، واحدها فرٌّ بالفتح . [٤] الشاكلة من الفرس : الجلد بين  
عرض الحاصرة والثفنة - والثفنة كفرحة : الركبة - . [٥] رقّ .  
[٦] البكرة : الفتية من الإبل ، والسنة : العظيمة السنام ، ونمله كفرح ، عبط الذبيحة كفرح  
واعبطها : نحرها من غير علة وهي سمينة فتية ، والضمنة : الزمنة والمبتلاة في حسدها من الرحمة كفرصة  
وهي المرض . [٧] رذمت القصعة كفرح فهي رذمة وردوم كصبور : امتلأت وتصبت جوانبها .  
[٨] شعار جمع شفرة « بالفتح » : وهي السكين العظيم ، وخذمه كفربه : قطعه ، وسيف خذم  
ككتف وصبور ومعظم : قاطع . [٩] الذداة : البكرة « بالضم » أو ما بين صلاة الفجر وطلوع  
الشمس ، وشبمة : باردة ، وفعلها كفرح . [١٠] أطاب الشيء وأطيبه : وجده طيباً .

## ٩٢ - أعرابي يصف السويق

وعاب رجل السَّوَيْقَ <sup>(١)</sup> بِحَضْرَةِ أَعْرَابِي ، فَقَالَ : « لَا تَعْبِهِ ، فَإِنَّهُ عُدَّةُ الْمَسَافِرِ ، وَطَعَامُ الْعَجْلَانِ ، وَغِذَاءُ الْمُبَكَّرِ ، وَبُلْغَةُ <sup>(٢)</sup> الْمَرِيضِ ، وَيَسْرُو <sup>(٣)</sup> فَوَادَ الْحَزِينِ ، وَيَرُدُّ مِنْ نَفْسِ الْمَحْدُودِ <sup>(٤)</sup> ، وَجَيِّدٌ فِي التَّسْمِينِ ، وَمَنْعُوتٌ فِي الطَّبِّ ، وَقَفَّارُهُ <sup>(٥)</sup> يَجْلُو الْبَانِغَمَ ، وَمَلْتَوْتُهُ يُصَفِّي الدَّمَّ ، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ شَرَابًا ، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ طَعَامًا ، وَإِنْ شَتَّتَ فَتَرِيدًا ، وَإِنْ شَتَّتَ فَخَبِيصًا <sup>(٦)</sup> » . ( الأمل : ٢ : ١٩٧ )

## ٩٣ - أعرابي يصف الجمال

وَقِيلَ لِأَعْرَابِي مَا الْجَمَالُ ؟ قَالَ : « طُولُ الْقَامَةِ ، وَضَخْمُ <sup>(٧)</sup> الْهَامَةِ ، وَرُحْبُ <sup>(٨)</sup> الشَّدْقِ ، وَبُعْدُ الصَّوْتِ » ، وَسُئِلَ آخَرٌ : مَا الْجَمَالُ ؟ قَالَ : « غُمُورُ الْعَيْنَيْنِ ، وَإِشْرَافُ الْحَاجِبَيْنِ ، وَرُحْبُ الشَّدَقَيْنِ » ( البيان والتبيين : ١ : ٦٧ )

## ٩٤ - أبو المخش يصف ابنه

وَسَأَلَ جَعْفَرُ بْنُ سَلِيمَانَ أَبَا الْمَخَشِّ عَنْ ابْنِهِ الْمَخَشِّ <sup>(٩)</sup> - وَكَانَ جَزَعٌ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا - قَالَ : صَفَّ لِي الْمَخَشَّ ، فَقَالَ : « كَانَ أَشَدَّ خُرْطُمَانِيَا <sup>(١٠)</sup> ، سَائِلًا لَهَا بَهْ ، كَأَنَّهَا يَنْظُرُ مِنْ قَلْبَيْنِ <sup>(١١)</sup> ، كَانَ تَرَقُّوتَهُ بُوَانٌ ، أَوْ خَالِفَةٌ ،

[١] السويق : ما يعمل من الحنطة والشعير . [٢] ما يبلغ به . [٣] يسرو : يكشف ماعليه .  
[٤] المحدود : الذي قد حدث أى قد ضرب الحد . [٥] القفار : الذي لم يكت بشيء من آدم ،  
لازيت ولا سمن ولا لبن . يقال طعام قفار . [٦] الحبيص : نقي الدقيق يخلط بالمسل .  
[٧] ضخم ككرم ضخماً وضخامة فهو ضخيم . [٨] رحب ككرم وسمع رحبا بالضم ورحابة فهو  
رحب بالفتح . [٩] المخش في الأصل : الجريء على العمل في الليل .  
[١٠] أشدق : واسع الشدقين ، خرطامياً : طويلاً . [١١] الفت : الثقرة في الجبل .

كَأَنَّ مَنِّكَ بِهِ كِرْكِرَةٌ جَلِي تَقَالِ (١) ، فَقَالَ اللَّهُ عَيْنِي إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُ قَبْلَهُ أَدْر

بَعْدَهُ مِثْلَهُ . (البیان والنبین ١ : ٦٧)

## ٩٥ - أعرابي يصف بنيه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي بِحَمِي الرَّبْدَةِ : أَلَاكَ بَثُونٌ ؟  
قال : نعم ، وَخَالِقِيهِمْ لَمْ تَقُمْ عَنْ مَثَلِهِمْ مُنْجِبَةٌ ، فقلت : صِفْهُمْ لِي ، فقال :  
« جَهْمٌ ! وَمَا جَهْمٌ ؟ يُنْضِي الْوَهْمَ ، وَيَصُدُّ الدَّهْمَ (٢) ، وَيَقْرِي الصَّفُوفَ ،  
وَيُعَلُّ السِّيُوفَ (٣) » ، قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : « غَشَمْتُمْ ! وَمَا غَشَمْتُمْ ؟ مَالُهُ  
مُقَسَّمٌ ، وَقِرْنُهُ مُجْرَجَمٌ (٤) ، جِذْلُ حِكَاكٍ (٥) ، وَمِذْرَةُ لِكَاكَ (٦) » ، قلت : ثُمَّ  
مَنْ ؟ قال : « عَشْرَبٌ ! وَمَا عَشْرَبٌ ؟ لَيْتُ مُحْرَبٌ ، وَسِمَامٌ مُقَشَّبٌ (٧) ، ذِكْرُهُ  
بَاهِرٌ ، وَخَصْمُهُ حَاثِرٌ ، وَفِنَاؤُهُ رُحَابٌ (٨) ، وَدَاعِيُهُ مُجَابٌ » ، قلت : صف لي  
نفسك ، فقال : « لَيْتُ أَبُو رِيَابِلٍ (٩) ، رَكَابٌ مَعَاضِلٌ ، عَسَافٌ (١٠) بَجَاهِلٌ ،  
حَمَالٌ أَعْبَاءٌ ، نَهَاضٌ يَبْزُلَاءُ (١١) » . (الأمالي ١ : ٥٣)

[١] البوان : عمود الخباء ، والحالفة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره ، والكركرة : رمي زور  
البحر ، وبير شمال : بطنه .

[٢] ينضي : يزل ، والوم : الضخم العظيم من الإبل ، والدم : العدد الكثير .

[٣] يقرى : يفتح ، ويسل : أى يوردها السماء ثانية ، مأخوذ من الطل في الشرب .

[٤] المجرم : المصروع . [٥] الجدل : أصل الشجرة ، وذلك أن الإبل الجرب تحتك به فتجد

له لثة ، والمعنى أنه من يستشقى به في الأمور بمنزلة ذلك الجمل الذى تلتقى به الإبل .

[٦] المذرة : لسان الثوم ، والقكام عنهم ، والدافع عنهم ، يقال : دوفته عن ودواته : أى دفعته ،

واللكاك : الزحام . [٧] الحرب : المفضب الذى قد اشتد غضبه واحداً ، وحربت السكين : إذا

أحدته ، ومقشب : مخلوط . [٨] باهر : غالب ، ورحاب : متسع .

[٩] ريابل جمع ريبال بالكسر يهز ولا يهز : وهو الأسد ، والمعاضل : الدوامى .

[١٠] العساف : الذى يركب الطريق على غير هداية ، والأعباء : الأعمال .

[١١] البزلاء : الرأى الجيد الذى يزل ( بضم الزاى ) عن السواب : أى يفتح منه .

## ٩٦ - أعرابي يصف أخويه

عن العُتبيّ قال : أخبرني أعرابي عن إخوة ثلاثة ، قال : قلت لأحدهم : أخبرني عن أخيك زيد فقال : « أزيدٍ إنيهِ <sup>(١)</sup> ؟ والله ما رأيتُ أحداً أسكنَ قَوْراً ، ولا أبعدَ غوراً ، ولا آخذَ لِدَنبٍ حُجَّةً قد تقدّم رأسُها من زيد » ، فقلت : أخبرني عن أخيك زائد ، قال : « كَانَ والله شديدَ المُقدمة ، ليّنَ المَطفةَ ، ما يُرضيه أقلُّ مما يُسخطه ، فقلت : فأخبرني عن نفسك ، فقال : « والله إن أفضلَ ما فيّ لمعرفتي بفضلهما ، وإني مع ذلك كغير منتشرٍ <sup>(٢)</sup> الرأى ، ولا مَحْدُولُ العَزمِ » .

(الأمالى ٢ : ١٤)

## قولهم في الدعاء

### ٩٧ - دعاء أعرابي

قال أبو حاتم : أُملي علينا أعرابيّ يقال له مرثد :

« اللهم اغفر لي ، وأجلدُ بارد ، والنفسُ رَطْبَةٌ ، واللسانُ منطلق ، والصحفُ منشورة ، والأقلامُ جارية ، والتوبةُ مقبولة ، والأنفسُ مَرِيحَةٌ <sup>(٣)</sup> ، والتضرّعُ مرجوٌّ ، قبل أنِ الفراق ، وَحَشَكِ النفسِ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلَزِ الصدرِ <sup>(٥)</sup> ، وَتَزِيلِ الأوصالِ <sup>(٦)</sup> ، وَنُصُولِ الشعرِ ، واحتياف <sup>(٧)</sup> التراب ، وقبل أن لا أقدر على استنفارك حينَ يَفنى العمل ، ويحضرُ الأجل ، وينقطع الأمل .

[١] قال أبو عليّ القالي : « هذه الزيادة تلحق في الاستفهام في آخر الكلمة إذا أنكرت أن يكون رأى المتكلم على ما ذكر ، أو يكون على خلاف ما ذكر » انظر هذا البحث في الأمالى ٢ : ١٥ .

[٢] أي مفرقة . [٣] مرح كفرح : أشر وبطر ونشط واختال وتبختر فهو مرح ومرحج .

[٤] الحشك : شدة النزاع . [٥] العلز : قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر .

[٦] تزيك وتزابلت : تفرقت ، والأوصال : الفاصل . [٧] الاحتياف : انتعال من الحيف وهو الجور ، والمراد أكل تراب القبر الجثة ، والذي في كتب اللغة « التحيف » تحيفت الشيء : إذا تقصمته من حافته .

أَعْنَى عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَغَمَّتِهِ <sup>(١)</sup> ، وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ ، وَعَلَى الصَّرَاطِ وَزَلَّتِهِ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ ، اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عَزَمًا ، لَا تَنَادِرِ ذَنْبًا ، وَلَا تَدْعَ كَرْبًا ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا اقْرَضْتَ عَلَيَّ وَلَمْ أُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ثَبَّتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ .

يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ <sup>(٢)</sup> عَلَيَّ مِنْكَ النِّعَمُ ، وَتَدَارَكْتَ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ ، فَالْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ ، وَاسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ ، وَأَمْسَيْتَ عَن عَذَابِي غَنِيًّا ، وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وُلِيَ أَجَلِي ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا ، وَإِذَا ابْتَلِيَتْهُمْ صَبَرُوا ، وَإِذَا أذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا ، وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْ أَبًا ، لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا ، اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا زَادُوا ، وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا .

اللَّهُمَّ لَا تَحْقُقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ ، وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ مَا تَحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي ، وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سَبْحَتِي <sup>(٤)</sup> ، وَتَعَجَّرَ عَنْهُ قُوَّتِي ، أَدْعُوكَ دَعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ ، مَتَظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ ، ضَنِينٍ عَلَى نَفْسِهِ ، دَعَاءَ مَنْ بَدَأَهُ ضَعِيفٌ ، وَمُنْتَهُ <sup>(٥)</sup> عَاجِزَةٌ ، قَدِ انْتَهَتْ عُدَّتُهُ ، وَخَلَقْتَ <sup>(٦)</sup> جِدَّتُهُ ، وَتَمَّ ظِمُّوهُ ، اللَّهُمَّ

[١] فعلة من غم الشيء : أى غطاء فانغم ، أو غم «غمته» بالفهم : أى بلائه وكرب عذابه .

[٢] من تظاهروا إذا تعادوا : أى تابعت . [٣] يشير إلى قوله تعالى : « أَفَنُ خَقَّ عَلَيْهِ

كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » . [٤] فعلة من السبح : وهو القلب والانتشار

في الأرض ، والإبادة في السير ، والتصرف في العاش . [٥] المنة : اقوة .

[٦] خلق الثوب كنصر وكرم وسمع : بلى ، والظلم : ما بين الصريتين والوردين .



لَا تُخَيِّئَنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيئَةِ <sup>(١)</sup> ،  
 وَحَسَنِ التَّبَاعَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَتَشَنُّجِ العُرُوقِ ، وَإِسَاغَةِ الرِّيقِ ، وَتَأْخِرِ الشَّدَائِدِ ، وَالْحَمْدُ  
 لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ ، وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي <sup>(٣)</sup>  
 قَتِيلَهُ ، وَلَا يُخَيِّبُ سَأْلَهُ ، وَلَا يُرَدُّ رِسْوَلُهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ  
 الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَمِنَ الذُّكْلِ إِلَّا لَكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا ، أَوْ أَغْشَى  
 مُجُورًا ، أَوْ أَكُونَ بِكَ مَفْرُورًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الأَعْدَاءِ ، وَعُضَالِ الدَّاءِ ،  
 وَخِيْبَةِ الرَّجَاءِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ » . (المقدّم فرید ٢ : ٧٧ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ - ١٣٧ - ١٣٨)

## ٩٨ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال :

«إِلَهِي مَنْ أَوْلَى بِالتَّقْصِيرِ وَالزَّلَلِ مِنِّي وَأَنْتَ خَلَقْتَنِي ؟ وَمَنْ أَوْلَى بِالعَفْوِ مِنِّي  
 عَنِّي وَعِلْمِكَ بِي مَاضٍ ، وَقَضَائِكَ بِي مُحِيطٌ ؟ أَطَعْتُكَ بِقُوَّتِكَ وَالْمِنَّةَ لَكَ ، وَعَصَيْتُكَ  
 بِعِلْمِكَ ، فَاسْأَلْكَ يَا إِلَهِي - بِوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي ، وَافْتِقَارِي إِلَيْكَ  
 وَغِنَاكَ عَنِّي - أَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي .

إِلَهِي لَمْ أَحْسِنْ حَتَّى أُعْطَيْتَنِي ، فَتَجَاوَزْ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِي كَتَبْتَ عَلَيَّ ، اللَّهُمَّ  
 إِنَّا أَطَعْنَاكَ فِي أَحَبِّ الأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحَدَّكَ لِشَرِيكَ  
 لَكَ ، وَلَمْ نَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : الشَّرْكَ بِكَ ، فَاغْفِرْ لِي مَا بَيْنَ ذَلِكَ .

[١] الإمهال والتأخير . [٢] التباعة مثل التبعة بفتح فكسر . قال الشاعر :

أكلت حنيفة ربيها زمن النقمم والجماعة

لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة

« لأنهم كانوا قد اتخذوا إلهًا من حيس فيبدوه زمانًا ، ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه » - وللهيب كشمس :

تم يخلط بالسمن واللبن الخبيض فيمجن شديدًا ، ثم يندر منه نواه .

[٣] ودى القتل كومي : أعطى ديته ، والسول مخفف عن سؤل : وهو ماسأته .

اللهم إنك آنسُ المؤمنِينَ لأوليائك ، وأحضرهم للمتوكلين عليك ، إلهي  
أنت شاهدُهم وغائبُهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسرّي لك مكشوف ، وأنا  
إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الغربةُ آنسني ذكرك ، وإذا أكببت عليّ  
الغمومُ ، لجأتُ إلى الاستجارة بك ، علماً بأن أزمة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها  
عن قضائك ، فأقلني <sup>(١)</sup> إليك مغفوراً لي ، معصوماً بطاعتك بقية عمري ،  
يا أرحم الراحمين .

### ٩٩ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : حَجَّجت فرأيت أعرابياً يطوف بالكعبة ويقول :  
ياخير موفودٍ سعى إليه الوُفدُ <sup>(٢)</sup> ، قد ضَعُفت قوتي ، وذهبت مُنتى ، وأتيت  
إليك بذنوب لا تغسلها الأنهار ، ولا تحمِلها البحار ، أستجير برضائك من  
سُخْطك ، وبمفوك من عقوبتك ، ثم التفت فقال : « أيها المشفقون ، ارحموا  
من سَمَلته الخطايا ، وَغَمَرته البلايا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ما ملك  
من التلاد ، ارحموا من وَبَّخته الذنوب ، وظَهَرَت منه العيوب ، ارحموا أسيرَ ضُرِّ ،  
وطريدِ فقر ، أسألكم بالذي أتممت الرغبة إليه ، إلا ما سألتكم الله أن يهب لي  
عظيم جُرمي » ، ثم وضع في حلقة بالباب خده وقال : ضَرَع خدي لك ، وَذَلَّ  
مقامي بين يديك ، ثم أنشأ يقول :

عظيمُ الذنبِ مكروبٍ من الخيراتِ مسلوبٍ  
وفدُ أصبحتُ ذا فقرٍ وما عندك مطلوبٍ

## ١٠٠ - دعاء أعرابي

وسمى أعرابي بعرفات عشية عرفة وهو يقول :

« اللهم إن هذه عشية من عشايا محبتك ، وأحد أيام زلفتك <sup>(١)</sup> ، يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك أن لا يُشرك بك شيئاً ، بكل لسان فيها يُدعى ، ولكل خير فيها يُرجى ، أتتك العصاة من البلد السحيق <sup>(٢)</sup> ، ودعتك العناة <sup>(٣)</sup> من شعب المضيق ، رجاء ما لا خلف له من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك ، أبدت لك وجوهها المصونة ، صابرة على وهج السائم <sup>(٤)</sup> ، وبرد الليالي ، ترجو بذلك رضوانك ، يا غفار ، يا مُستزاداً من نعمه ، ومُستعاضاً من نِقَمه ، ارحم صوت حزين دعاك بزفير وشهيق . »

ثم بسط كلتا يديه إلى السماء وقال : « اللهم إن كنت بسطت يدي إليك داعياً ، فطالما كَفَيْتَنِي ساهياً ، بنعمتك التي تظاهرت على عند الغفلة ، فلا أياس بها عند التوبة ، لا تقطع رجائي منك لما قدّمت من اقرار <sup>(٥)</sup> آثامك ، وإن كنت لا أصل إليك إلا بك ، فهب لي يا ربّ الصلاح في الولد ، والأمن في البلد ، والعافية في الجسد ، وعافني من شرّ الحسد ، ومن شرّ الدهر

النكد <sup>(٦)</sup> . ( المقدم الفريد ٢ : ٧٧ ، والأمالى ٢ : ٣٢٣ )

[١] الزلفة : القربة . [٢] البعيد . [٣] العناة جمع عان من عنا : أى دلّ وخضع ، وفى

رواية الأمالى : « أتتك الضواصر من الفج العميق ، وجابت إليك المهارق من شعب المضيق » والضواصر الأبل المهنولة ، والمهارق جمع مهرق ( بضم الميم وفتح الراء ) : الصحراء اللساء .

[٤] السائم جمع سموم كصبور : وهى الريح الحارة تكون غالباً بالنهار ، وفى رواية الأمالى : « على لفتح

السائم ، وبرد ليل التمام » - وليل التمام ( ككتاب ) وليل تمامى : أطول ليل الشتاء - وفى رواية

الأمالى : « نعمتك تظاهرها على عند الغفلة ، فكيف أياس منها عند الرجعة » - وأصل الغفل

( بالتحريك ) : الرجوع من السفر ، ويطلق على الابتداء فى السفر كما هنا تفاؤلاً بالرجوع - .

[٥] اقرار الذنب : آناه وفضله .

[٦] يقال : رجل نكد ككثف وسبب وشمس وأنكد : شؤم عسر .

### ١٠١ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي فقال : « يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ ، وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ ،  
وَيَا مُجْبِرَ الضَّعْفَى <sup>(١)</sup> ، وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَاكِي ، وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ ، أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ لَكَ  
سَوَادُ اللَّيْلِ ، وَيَبَاضُ النَّهَارُ ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ ، وَشُعَاعُ الشَّمْسِ ، وَخَفِيفُ الشَّجَرِ ،  
وَدَبْوَى الْمَاءِ <sup>(٢)</sup> ، يَا مُحْسِنَ ، يَا مُجْمِلَ ، يَا مُفْضِلَ ، لَا أَسْأَلُكَ الْخَيْرَ بِخَيْرِهِمْ عِنْدَكَ ،  
وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ، فَاجْعَلِ الْعَافِيَةَ لِي شِعَارًا وَدِدْنَارًا <sup>(٣)</sup> ، وَجَنَّةَ دُونَ كُلِّ بَلَاءٍ »

### ١٠٢ - دعاء أعرابي

وقال الأصمى : سمعت أعرابيا في فلاة من الأرض ، وهو يقول في دعائه :  
« اللَّهُمَّ إِنْ اسْتَفْهَرْتُ إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلْوَيْمِ ، وَإِنْ تَرَكْتُ الْاسْتِغْفَارَ مَعَ  
مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لِعَجْزِ ، إِلَهِي كَمْ تَحَبَّبْتَ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي ، وَكَمْ  
أَتَبَغَّضْتُ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي ، وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ ، سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى »

### ١٠٣ - دعاء أعرابي

قال : وسمعت أعرابيا يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ إِنْ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ ،  
وَإِنْ رَحْمَتُكَ إِيَّاي لَا تَنْقُصُكَ ، فَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ ، وَهَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ » .

### ١٠٤ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابيا وهو يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَمَلِ  
الْخَائِفِينَ ، وَخَوْفِ الْعَامِلِينَ ، حَتَّى أَتَنَعَّمَ بِتَرِكِ النِّعَمِ <sup>(٤)</sup> طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتِ ،  
وَخَوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتِ ، اللَّهُمَّ أَعِذْنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ ، وَأَجِرْنِي مِنْ نِقَمَاتِكَ ، سَبَقَتْ  
لِي ذُنُوبٌ ، وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ <sup>(٥)</sup> ، إِلَيْكَ بِكَ أَتَوَسَّلُ ، وَمَنْكَ إِلَيْكَ أَفِرُّ » .

[١] الضعوى جمع ضعيف . [٢] المعنى : أن هذه الكائنات تدعو لتأمل فيها إلى تسبيحه جل شأنه

[٣] الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدنار : ما يلبس فوق الشعار ، والجنة : الوقاية .

[٤] أى فى الدنيا . [٥] حب محبوب : أتم .

### ١٠٥ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « اللهم إن قوما آمنوا بك بالسنتهم ، ليَحْقِنُوا دماءهم ، فأدرَكُوا ما أَمَلُوا ، وقد آمَنَّا بك بقلوبنا ، لِتُجِيرَنَا من عذابك ، فأدرِك منا ما أَمَلْنَا » .

### ١٠٦ - دعاء أعرابي

قال : ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة ، رافعاً يديه إلى السماء ، وهو يقول : « ربِّ أترك معدَّبنا ، وتوحيدك في قلوبنا ؟ وما إخالك تفعل ! ولئن فعلت لتَجْمَعُنَا مع قوم طالما أبغضناهم لك » .

### ١٠٧ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول في صلاته : « الحمد لله حمداً لا يبلى جديده ، ولا يُحصَى عديده <sup>(١)</sup> ، ولا يُبلِّغ حدوده ، اللهم اجعل الموت خيراً من منتظره ، واجعل القبر خيراً من نعمره ، واجعل ما بعده خيراً لنا منه ، اللهم إن عيني قد أغرَ ورقنا دموعاً من خشيتك ، فاغفر الزلة ، وعُدِّ بحملك ، على جهلٍ من لم يَرِجُ غيرك » .

### ١٠٨ - دعاء أعرابي

وقال : رأيت أعرابياً أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول : « ساؤلك عند بابك ، ذهبَت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهوته ، وبقيت تباغته ، فارض عنه ، وإن لم ترض عنه فاعف عنه غير راض » .

### ١٠٩ - دعاء أعرابي

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة فقال : « اللهم إنه لا شرف إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ، فأعطني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة » .

١١٠ - دعاء أعرابي

عن طاووس قال : « بينا أنا بمكة إذ دفت إلى الحجاج بن يوسف ، فتى لي وساداً جلست ، فبينما نحن نتحدث إذ سمعت صوت أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : على بالملسي ، فأتي به فقال : من الرجل ؟ قال : من أفتاء الناس <sup>(١)</sup> ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نعم سألتني ، قال : من أي البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن ، قال له الحجاج : فكيف خلقت محمد ابن يوسف - يعني أخاه ، وكان حاملاً على اليمن - قال : خلفته عظيمًا جسيماً ، خراً جابلاً ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نعم سألتني ، قال : كيف خلقت سيرته في الناس ؟ قال : خلفته ظلوماً غشوماً <sup>(٢)</sup> ، حاصياً للخالق ، مطيعاً للمخلوق ، فازور <sup>(٣)</sup> من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمتك لهذا ، وقد تعلم مكاتبة مني ! فقال له الأعرابي : أقراء بمكانة منك أعزمني بمكاتبة من الله تبارك وتعالى ، وأنا وافدٌ بيته ، وقاضي دينه ، ومصدق نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ فوجم <sup>(٤)</sup> لها الحجاج ، ولم يُجِر له جواباً <sup>(٥)</sup> ، حتى خرج الرجل بلا إذن .

قال طاووس : فتبعته حتى أتى الملتزم فتعلق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك الأوذ ، فاجعل لي في اللهم إلى جوارك ، والرضا بضمناك ، مندوحة <sup>(٦)</sup> ، عن منع الباخلين ، وغنى عما في أيدي المستأثرين ، اللهم عذ بفرجك القريب ، ومعروفك القديم ، ومادتك الحسنة .

قال طاووس : ثم اختفى في الناس ، فألقيته بعرفات قائماً على قدميه وهو

[١] يقال « مؤ من أفتاء الناس » إذا لم يعلم من هو ، واحده فتوكامل أو فنا كصا .

[٢] ظلوماً . [٣] ازور : اعرف ومال ، أي غضب منه . [٤] وجم : سكت على غيظ .

[٥] أي لم يردده . [٦] أي منسا .

يقول : « اللهم إن كنت لم تقبل حجتي ونصبي <sup>(١)</sup> وتعمي ، فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته ، فلا أعلم مصيبة أعظم ممن ورد حوضك ، وانصرف محروماً من وجه رغبتك » .

### ١١١ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة وهو يقول :

« إلهي عَجَّتْ <sup>(٢)</sup> إليك الأصواتُ ، بضروبٍ من اللغات ، يسألونك الحاجات ، وحاجتي إليك إلهي أن تذكرني على طول البكاء ، إذا نسيتني أهل الدنيا ، اللهم هب لي حَقك ، وأرض عني خالقك ، اللهم لا تُعَيِّنِي في طلب ما لم تقدِّره لي ، وما قدَّرته لي فيسره لي » .

### ١١٢ - دعاء أعرابي

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة فقالت : « كَانَ اللهُ صَاحِبَ كِ فِي أَمْرِكَ ، وَخَلِيفَتِكَ فِي أَهْلِكَ ، وَوَلِيَّ نَجْحِ طَلِبَتِكَ <sup>(٣)</sup> ، امضِ مُصَاحِبًا مَكْلُومًا <sup>(٤)</sup> ، لَا أَشَمْتُ اللهُ بِكَ عَدُوًّا ، وَلَا أَرَى مُجِيئِكَ فِيكَ سَوْءًا » .

(المقد الفريد ٢ : ٧٦ - ٧٩)

### ١١٣ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : خرجت أعرابية إلى منى فقَطَعُ بها الطريقُ فقالت : « يارب : أعطيت وأخذت ، وأنعمت وسلبت ، وكلُّ ذلك منك عدل وفضل ، والذي عَظُمَ على الخلائق أمرُك ، لا بَسَطْتُ أساني بمسألة أحدٍ غيرك ، ولا بَدَلْتُ رغبتِي إلا إليك ، يَا قُرَّةَ أَعْيُنِ السَّائِلِينَ : أَعْنَتِي بِجُودِ مَنْكَ أَتَبْحِجُ <sup>(٥)</sup> فِي

[١] في الأصل « ونسي » وأراء محرِّفا عن « نصي » ، ويؤيده قوله بعد « وتعمي » .

[٢] عَجَّ يَمِجُّ بِكسْرِ الْعَيْنِ وَفَتْحِهَا : صَاحَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ .

[٣] النَجْحُ : النَجَاحُ ، وَالطَلِبَةُ : مَا طَلَبْتَهُ . [٤] مِنْ كَلَاهُ كَنَهُهُ : حَرَسَهُ .

[٥] تَبْحِجُ : تَمَكَّنُ فِي الْقَامِ وَالْحُلُولِ ، وَتَبْحِجُ الدَّارُ : تَوْسَطُهَا ، وَالْفَرَادِيسُ جَمْعُ فَرْدُوسٍ :

وهو البستان .

قَرَادِيسِ نِعْمَتِهِ ، وَأَتَقَلَّبَ فِي رِوَاقِ نَضْرَتِهِ <sup>(١)</sup> ، اَتَحَمَّلَنِي مِنَ الرَّجُلَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَغْنَيْتَنِي  
مِنَ الْعَيْلَةِ ، وَاسْتَدِلَّ عَلَيَّ سِتْرَكَ الَّذِي لَا تَخْرِقُهُ الرِّيحُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الرِّيحُ ، إِنَّكَ  
صَمِيعُ الدُّعَاءِ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٨ ، والعقد الفريد ٣ : ١٣٨ )

### ١١٤ - أدعية شتى

ومات ابن لأعرابي فقال : « اللهم إني وهبتُ له ما قَصَّرَ فيه من برِّي ،  
فَهَبْ لِي ما قَصَّرَ فيه من طاعتك ، فإنك أجود وأكرم » .  
( العقد الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٨ )



ووقف أعرابي في بعض المواسم فقال : « اللهم إن لك عَلَيَّ حقوقاً فتصدقْ  
بها عَلَيَّ ، وللناس تَبِعَاتٌ قَبْلِي فتحمَّلْها عني ، وقد أوجبتَ لكل ضيفٍ قَرِيًّا <sup>(٣)</sup> ،  
وأنا ضيفك الليلة ، فاجعل قَرَايَ فيها الجنة » .

( العقد الفريد ٢ : ٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٨ )



وقال سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ : سمعت أعرابياً يقول عَشِيَّةَ عَرَفَةَ :

« اللهم لا تَحْرِمْنِي خَيْرَ ما عندك لِشَرِّ ما عندي ، وإن لم تتقبل تعبي وَنَصَبِي ،  
فلا تَحْرِمْنِي أَجْرَ الْمُصَابِ عَلَيَّ مَصِيبَتِهِ » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٣ )



وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول لرجل : « أطعمك الله الذي أطعمتني

له ، فقد أَحْيَيْتَنِي بِقَتْلِ جُوعِي ، وَدَفَعْتَ عَنِّي سُوءَ ظَنِّي ، فَحَفِظَكَ اللهُ عَلَيَّ كُلِّ  
جَنْبٍ ، وَفَرَّجَ عَنكَ كُلَّ كَرْبٍ ، وَغَفَرَ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ » ( العقد الفريد ٢ : ٨٤ )

[١] في الأصل « راووق » وهو المصفاة ، وأراء محرفاً عن « رواق » وهو المسطاط ، والنضرة :  
النعمة والنفي . [٢] رجل كفروح فهو راجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر يركبه ، والرجلة بالفتح  
ويكسر : شدة المشي ، والعيلة : الفقر .

[٣] قرى الضيف كرمي ، قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضا : ما قرى به الضيف .



عن الأصمعي قال : رأيت أعرابيا يصلي وهو يقول : « أسألك الغفيرة <sup>❖❖</sup> » <sup>(١)</sup> ،  
والناقة الغزيرة ، والشرف في العشيرة ، فإنها عليك يسيرة . ( الأملی ٢ : ٢٣ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يدعو لرجل فقال : « جَنَّبِكَ  
الله الأمرئين <sup>(٢)</sup> ، وكفأك شرَّ الأجوافين <sup>(٣)</sup> ، وأذأك البردین <sup>(٤)</sup> » .  
( الأملی ٢ : ٧٢ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٧ )

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أسألك البقاء ، والنماء ، وطيب الإتياء <sup>(٥)</sup> ،  
وَحَطَّ الأعداء ، ورفع الأولياء » . ( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

وقال أعرابي : « اللهم لا تُنزلني ماء سَوء ، فأكون امرأ سَوء » وقال  
أعرابي : « اللهم قيني عَمَّراتِ الكرام » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

ووهب رجل لأعرابي شيئا فقال : « جعل الله للمعروف إليك سبيلا ،  
وللخير عليك دليلا ، وجعل عندك رِفدا <sup>(٦)</sup> جَزِيلا ، وأبقاك بقاء طويلا ،  
وأبلاك <sup>(٧)</sup> بلاء جميلا » .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول : « اللهم ارزقني مالا  
أَكْبِت <sup>(٨)</sup> به الأعداء ، وَبْنين أصول بهم على الأقوياء » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ )

---

[١] الغفيرة : المغفرة . [٢] الأسمان : الفقر والهرم ، أو الجوع والعري . [٣] الأملان : وفان :  
البطن والفرج . [٤] البردان : برد العين وبرد العافية . [٥] الإتياء : الرزق ، من أنت الشجرة  
أتوا وإتياء : طلع ثمرها ، أو بدأ صلاحها ، أو كثر حملها . [٦] الرِفد : انعطاف والصلق .  
[٧] الإِبلاء : الإتمام والإحسان ، أبليت عنده بلاء حسنا ، وأبلاه الله بلاء حسنا .  
[٨] أكبته : صرعه وأدله ، ورد العدر بفيضه .

❖❖  
ودعت أعرابية على رجل فقالت : « أمكن الله منك عدوا حسودا ،  
وَجَمْعُ بكَ صَدِيقًا وَذُودًا ، وَسَلَطَ عَلَيْكَ مَهْمَا يُضْنِيكَ ، وَجَارًا يُؤْذِيكَ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩١ )

❖❖  
ودعا أعرابي فقال : « أعوذ بك من الفَوَاقِرِ <sup>(١)</sup> والبواقِر ، ومن جارِ السوء ،  
في دارِ المُقَامَةِ وَالظَّمْنِ ، وَمِمَّا يَنْكُسُ رَأْسَ المرءِ ، وَيُغْرِي بِهِ لثَامَ الناسِ » .  
❖❖  
وقال أعرابي : « أعوذ بك من سَقَمٍ ، وعداوة ذِي رَحِمٍ وَدَعْوَاهِ ، ومن  
فاجِرٍ وَجَدَّوَاهِ <sup>(٢)</sup> ، وعمل لا ترضاه » .

( البيان والتبيين ٣ : ١٣٦ )

❖❖  
ودعت أعرابية لرجل فقالت : « كَبَتَ اللهُ كُلَّ عَدُوْلِكَ إِلَّا نَفْسَكَ » .  
ودعا أعرابي فقال : « اللهم هب لي حَقَّكَ ، وأرض عني خَلْقَكَ » .  
وقال أعرابي : « اللهم إنك أمرتنا أن نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا ، وقد ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا  
فَاعْفُ عَنَا » .  
( البيان والتبيين ٣ : ١٣٧ )

❖❖  
وقال أعرابي : « منحكم الله مِئْخَةَ لِبِستٍ بِجَدَّاءِ ، ولا نَكَدَاءِ ، ولا  
ذاتِ دَاءِ » .

وقال أعرابي : « اللهم إنك حَبَسْتَ عَنَا قَطَرَ السَّمَاءِ ، فَذَابَ الشَّحْمُ ،  
وَذَهَبَ اللَّحْمُ ، وَرَقَّ العَظْمُ ، فَارْحَمِ أُنِينَ الآئَةِ ، وَحَنِينَ الحَانَةِ ، اللهم ارحم  
تَحِيرَهَا فِي مَرَاتِعِهَا ، وَأُنْدِنَهَا فِي مَرَابِضِهَا » .

[١] الفواقِر جمع فاقرة : وهي الداهية ، والبواقِر جمع باقرة : وهي الفتنة الصاعدة للألفة الشاقة للمصا .

[٢] الجدوى : العطية .

\*\*\*  
وحجج أعرابي فقال : « اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فأخرججه ، وإن كان نائياً فقرّبه ، وإن كان قريباً فيسّره » .  
( البيان والتبيين ٣ : ١٣٨ )

\*\*\*  
ومات ولد لرجل من الأعراب فصلى عليه ، فقال : « اللهم إن كنت تعلم أنه كريم الجدّين ، سهّل الخدّين ، فاغفر له وإلا فلا » . ( الأمل ١ : ٢٠٢ )

\*\*\*  
وقالت أعرابية لرجل : « رماك الله بليلة لأخت لها » أى لا تعيش بعدها . ( الأمل ١ : ٢١٧ )

\*\*\*  
ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أعوذ بك أن أفْتَقِرَ في غناك ، أو أضِلَّ في هداك ، أو أذلَّ في عزك ، أو أضامَّ في سلطانك ، أو أضطهدَّ والأمرُ إليك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ )

\*\*\*  
وقال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : « اللهم ارزقني عمَل الخائفين ، وخوف العاملين ، حتى أنعمَ بترك التنعم ، رجاء لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت » .  
وقال آخر : « اللهم من أراد بنا سوءاً فأحطه به كإحاطة القلائد ، بأعناق الولائد <sup>(١)</sup> ، وأرسخه على هامته كرسوخ السجّيل <sup>(٢)</sup> ، على هام أصحاب الفيل » .  
( زهر الآداب ٣ : ٣٤٦ )

---

[١] الولائد جمع وليدة : وهي الصبية . [٢] السجّيل : طين مطبوخ ، يشير إلى قوله تعالى : « وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ » وأبابل أى جماعات .

## ١١٥ - نوادر وملح لبعض الأعراب

غزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقبل له : ما رأيت مع رسول الله في غزاتك هذه ؟ قال : وَضَعْنَا نِصْفَ الصَّلَاةِ <sup>(١)</sup> ، وأرجو في الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقي .

\*\*\*

وَدَخَلَ أَعْرَابِي الْمَسْجِدَ ، وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا ، فَقَامَ يَصَلِّي ، فَلَمَّا قَرَعَ ، قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمَحَمَّدًا ، وَلَا تَرْحَمَ مَعَنَا أَحَدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَقَدْ تَحَجَّرَتْ <sup>(٢)</sup> وَاسِعًا يَا أَعْرَابِي .

\*\*\*

وَخَرَجَ الْحِجَابُ مَتَصِيدًا بِالْمَدِينَةِ ، فَوَقَفَ عَلَى أَعْرَابِي يَرَعَى إِبْلَاءَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَعْرَابِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ سِيرَةَ أَمِيرِكُمُ الْحِجَابِ ؟ قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِي : غَشُومٌ ظَلُومٌ ، لَا حَيَاءَ لَهُ ، فَقَالَ : فَلِمَ لَا تَشْكُوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ قَالَ : فَأَظْلَمُ وَأَغْثَمُ ! فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ ، فَأَوْمَأَ الْحِجَابُ إِلَى الْأَعْرَابِي ، فَأَخَذَ وَجْهًا ، فَلَمَّا صَارَ مَعَهُ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا لَهُ : الْحِجَابُ ، فَحَرَّكَ دَابَّتَهُ حَتَّى صَارَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، ثُمَّ نَادَاهُ يَا حِجَابُ ، قَالَ : مَا تَشَاءُ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : السِّرُّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا ، فَضَحِكَ الْحِجَابُ ، وَأَمَرَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ .

\*\*\*

وَخَرَجَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ مَتَنَزِّهًا بِالْأَنْبَارِ ، فَأَمِينٌ فِي نَزْهَتِهِ ، وَانْتَبَذَ مِنْ

[١] يسي صلاة القصر . [٢] أي ضيقك ما وسعه الله وخصمت به نفسك دون غيرك .

أصحابه ، فوافى خبياء لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ قال : من كِنانة ، قال : من أى كِنانة ؟ قال : من أبنض كِنانة إلى كِنانة ، قال : فأنت إذن من قريش ؟ قال : نعم ، قال : فمن أى قريش ؟ قال : من أبنض قريش إلى قريش ، قال : فأنت إذن من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم ، قال : فمن أى ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبنض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب ، قال : فأنت إذن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ووثب إليه ، فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بجائزة .

\*\*\*

وولى يوسف بن عمر الثقة فى صاحب العراق أعرابياً على عمل له ، فأصاب عليه خيانة فعزله ، فلما قدم عليه ، قال له : يا عِدوَّ الله ، أكلت مال الله ، قال الأعرابي : فقال مَنْ آكلُ إذا لم آكلُ مالَ الله ؟ لقد راودتُ إبليس أن يُعطينى فلساً واحداً فما فعل ، فضحك منه وخلّى سبيله .

\*\*\*

وأخذ الحجاج أعرابياً لصاً بالمدينة فأمر بضربه ، فلما قرعه بسوط قال : يارب شُكراً ، حتى ضربه سبعمائة سوط ، فلقية أشعب ، فقال له : تدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ، إن الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، قال : وهذا فى القرآن ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابي :

يا رب لا شكراً فلا تزدني أسأت في شكرى فاعف عني

، باعد ثواب الشاكرين مني

✽

ونزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة ، وقد دجنت (١) عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه ، فقالت يا أبا جعفر : هذه دجاجة لي كنت أذجنها وأعلفها من قوتي ، وألمسها في آناه الليل ، فكأنما ألمس بنتي زلت عن كبدى ، فنذرتُ لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه ، فضحك عبد الله بن جعفر ، وأمر لها بخمسة درم .

✽

وسُمِعَ أعرابي وهو يقول في الطواف : « اللهم اغفر لأمى » ، فقيل له : مالك لا تذكر أباك ؟ قال : أبى رجل يحتال لنفسه ، وأما أمى فبائسة ضعيفة .

✽

وقال أبو زيد : رأيت أعرابياً كأن أنفه كوز ، من عظمه ، فرآنا نضحك منه ، فقال : ما يضحككم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ، ما كنت فيهم إلا أفطساً .

✽

وجيء بأعراب إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته ، وهو يقول : « هاؤم أقرءوا كتابية » ، فقيل له يقال هذا يوم القيامة ، قال : « هذا والله شر من يوم القيامة ، إن يوم القيامة يؤتى بحسنات وسيئاتي ، وأتم جثم بسيئاتي وتركتم حسناتي » .

✽

واشترى أعرابي غلاماً فقيل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه

[١] دجن الحمام والشاة وغيرهما كنصر : ألفت البيوت .

يبول في الفراش ، قال : هذا ليس بعيب ، إن وجد فراشاً فَلْيَبِلْ فيه »

\*\*\*

ومرّ أعرابي بقوم وهو ينشد ابناً له ، فقالوا له : صِفْهُ ، قال : كأنه دُنَيْنِيرٌ ، قالوا : لم نره ، ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي ، وعلى عنقه جُعل (١) ، فقالوا : هذا الذي قلت فيه دُنَيْنِيرٌ ؟ قال : « الْقَرَئِي (٢) في عين أمها حسناء » .

\*\*\*

وقيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟ قال : والله إني لأُبِضُ الموت على فراشي ، فكيف أن أمضى إليه رَكُضًا ؟ .

\*\*\*

وخرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عمّ له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال : اعلم أنك لما خرجت ، وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق ، فرفع الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسنَ هذا يارب ! تأمرنا بعمارة بيتك أنت ، وتخرّب بيوتنا ! » .

\*\*\*

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت في بعض الطريق عَطِبَتْ راحتها ، فرفعت يديها إلى السماء ، وقالت : « ياربّ أخرجتنى من بيتي إلى بيتك ، فلا بيتي ولا بيتك ! » .

\*\*\*

وعرّضت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب ، وفيهم أعرابي ، أخذ يبول في أصل مدينة واسط ، فكان فيمن أطلق ، فأنشأ يقول :

[١] الجمل : الحرباء .

[٢] القرني : دويبة من خشاش الأرض فوق الحنفاء إذا مسها أحد تقبضت فصارت مثل الكرة

إذا ما خرجنا من مدينة واسطٍ خَرِينَا وَبُلْنَا لَا نَخَافُ عِقَابَا

\*\*\*

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان فقال : « والله لئن آثرتموه لَتُمْسِكُنَّ مِنْهُ بِذُنَابِي »<sup>(١)</sup> عيش أغبر .

\*\*\*

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال : « أرى عليك قَطِيفَةً مِنْ نَسِجِ أَرْضِ اسْك » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « اللهم إني أسألك مِيتَةً كَمِيتَةِ أَبِي خَارِجَةَ ، أَكَلْتُ بِدَجًا<sup>(٢)</sup> ، وَشَرِبْتُ مِشْعَلًا<sup>(٣)</sup> ، وَنَامْتُ فِي الشَّمْسِ ، فَاتَّ دَقَانَ شِبْعَانَ وَرِيَانَ » .

\*\*\*

وقيل لأبي المِخْشِ الأعرابي : أَيْسُرُكَ أَنْتَ خَلِيفَةٌ ، وَأَنْ أُمَّتَكَ حُرَّةٌ ؟ قال : لا والله ما يسرني ، قيل له : ولم ؟ قال : « لأنها كانت تذهب الأمة ، وتضيع الأمة » .

\*\*\*

وحضر أعرابي سُفْرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَعَلَ يَمْرُؤًا إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ : مَنْ أَجْدَبُ اتَّجَعُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ : إِذَا خَرَجَ عَنَا فَلَا يَعْذُ إِلَيْنَا .

\*\*\*

وشهد بعد هذا سُفْرَتَهُ أَعْرَابِي آخَرَ ، فَمَرَّ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، قَالَ : مَنْ أَخْصَبُ تَخَيَّرْ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ ، فَقَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

[١] الذنابي : التنب . [٢] البذج : ولد الضأن .

[٣] المشعل : هيء من جلود له أربع قوائم ينبذ فيه ، وحرب مشعلا أي حرب ما فيه .



وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أتى بالفألوذج ، جعل يُسرع فيه ، فقال سليمان : أتدرى ما تأكل يا أعرابي ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين إني لأجد ريقاً هنيئاً ، وَمُزْدَرَدًا<sup>(١)</sup> لِينًا ، وأظنه الصراط المستقيم الذى ذكره الله فى كتابه ، فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابي ؟ فإنهم يذكرون أنه يزيد فى اللدماغ ، قال : كذَّبوك يا أمير المؤمنين ، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل ! .



وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شعرة فى لقمة الأعرابي ، فقال : أرى شعرة فى لقمته يا أعرابي ، قال : وإنك لتراعينى مُرَاعاةً من يُبصر الشعرة فى لقمته ! وَاللَّهِ لاَ وَاكَلْتِكَ أَبَدًا ، فقال : استرها يا أعرابي ، فإنها زلة ، ولا أعود لمثلها .



وقال الأصمعى : قلت لأعرابي : أَتَهْمِرُ<sup>(٢)</sup> إسرائيل ؟ قال : إني إذن لرجل سوء ، قلت له : أَفَتَجْرُهُ فِلَسْطِينَ ؟ قال : إني إذا لَقَوِيَّ .



وسمع أعرابي إماماً يقرأ : « وَلا تُنْكِحُوا<sup>(٣)</sup> الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا » - قرأها بفتح التاء - فقال : ولا إن آمنوا أيضاً لم نُنْكِحْهُمْ ، فقليل له إنه يلحن وليس هكذا يُقرأ ، فقال : « أَخْرُوه قِبْحَهُ اللهُ ! لا تجعلوه إماماً ، فإنه يُحِلِّ ما حرَّم اللهُ » . (المعقد الفريد ٢ : ١٠٠ - ١٠٥)

وخطب أعرابي فلما أعجبه بعضُ الأمر عن التصدير بالتمجيد ، والاستفتاح بالتمجيد ، قال : « أما بعد ، بغير مَلالٍ لذكر الله ، ولا إيثارٍ غيره عليه ، فإننا نقول كذا ، ونسأل كذا » فراراً من أن تكون خطبته بترأء وشَوْهَاء (١) .  
( البيان والتبيين ٢ : ٢ ، ١ ، ٢ : ٢١٥ )

ودفعوا إلى أعرابيةٍ عِلْكَاً (٢) لَتَمَضُّغُهُ ، فلم تفعل ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : « ما فيه إلا تَعَبُ الأضراسِ وخَيْبَةُ الحَنْجَرَةِ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٤٧ )

وقيل لأعرابي : عند مَنْ تحب أن يكون طعامك ؟ قال : « عند أم صبي راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذى رحم قاطع » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٤٩ )

\*\*\*

وقال أعرابي :

« لولا ثلاث هُنَّ عَيْشُ الدهر ، الماء ، والنوم ، وأم تمهرو ،  
لما خَشِيتُ من مَضِيقِ القبر » .  
( البيان والتبيين ٢ : ١٠١ )

\*\*\*

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : « ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن » ، قيل له : ولم ؟ قال : « رأيت عهداً تُنْبَذُ » .  
( البيان والتبيين ٢ : ١٦٩ )

---

[١] وكانوا يسمون الخطبة التي لم يتدعى صاحبها بالتمجيد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد « البترأء » ويسمون

التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة دلي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « الشوهاء » .

[٢] الملك : اللبان ( بالضم ) .



وسمع أعرابي رجلا يقرأ : « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَابٍ وَدُسُرٍ ، تَجْرِي  
بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرًا<sup>(١)</sup> » ، قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابي :  
« لا يكون » ، فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابي : « يكون »  
( البيان والتبيين ٢ : ١٧٤ )



---

[١] ذات الألواح والدر : مع السفينة ، والدر ما تشدّ به الألواح من المسامير وغيرها جمع دسار  
ككتاب ، بأعيننا : برأى منا أي محفوظة ، وقد قرئ " كفر بالبناء للفاعل ، أي للكافرين ، أفرقوا

# الباب الرابع

## في

### خطب النكاح

#### ١ - خطبة قريش في الجاهلية

روى الجاحظ قال :

كانت خُطبة قريش في الجاهلية - يعني خُطبة النساء :

« باسمك اللهم ، ذُكِرَتْ «<sup>١</sup> فلانة ، وفلانٌ بها مشغوفٌ ، باسمك اللهم ،

لك ما سألتَ ولنا ما أعطيتَ » .

#### ٢ - خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة

« الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المرهوب من عذابه ، المرغوب

فيما عنده ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميزم

بأحكامه ، وأعزّم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد ، صلى الله عليه ، ثم إن الله تعالى

---

[١] ذكر فلان فلانة ذكرا ( بفتح فسكون ) : خطبها أو تعرض لخطبتها .

جعل المصاهرة نَسَبًا لَاحِقًا ، وأمرًا مُفْتَرَضًا ، وَوَشَّحَ <sup>(١)</sup> به الأرحامَ ، وألزمه الأنامَ ، قال تبارك اسمه ، وتعالى ذكره : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا » ، فأمرُ الله يجرى إلى قضائه ، ولكل قضاءٍ قَدَرٌ ، ولكل قَدَرٍ أَجَلٌ « يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » . ثم إن ربِّي أمرني أن أزوجَ فاطمة من عليّ بن أبي طالب ، وقد زوجتها إياه على أربعمئة مثقالِ فضةٍ ، إن رضى بذلك عليٌّ .

### ٣ - خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه حين تزوج بالسيدة فاطمة رضى الله عنها فقال :

« الحمد لله الذى قرّب من حامديه ، ودنا من سائليه ، ووعد بالجنة من يتّقيه ، وقطع بالنار عدد من يعصيه ، أحمدّه بجميع محامده وأياديه ، وأشكره شكر من يعلم أنه خالقه وباريه ، ومصوره ومُنشيه ، وممّيته ومُحْيِيه ، ومقرّبه ومنجيه ، ومُثَبِّه ومجازيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله صلاة تُزلفه وتُدنيه ، وتمزّه وتُعليه ، وتشرّفه وتجتديه .

أما بعد : فإن اجتماعنا مما قدّره الله تعالى ورضيه ، والنكاح ما أمر الله به وأذن فيه ، وهذا محمد صلى الله عليه وسلم قد زوجنى فاطمة ابنته على صداق أربعمئة درهم وثمانين درهماً ، ورضيت به فاسألوه ، وكفى بالله شهيداً .

[١] وشجت العروق والأغصان كوعد : اشتبكت والتفت وتداخلك ، ورحم واشجة ووشيجة : لشبكة متصلة ، وقد وشجها الله توشيجاً ، وفي الأصل : « وشبح به الأرحام » وأراء محرّفاً .

٤ - خطبة عتبة بن أبي سفيان

خطب عثمان بن عفنة بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان ابنته ، فأقعدته على نخذه ، وكان حدثاً فقال :

« أقرب قُريبٍ ، خَطَبَ أَحَبَّ حبيبٍ ، لا أستطيع له رَدًّا ، ولا أجد من إسعافه بُدًّا ، قد زوَّجْتُكها وأنت أعزُّ عليَّ منها ، وهي ألصقُ بقلبي منك ، فأكرِّمها يعذبُ عليَّ لسانِي ذِكْرُك ، ولا تُهِنِّها فيصغُرَ عندي قَدْرُك ، وقد قرَّبتك مع قُربك ، فلا تُبَعِدْ قلبي من قلبك » .

٥ - خطبة شبيب بن شيبه

وقال العُتبيّ : زوَّجَ شبيب بن شيبه ابنه بنتَ سِوار<sup>(١)</sup> القاضى ، فقلنا : اليوم يعبُّ عبَّابه<sup>(٢)</sup> ، فلما اجتمعوا تكلم فقال :

« الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أما بعد : فإن المعرفة منا ومنكم ، بنا وبكم<sup>(٣)</sup> ، تمنعنا من الإكثار ، وإن فلاناً ذكّر فلانة » .

٦ - خطبة الحسن البصرى

وكان الحسن البصرى يقول فى خطبة النكاح ، بعد الحمد لله والثناء عليه :

« أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المنقطعة ، والأنسابَ المتفرقة ، وجعل ذلك فى سنة من دينه ، ومنهاج واضح من أمره ، وقد خطب إليكم فلان ، وعليه من الله نعمةٌ ، وهو يبذل من الصّدّاق كذا ، فاستخيرُوا الله ، ورُدُّوا خيراً ، يرحمكم الله » .

[١] هو سوار بن عبد الله من قضاة البصرة وخطبائها - انظر البيان والتبيين ١ : ١٦١ - وقرأ فى أمالى السيد المرتضى ٤ : ٢٢ حديثاً غريباً للجاحظ عنه فى وقاره وضبطه من نفسه وملاكه من حركته - [٢] لأنّ والذى العروسين خطبان . [٣] أى المعرفة منا بكم ، والمعرفة منكم بنا .

## ٧ - خطبة ابن الفقير

وقال العتبي : حضرت ابن الفقير خطب على نفسه امرأة من باهلة فقال :  
« وما حسنٌ أن يمدح المرء نفسه : ولكنَّ أخلاقاً تَذمُّ وتُمدح  
إن فلانة ذُكرت لي » .

## ٨ - خطبة عمر بن عبد العزيز

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :  
« قد زوّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة » ، قال : « جزاك الله يا أمير المؤمنين  
خيراً ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة » .

## ٩ - خطبة أخرى له

وحدث محمد بن عبيد الله القرشي عن أبي المقدم قال :  
كانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه التقصير<sup>(١)</sup> ،  
فشهدت محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطب إلى عمر بن عبد العزيز  
أخته أم عمر بنت عبد العزيز ، فتكلم محمد بن الوليد بكلام جاز الحفظ ، فقال عمر :  
« الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد : فإن  
الرغبة منك دعوتك إلينا ، والرغبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسن بك ظناً من  
أودعك كرميته ، واختارك ولم يختَر عليك ، وقد زوجتكها على كتاب الله :  
إِنْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ » .

[١] وكذلك روى الجاحظ في البيان والتبيين ( ١ : ٦٤ ) قال : « والسنة في خطبة للنكاح أن يطيل  
لخاطب ، ويقصر الجيب » والمصري في زهر الآداب ( ٢ : ٣١ ) قال الأصمعي : « كانوا يستحبون من  
لخاطب إلى الرجل حرمة الإطالة ، لتدل على الرغبة ، ومن المخطوب إليه الإيجاز ليدل على الإجابة » .

### ١٠ - خطبة بلال

وخطب بلال إلى قوم من خثعم لنفسه ولأخيه ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ،  
ثم قال :

« أنا بلال وهذا أخي ، كنا ضالين فهدانا الله ، عبدين فأعتقنا الله ،  
فقيرين فأغنانا الله ، فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فالمستعانُ اللهُ » .

### ١١ - خطبة خالد بن صفوان

وزوج خالد بن صفوان مولاة من أمته ، فقال له العبد : لو دعوت الناس  
وخطبت ! قال : أذعهم أنت ، فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن  
صفوان ، فقال :

« أما بعد : فإن الله أعظم وأجل من أن يُذكَر في نكاح هذين الكليين ،  
وأنا أشهدكم أني زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية » .

### ١٢ - خطبة أعرابي

وخطب الفضل الرقاشي إلى قوم من بني تميم فخطب لنفسه ، فلما فرغ قام  
أعرابي منهم فقال :

« تَوَسَّلْتَ بِمِحْرَمَةٍ ، وَأَوْلَيْتَ بِحَقٍّ ، وَاسْتَنْدَتَ إِلَى خَيْرٍ ، وَدَعَوْتَ إِلَى سُئَةٍ ،  
فَقَرَّضْتُكَ مَقْبُولٌ ، وَمَا سَأَلْتَ مَبْذُولٌ ، وَحَاجَّتْكَ مَقْضِيَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى » .

قال الفضل : لو كان الأعرابي حمد الله في أوّل كلامه ، وصلى على النبي صلى الله

عليه وسلم لفضحني يومئذ .



### ١٣ - خطبة المأمون

وقال يحيى بن أكثم: أراد المأمون أن يزوج ابنته من علي بن موسى الرضا ، فقال : يا يحيى تكلم ، فأجلتته أن أقول : « أنكحت » ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أوّلَى بالكلام ، فقال : « الحمد لله الذي تصاغرت الأمور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره ، أما بعد : فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً ، وأنزله وحيّاً ، ليكون سبب المناسبة ، ألا وإني قد زوجت ابنة المأمون من علي بن موسى ، وأمهرتها أربعمائة درهم ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاءً إلى ما درج إليه السلف ، والحمد لله رب العالمين » .



وخطب رجل إلى قوم ، فأتى بمن يخطب له ، فاستفتح بحمد الله ، وأطال ، وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام ، وأطال ، ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتصر ذكر القرون ، حتى ضجر من حضر ، والتفت إلى الخاطب ، فقال : ما أسمك أعزك الله ؟ فقال : والله قد أنسيتُ اسمي من طول خطبتك ، وهي طالقٌ إن تزوجتها بهذه الخطبة ، فضحك القوم ، وعقدوا في مجلس آخر .

( مفتاح الأفكار ص ٦٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ ، والمقد الفريد ٢ : ١٦٣ ،

وسيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص ٢٨ ، والبيان والتبيين ١ : ٢١٥ ، ٢١٧ -

٢ : ٥٠ : ١٣٠ - ٣ : ٢٢١ ، وزهر الآداب ٢ : ٣٠ ، ٣١ )

## الباب الخامس

في

### خطب من أرتج عليهم

ونوادر طريفة لبعض الخطباء

روى الجاحظ قال : صعدَ عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه المنبر ، فأرتج

عليه ، فقال :

« إن أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام عادل ، أحوجُّ

منكم إلى إمام خطيب » .

✽

وروى ابن عبد ربه قال : أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه ، فقال :

« أيها الناس : إن أوّل كل مرّكبي صعب ، وإن أعشّن تأتكم الخطبُ على

وجها ، وسيجعل الله بعد عُسريُ سُرّاً إن شاء الله » .

✽

ولما قدّم يزيد بن أبي سُفيان الشام واليا عليها لأبي بكر ، خطب الناس فأرتج

عليه ، فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فقال :

« يَا أَهْلَ الشَّامِ ، عسى الله أن يجعل من بعد عُسْرٍ يُسْرًا ، ومن بَعْدِ عِيٍّ يَانًا ، وأنتم إلى إمامٍ فاعل (١) ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إلى إمامٍ قائل (٢) » ، ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .



وكان يزيد بن المهلب ولى ثابتَ قُطْنَةَ (٣) بعض قرى خُرَاسَانَ (٤) ، فلما صَعِدَ المنبر يوم الجمعة ، قال : الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فنزل وهو يقول :

فَالَا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي      بسيفي إِذَا جَدَّ الْوَعْيَ لَخَطِيبُ

فَقِيلَ لَهُ : « لَوْ قَتَمَهَا فَوْقَ الْمَنْبَرِ ، لَكُنْتَ أَخْطَبَ النَّاسِ » .



وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولى ، فَخَصِرَ فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي كُنْتُ أَعَدَدْتُ مَقَالًا أَقُومُ بِهِ فِيكُمْ ، فَخُجِبْتُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحْوُلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ (٥) ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَدَلٍ ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ ، وَإِنِّي أَمْرُكُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ » .

[١] في عيون الأخبار : « إمام عادل » . [٢] وفي أمالي السيد المرتضى أن هذا القول يروى لعثمان بن عفان ، وفي روايتها : « إمام فمّال » و « إمام قوّال » بصيغة المبالغة ، وفي الأغانى أنه يروى لثابت قطننة ، وفيه : « أمير ممال » و « أمير قوّال » .

[٣] هو ثابت بن كعب ، ولقب قطننة لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه ، فذهب بها في بعض حروب الترك ، فكان يحمل عليها قطننة ، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يوليه أعمالاً من أعمال الثغور ، فيحمد فيها مكانه لكفايته وشجاعته ، وقد مال إلى قول المرجئة ، وله قصيدة في الإرجاء ، انظر ترجمته في الأغانى ج ١٣ ص ٤٧ .

[٤] وفي رواية : أنه خطب على منبر سجستان ، وفي رواية الطبري : « نخطب الناس فخصر فقال : من يطع الله ورسوله فقد ضل » وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال البيت المذكور .

[٥] الآية الكريمة : « وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْوُلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ » .

##

وَصَعِدَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَوْمًا الْمَنْبِرَ بِالْبَصْرَةِ لِيَخْطُبَ فَارْتَجَحَ عَلَيْهِ ،  
فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَجِيءُ أَحْيَانًا ، وَيَعَزُّبُ أَحْيَانًا ،  
فَيَسِيحُ عِنْدَ مَجِيئِهِ سَيْبُهُ <sup>(١)</sup> ، وَيَعَزُّ عِنْدَ عَزْوِهِ طَلَبُهُ ، وَلَرَبَّمَا كُوبِرَ فَأَبَى <sup>(٢)</sup> ،  
وَعَوَّلَجَ فَنَأَى ، فَالْتَأَى <sup>(٣)</sup> لِمَجِيئِهِ ، خَيْرٌ مِنَ التَّمَاعُطِ لِأَيِّهِ ، وَتَرَكَهُ عِنْدَ تَنْكُرِهِ ،  
أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِهِ عِنْدَ تَعَذُّرِهِ ، وَقَدْ يَخْتَلِجُ <sup>(٤)</sup> مِنَ الْجَرِيءِ جَنَانُهُ ، وَيَنْقَطِعُ مِنَ  
الذَّرْبِ <sup>(٥)</sup> لِسَانُهُ ، فَلَا يُبْطِرُهُ ذَلِكَ وَلَا يَكْسِرُهُ ، وَسَاعُودٌ فَأَقُولُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،  
ثُمَّ نَزَلَ ، فَارْتَجَحَ حَصْرًا أَبْلَغَ مِنْهُ .

##

وصعد أبو العنابس منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
أما بعد ، فأرتجح عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا ،  
قال : فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم ، ثم نزل ؛ فلما كان في الجمعة الثانية ،  
وصعد المنبر وقال : أما بعد ، أرتجح عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟  
قالوا : نعم ، قال : فما حاجتكم إلي أن أقول لكم ما علمتكم ؟ ثم نزل ؛ فلما كانت  
الجمعة الثالثة ، قال : أَمَا بَعْدَ : فأرتجح عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟  
قالوا : بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى ، قال : فليُخبرِ الذي يدرى منكم الذي  
لا يدرى ، ثم نزل .

[١] السيب : العطاء ، وفي رواية : « فيتسبب عند مجيئه سيبه » .

[٢] وفي رواية : « فسا » أى اشتدَّ وصعب . [٣] تأتي له : ترفق ، وفي رواية :

« فالتأى » بالنون . [٤] يضطرب .

[٥] الحاد اللسان ، وفي رواية : « ويرتجح على البليغ لسانه » ، وفي أخرى : « وقد يرتجح على  
اللسن لسانه ، ولا ينظره القول إذا اتسع ، ولا يتيسر إذا امتنع ، ومن لم تمكن له الخطوة ، غطيق أن  
تمنَّ له النبوة » وفي أخرى : « وقد يعاصي على الذرب لسانه ، ثم لا يكابر القول إذا امتنع ، ولا يردُّ  
إذا اتسع ، وأولى الناس من حذر على النبوة ، ولم يؤاخذ على الكبوة ، من عرف ميدانه ، اشتهر إحسانه  
وسأعود وأقول » .



وولى اليمامة رجل من بنى هاشم يعرف بالدندان ، فلما صعد المنبر ارتج عليه ، فقال :

« حَيَّا الله هذه الوجوه ، وجعلنى فِدَاءَهَا ، إني قد أمرت طائفتي بالليل أن لا يرى أحداً إلا أتانى به ، وإن كنت أنا هو » ، ثم نزل .



وخطب عبد الله بن عامر <sup>(١)</sup> بالبصرة في يوم أضحى ، فأرتج عليه ، فكث ساعة ، ثم قال :

« والله لا أجمع عليكم عيًّا ولوئما ، من أخذ شاةً من الشوق فهى له ، وتغنىها على » .



قال الجاحظ : ولما حصر عبد الله بن عامر على منبر البصرة ، شقَّ ذلك عليه ، فقال له زياد : « أيها الأمير ، إنك إن أقتت عامَّة من ترى ، أصابه أكثر مما أصابك » .



وكان سعيد بن جندل الكلبي على قنسرين <sup>(٢)</sup> ، فوثب عليه زفر بن الحارث ، فأخرجه منها ، وباع لابن الزبير <sup>(٣)</sup> ، فلما قعد زفر على المنبر قال : « الحمد لله الذى أقعدنى مقعد الغادر الفاجر » ، وحصر ، فضحك الناس من قوله .

---

[١] انظر هامش الجزء الأول ص ١٨٠ . [٢] كورة بالشام . [٣] انظر هامش الجزء

✽

وصعد عدي بن أرطاة<sup>(١)</sup> المنبر، فلما رأى جماعة الناس حصر فقال: « الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويستقيمهم » .

✽

وصعد رزح بن حاتم المنبر، فلما رآهم شفقوا<sup>(٢)</sup> أبصارهم، وفتحوا أسماعهم نحوه، حصر فقال: « نكسوا رؤوسكم، وغضوا أبصاركم، فإن المنبر مرة كبت صعب، وإذا يسر الله فتح قفل يسر » .

✽

وكان عبد ربه اليشكري حاملاً لعيسى بن موسى<sup>(٣)</sup> على المدائن، فصعد المنبر، فحمد الله وأرتج عليه، فسكت ثم قال: « والله إني لأكون في بيتي فتجىء على لساني ألف كلمة، فإذا قلت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فحأها من صدري، ولقد كنت وما في الأيام يوم أحب إلى من يوم الجمعة، فصرت وما في الأيام يوم أبغض إلى من يوم الجمعة، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه » .

✽

وأرتج على معن بن زائدة، فضرب المنبر برجله، ثم قال: « فتى حرؤوب، لا فتى منابر » .

✽

وحدث عيسى بن عمر قال:

خطب أمير مرة فانقطع فحجل، فبعث إلى قوم من القبائل عابوا ذلك وأنفهم<sup>(٤)</sup>، وفيهم يربوعي جند، فقال: اخطبوا، فقام واحد فرأى في الخطبة،

[١] كان حامل يزيد بن عبد الملك على البصرة .

[٢] شفقته كضربه وعلقه شفقونا : نظر إليه بمؤخر عينيه ، أو رفع طرفه ناظرا إليه كالمتعجب أو كالكاره .

[٣] هو عيسى بن موسى ابن أخي المصور وكان أمير الكوفة . [٤] لفهم : جههم .

حتى إذا بلغ « أما بعد » قال : أما بعد ، أما بعد ، ولم يدّر ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أريد أن أجمع<sup>(١)</sup> اليوم فمنعتنى ، وخطب آخر ، فلما بلغ « أما بعد » بقي ونظر ، فإذا إنسان ينظر إليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه ، وتلمحني ببصرك أيضاً ! وقال أحدهم : رأيت القراقير<sup>(٢)</sup> من السفن تجرى بيني وبين الناس ، وصعد اليربوعي نخطب فقال : « أما بعد » فوالله ما أدرى ما أقول ، ولا فيم أقتمونى ، أقول ماذا ؟ » فقال بعضهم : قل في الزيت ، فقال : « الزيت مبارك<sup>(٣)</sup> ، فكلوا منه وادّهنوا » .

قال : فهو قول الشطار<sup>(٤)</sup> اليوم ، إذا قيل : لم فعلت ذا ؟ فقل في شأن الزيت ، وفي حال الزيت .



وروى الجاحظ أنه قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما صعد حصروا وقال : « الحمد لله الذي يرزق هؤلاء » وبقي ساكناً فأنزلوه ، وصعد آخر ، فلما استوى قائماً ، وقابل بوجهه وجوه الناس ، وقعت عينه على صلعة<sup>(٥)</sup> رجل فقال : « اللهم العن هذه الصلعة » .

[١] جمع الناس بالتشديد : أى شهدوا الجمعة ، كما يقال : عيّدوا : أى شهدوا العيد .

[٢] القراقير جمع قرقر كمصفور : وهى السفينة أو الطويلة أو العظيمة .

[٣] يشير إلى الآية الكريمة : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاج كانهما كوكب درى يؤقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » .

[٤] الشطار جمع شاطر : وهو من أعيان أهله خبثاً ، والمراد به هنا أهل الدنائة والمحابب الوادر

✽

وقيل لوازع اليشكريّ : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما رأى جمع الناس قال : « لولا أن امرأتى لعنها الله حملتني على إتيان الجمعة اليوم ما جمعتُ ، وأنا أُشهدُكم أنها مني طالق ثلاثا » .

✽

وَدُعِيَ أَيُوبُ بْنُ الْقَرِيَّةِ لِكَلَامِ ، فَاحْتَبَسَ الْقَوْلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « قَدْ طَالَ السَّمَرُ ، وَسَقَطَ الْقَمَرُ ، وَاشْتَدَّ الْمَطَرُ ، فإِذَا يُدْتَنَظَرُ ؟ » فَأَجَابَهُ فَتَى مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَقَالَ : « قَدْ طَالَ الْأَرْقُ ، وَسَقَطَ الشَّفَقُ ، وَكَثُرَ اللَّتَقُ <sup>(١)</sup> ، فليَنْطِقْ مِنْ نَطَقِ »

✽

وجاء في أمالي السيد المرتضى :

روى أن بعض خلفاء بني العباس - وأظنه الرشيد - صعد المنبر ليخطب ، فسقطت على وجهه ذبابة ، فطردها ، فرجعت ، فحصر وأرتج عليه ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ : إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْنَاهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ <sup>(٢)</sup> مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » ثم نزل ، فاستحسن ذلك منه .

✽

وروى أن رجلا صعد المنبر أيام يزيد بن معاوية ، وكان واليا على قوم فقال لهم : « أيها الناس : إني إن لم أكن فارسا طبيا <sup>(٣)</sup> بهذا القرآن ، فإن معي من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خلفا منه ، وما أساء القائل أخو البراجم حيث قال :

---

[١] لئلا يؤمنوا كفرح : ركعت ريمه وكثرنداه . [٢] وكانوا يطلون أصنامهم بالطيب والزعفران ، ويطلقون عليها الأبواب ، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله . [٣] ماهرا حاذقا .



وما عاجلاتُ الطير يُدنين للفتى      رَشَادًا ، ولا من رَيْثِهِن ينجِبُ (١)  
 وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ      وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِن وَجِيبُ (٢)  
 ولا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِنُ نَفْسَهُ      على نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ  
 وَفِي الشُّكِّ تَفْرِيطٌ وَفِي الْحَزْمِ قُوَّةٌ      وَيُخْطِئُ الْفَتَى فِي حَدْسِهِ وَيُصِيبُ (٣)

فقال رجل من كلب : إن هذا المنبر لم يُنصَب للشعر ، بل ليُحمد الله تعالى ،  
 وَيُصَلَّى على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام ، وللقرآن ، فقال : أما لو أنشدتكم  
 شعر رجل من كلب لسرَّكم ، فكتب إلى يزيد بذلك فعزله ، وقال : قد كنت  
 أراك جاهلاً أحمق ، ولم أحسب أن الحمق يبلغ بك إلى هذا المبلغ ، فقال له :  
 أحمق مني مَنْ وَلَا نِي !



وخطب عتَّاب بن ورقاء (٤) فحث على الجهاد فقال : هذا كما قال الله تعالى

في كتابه :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا      وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ (٥)

[١] كانت العرب تدين بالطير السائح ، وهو ما ولاك ميامنه ، أن يمر من مياسرك إلى ميامنك ،  
 وتنشأ بالبارح ، وهو ما ولاك مياسره ، أن يمر من ميامنك إلى مياسرك ، وذلك لأنه لا يمكنك رميه إلا  
 بأن تنحرف له ، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير ، فيعتمدها ، وعاجلات الطير هي أن يخرج الإنسان من  
 منزله إذا أراد أن يزجر الطير ، فاسر به أول ما يبصر فهو عاجلات الطير ، وإن أبطأت عنه وانظرها  
 فقد رأت أي أبطأت ، والأول عندهم محمود ، والثاني مذموم .

[٢] خشية خشية ومخشاة : خافه ، ووجب القاب وجيباً : خفق واضطرب . [٣] الحدس : الظن  
 والتخمين ، والأبيات لضاني بن الحارث البرجمي ( انظر زهر الآداب ٢ : ٨٨ ) .

[٤] انظر الجزء الثاني ص ٤٣٣ و ٤٤٥ [٥] البيت لعمر بن أبي ربيعة ، وذلك أن مصعب بن الزبير  
 قد أن قتل المختار بن أبي عبيد الثقفي دما امرأته - وهي بنت العمان بن بشير - إلى البراءة من المختار ،  
 فأبت فقتلها ، فقال في ذلك ابن أبي ربيعة :

إن من أعظم الكبائر عندي      قتل حسناء عادة عطبول

\*\*\*

وخطب يوماً فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إنما يتفاضل الناس بأعمالهم ، وكل ما هو آتٍ قريبٌ » قالوا له : « إن هذا ليس من كتاب الله » قال : « ما ظننتُ إلا أنه من كتاب الله » .

\*\*\*

وخطب وكيع بن أبي سُودٍ<sup>(١)</sup> بخراسان فقال : « إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر » فقبل له : « إنها ستة أيام » فقال : « وأبيك لقد قُلتها وإني لأستقلها ! » .

\*\*\*

وصعد المنبر فقال : « إن ربيعة لم تزل غَضَابًا على الله مذ بعث نبيّه من مَضَرَ ، ألا وإن ربيعة قومٌ كُشِفَ<sup>(٢)</sup> ، فإذا رأيتهم فاطمِنُوا الخيل في مناخِرِها ، فإن فرسًا لم يُطَمَن في مَنخَرِه إلا كان أشدَّ على فارسه من عدوّه<sup>(٣)</sup> » .

\*\*\*

وضربت بنو مازن الحُتَاتَ بن يزيد المُجَاشِعِيَّ ، فجاءت جماعة منهم ، فيهم غالبُ أبو الفرزدق فقال : « يا قوم كونوا كما قال الله : لا يعجزِ القوم إذا تعاونوا » .

\*\*\*

وخطب عدى بن زياد الإياديّ ، فقال : « أقول لكم كما قال العبد الصالح لقومه : « مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ<sup>(٤)</sup> » ، قالوا

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جراً الذبول

« والمعطبول كمصفور : المرأة الفتية الجميلة المتلثة الطويلة العنق » . [١] انظر الجزء الثاني ص ٢٩٧

[٢] كشف جمع أكشف : وهو من ينزيم في الحرب ، ومن لا ترس معه في الحرب ، ومن لا بيضة على رأسه . [٣] وروى الطبري أن عبد الله بن خازم قال ذلك القول لأصحابه بخراسان ، قال لهم : « إذا

لقيم الخيل فاطمِنوها في مناخِرِها ، فإنه لن يطمن فرس في منخَرِه إلا أدبر أو رمى بصاحبه » . ( الطبري

٧ : ٤٦ ) . [٤] الآية الكريمة : « قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى . . . »

له: « ليس هذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فرعون » ، قال : « من قاله فقد أحسن » .

\*\*\*

وروى الطبرى أن عبد الله بن الزبير كان ولي أخاه عبيدة على المدينة، ثم نزع عنها ، وكان سبب عزله إياه أنه خطب الناس ، فقال لهم : قد رأيتم ما صنِع (١) بقوم فى ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسمى مقوم الناقة ، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن هذا لهو التكلف .

وروى الجاحظ وابن عبد ربه هذا الخبر فقالا : خطب والى اليمامة (٢) ، فقال : « إن الله لا يُقَارُ (٣) عباده على المعاصى ، وقد أهلك الله أمة عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم » ، فسمى مقوم ناقة الله .

\*\*\*

وخطب قبيصة ، وهو خليفة أبيه (٤) على خراسان ، وأتاه كتابه ، فقال : « هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهل لأن أطيعه ، وهو أبى وأكبر منى » .

\*\*\*

ودعى مُصعب بن حيان ليخطب فى نكاح فخير فقال : لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله ، فقالت أم الجارية : تجل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟ .

\*\*\*

وخطب أمير المؤمنين الموالى - وهكذا لقبه - خطبة نكاح فخير ، فقال : « اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نُشْرِكُ بك » .

[١] يشير إلى عمود قوم صالح عليه السلام - انظر هامش الجزء الثانى ص ٢٢٣ .

[٢] لعلها المدينة . [٣] أى لا يقرتم .

✱

وخطب قُتَيْبَةُ بن مُسْلِمٍ على منبر خُرَّاسَانَ ، فسقط القضيب من يده ،  
فتفأدل له عدوه بالشرِّ ، واغتمَّ صديقه ، فعرف ذلك قتيبة ، فأخذه وقال :  
« ليس الأمر على ما ظن العدو ، وخاف الصديق <sup>(١)</sup> ، ولكنه كما قال الشاعر » :  
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقْرَبَهَا النَّوَى      كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ <sup>(٢)</sup>

✱

وتكلم صَعَصَعَةٌ عند معاوية فَعَرَّقَ ، فقال معاوية : بَهْرَكَ <sup>(٣)</sup> القول ! فقال  
صعصعة : إن الجياد نَضَاحَةٌ بالماء .

✱

وشخص يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ إلى هِشَامِ بن عبد الملك ، فتكلم فقال هشام :  
ما مات من خلف مثل هذا ! فقال الأبرش الكلبى : ليس هناك ، أَمَا تَرَاهُ يَرَشِّحُ  
جبينه لِضَيْقِ صدره ! قال يزيد : مَالِدَكَ رَشِّحَ ، ولكن لجوسيك في هذا الموضع .

✱

وقال عبيد الله بن زياد : « نِعْمَ الشَّيْءُ الإِمَارَةُ ، لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْبَرِيدِ ،  
وَالْتَشْرِيفُ لِلخُطْبِ » .

✱

وقيل لعبد الملك بن مروان : مَجَلِّ عَلَيْكَ المشيبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فقال :  
كَيْفَ لَا يَمَجَلُّ عَلَى ، وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ؟  
« أَوْ قَالَ : شَيْبِنِي صَعُودَ الْمَنَابِرِ وَالخَوْفِ مِنَ اللَّحْنِ » .

( المقد الفريد ٢ : ١٦٢ - ١٦٣ و ٣ : ٢٥٦ ، و عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٧ و ٢٥٦ و  
٢٥٩ ، و أمالي السيد المرتضى ٤ : ١٩ - ٢٢ ، و الأمانى ١٣ : ٤٧ ، ١٧ : ١١١ ، و تاريخ الطبرى  
ج ٧ : ص ٩٠ ، ج ٨ : ١٨٨ ، و البيان والتبيين ١ : ٧٤ ، ١٦٣ ، ١٨٦ - ٢ : ١٢٢ ، ١٢٦ ،  
١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، و الأمالى ١ : ١١١ ، و تهذيب الكامل ١ : ١٧ ، و سرح العيون  
ص ١٢٥ ، ٢٠٥ ، و الصنائع ص ٢١ )

[١] وفي رواية : « كما ساء الصديق ، وسرَّ العدو » . [٢] النوى : الغربة البعيدة .

## بدء الخطب وختامها

قال ابن قُتَيْبَةَ في عيون الأخبار :

تتبع خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت أوائل أكثرها :  
« الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونستغفره ونتوب إليه ،  
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ  
له ، ومن يضلّل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ،  
ووجدت في بعضها : « أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحکم على طاعته » ،  
ووجدت كلّ خطبة مفتاحها الحمد ، إلا خطبة العيد ، فإن مفتاحها التكمير .  
( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١ )

وروى ابن عبد ربه في العقد قال :

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عُرِف أنه قد فرغ من خطبته :  
« اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك » .  
وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته : « اللهم  
لا تدعنى في غمرة ، ولا تأخذنى على غرّة ، ولا تجعلنى من الغافلين » .  
وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته : « اللهم إن ذنوبى قد  
عظمت وجلّت أن تُحصى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عني » .

( العقد الفريد ٢ : ١٣٣ ، ١٤٢ )

تمّ بحمد الله

## جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
ولى	ولى	١١	١٦٧
يقولون	يقولون	٤	١٧٩
البرء	البرء	١٥	١٩١
الموصل إلى المرغوب	الموصل المرغوب	٥	١٩٣
ولى	ولى	١٣	١٩٣
تتلى	تتلى	١١	٢٠١
الازدراء	الازدراء	١٨	٢٠٥
بضائعا	بضائعا	١٣	٢٠٨
شديد	شديد	١١	٢١١
يضيف	يضيف	١٥	٢٢٢
يداً	يداً	١٣	٢٣٥
غفلنا	غفلنا	٢٠	٢٦٤
أذابت	أذبت	١	٢٧٨
الردى	الردى	١٠	٢٨٧
شربك	شربك	١٤	٣١٣
وتسل	وتسل	١٠	٣١٨
صاب	أصاب	٧	٣٢٠
كالترس	كالترس	١	٣٣٤
التي	لتي	٦	٣٤٠

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
وتشنج	وتشنج	٢	٣٤١
الذلّ	الذلّ	٥	٣٤١

تم الكتاب بحسن توفيقه وعونه تعالى

وسيتبعه إن شاء الله كتاب

**جمهرة رسائل العرب**

في عصور العربية الزاهرة

# فهرس ذيل الجمهرة

## الباب الأول

### في خطب الأندلسيين والمغاربة

رقم الصفحة	الخطبة أو الوصية
١٦٦	خطبة عبد الرحمن الداخل يوم حربه مع يوسف الفهري
١٦٧	عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين
١٦٨	عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنئه بفتح سرقسطة
١٦٨	تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر
١٧٠	عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضاً
١٧١	يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه
١٧٢	وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز
١٧٣	خطبة منذر بن سعيد البلوطي في الاحتفال بقدوم رسل ملك الروم
١٧٧	خطبة أخرى له
١٧٨	أحد حساد الرمادي الشاعر والمنصور بن أبي عامر
١٨١	ابن اللبابة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صمادح
١٨٣	دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى بحضرة ابن تاشفين
١٨٤	موعظة ابن أبي رندقة الطرطوشي للأفضل بن أمير الجيوش
١٨٥	خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين
١٨٨	مقال لسان الدين بن الخطيب في الحضي على الجهاد
١٩٠	ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني
١٩٢	وصية لسان الدين لأولاده



وصية موسى بن سعيد العنسى لابنه	٢١٦
خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف	٢٢٦
» القاضى عياض التى ضمنها سور القرآن	٢٢٩
» سعيد بن أحمد المقرئ التى ضمنها سور القرآن	٢٣١
» الكفعمى التى ضمنها سور القرآن أيضاً	٢٣٤

## الباب الثانى

### فى خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

خطبة أبى بكر بن عبد الله بالمدينة	٢٣٦
وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده	٢٤١
» رجل لآخر وقد أراد سفراً	٢٤١
» » لابنه وقد أراد التزوج	٢٤٢
» بعض العلماء لابنه	٢٤٢
» لبعض الحكماء	٢٤٢
» أخرى	٢٤٣
» »	٢٤٣
عظة لبعض الحكماء	٢٤٤
» نصيحة »	٢٤٤
كلمات شتى لبعض الحكماء	٢٤٤
رجل من العرب والحجاج	٢٤٦
أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز	٢٤٦
كاتب وأمير	٢٤٧

وصف الملبأة	٢٤٧
بعض البلقاء يصف رجلا	٢٤٩
خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن	٢٤٩
رجل من العرب يصف مطراً	٢٥٢

## الباب الثالث في نثر الأعراب

قولهم في الوعظ والتوصية	٢٥٣
مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك	٢٥٣
أعرابي يعظ هشام بن عبد الملك	٢٥٤
خطبة أعرابي	٢٥٤
» أخرى	٢٥٥
» »	٢٥٦
أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر	٢٥٦
أعرابية توصي ابنها	٢٥٧
أعرابي يوصي ابنه	٢٥٧
» ينصح لابنه	٢٥٧
» » »	٢٥٨
» » لأخيه	٢٥٨
» يعط أخاه	٢٥٨
» » صاحبه	٢٥٩
» » أخاه	٢٥٩
» » رجلا	٢٥٩

أعرابي يعظ رجلا	٢٦٠
أعرابي يعظ رجلا	٢٦٠
كلام أعرابي لابن عمه	٢٦٠
كلمات حكيمه الأعراب	٢٦١
أجوبة الأعراب	٢٦١
مجاوبة أعرابي للحجاج	٢٦٧
مساءلة الحجاج أعرابياً فصيحاً	٢٦٨
مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان	٢٦٨
مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسرى	٢٦٩
أجوبة شتى	٢٦٩
قولهم فى الاستمناح والاستجداء	٢٧٢
أعرابي يجتدى عتبة بن أبى سفيان	٢٧٢
أعرابي يجتدى عمر بن عبد العزيز	٢٧٣
خطبة أعرابي بين يدى هشام بن عبد الملك	٢٧٣
مقام أعرابي بين يدى هشام	٢٧٣
أعرابي يستجدى عبيد الله بن زياد	٢٧٤
أعرابية تستجدى عبد الله بن أبى بكره	٢٧٥
أعرابي يستجدى خالد بن عبد الله القسرى	٢٧٦
» » معن بن زائدة	٢٧٧
خطبة الأعرابي السائل فى المسجد الحرام	٢٧٧

صورة أخرى	٢٧٩
أعرابي يستجدي	٢٨٠
» »	٢٨٠
» »	٢٨١
» »	٢٨١
أعرابية تستجدي	٢٨٢
أعرابي يستجدي	٢٨٢
» »	٢٨٣
» »	٢٨٣
» »	٢٨٣
أعرابية تستجدي	٢٨٤
أعرابي يستجدي	٢٨٤
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
يسأل رجلا حاجة له	٢٨٦
قولهم في بكاء الموتى	٢٨٦
أعرابية تبكي ابنها	٢٨٧

٢٨٨	حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها
٢٩٠	حديث امرأة مات ابنها بين يديها
٢٩٠	قولهم في الشكوى
٢٩٠	أعرابي يشكو حاله
٢٩١	كلمات شتى في الشكوى
٢٩٦	قولهم في العتاب والاعتذار
٢٩٧	قولهم في المرح
٣٠٧	قولهم في الذم
٣١٤	قولهم في الغزل
٣١٩	قولهم في الوصف
٣١٩	أعرابي يصف مطراً
٣٢٠	» » مطراً
٣٢١	» » مطراً
٣٢٢	ثلاثة غلمة من الأعراب يصفون مطراً
٣٢٤	أعرابي يصف مطراً
٣٢٥	» » »
٣٢٦	» » »
٣٢٧	» » »
٣٢٨	» » »
٣٢٩	» » »

أعرابي يصف مطراً	٣٢٩
» » »	٣٣٠
» » أرضاً	٣٣٠
رائد يصف أرضاً جديدة	٣٣١
» » »	٣٣٢
» » »	٣٣٢
أعرابي يصف أرضه وما	٣٣٣
بلداً	» » ٣٣٤
أشد البرد	» » ٣٣٤
إبلا	» » ٣٣٤
ناقة	» » ٣٣٥
خيلاً	» » ٣٣٥
» » »	٣٣٥
» » »	٣٣٥
» » »	٣٣٥
فرساً	» » ٣٣٦
خاتماً	» » ٣٣٦
أطيب الطعام	» » ٣٣٦
السويق	» » ٣٣٧
الجمال	» » ٣٣٧
أبو الخش يصف ابنه	٣٣٧
أعرابي يصف بنيه	٣٣٨
أعرابي يصف أخويه	٣٣٩

٣٣٩ قولهم في الدعاء

٣٣٩ دعاء أعرابي

» » ٣٤١

» » ٣٤٢

» » ٣٤٣

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٦

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

٣٤٨ أدعية شتى

٣٥٢ نواذر وملح لبعض الأعراب

## الباب الرابع في خطب النكاح

خطبة قریش فی الجاهلیة	٣٦٠
» النبی صلی الله علیه وسلم فی زواج السیدة فاطمة	٣٦٠
» الامام علی کرم الله وجهه	٣٦١
» عتبة بن أبی سفیان	٣٦٢
» شیبب بن شیبة	٣٦٢
» الحسن البصری	٣٦٢
» ابن الفقیر	٣٦٣
» عمر بن عبد العزیز	٣٦٣
» أخرى له	٣٦٣
» بلال	٣٦٤
» خالد بن صفوان	٣٦٤
» أعرابی	٣٦٤
» المأمون	٣٦٥

## الباب الخامس

فی خطب من أرتج علیهم ونوادر طریفة لبعض الخطباء	٣٦٦
بدء الخطب وختامها	٣٧٧